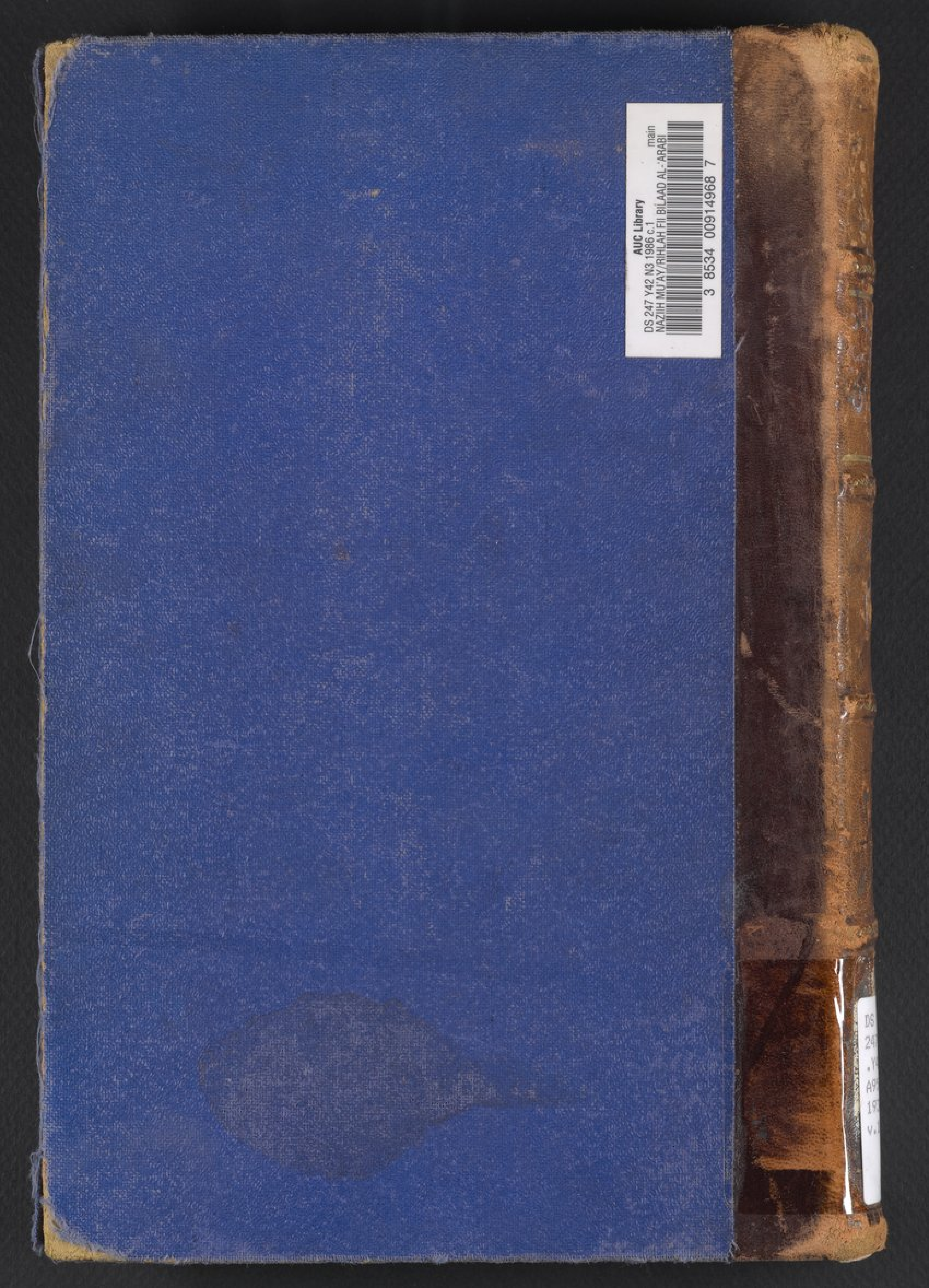
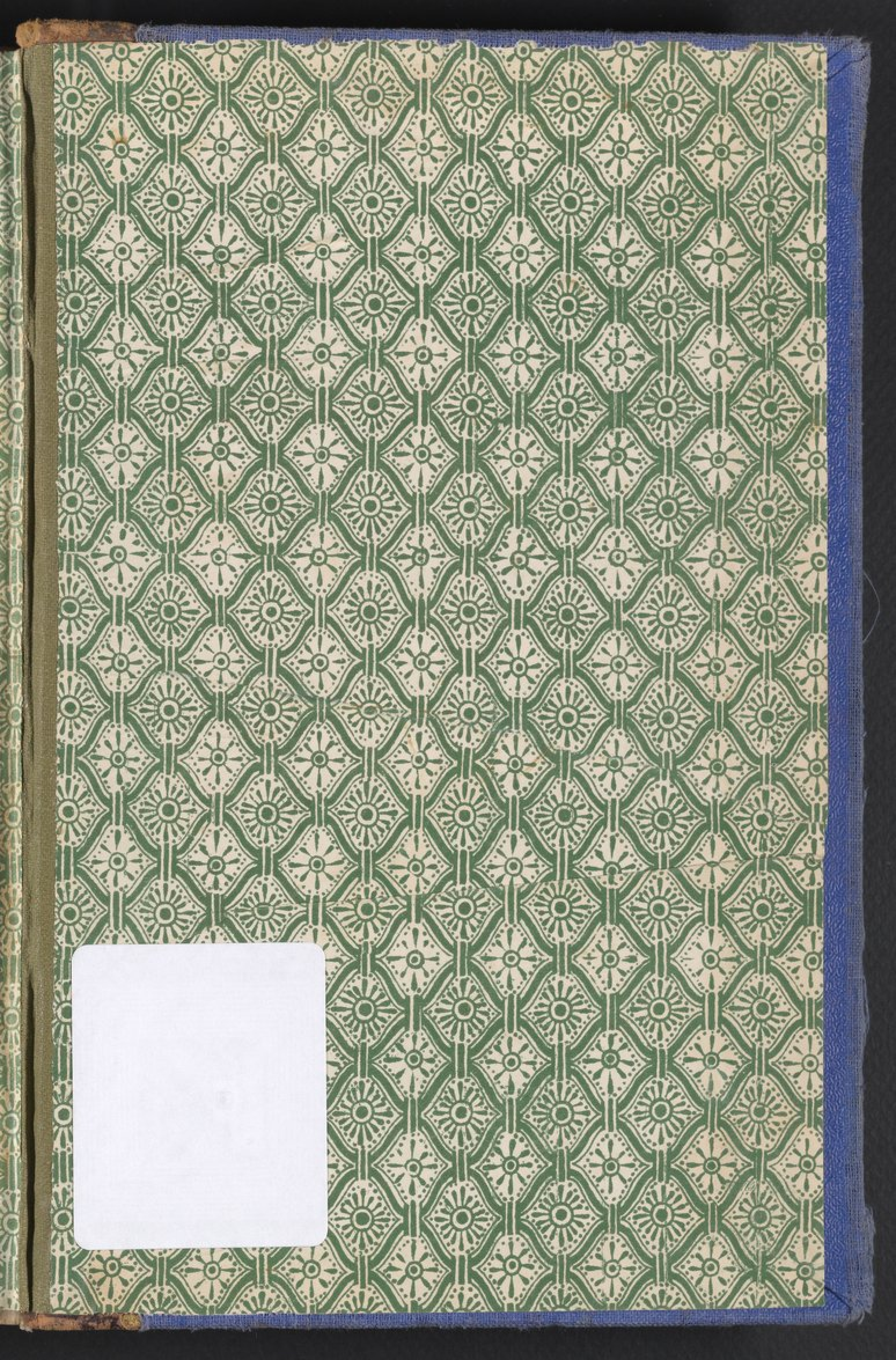
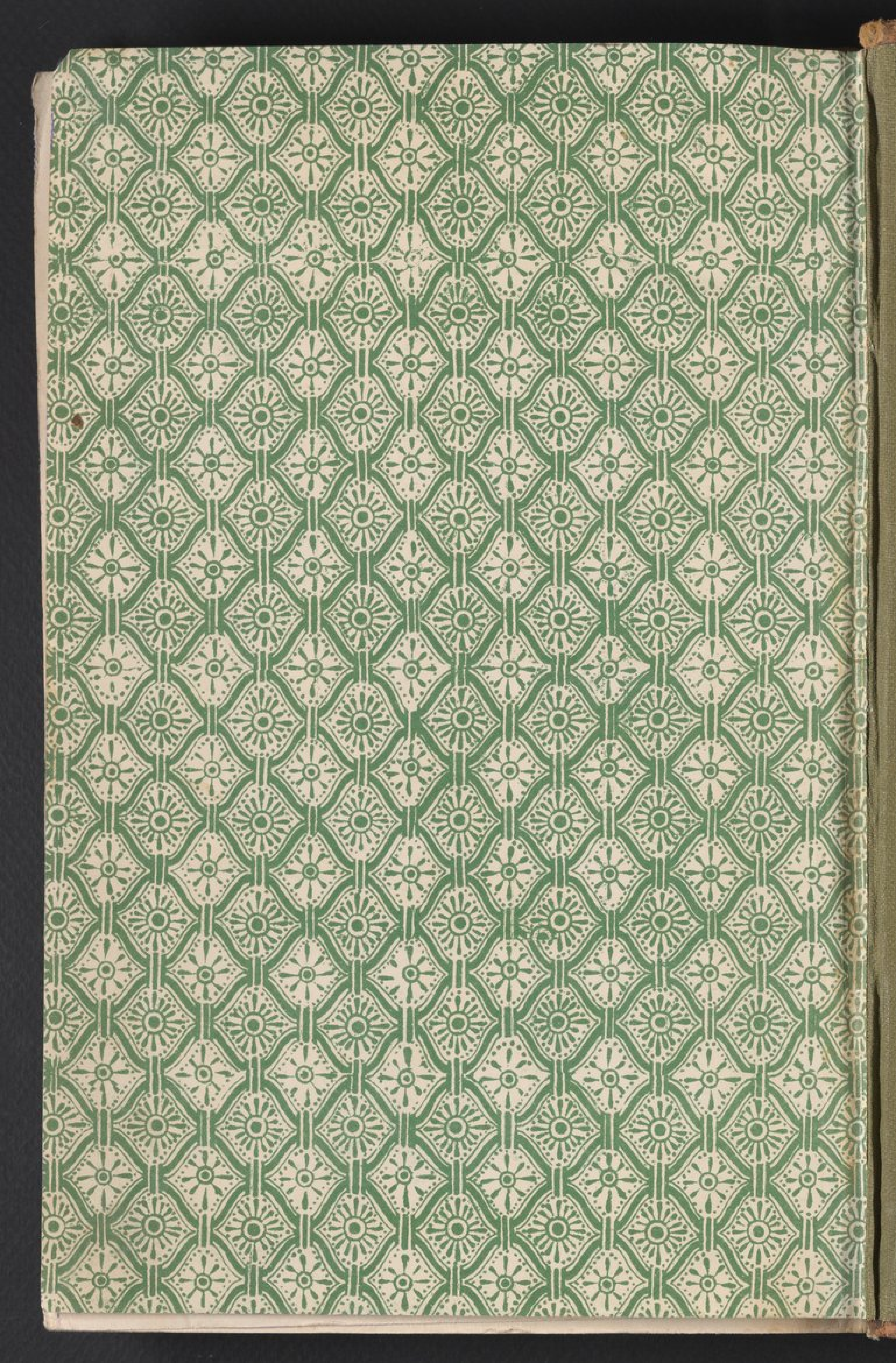

AUC Library
DS 247 Y42 N3 1986 c.1
main
NAZIH MU'AY/RIHLAH FII BILAAD AL-'ARABI
3 8534 00914968 7





رحلة في بلاد العربية السعيدة
من مصر الى صنعاء

بقلم

نزيه مؤيد العظم
بكلوريوس آداب

الجزء الأول

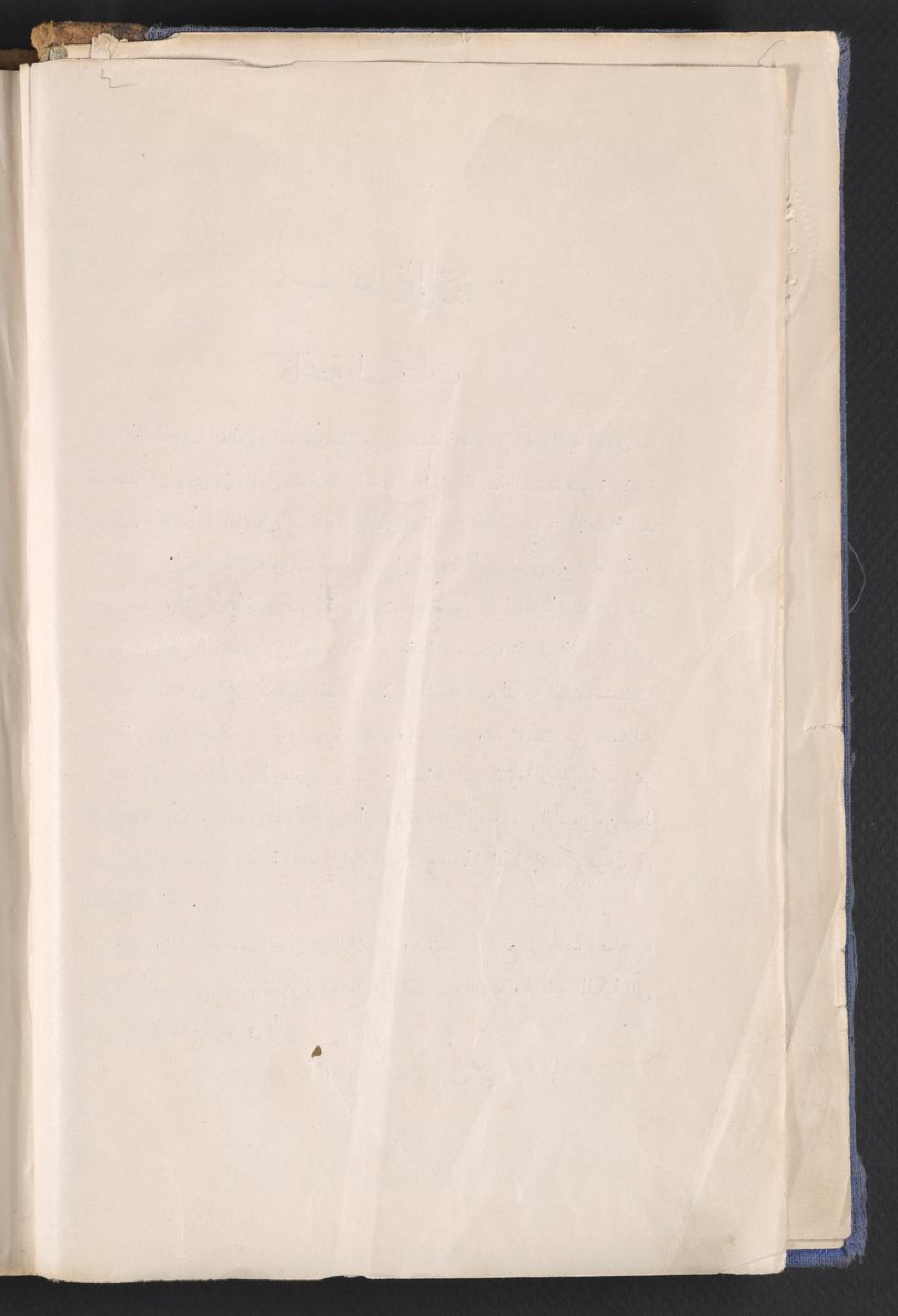
طبع بمطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه بمصر

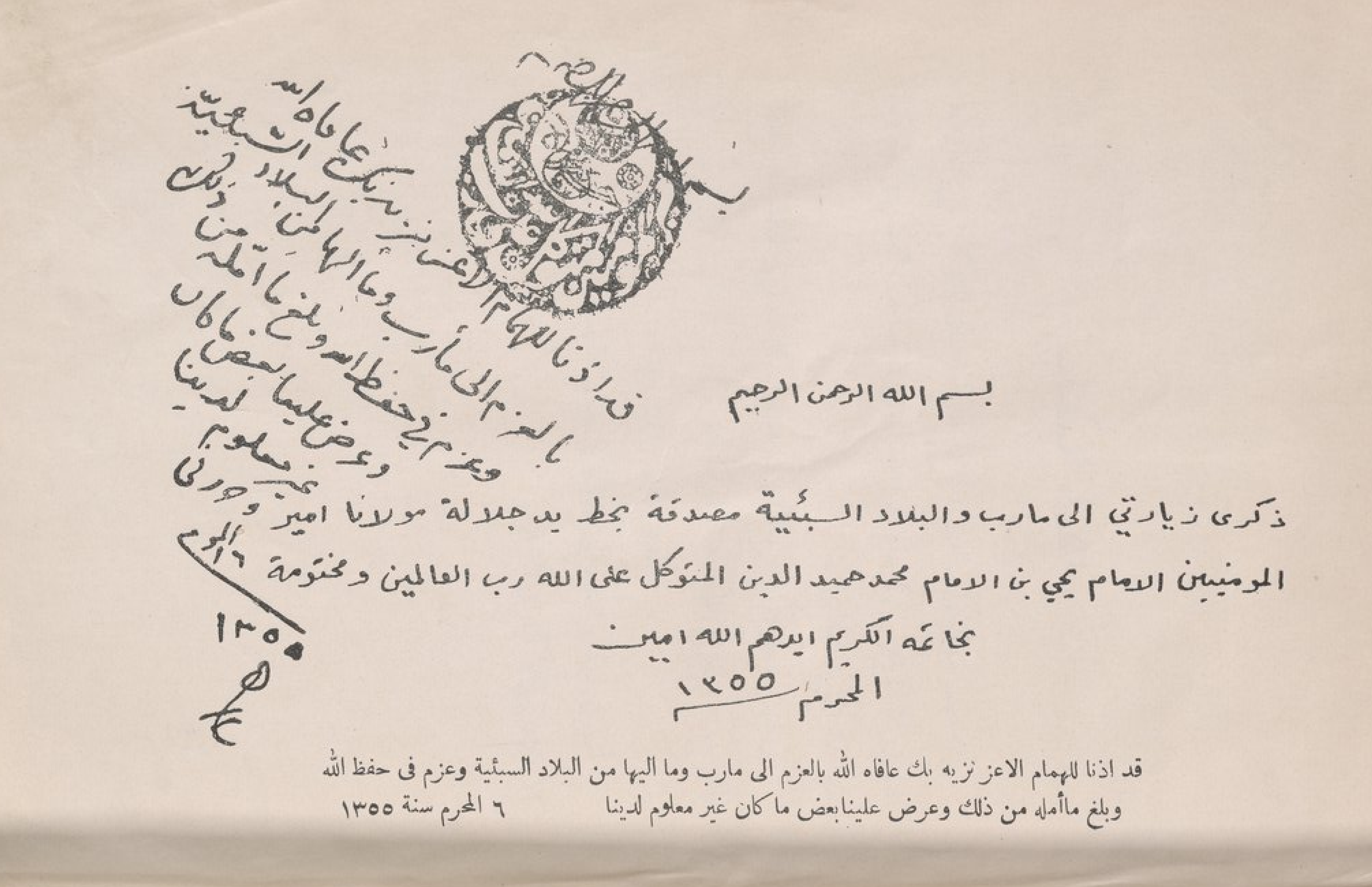
بسم الله الرحمن الرحيم

فاتحة الكتاب

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد فقد كان بودى أن أجعل فاتحة هذه الرحلة فى البلاد العربية السعيدة صورة حضرة صاحب الجلالة أمير المؤمنين المتوكل على الله رب العالمين الامام يحيى بن الامام محمد حميد الدين ولكن جلالته ويالالأسف لم يأذن لى كما انه لم يأذن لغيرى من الناس الذين زاروا صنعاء اليمن أن يأخذوا صورته، وليست هذه الصور التى نراها لجلالته بين حين وآخر فى بعض الصحف والمجلات الا صورا خيالية وضعتها مخيلة مخترعيها وهى لاتشابه جلالته فى كثير ولا قليل ولكن مالا يدرك كله لايترك كله لذلك استعضت عن وضع صورة جلالته بوضع صورة خط يده الشريف وقد التمست من جلالته أن يحرر لى ذكرى لزيارتى الى مارب والبلاد السبئية لتبقى كوثيقة تاريخية على مر الايام، وقد تكرم حفظه الله وتوج لى هذه الوثيقة التاريخية ببعض الاسطر من خط يده الكريمة فجعلتها فاتحة لهذه الرحلة المباركة وهاأنذا أثبتها بالزنكوغراف فى الصفحة التالية .

وقبل أن أبدأ بوصف رحلتى فى البلاد العربية السعيدة ارفع الى حضرة صاحب الجلالة الجالس على عرشها شكرى الجزيل على العطف والعناية والرعاية الملكية التى شملنى بها كل مدة أقامتى فى اليمن



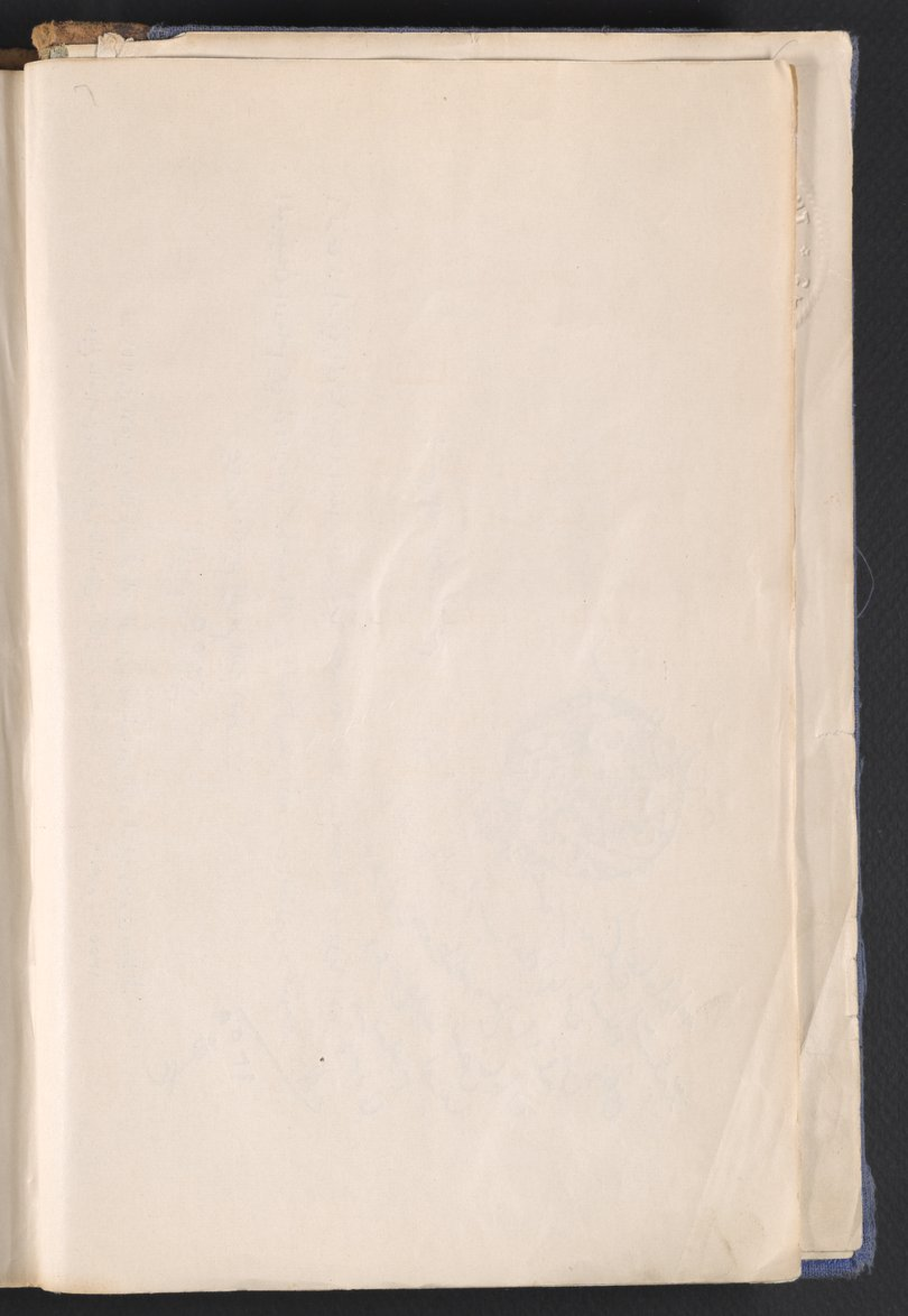


بسم الله الرحمن الرحيم

ذكرى زيارتي الى مارب والبلاد السبئية مصدقة بخط يد جلالة مولانا امير المومنين الامام يحيي بن الامام محمد حميد الدين المتوكل على الله رب العالمين ومختومة بخاتمه الكريم ايدهم الله امين

المحرم ١٣٥٥

قد اذنا للهمام الاعز نزيه بك عافاه الله بالعزم الى مارب وما اليها من البلاد السبئية وعزم فى حفظ الله وبلغ ماأمله من ذلك وعرض علينا بعض ما كان غير معلوم لدينا ٦ المحرم سنة ١٣٥٥



اهداء الكتاب

الى حضرة والدىّ صاحب الجلالة أمير المؤمنين المتوكل على الله رب العالمين الامام يحى بن الامام محمد حميد الدين ، وصاحب الفضل والسعادة تقى بك المؤيد العظم

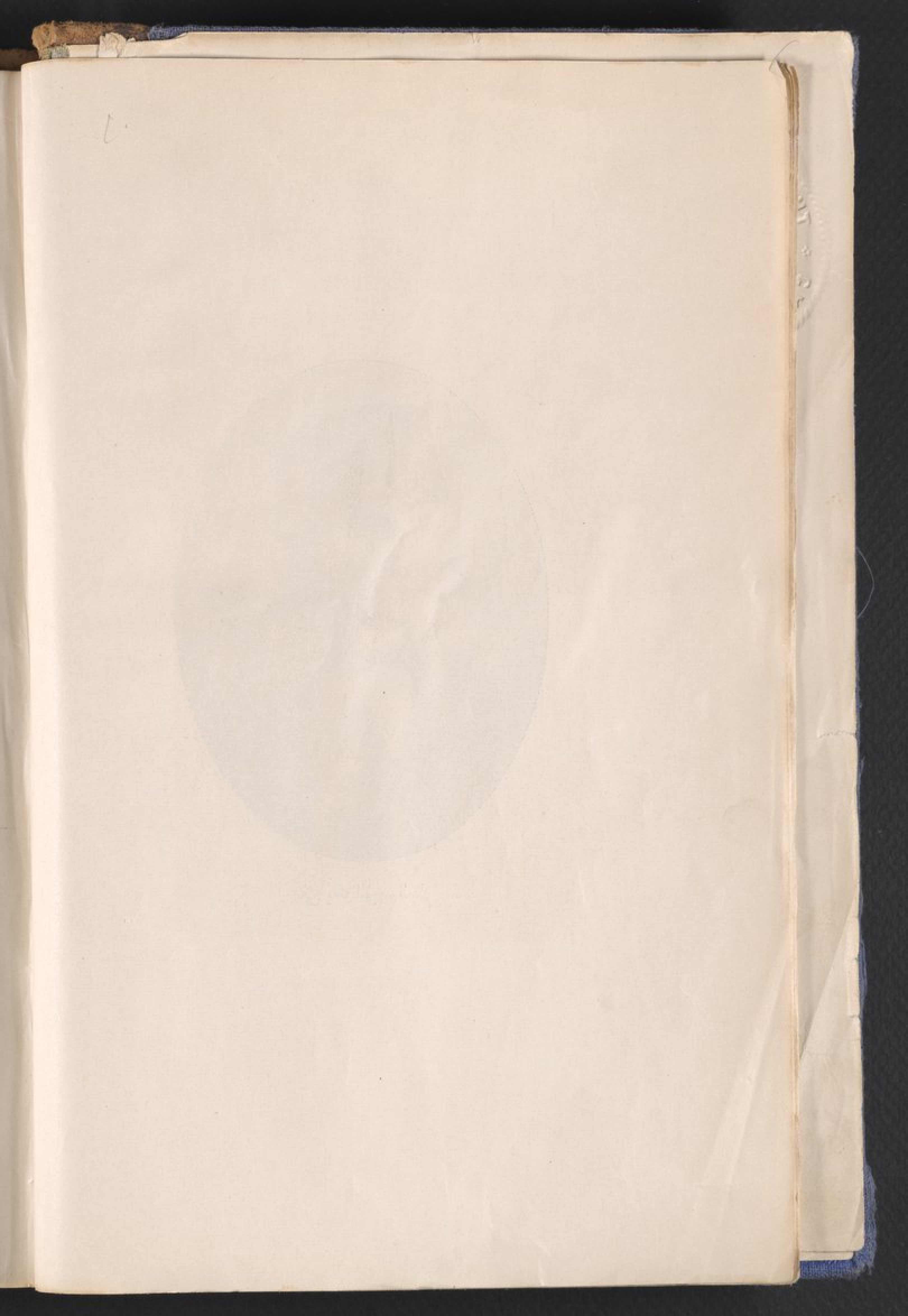
فى نفسى شجون زاخرة لاتعرب عنها الكلمات واى لفظ صدر عنها فانتما معناه ومغزاه على حد قول الشاعر

الدهر لفظ وأنت معناه

أجتزى بهذا واتقدم الى مقامكما بالتحيات الطيبات المباركات وجزيل الاخلاص والاكبار والاجلال

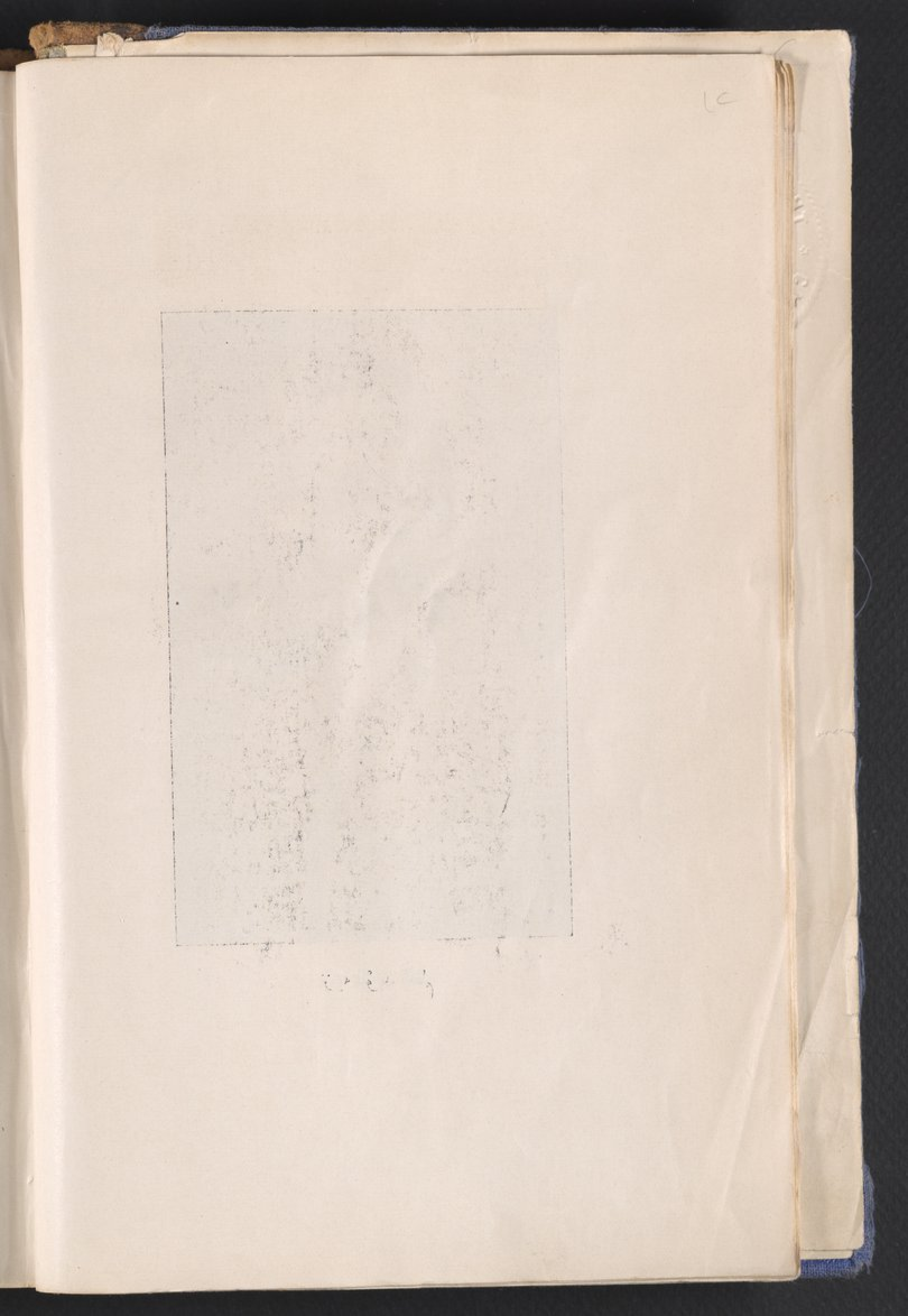


تقى بك المؤيد العظم





نزيه المؤيد العظم





المستر شارلس كرين

توطئة

عرفت المستر شارلس كرين المثرى الاميركى الكبير وصديق الشعوب المظلومة العظيم عند ما قدم الى سورية بعد الحرب العالمية على رأس لجنة الاستفتاء التى أوفدها الحلفاء لدرس حالة البلاد العربية التى انفصلت عن الدولة العثمانية ولتقف على رغبات أهلها فى تقرير مصيرهم وقد قابلته يومئذ فى فندق دامسكوس بالاس بمدينة دمشق الشام وكان لى معه حديث طويل ومناقشات شديدة حول الانتداب إذ كنت

فى مقدمة الذين رفضوا الانتداب رفضاً باتاً بالرغم من جميع الدعايات التى كان يقوم بها مدعو الوطنيـة فى ذلك العهد الذين طلبوا انتـداب أميركا وان لم تـكن أميركا فبريطانيا ورفضوا انتداب فرنسا رفضاً باتاً ووصموا دون حياء أو خجل كل من يرفض الانتداب بانه من أصدقاء فرنسا. تعجب المستر كرين من موقفى هذا وقال لى بصراحته المعروفة ولطفه المشهور انك أول شخص قابلته فى هذه البلاد من خريجى الجامعة الاميركية فى بيروت ومن القائلين برفض انتداب أميركا وغيرها من الدول ولـكنه سر من موقفى وصراحتى معـه وتمكنت عرى الصداقة بيننـا لاول اجتماع وأعطانى عنوانه وأخذ عنوانى وفى أواخر سنة ١٩٢٦ قابلته بمصر فى أثناء التجائى اليها بعد الثورة السورية فطلب الىَّ أن ارافقه فى رحلة الى الحجاز واليمن فرضيت بالقيام بهذه الرحلة وبالفعل سافرنا فى آخر كانون الاول سنة ١٩٢٦ الى الحجاز فقضينا هنالك مدة فى ضيافة صاحب السمو الأمير فيصل السعود ثم ولينا وجهنا شطر اليمن الميمون فوصلنا اليه فى منتصف شهر كانون الثانى سنة ١٩٢٧ وحللنا ضيوفاً فى رحلتنا هذه على صاحب الجلالة الامام يحيى حميد الدين المتـوكل على الله رب العالمين وكنا كل مـدة مكثنا باليمن موضع حفاوته وعطفه وقابلناه مرارا وأوضح له المستر كرين عن الاستعمار والمستعمرين الشىء الـكثير وقدم له من النصائح الثمينة ماجعلنى احترم هذا الرجل كثيراً وثبت لى بصورة أكيدة حبه للعرب وتفانيه فى نصرة الضعيف

وعقب عودتنا من اليمن طلب الىَّ الـكثيرون من الاصدقاء الاوفياء أن أكتب لهم شيئا عن رحلتى هذه فكتبت بعض المقالات فى الجرائد المصرية والفلسطينية والسورية وفى تلك الاثناء ارتحلت الى اليمن ثانية وثالثة ودرست أحواله كثيراً فواصلت الكتابة عنه فى جريدة الجزيرة الدمشقية فصار لى من هذه المقالات وصف لرحلتى من أولها الى آخرها وقد حبذ الى كثير من اخوانى طبع هذه المقالات فى كتاب خاص ونزولا عند ارادتهم وضعت هذا الـكتاب ورائدى فيه وصف البلاد العربية السعيدة وصفاً صحيحاً كما رأيتها وشاهدتها وقصدى من ذلك الخدمة العامة والله من وراء القصد .

فى عرض البحر الاحمر

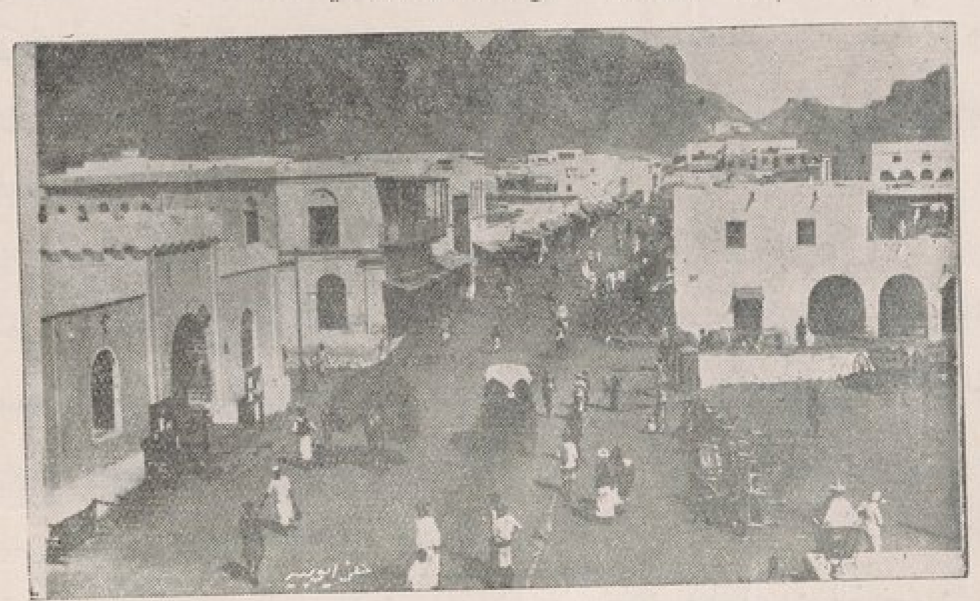
(عدن واهميتها التجارية والعسكرية)

قمت منذ بضعة أعوام برحلة من مصر الى صنعاء اليمن فركبت باخرة ايطالية من بور سعيد وعبرت بها قناة السويس تلك القناة العجيبة التى أبدعتها يد الانسان فقربت المسافات وسهلت المواصلات وجاءت معجزة من معجزات هذا الزمان ولكنها أوجدت ويالاسف بين بعض الشعوب أحقاداً ومنافسات لا محل لذكرها الآن ؛ وهى فى ذاتها حقيرة لصغر حجمها وضيقها ولكنها عظيمة بمركزها لانها الطريق المختصر الموصل بين الشرق والغرب .

خرجت الباخرة من القناة الى بحر الله الواسع ذلك البحر الذى سموه أحمر لوجود شعاب صخرية كثيرة تتخللها شعب مرجانية حمراء على بعض سواحله الصخرية كجدة وعدن والخليج العربى ويرى الانسان على سطح مياه هذه الشعاب فى معظم جهاتها أوراق نبات مائى لونها أحمر قاتم وربما كان لهذا النبات تأثير فى ما يعيش حوله من الاصداف الحمراء والاسماك المرجانية التى توجد بين الصخور بكثرة ويزعم البعض انه سمى البحر الأحمر لان الأنسان يشاهد قبل شروق الشمس وقت الجزر الذى يحصل يوميا لوناً أحمر قاتماً مشرباً بالزرقة ويظل كذلك الى ان يتصل بكتلة الماء الكبرى فى عرض البحر العظيم.

اجتازت باخرتنا هذا البحر فى أربعة أيام ولم تعرج فيها على ميناء واحدة من موانيه الكثيرة كينبع وجده على الساحل الاسيوى وبور سودان وسواكن ومصوع على الساحل الافريقى وذلك لان هذه البلاد ـ ماخلا بور سودان ـ مازالت منذ القرون الاولى على فطرتها الطبيعية فلا صناعة فيها ولا تجارة ولا تقصدها السفن الا فى أزمنة معينة وظروف خاصة . وصلنا الى عدن وهى اليوم ميناء انكليزية بحت فى المساء ،

وبعد التفتيش الصحى والجركى ومراقبة جوازات السفر سمح لنا بمغادرة الباخرة والنزول الى البر فدخلنا المدينة آمنين وقصدت تواً الى فندق كبير يسمى « جرند اوتيل » فوجدته على الطراز الاوروبى الحديث وجل ساكنيه من البريطانيين والاجانب . بكرت فى الصباح فنزلت من الفندق وأخذت أطوف فى ذلك القسم من المدينة الذى يقال له التواهى وهو مركز البريطانيين والاوربيين وبعض الجنود وقد عبدت طرقه تعبيداً جيداً وفرشت بالاسفلت وبنيت منازله على طراز يخفف وطأة الحر الشديد وغرست على جوانب الطرق بعض الحدائق وأقيمت ملاعب كرة القدم والتنس وغيرهما من الالعاب الرياضية .



احد شوارع مدينة عدن

ومن ثم صعدت الى مدينة الوطنيين التى يقال لها بالانكليزية (كريتر) أى فوهة البركان وهى تبعد عن التواهى بضعة كيلو مترات فوجدتها منظمة تنظيما حسناً وفيها كثير من الوكالات الاجنبية التى تبتاع البن والجلود بكثرة وتعدهما للشحن الى الغرب. وأهل عدن خليط من الهنود والزنوج والصومال والعرب وتنحصر تجارة البلد فى الهنود واليهود والغرباء ، ولا يزال السكان الاصليون متمسكين بعاداتهم القديمة وخرافاتهم الغريبة فقد شاهدت فى أحد الأعياد موكباً يوهم بعض رجاله الناس

أنهم يأكلون النار ويسيرون فوقها ويضرب بعضهم أنفسهم بالخناجر والمدى ويقوم البعض بالرقص ولعب الخيل ويشترك فى حضور هذه الحفلات جميع الطبقات نساء ورجالا ، ومما يؤسف له أن ا كثرية الوطنيين العرب أصبحوا خداما للاجانب فلا يتعاطون من الاشغال الا الدنيئة كالخدمة فى المنازل وصيد السمك والحمالة ومسح الأحذية ونقل البضائع وخصوصا الفحم والكاز من السفن التجارية الى البر وفى الحقيقة ان عدن قاعدة للفحم تفد اليها جميع البواخر المارة بالبحر الأحمر لتمون نفسها منها. وعلاوة على انها قاعدة للفحم فهى ايضا قاعدة للحرب وقد أسس البريطانيون فيها مطاراً لطياراتهم يسيرونها الى اليمن ولحج وحضرموت وغيرها من البلاد المحمية كما أنهم أقاموا على جبالها العالية قلاعاً حصينة عززوها بالمدافع الضخمة لتدرأ عن عدن كل هجوم من البر والبحر وتحول دون اجتياز البواخر عند اللزوم مضيق باب المندب

ويوجد الى الجنوب الغربى من مدينة عدن سلسلة من الجبال العالية بنى الاقدمون بين شعابها السدود والصهاريج العظيمة يسع الواحد منها الالوف المؤلفة من الغالونات ويأخذ بعضها برقاب بعض فحينما يمتلئ الأعلى تفيض مياهه الى الاسفل وهكذا دواليك الى أن تمتلئ باجمعها .

ويجرى الماء الى هذه الصهاريج من الأمطار التى تمطر فى الجبال فيبقى مخزونا فيها الى ايام القيظ فيستعمله الناس لقضاء حوائجهم .

ويوجد على احدى الروابى القريبة من مدينة عدن هيكل أقامته طائفة من المجوس يصلون فيه ويضعون جثث أمواتهم على سطحه فتأتى جوارح الطير وتلتهمها بسرعة عظيمة

أقمت فى عدن عدة أيام انتظر باخرة تقلنى الى الحديدة وتسافر عادة بين عدن والحديدة بواخر صغيرة كل عشرة أيام مرة وقد اسعدنى الحظ فركبت أفخر باخرة لدى شركة القهوجى (وهى شركة هندية للملاحة) واسمها افريقيا وحمولتها ٥٠٠ طن وتتقاضى هذه الشركة عن الراكب فى الدرجة الاولى ٤٥ روبية وفى الدرجة الثانية ٣٠ روبية وعلى الظهر عشر روبيات ، ولا تقدم الباخرة طعاما لركابها بل جميعهم يزودن انفسهم بطعام كاف لسفر ثلاثة أو أربعة أيام ومع أن المسافة بين عدن



الصهاريج الفياضة

والحديدة لا تزيد على ٢٣٥ ميلا تجتازها السفن الكبيرة فى أقل من يوم فسفينتنا اجتازتها فى يومين ونصف يوم وقد قيل لنا انها تبقى أحيانا خمسة أو ستة أيام اذا كان البحر مضطربا .

الامير سيف الاسلام محمد
يستقبل ضيوفه خير استقبال

وبعد صراع عظيم بين السفينة والبحر أقبلنا على الحديدة وهى فى الحق جميلة جداً من الخارج وكان الوقت صباحاً وقد القت الغزالة أشعتها الذهبية على جدران المدينة البيضاء فانعكست تلك الأنوار انعكاساً يأخذ بمجامع القلوب وكأن هذا المنظر الجميل لذّ لسفينتنا فأخذت تسير الهوينا وتقترب من البر ببطء لا مزيد عليه وذلك لأن عمق الماء



المرحوم محمد سيف الاسلام النجل الثانى للامام يحيى وعامله على التهامة والحديدة

كان يتناقص شيئاً فشيئاً والرياح تشتد اشتداداً عظيما وكان أحد بحارتنا يقيس عمق الماء بآلة خاصة كلما اقتربنا من المرفأ ولا أستطيع أن أسميه مرفأ لأنه حوض صغير يشبه حمامات البحر الاصطناعية فى المدن الكبيرة ولا يمكن لأ كثر من عشرين زورقا شراعياً أن تلتجئ اليه ابان الزوابع والعواصف

القت السفينة مرساها على مسافة بعيدة من المرفأ خشية الأمواج الكبيرة التى كانت تتقاذفها وكنت منتظراً أن تأتينا المراكب من البر حالا لأنى طيرت قبل يوم وصولنا برقية لاسلكية الى عامل الحديدة المرحوم محمد سيف الاسلام أنبئه فيها بمجيئنا ولكن لسوء الحظ خاب ظنى ولم يأتنا أول مركب إلا قرب الساعة التاسعة والنصف ولم يحضر الطبيب عليها فلم يأذن لنا القبطان بالنزول فكتبت رسالة الى سيف الاسلام وأرسلتها مع ربان المركب وبينت لسموه فيها حقيقة الخبر فذهب الربان بها اليه وبعد قليل شاهدنا المراكب الشراعية تتطاير الينا على جناح الريح فامتطينا احداها وسرنا باسم الله وكان ربانها يقودها بدقة غريبة كما يقود الفارس جواده وليس من العجيب أن يحسن البحار العربى هذا العمل لان الحديدة مشهورة منذ القديم بسفنها الشراعية وهم الى هذا اليوم يصنعونها بكثرة ولها عندهم أسماء متعددة مرتبة بالنسبة لحجم المراكب فيقال لأصغرها الهورى ثم القطيرة فالزعيمة فالسنبك فالساعية فالبغلة فالسفينة . وما كدنا نبتعد بزورقنا الشراعى عن سفينتنا « افريقيا » حتى قابلتنا سفينة شراعية فأشار ربانها إلى رجل ألقى بنفسه منها فى اليم وأخذ يسبح بخفة ويقبل نحونا فالتقطه بحارتنا وإذا به رسول سمو سيف الاسلام يحمل لى رسالة منه يقول فيها انه لم يأخذ برقيتنا اللاسلكية التى أرسلتها اليه من الباخرة ويذكر ان الوصول الينا صعب بسبب شدة الرياح وانه أمر باعداد السنابيك وسيرها الينا رغم جميع الصعوبات وحرر الى قبطان المركب تحريراً خاصاً يأذن له فيه بان يسمح لنا بالنزول الى البر رغم عدم مجىء الدكتور

فى ميناء الحديدة

وصلنا المرفأ والتعب قد أنهكنا فنقلنا بعض الرجال من المركب الى البر حملاً على الاكتاف فقابلنى محمد افندى رضا مدير شرطة الحديدة وقال انه موفد من قبل الامير

محمدسيف الاسلام لاستقبالنا فصعدت واياه الى مقر سمو سيف الاسلام فتبادلنا التحيات الطيبة والمجاملات المألوفة وشربنا شيئاً من القهوة ثم ذهبنا الى الدار المعدة لنزولنا وأول شيء لفت نظرى فى الطريق بعض الدور المهدومة فسألت مدير الشرطة الذى رافقنا الى الدار عن سبب انهيارها فقال هذا عنوان المدنية الغربية وأثر من آثارها الفنية فقلت أفصح ! فقال هذه بقايا ضرب الطليان والبريطان للمدينة فى سنة ١٩١٢ وسنة ١٩١٥ أى قبل الحرب العظمى وبعدها



ميناء الحديدة يرسو فيها أحد المراكب الشراعية

وصلنا الى الدار المعدة لنزولنا فوجدناها داراً فسيحة ذات ثلاثة أدوار الدور الاول مخصص للحيوانات والثانى والثالث للسكن وتشبه دور الحديدة بعض دور جدة فى الحجاز وجميعها مبنية بالحجر والكلس ذات نوافذ كبيرة وكثيرة لتخفف وطأة الحر

جلست فى احدى النوافذ فرأيت منها مكتب المرحوم محمد سيف الاسلام حاكم الحديدة وهو قصر فخم ذو أربعة أدوار يرفرف على بابه علم أحمر اللون فى وسطه سيف وإلى جوانبه خمسة نجوم وهو علم الحكومة المتوكلية

طلبت إلى الطاهى أن يأتينى بكأس من الشاى (ويطلقون عليـه فى اليمن كلمة شاهى) ولما جاءبها الىشربتها مرغماً لان ماء الحديدة مالح ولا تذهب ملوحته حتى مع الشاى والسكر ، وبينما كنت جالساً اسرح البصر فى الحديدة وضواحيها وإذا برئيس البلدية يأتى لزيارتنا والترحيب بنا وبعد ما استراح قليلا وشرب الشاهى نزلنا بصحبته إلى المدينـة فطفنا فى أزقتها وشوارعها وأسـواقها فوجدتها صغيرة بالنسبة الى بلادنا ولكنها نظيفة وذلك بهمة رئيس بلديتها السيد عبدالقادر الشراعى وهوشاب فى مقتبل العمر ذكى ونشيط وشاهدت فى أثناء طوافى مخازن البن وهى عبارة عن خانات كبيرة لهـا صحن فسيح فى أطرافها غرف كبـيرة تعمـل فى بعضها النساء فى تنظيف الـبن وتقشيره وتحضيره للخزن أو للشحن وصاحب المخزن يجلس عادة على كرسى كبيريشبه السرير على باب مخزنه يدخن أركيلتـه

وبعد الظهر دعانا سمو الامير رحمه الله لزيارته زيارة رسمية فى مقره فرحب بنا بما عهد فيـه من البشاشة واللطف وقال انه تلقى أوامر مشددة من مولانا الامام بوجوب اكرامنا والعناية بنا وتأمين راحتنا ، واعتذر لنا مقدما عما قد يبدر منـه أو من أهل البلاد من التقصير نحونا قائلا انهم لا يزالون على فطرتهم الطبيعية

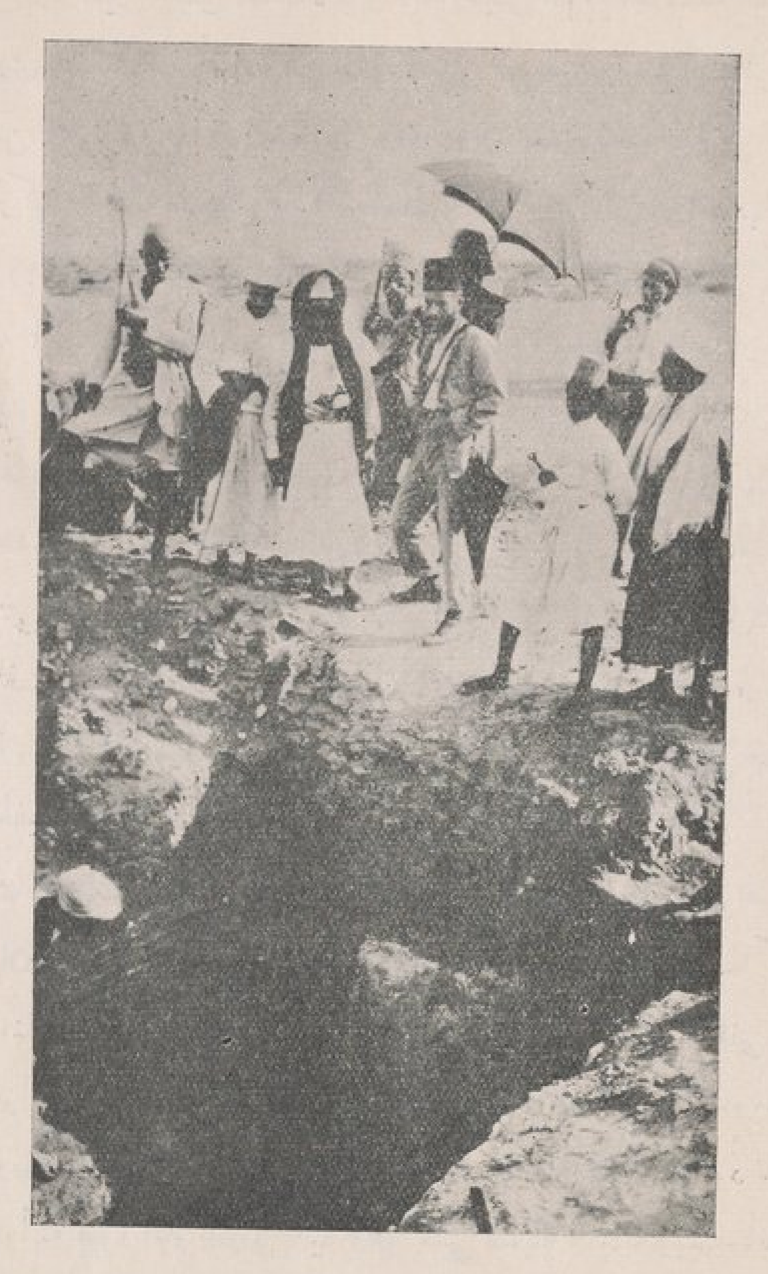
العناية بزراعة البن والتنباك والقطن فى اليمن

الزامل أى النشيد الوطنى

بحثت مع سموه عن الزراعـة والصناعة فقال ان من أهم مزروعات اليمن البن والتنباك والحبوب لذلك فهو يهتم بها اهتماما زائداً ويعممها فى جميع البلاد الواقعة تحت نفوذه وحكمه وقد توصل بعد التجارب الـكثيرة الى غرس أنواع متعـددة من البن والتنباك فى جهة زبيد وغيرها من البلاد التى لم تـكن معروفة فيها فنمت نموا حسناً وقال ان جـلالة مولانا الامام يهتم جداً بغرس القطن ويجلب البـذور من مصر واميركا وغيرهما من البـلاد وقد نمت هـذه الأنواع الجيدة الغريبـة عن البلاد نمواً

حسناً فى بعض الاصقاع وسيكثرون من غرسها تدريجياً كما جلب الامام بعض الآلات والأدوات لحلج القطن وأخـذ يشجع الشعب على غرسه ولا بد من أن يأتى يوم يعمم فيه زرعه فى جميع أطراف البلاد

هذا ولقد دهشنا من فخامة قصر سيف الاسلام وترتيبه وزخرفة أبوابه ونقوش نوافذه وزينة جدرانه بالآيات القرآنية والاشعار العربية ودهان سقوفه بأدهنة زيتيـة



محمد سيف الاسلام والى جانبه مؤلف هذه الرحلة وهما يفتشان بئرا زراعية

لم أشاهد مثلها فى جميع دور الحديدة واليمن فسألت أحد الاهلين عن أمر هذا القصر فقال : بنى هذا القصر أحد أغنياء حضرموت الذى جاء الحديدة كتاجر . ولما طاب له المقام فيها استوطنها وجاب العمال الذين بنوه له من خارج اليمن فجاء آية فى الابداع بالنسبة إلى دور اليمن وقصورها

وقد زارنا أمير جيش الحديدة (أى قائد الجيش العام) القائمقام العسكرى سليم بك فاخورى فسألته عن أصله وعن المدرسة التى تلقى فيها دروسه العسكرية فأجاب : ان أصله من الناصرة من آل الفاخورى وانه درس العلوم العسكرية فى القسطنطينية وبقى فى تركيا ١٤ عاما ضابطا وبعدها جاء الى اليمن وكان كل مدة الحرب العظمى فيها وهو مسرور جداً بخدمته فى الجيش المتوكلى أى جيش الامام المتوكل على الله فسألته هل الخدمة العسكرية فى اليمن اجبارية أم اختيارية فأجاب انها اختيارية أيام السلم ولكن جميع أهل البلاد جنود بطبيعة الحال أيام الحرب وقد ألفوا القتال واستعمال البنادق منذ نعومة أظفارهم والحكومة تدفع للجندى ستة ريالات فى تهامة وخمسة فى الجبال مشاهرة وتعطيه ألبسة مرتين فى السنة ، كما انها تقدم له طعاما وشرابا أما اللباس الرسمى فهو ثوب من الشيت الأبيض أو المصبوغ بالأزرق ولباس الرأس عمامة صغيرة يختلف لونها باختلاف ذوق صاحبها فمنها البيضاء ومنها الزرقاء ومنها الملونة والمزركشة ، وأما الأحذية العسكرية الضخمة فليست معروفة فى اليمن فبعضهم يلبس الصنادل الخفيفة وبعضهم لا يلبسون شيئاً

وقد شاهدت استعراض الجند يوم الجمعة بعد الصلاة ويجرى استعراض الجند يوم الجمعة فى بلاد اليمن من أقصاها الى أقصاها فعندما يعود العامل (أى الحاكم) فى أى منطقة من مناطق اليمن من صلاة الجمعة يمر الجيش أمامه والحق يقال اننى وجدت فى هذا الاستعراض مسحة خاصة من الرونق والبهاء وقد رأيته بادئ بدء ماشياً مشيته العسكرية وموسيقاه تعزف أمامه بعض الأنغام التركية ورؤوس الجنود تلمع فوقها العمائم . ثم رأيته يعود أمام العامل ثانية وهو يمشى مشيته العادية وينشد أناشيد وطنية يقال لها الزامل ويرقص بالسيوف والخناجر رقصاً جميلا ، أما نشيد الزامل فهو رهيب

جدا يشبه الحداء عند العرب والدروز وللامام زامل خاص ولسيف الاسلام زامل خاص تنشده عقفته (أى حرسه) فى أثناء خروجه للصلاة أو طوافه فى أطراف البلاد وهذا زامل عقفة سيف الاسلام:

سيف الاسلام الذى يدق على المراتب
طالعه سعد السعود
من يعاند دولته
من كبير لاقل كافر يسجنه
هو عمود ترتعب منه الجزائر والمراتب والنصارى واليهود
وجميع المسلمين قايم وقاعد

***

طاعته واجبة علينا
فرض واجب
بعد توثيق العهود
لابد لمن شل رأسه أو يعاند
يستحق نار الوقود
تحت أمره الجن تخدم والمناصر
ماتعلق بالجنود

الطبقات الاجتماعية

السادة والتجـــار والعمال والبربر

مستشفى الحديدة

مرض أحد خدمنا فسألنا اذا كان يوجد طبيب فى البلد فقيل لنا . نعم يوجد طبيب ايطالى ويوجد مستشفى للحكومة يشرف عليه هـذا الطبيب وهـو موظف رسمى فى حـكومة الامام ويتناول راتبه من بيت مال المسلمين والحـكومة تنفق على المستشفى وتأذن لجميع الأهلين بدخوله مجانا كما أنها تعطى الفقير منهم الأدوية مجاناً وقد زرت هذا المستشفى فوجدته فى غاية من النظافة والترتيب وفيه غرفة فنية للعمليات الجراحية وأدوات جراحية كاملة وصيدلية كبيرة مملوءة بالعقاقير ويساعد الطبيب الايطالى بعض المساعدين من الاحبـاش جلبهم حضرته معه من مصوع . استدعينـا هذا الطبيب فوجدناه على غاية من الظرف واللطف أنيس المعشر رقيق العبـارة وبعـد أن طبب مريضنا وأعطاه الأدوية اللازمة دار حديث طويل بيننا وبينه سألناه فيه عن الصحة العامة فى اليمن فأجاب : صـار لى عدة سنوات أخدم فى حكومة الامام وقد طفت كثيراً فى بلاد اليمن ووقفت على أحوال أهلها وأمراضهم ولا شك أنهم أقوياء جداً وأجسامهم تقاوم جميع الأمراض مقاومة عنيفة لانه لاطب فيها ولا دواء منذ القديم والأمراض المتفشية فى اليمن تفشياً مريعاً هى الجدرى وحمى التيفوئيد والملاريا والاهالى فقراء ولا يحصلون على قوتهم الضرورى الا بشق الانفس وانهم يتزوجون نسـاء متعددة وان وفيات أطفالهم تبلغ ثمانين فى المائة . وقال ان أهالى اليمن ثلاث طبقـات الطبقة الاولى وهم الشرفاء من نسل الحسن والحسين وهم محترمون فى نظر الاهالـين جدا وكل من رآهم يقبل أيديهم والطبقة الثـانية وهى الوسطى تتألف من التجـار والعمال وما أشبه ، والطبقة الثـالثة تتألف من البربر وهذه منحطة للغـاية ومعظم

افرادها يشتغلون بنقل البضائع من البحر واليه على ظهورهم ويقال لهم الاخدام ومواطنوهم لا يزوجونهم من بناتهم ولا يتزوجون منهم وأصلهم مجهول ولكن هيأتهم تدل على انهم من بقايا البربر الذين افتتحوا بعض أطراف اليمن قديما .



الحديدة كما تبدو من ساحلها الشمالى

والحديدة فى هذه الايام هى ميناء اليمن الوحيد الذى تقف عليه بعض البواخر التجارية وأما المخا التى كانت فيما مضى ميناء أعظم من الحديدة فقد أكل الدهر عليها وشرب وأصبحت حقيرة للغاية لا تمر بها البواخر التجارية الكبيرة ابداً وتنحصر صادرات اليمن فى البن والجلود وبعض أصناف الحبوب وأما وارداته فكثيرة كالاقمشة بانواعها والتنباك والكاز والزيت والكبريت وجميع المصنوعات الاوربية « خردوات » ومعظم هذه الواردات تأتى عن طريق عدن فالحديدة ، وبعضها يأتى عن طريق البر الى عدن فلحج فاليمن .

واكثرية سكان الحديدة من المسلمين الشوافع الا أن بينهم بعض الزيود والغرباء من سوريين وهنود وهؤلاء يحترفون التجارة

خرجت ذات يوم فى الأصيل بعد أن خفت وطأة الحر لان الحر فى الحديدة

شديد جداً (وكنت فى أواسط شهر كانون الثانى أنام على سطح الدار التى نزلنا بها من شدته) وأخذت أطوف شوارع البلد باحثاً مدققاً فاسترعى نظرى فى بعض الأسواق المعدة لبيع المأكولات والحلويات. كثرة الذباب بشكل رهيب وفى أثناء طوافى رأيت مشهداً غريبا جداً . رأيت رجلاً مكتوف اليدين يحرسه بعض الجند وقد شدوا الى ظهره طبلاً صغيراً وأخذ أحد الجنود يضرب على ذلك الطبل وكان جمع غفير من الأولاد والرجال يتبع هذا الموكب كيفما سار ساخطا صاخبا مناديا بخ بخ يا شارب الخمر

تطبيق الجزاء الشرعى على السكير

فسألت عن أمر الرجل فقيل لى انه سكير وقد القى عليه القبض وهو يعاقر بنت الحان وسيق الى المحكمة الشرعية وهو سكران فحكمت عليه بالجلد والتشهير وطريقة التشهير هى على هذه الصفة فقلت فى نفسى يا حبذا لو كانت تطبق هذه القاعدة على السكارى فى بلادنا . .

المحكمة الشرعية فى الحديدة

وعلى ذكر المحكمة الشرعية أقول انى زرتها فى أثناء طوافى المدينة لأطلع على كيفية المحاكمة واصدار الأحكام وصادف يوم زيارتى لها أن تقدم اليها رجل يشكو أحد اقاربه لاغتصابه داره وكان القاضى الشرعى يجلس فى صدر المحكمة ويجلس الى جانبه كاتبه وامامهما المدعى والمدعى عليه ولا أثر للمحامين والحمد لله فيها وبعد أن استجوب القاضى بدقة زائدة المدعى والمدعى عليه وطرح عليهما أسئلة كثيرة سجلها الكاتب الشرعى فى سجل خاص لفظ القاضى حكمه فى نهاية الجلسة التى لم تستغرق اكثر من نصف ساعة ولا أثر للتكلف أو التصنع فى هذه المحكمة ولا يدخلها التماس ولا محسوبية من بين يديها أو من خلفها وحكمها مبرم ويحصل الانسان عليه فى جلسة أو جلستين على الاكثر وينفذ فى الحال

خرجت من المحكمة وأردت أن آخذ بعض الصور الفوتوغرافية فى المدينة فتبعنى جمهور غفير من الأولاد والرجال بعضهم يقول صورنى صورنى وبعضهم ينادى

باعلى صوته بخشيش بخشيش وويل للمرء ان غلط وأعطى أحدهم شيئا فانه يصبح عرضة لهجوم الجمهور عليـه ولا يتخلص من بين أيديهم الا بقوة الجنـد ولذلك اعتاد جلالة الامام أن يصحب ضيوفه ببعض الجنـد فى أثناء طوافهم باليمن واذا صور المرء أحداً فانه للحال يطلب صورته واذا أفهمـه انه لا يمكن اخراج الصورة فـوراً يغضب ولا يصدق



جندى يمانى والى جانبه شرطيان فى الحديدة

شيوخ من البدو

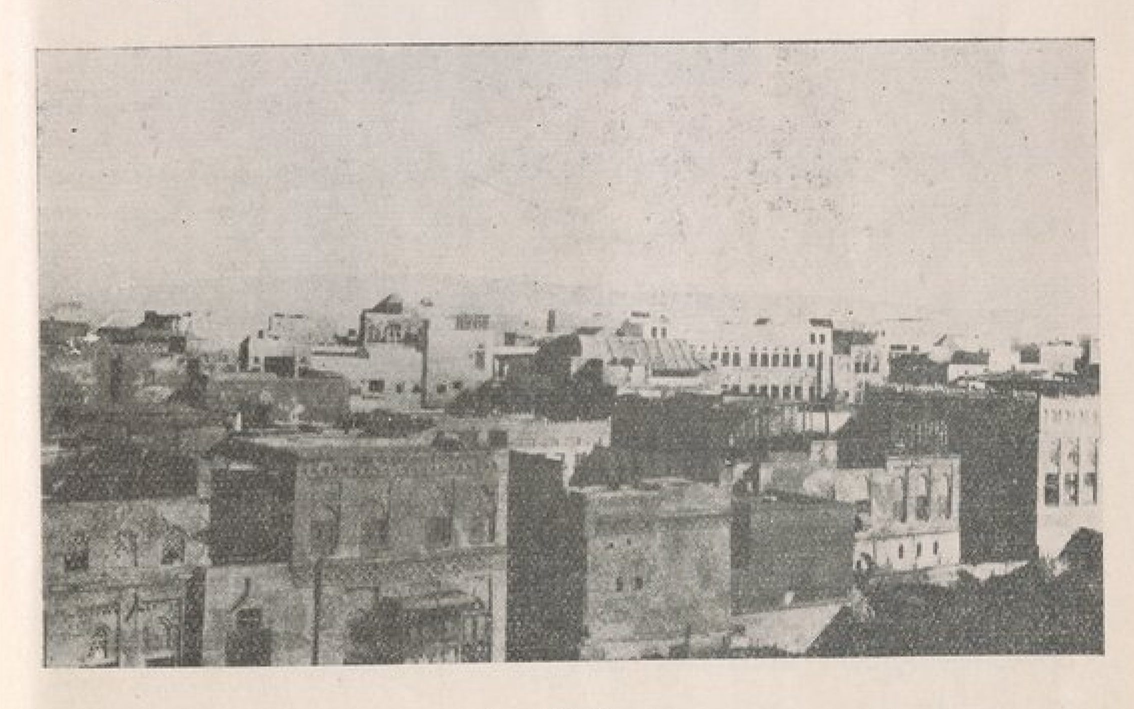
مررت فى أثناء طوافى بدائرة الشرطة فعرجت على المدير لأرد له الزيارة فوجدت عنده كلا من الشيخ اسماعيل البغوى شيخ عشيرة الجمادى بقبيلة القحرا والشيخ ابراهيم الصغير شيخ عشيرة الضامر بقبيـلة القحرا فعرفنى حضرته بهما قائلاً انهما هما اللذان أسرا الكولونيل جاكوب سنة ١٩١٩ فى باجل عندما كان ذاهبا من الحديدة الى صنعاء لمقابلة جلالة الامام . والـكولونيل جاكوب هو أحد الضباط الانكليز المستشرقـين والمرتبطين بوزارة الخارجية البريطانيـة فسألتهما لماذا أسرتما ضيف الامام ؟ وهل هذا

العمل مشروع فى عرفكما ؟ فأجابنى اتصل بنا ان هذا الرجل جاسوس انكليزى أتى لبلادنا ليتآمر علينا وعليها ، نخيفة من شره وحرصا على البلاد والعباد أبقيناه عندنا رهينة ريثما تفاهمنا مع جلالة الامام عن حقيقة أمره ولما جاءنا رسول الامام ينبئنا بانه ضيف أتى للمشاورة والمخابرة مع جلالته أطلقنا سراحه فى الحال

أعجبنى والحق يقال منطق الرجلين ومنظرهما والبستهما وسذاجتهما وهما حليقا الشاربين حليقا اللحيتين - على السنة - عاريا الجسدين خلا مئزرين يشدانهما الى وسطهما قصد التستر ، ولونهما أسمر نحاسى وعضلاتهما مفتولة تدل على الشدة والبأس وقبيلتهم مشهورة منذ أيام الترك بعدم الطاعة وعظيم السطوة وهى تقطن التهامة وجميعها من الشوافع وقد انقض الشيخ اسماعيل البغوى على الامام يوم ثورة الزرانيق وانضم مع عشيرته اليهم ففتك رجال الامام بعشيرته وقتلوه شر قتلة لخيانته وغدره

جولة فى الحديدة

خرجت من دائرة الشرطة واتممت طوافى بالمدينة فرأيت بعض الصناع والعمال



مدينة الحديدة

يشتغلون بفتل الاحبال الغليظة ولفها ويصنعون الحبال من نبات القنب الهندى ، ويشبه هذا النبات القنب عندنا ويتبعون فى صناعته نفس الطريقة التى يتبعها صناعنا فى عمل الحبال من قشر القنب ويستعملون هذه الحبال الغليظة فى السفن الكبيرة

وبالقرب من مكان صناعة الحبال يوجد على شاطئ البحر مكان فسيح يعمل فيه النجارون طيلة النهار فى بناء المراكب الشراعية ويجلبون الخشب لبناء هذه المراكب من آنس وغيرها من الاصقاع اليمانية المشهورة باحراجها الكبيرة ، وبالقرب من هذا المكان رأيت أيضا صناعة الكلس ويقولون للكلس فى اليمن نورة ويصنعونه من بعض الحجارة البحرية التى تقذفها الامواج الى الشاطئ بنفس الطريقة التى يصنعون بها الكلس عندنا اى بواسطة الأتون البسيط وهذه هى أهم الصناعات التى شاهدتها فى الحديدة .

بعد انتهائى من هذه المشاهدات أقبل الظلام فسألت أحد المارة اذا كان يوجد مقاه فى الحديدة فأجاب نعم وأشار لى الى جهتها . فيممت وجهى شطر تلك الجهة فأقبلت على عدة مقاه قريبة بعضها من بعض فانتخبت اكبرها واكثرها أنوارا وجلست فيها فوجدت الناس جالسين فيها بنسبة أجناسهم وبلادهم رأيت الهنود المسلمين جالسين فى ناحية والهنود « البنيان » اى غير المسلمين جالسين فى ناحية اخرى ووجدت أهل تهامة جالسين وحدهم بعيدين عن الزيود والزيود جالسين وحدهم بعيدين عن الجميع ولم اشاهد أحداً يلعب الورق أو النرد أو الطاولة فسألت عن سبب ذلك فقيل لى ان محمد سيف الاسلام رحمه الله منع جميع الألعاب منذ تسلم زمام الحكم فى الحديدة وتهامة وذلك خوف انتشار الميسر

وأخبرنى محدثى أن جميع الألعاب كان مسموحاً بها أيام الترك وأيام كان السيد حسين عبد القادر عاملا للامام بالحديدة وفى أيام الترك كانت المشروبات الروحية أيضاً تقدم الى الزبائن فى القهاوى بصورة علنية للمسيحيين واليهود والمسلمين على السواء وكان عدد نفوس الحديدة وقتئذ يربو على السبعين الفاً ومعظمهم من الغرباء وأما اليوم فانها لا تزيد على ١٢ الفا بحسب الاحصاء الاخير

عدت من القهوة الى الدار وانا افكر فيما رأيت وما سمعت من الغرائب فى ذلك النهار وجلست الى طاولة صغيرة فدونت مذكراتى عن ذلك اليوم ثم تناولت شيئا من الطعام وصعدت الى سطح الدار لانام ولكن جيوشا من البعوض هاجمتنى وحرمتنى النوم فاضطررت لوضع ناموسية واستلقيت ثانية فى الفراش فنمت عندئذ نوما هادئا .

ضيوف الامام

وفى الصباح نهضت مبكرا وشاهدت شروق الشمس خلف جبال تهامة ثم شربت قليلا من الشاى وأكلت الطعام ونزلت الى الدار ، وعلى ذكر الطعام أقول اننا كنا ضيوفا على جلالة مولانا الامام فكنا نعامل أفضل معاملة وقد تكرم صاحب السمو محمد سيف الاسلام رحمه الله فارسل الينا الخدم والحشم لخدمتنا والجند لحراستنا ومساعدتنا وكانوا يقدمون لنا كل يوم اللبن والبيض والقهوة والشاى والسكر والارز واللحم والخضار وجميع ما نحتاج اليه من اللوازم الضرورية وهذا هو شأنهم فى تكريم ضيوفهم فانهم يقدمون جميع لوازمهم واذا لم يكن مع الضيف طاه فانهم يرسلون له طباخا خاصا يعمل له طعامه حسب ارادته لا حسب عادة أهل البلاد

منازل الحديدة

تأملت وأنا جالس الى النافذة فى منزلنا والمنازل التى تحيط به فلاحظت أن جميعها مبنية من الآجر الأحمر والطين والكلس وجدرانها مكلسة من الداخل والخارج بالنورة (أى الكلس الذى يصنعونه من حجارة البحر) ومن محسنات النورة أنها بيضاء ناصعة البياض لا تلصق بالألبسة اذا اتكأ المرء عليها ولاحظت أن أرض غرف المنزل من الداخل مصنوعة من العدسة وكذلك السطوح وهى كبيرة ومتسعة ومسطحة ولها مزاريب كثيرة

وسقوف البيوت فى اليمن مصنوعة من الخشب المدهون بالوان بارزة جميلة والابواب مصنوعة من الخشب أيضاً ومحفورة حفراً جميلا وكذلك أخشاب النوافذ

فهى أيضاً محفورة حفراً جميلا وعليها حواجز خشبية (اخصاص) كالحواجز التى تستعمل فى دمشق وزجاجها فى أغلب الاحيان ملون وهم يرغبون اللون الاحمر والاخضر والازرق كثيرا وجميع المنازل مبنية على طراز هندسى يمكن معه دخول الهواء بكثرة لان صيف الحديدة حار جداً

وفى داخل المنزل توجد فسحة مفتوحة ممتدة من السطح الى الدور الاول لجلب الهواء ويستعمل الدور الاول غالبا كمخزن واما الدور الثانى والثالث والدور الرابع فى بعض الاحيان فتستعمل جميعها للسكن ويوجد فى جدرانها كثير من الخزائن اى (الدواليب) تستعمل لوضع الملابس ويصعد الى الدور الثانى غالبا بدرج مبنى من الآجر والطين واما سلم الدور الثالث والرابع فتصنع من الخشب وهذه السلالم عريضة تحيط بها نوافذ كثيرة لتضيئها .

الاجانب فى الحديدة

خرجت من الدار لأتمم طوافى فى البلد فطفتها جميعها وهى تتألف من عدة شوارع اقيمت على جانبها المنازل وثلاثة اسواق تجارية متصل بعضها ببعض تحيط بها المنازل



شارع من شوارع الحديدة

من كل ناحية وتعرض فى هذه الاسواق البضائع المختلفة من أقمشة الى تنباك الى نشا وسكر وخردوات .

ويوجد فى الحديدة تاجر واحد يونانى الف شركة دعاها شركة ليفراتو وهو يبتاع معظم محصول البن فى اليمن ويصدره الى اميركا وفرنسا وبريطانيا وتوجد شركة ايطالية وهذه شبه حكومية وتوجد ايضاً وكالة روسية وهذه ايضاً حكومية سياسية اكثر منها تجارية ويقوم رجالها بدعاية شيوعية واسعة النطاق ولا يوجد تاجر أوربى واحد خلاف هذه الشركات الاجنبية الثلاث ولكن هناك كثير من التجار الهنود المسلمين والبنيان وبعض التجار من الاتراك وواحد من السوريين .

ومن دواعى الاسف انه بالرغم من اقبال اليمانيين على ابتياع الاقمشة المصنوعة فى سورية بكثرة كالصايات الحريرية والديما لايهتم السوريون بتوسيع تجارتهم مع اليمن ولا يقومون بأى نوع من الدعاية لها ولا أبالغ اذا قلت ان السواد الأعظم من سكان اليمن من الطبقة الوسطى يلبسون ديما بلادنا وجميع الأشراف والسادة من الطبقة العليا يلبسون صاياتنا الحريرية ويباهون بها ومع ذلك فنحن مقصرون جدا فى الدعاية لمصنوعاتنا وذلك ناتج أولا عن فقدان من يمثلنا تمثيلا خارجياً رسمياً فى تلك البلاد وثانياً لأن تجارنا كما يقول المثل العامى : « يريدون قطا من خشب يصطاد ولا يأكل » فلا يقومون بدعاية ما لبضاعتهم ولا يشرفون على الأسواق بأنفسهم حتى ولا يوجد لهم وكلاء فى الحديدة ولا فى عدن وانى على مثل اليقين بأنهم لو اهتموا قليلا بهذه الشؤون لاستولوا على أسواق اليمن بأجمعها. ومتى أدرك القارئ الكريم ان سكان اليمن يبلغ عددهم نحو خمسة ملايين يدرك أهمية التجارة مع تلك البلاد وأهمية أسواقها

زيارة المسجد الكبير

بعد طوافى الأسواق عرجت على المسجد الكبير ويقولون له الجامع وقد بنته امرأة من أهل مسقط منذ ثلاث مائة سنة ويقال لها فاطمة ابنة الزراف وهو خلو من السجاد والبسط وغيرها ولكنه متسع وجميل ولا يوجد فوق محرابه نقوش وغيرها بل يوجد شبه دولاب صغير له نافذة زجاجية تحفظ فيها بعض الآثار القديمة من عهد

النبي ﷺ ، وقد جلب هذه الأشياء الوالي محمود نديم بك من الحجاز ارضاء للشوافع أيام الدولة العثمانية

الصيد البحري

خرجت من الجامع وسرت نحو البحر فرأيت جماهير من صيادي السمك يحملون صيدهم ليبيعوه في الساحة العامة وصيد السمك في الحديدة مهنة لا يستهان بها والسمك جيد ورخيص للغاية لأن الطالب عليه قليل لرخص اللحم

وصلت بطوافي الى الميناء وزرت رئيس الميناء ويدعى احمد ابراهيم ويلقب بأمير البحر وهو رجل مسن يتقن التركية جيدا واخاله من أصل تركي

في المكتب الرشدي

ثم زرت المكتب الرشدي المتوكلي ومديره سليم بك الفاخوري وأساتذته احمد افندي الكثري والفقيه حمود الكستبان ومحمد افندي صادق البخاري وسليمان صادق البخاري وغيرهم ويبلغ عدد الطلاب فيه نحو مائتين يتعلمون القراءة والكتابة والصرف



موسيقى الجيش في الحديدة وفي مقدمتها مدربها
خالد افندي بن محمود المنصور وهو رجل حلبي الاصل

والنحو والقرآن والفقه والحساب والجغرافية الى غير ذلك من العلوم الابتدائية .
وقد أبدى لى سمو سيف الاسلام محمد رحمه الله رغبته الشديدة فى جلب بعض المعلمين من سورية ليدرسوا الاولاد ويشرفوا على هذا المكتب وغيره من المكاتب، وعند عودتى إلى مصر أقنعت الأخ الصديق المجاهد عادل الحامدى الطرابلسى بلزوم ذهابه الى اليمن وتسلم مديرية مكتب الحديدة فلبى طلبي حفظه الله وسافر لليمن فوراً وأخاله لايزال هناك الى يومنا هذا .

خرجت من المكتب بعد ان استعرضت طلبته وحادثت بعضهم فوجدتهم على جانب عظيم من الذكاء الفطرى والنباهة الغريزية ثم ذهبت الى ادارة الجمرك فقابلت القاضى محمد الحجرى وتحادثت معه طويلا بشأن الرسوم . والحجرى رجل من القبائل المعروفة ذكى ونشيط وشجاع وكان المرحوم محمد سيف الاسلام يحبه محبة جمة ويستعين به عند الملمات والشدائد وقد عينه مديرا للجمارك فقام بهذه الوظيفة أحسن قيام وكان يعامل الناس باللين واللطف وقد سمعت عنه أعطر الثناء والمديح من جميع التجار الذين صادفتهم

مرفا فرنسى يبنى بجوار الحديدة

الطليان يضربون المرفأ والخط الحديدى بالقنابل

جمرك الحـديدة

والجمرك فى الحديدة منظم ونظيف ، وهو يتألف من (وكالة) فيها فسحة واسعة مكشوفة للشمس والهواء، وعلى جوانب هذه الفسحة بنيت عدة بنايات وغرف كبيرة وصغيرة وكل غرفة أو بناية معدة لخزن نوع من أنواع البضائع والحاجيات .

و يأخذون فى الحديدة رسماً جمركياً قدره اثنان ونصف فى المئة على جميع الصادرات وأما الواردات فلا يأخذون عليها رسما بل يأخذون هـذا الرسم وقدره اثنان ونصف فى المئة أيضاً فى مكان الاستهلاك

فى مدرسة الصناعات

ذهبت من الجمرك الى ظاهر المدينة فزرت مدرسة الصناعات التى كان بناها الترك أيام الدولة العثمانية فوجـدتها قد تهدمت ولعبت بها يد الزمان والانسان ، إذ قامت حولها معارك بين جيش الامام وجيش الادريسى بعد الحرب العامة ، فدكت بعض معالمها دكا ودرست أطلالها درساً .

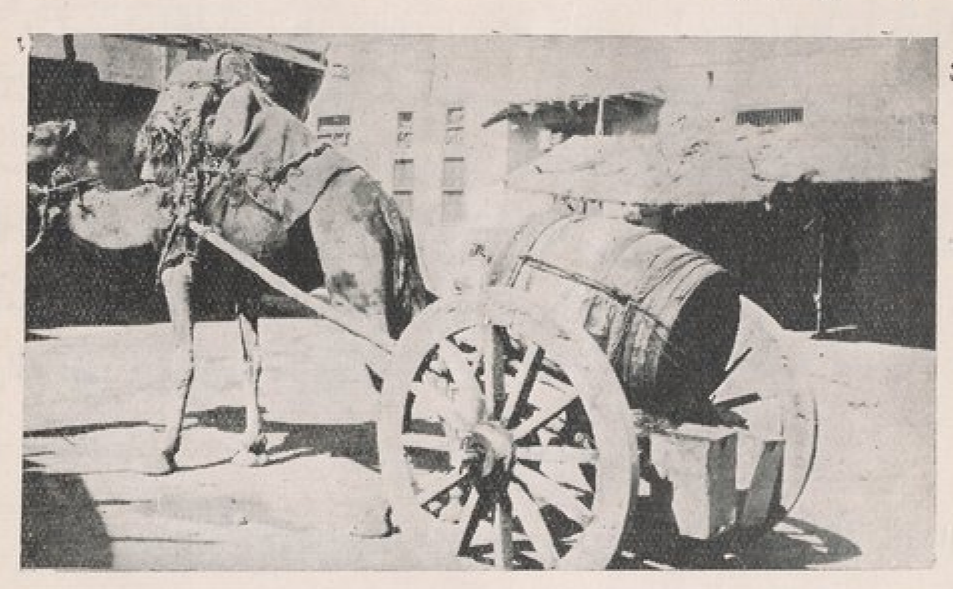
ولـكن سيف الاسلام محمد رحمه الله اعتنى ببعض أبنيتها وحدائقها وبنى بناية صغيرة فى الحدائق وأقام فيها (شادروانا) أى بحيرة ، وغرس بعض الأشجار والنبـاتات وحصن الحدائق بحصون من القش والنباتات اليابسة ليمنع عنها تيارات الرمال الجارفة الـتى تكتسح الحديدة وأطراف تهامـة بين آونة وأخرى وبهذه الطريقـة دفع عنها هجوم الطبيعة

وبالقرب من حديقة مدرسة الصناعات يوجد مركز التلغراف اللاسلـكى ويراسل

هـذا المركز مصوع وأسمرة فى الساحل الافريقى ويدير التلغـراف اللاسلـكى بعض الأخصائيين من الطليان ويدعون اللاسلـكى باليمن بطار الهواء

عند آبار المياه

وبجوار طار الهواء توجد عدة آبار للماء تدعى آبار الحلى ويبلغ عمقها خمسة أمتار وتعوّل الحديدة على هذه الآبار للشرب وهى أقل ملوحة من ماء الآبار فى المدينة لانها أبعد عن شاطئ البحر



عربة لنقل الماء من آبار الحلى الى الحديدة

وقد أقام سيف الاسلام رحمه الله عليها حرساً من الجنـــد وبنى لهم بناية خاصة يقيمون فيها لحراستها، وتبعد هذه الآبار عن الحديدة نحو كيلو مترين وينقل الناس الماء منها على الحيوانات والعربات ويستخرجون منها الماء بدلاء يدوية على الطريقة القديمة المعروفة عندنا، ولو اهتمت الحـكومة قليلاً بها لأمكن رفع الماء منها بالمضخات وسحبها إلى المدينة بأنابيب حديدية وبذلك توفر على الناس عملاً كثيراً وعناء عظيما

فى رأس الـكثيب

يوجد على بعد عشرة أميال من الحديدة رأس فى البحر يقال له رأس الـكثيب وقد

استحصل الفرنسويون فى أيام الدولة العثمانية على امتياز يخولهم بناء مرفأ فيه وقد أصابوا جداً باختيارهم اياه لانه موقع طبيعى واسع يصلح لبناء مرفأ أمين ودخوله سهل على المراكب الشراعية الصغيرة والسفن التجارية الكبيرة

وقد باشر الفرنسويون عملهم فيه فجلبوا بعض الآلات والأدوات وحفروا أرض الحوض وزادوا فى عمقه حتى صار فى امكان أعظم السفن أن ترسو فيه كما مدوا بجانبه خطا حديديا ضيقاً كالخط الحديدى بين دمشق وبيروت الى الطنمية وهى قرية صغيرة بالقرب من باجل وسارت القطارات على هذا الخط بالفعل مدة وجيزة ولكن لما أعلنت ايطاليا الحرب على الدولة العثمانية سنة ١٩١٢ أرسلت بعض سفنها الحربية وضربت هذا المكان فخربت جميع مابناه الفرنسويون، وقد شاهدت بأم العين بعض بقايا القاطرات المكسرة

وفى أيام الحرب العظمى اقتلع اليمانيون الخط الحديدى واستعملوه فى بعض أبنيتهم. والخلاصة أن تهامة اليمن قد خسرت مشروعا كبيراً كان فى الامكان أن يعود عليها بالأرباح الطائلة والخيرات الكثيرة

السفر الى صنعاء

بعد مضى ثلاثة أيام على وصولنا الى الحديدة وهذه هى أقل مدة للضيافة طلبنا من سيف الاسلام رحمه الله الأذن لنا بالسفر الى صنعاء وبعد اللتيا والتى أجابنا الى طلبنا

ولكن يجدر بى قبل أن أترك الحديث عن الحديدة أن أوفى صاحب السمو الملكى المرحوم محمد سيف الاسلام شيئا من حقوق الصداقة التى تربطنى به فأصفه للقارىء الكريم وأذكر بعض أعماله ليرى الخسارة الجسيمة التى أصابت اليمن بفقد هذا الرجل الفذ العظيم فأقول :

الامير سيف الاسلام

نشأ رحمه الله فى صنعاء، وتربى فى حجر جلالة والده الامام، وتلقى دروسه على علماء أعلام فبرع فى العلوم الدينية والحديث والشعر وكان على جانب عظيم من الذكاء والدهاء فولاه والده على الحديدة لما لهذا المرفأ من الأهمية السياسية فى نظر اليمانيين ونظر الأجانب

على السواء، وقد أحسن سموه إدارة وظيفته كل الاحسان وكان صلة الوصل بين حكومة اليمن وبعض الحكومات الأجنبية كالانكليز والروس، وقدحال رحمه الله فى ظروف عديدة دون وقوع كوارث كثيرة ومهد بحكمته ودهائه السياسى الطريق لعقد المعاهدة الانكليزية اليمانية واهتم بالمدارس فجلب لها المعلمين من الخارج، واهتم بالزراعة فجلب



صاحب السمو المرحوم محمد سيف الاسلام ومحرر هذه الرحلة ذاهبان لتفتيش حقل زراعى قرب الحديدة

أدوات زراعية حديثة وأقام عدة حدائق فى الحديدة والزيدية وغيرهما من البلاد جرب فيها غرس بعض النباتات الغريبة عن اليمن كالشاى والقطن الكلاريدس والتتن الخ

وكان رحمه الله شفيقا رحيما حكيما يكلم الناس على قدر عقولهم، وقد اجتذب اليه قلوب جميع الرعية بهذه الاخلاق والطباع الحميدة، وكان لفقده رنة أسف وأسى فى اليمن لم نسمع بمثلها منذ القديم. وقد كتبت لجلالة مولانا الامام يوم وفاته كتاب تعزية ومن الاطلاع على جواب جلالة الامام يظهر للقارىء الكريم فداحة المصيبة التى انتابت اليمن بفقد ذلك الراحل العظيم : قال جلالته بعد التحية ما نصه :

وقد تناولنا كتاب تعزيتكم فى المصاب العظيم والخطب الجسيم بوفاة من اختار الله له ما عنده عند ما بلغ أشده فنقله الى جواره وهو لم يبعد عن عهد الشباب وطراوة الاهاب والتقدم بين ذوى الأحلام الراسخة وعلو الجناب وهذا حال الدنيا وشأن من فيها من الأحياء، ولم نتذرع بغير الصبر ولا تمسكنا الا بالرضا والتسليم لحكم من له النهى والأمر، ونسأل الله تعالى للفقيد العزيز واسع الرحمة ولكم المكافأة بالحسنى على الوفاء وحسن العزاء والسلام م؟

كيف مات سيف الاسلام

وأخذت أيضاً كتاباً من صاحب السمو الحسين نجل مولانا الامام الذى تولى الحكم على الحديدة بعد أخيه المرحوم محمد سيف الاسلام وهو كتاب رقيق ينعى فيه أخاه ويصف شدة المصاب عليه وعلى اليمن . قال حفظه الله مانصه :

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته · وبعد فانا نحمد الله اليكم على حلو القضاء ومره اذعانا لحكمه وطاعة لأمره وان كان القلب خافقاً والدمع دافقاً والكرب مطبقا والأسى محدقا من خطب عظيم أناخ بالمعالى ورزء جسيم هو علم المكارم العالى وفاة بدر الدين ونابغة المجددين المصلح الكبير والمجاهد فى سبيل الملك القدير الشفيق على كل أحد من العباد المجد فى نشر رايات الارشاد والمجتهد فى النهوض الى اوج السعادة بالبلاد سيف الاسلام وحسنة الايام محمد نجل أمير المؤمنين الذى ان فارقت ذاته الدنيا فقد خلدت منها صفاته العليا وان فقد شعبه ووطنه مساعيه الجليلة فما فقد آثاره الجميلة

وان رفعت عن دار الا كدار روحه الطاهرة فما ارتفعت منها بلسان ذكراه العاطرة أفاض الله على تربته الزكية سحائب رحمته الصيبة وسلم على روحه الزكية تحيـة من عند الله مباركة طيبة وجعـل فى أعلا الغرفات وطنه وأجزل له ثواب من سن سنة حسنة .

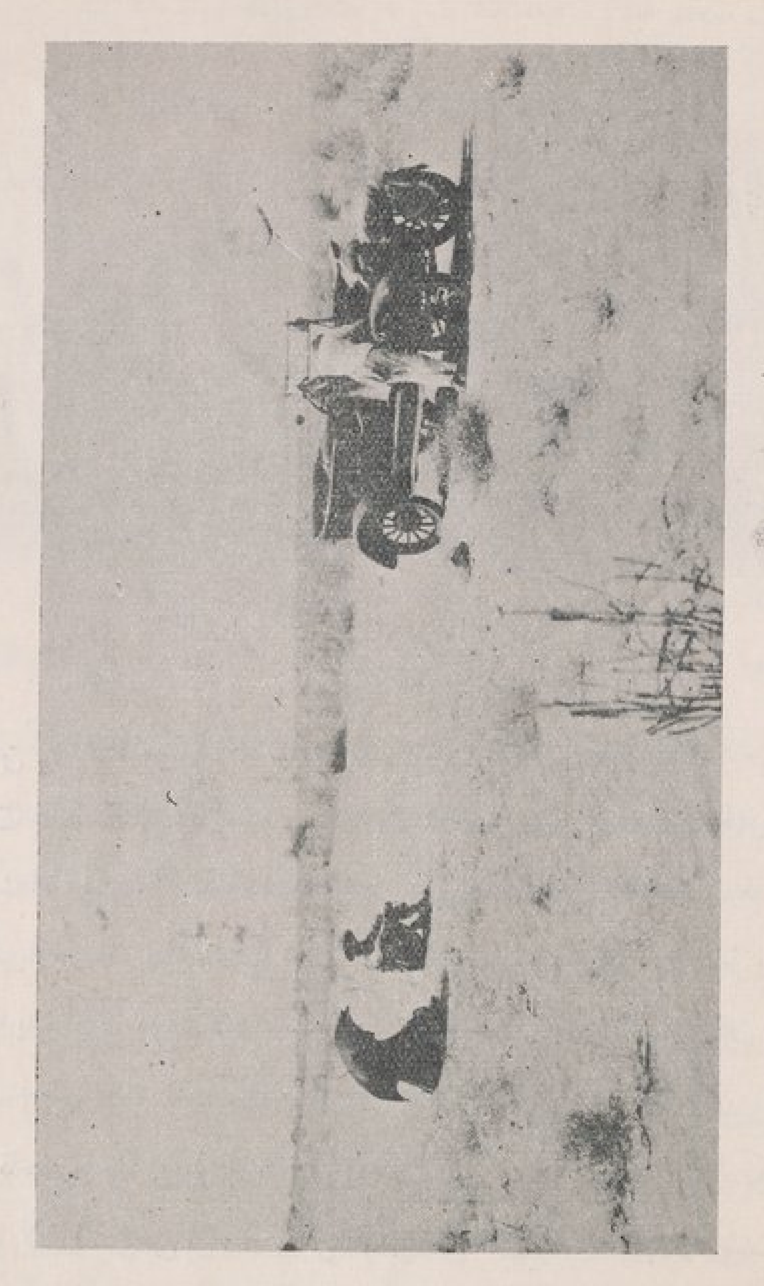
وانه رحمه الله وغفر له وأكرم مثواه مات شهيدا : شهيد الرأفة والرحمـة شهيد الانسانية والمروءة شهيد الشجاعة والنجدة وذلك انه خرج فى ١٦ من شهر ذى الحجة للتنزه فى جزيرة بقرب الساحل وكان يجيد السباحة ومعه رفقاؤه للاستحمام فى نحو الساعة الخامسة فبينماهم كذلك اذ اضطرب البحر وكان من رفقائه ثلاثة قد أوغلوا الى القعير فحال الموج بينهم وبين رجاء السلامة فألقت نفسه العالية جثمانه الطاهر فى لجج البحر المتلاطم لينقذ أولئك من مخالب المنايا فأنقذ الاول ثم الثانى ثم لما عاد الى الثالث تعلق به فقضى الرب ماسبق فى علمه ونفذ حكمه ولا معقب لحـكمه فالحمـد لله على ماقضاه وان أورى القلوب وأجرى العيون وانا لله وانا اليه راجعون

تهامة

فى اليوم الذى عزمنا فيه على شد الرحال الى صنعاء أرسل لنا صاحب السمو المرحوم محمد سيف الاسلام حرساً من الجند وعدة بغال لتحمل حوائجنا وسارت البغال مساء لتتمكن من قطع تهامة ليلا ، وتهامـة هى السهل الممتد من البحر الاحمر حتى أول الجبال ويختلف اتساعه اختلافا بيناً فى أماكن متعـددة فيبلغ فى بعضها من عشرين كيلو متراً الى خمسة وعشرين فثلاثين كيلو متراً ، وتقطعه القوافل ليلا تجنباً لحرارته الشديدة ، وتلطف سمو الأمير كذلك فأرسل الينا سيارة لتوصلنا الى باجل ، ومن البديهى ان السيارات فى الحديدة غير موجودة الا عند سموه وعند الشركة الايطالية التجارية ، وفقدان السيارات ناشئ عن فقدان طرق صالحة لسيرها .

امتطينا السيارة على بركة الله وكانت فى مجموعها سـيارة دولية ورغم أنهـا من مصنوعات معامل فورد كانت عجلاتها الأمامية من صنع ايطاليا ، وكاوتشوكها الداخلى من صنع فرنسا ، وواحـدة من العجلات الخلفيـة انكليزية وأما الأخرى فـكانت

اميركية ، وصنـدوقها الخشبي وسقفها كانا مصنوعين من بقايا صناديق زيت الـكاز الانـكليزية والاميركية والايطالية ، ولما كان الدهر قد أناخ عليها بكلـكله فما كادت تخرج بنا من الحـديدة حتى صارت تسير سير المتثاقل وقد اضطررنا الى اصـلاحها و(تربيطها) وتغيير مائها وتزبيتها مرات كثيرة فأدركنا الليل قرب قرية صغيرة من



منظر تهامة اليمن من الجهة التي يقال لها الخبت ولا تقطعها القوافل الا ليلا لحرارتها الشديدة وقد توقفت فيها سيارتنا في الرحلة الثانية لليمن

قرى التهامة يقال لها دير سهيل فنزلنا منها وقررنا قضاء تلك الليلة الى جانب الطريق لأن سيارتنا لم تكن على استعداد لسير الليل إذ لامصابيح لها ولا طريق معبدة تسير فيها فقضينا ليلتنا نفترش الارض ونلتحف السماء ولما أصبح الصباح نهضنا مبكرين فشاهدنا الى جانبنا بعض الاشجار الغريبة التى لاتوجد الا فى البلاد الحارة وهى



السيارة التى أقلتنا من الحديدة عبر التهامة

نوع من أنواع الميموسا (Mymosa) وشاهدنا أيضاً بعض الاعشاب البرية وبعض النباتات المحلية كالدخن والذرة فسألت أحد القرويين عما اذا كانت الجمال والماشية تأكل من تلك الاعشاب البرية وتلك الاشجار الغريبة فأجاب بالايجاب وقدشاهدنا بالقرب من القرية بئر ماء يبلغ عمقها ٥٥ متراً ويستعمل ماؤها للشرب فقط وهو أفضل من ماء الحديدة اذ لاملوحة فيه . تذكرت ههنا أقوال بعض المستشرقين من الفرنجة وأقوال بعض أبناء العرب الذين زاروا بلاد اليمن وقالوا عن تهامة فى مؤلفاتهم ان تربتها قاحلة ماحلة أى (Stérile) فأيقنت من هذا الكلام انهم لم يكونوا على علم بما يقولون لأن الاراضى الماحلة بالمعنى العلمى هى التى لاحياة فيها ولاينبت فيها نبات وليس من العجيب ان نجد أمثال هذه الاغلاط فى كثير من المؤلفات الغربية ولكن

من العجب العجاب ان نجد السائح أو الرحّال الاجنبي يمر ببلاد لا يعلم من لغتها شيئاً ولا يدرك من عادات أهلها وأخلاقهم الا النزر اليسير فيمكث فيها شهراً أو بعض الشهر يجتمع فيه غالباً ببعض التراجمة ومن حذا حذوهم من المرتزقة فى تلك البلاد فيسألهم أسئلة كثيرة ويدون أقوالهم فى مذكراته ثم يذهب الى بلاده ويضع تلك الأقوال فى مؤلف ضخم فيشوه سمعة أمة بأسرها بقلة درايته وسوء عنايته .

سيدات يلبسن القبعة والاثواب القصيرة

وشاهدت فى تهامة أشجاراً برية تشبه النخيل ولاحظت أن الهواء لا ينقطع فيها الا فى الصباح . ويوجد فيها آبار قديمة على أبعاد مختلفة ولا يستعمل ماؤها لغير الشرب لأنها عميقة واستخراجه منها بكميات كبيرة صعب ولكن لو وجد المال الكافى لدى القرويين لتمكنوا من استعمال المضخات الميكانيكية أو (الطلمبات) الهوائية فى استخراج هذا الماء الكثير واستعماله فى غرس النخيل والقطن وغيرهما من نباتات المناطق الحارة التى لا شك أنها تنموا فى تهامة نمواً جيداً كما هى الحال فى بعض جهات كاليفورنيا التى تشبه تهامة كل الشبه والتى تمكن الاميركيون بعلمهم ومالهم أن يحولوها من صحراء جرداء مقفرة الى غوطة مشجرة مأهولة بالحيوان والانسان

وقد شاهدت كثيراً من المزروعات فى أطراف تهامة القريبة من الجبال كالذرة بأنواعها البيضاء والصفراء والحمراء والسمسم (ويسمونه هنا جلجل أو جلجلان) ، وشاهدت ايضاً نباتاً يقولون له (السنى) ويستعملونه كمسهل وهو يشبه كثيراً عرق السوس ويعرف فى بلادنا وفى مصر (بالسنمكى)

بعد تناول ماتيسر من الطعام فى صباح ذلك اليوم ركبنا سيارتنا وسرنا باسم الله الى (باجل) فوصلنا اليها قبل الظهر ووجدنا حاكمها السيد عبد الكريم بن اسماعيل كوكبان فى انتظارنا أمام سراى الحكومة وقد صف ثلة من الجند على باب السراى فاستعرضناها ودخلنا الى السراى فى أثر العامل وكان أحد الجنود يحمل سيف العامل ويسير أمامه وآخر يحرسه من خلفه . سرنا فى السراى الى أن وصلنا الى غرفة فسيحة

حيث أداروا علينا اكواب (الشاهى) ، ثم سألنا العامل : (أتتقشرون ؟) فلم نفهم قصده ، فسألته وما معنى تتقشرون ؟ فقال ألا ترغبون فى شرب شىء من القشر ؟ فلم ندرك ايضاً ما يقصد ، فاستزدته ايضاحاً ، فأمر حضرته جنديا قريبا منه ، أن يجلب لنا القشر ، وما هى الا لحظة حتى عاد الجندى يحمل بيده ابريق فخار صغيرا يتصاعد منه البخار ، وصب منه فنجاناً ودفعه الىّ فشربته بصعوبة كأنى أشرب دواء ولكنى وجدت فيه طعماً كطعم القهوة فقلت هل هذه هى قهوتكم ؟ فأجاب : نعم هذه قهوتنا ولكنها ليست مصنوعة من البن كما هى العادة عند الترك وغيرهم بل من قشره ، وهنا أدركت معنى (تتقشرون) أى تشربون القشر .

وفى جميع أطراف اليمن لا يشربون القهوة بل يشربون القشر . بعد ما تقشرنا جميعنا مدت الأسمطة وجىء الينا بالطعام وكان ارزاً ولحماً ودجاجاً وخضراً وحلوى ، وضعت جميعاً بعضها الى جانب بعض ، فجلسنا حول السماط ورحنا نزدرد الطعام بأيدينا ، وكدت مراراً أختنق وأنا أبتلع اللقمة ، لان فى الأطعمة كلها كميات كبيرة من الفلافل الحارة ، ويميل اليمانيون بطبيعتهم الى تناول المأكولات الحارة و « يلتهمونها » بسهولة !

خرجت من السراى بعد تناول الطعام وطفت حولها متجولا فشهدت موكبا من الناس سائراً نحو بيوت مصنوعة من القش تشبه بيوت الشعر عندالبدو الرحل ، فتبعت ذلك الموكب ولما وصل الى البيوت خرجت منها نساء كثيرات ، وأخذن يزغردن بأصوات عالية غريبة ، والتف الجمهور حول بيت من تلك البيوت وأخذ بعض الرجال يرقصون بالعصى والسيوف والمدى على ضرب الطبول كما أخذ البعض ينشد أناشيد مختلفة بأنغام لطيفة ،ولكنى لم أتمكن من فهم شىء منها

حفلة زواج

وشاهدت أيضاً بعض الفتيان والفتيات راكبين على الهجن ، كل فتى وفتاة على هجين . وكان بينهم فتى وفتاة لايتجاوز سنهما الثانية عشرة راكبين هجينا وأمامها طفلان صغيران . فسألت عن أمرهما فقيل لى هما عريس وعروس قادمان من بيت



عروسان يمانيان

العروس ، فقلت وما شأن الطفلين الرا كبين أمامهما؟ فقيل لى هذه اشارة معنوية لطلب البنين ، وقد زاد جمال هذا الموكب الوطنى وبهاءه اختلاف الازياء وتنوعها فبعض الرجال كانوا عارين من الثياب خلا مئزر فى وسطهم وبعضهم كانوا يلبسون ألبسة مزركشة ملونة وبعض السيدات كن يلبسن سراويل طويلة وقمصانا طويلة الأكمام ولكنهن سافرات الوجوه وبعضهن كن كالرجال عاريات الا من مئزر بسيط ، وبعضهن كن لابسات أكماما قصيرة (ديكولته) وبعضهن وضعن على رؤوسهن حجاباً اسود وبعضهن وضعن فوق هذا الحجاب قبعة (برنيطة) مصنوعة من قش القمح والشعير ذات حجم كبير لترد أشعة شمس تهامة المحرقة ، وهى من صنعهن وقد علمتهن الحاجة التى هى أم الاختراع ان لايتقيدن بعادة أو قانون بل يلبسن ما يوافق محيطهن واحتياجهن

دامت الاناشيد ودام الرقص مدة طويلة ثم مدت الاسمطة فأكل جميع المدعوين هنيئاً وشربوا مريئاً وعند الغروب تفرقوا الى منازلهم بعدما هنأوا والدي العروسين وتمنوا للعروسين كثرة البنين والحياة الطيبة .

الزامل

عدت بعد مشاهدة هذا الموكب الى السراى وتناولت طعام العشاء ثم صعدت الى السطح لاقضى الليلة فى ضوء القمر والنجوم وأتمتع بالنظر الى السماء وأنفرد بنفسى قليلا ، ولكننى وجدت على السطح المقابل لسطحنا شرذمة من الجند ومعها موسيقاها، ولما بلغت الساعة الثامنة زوالية أخذت الموسيقى تعزف بعض الانغام التركية وكانت على بعد بضعة كيلو مترات منا قلعة حصينة قائمة على رأس رابية وهى معسكر لاحدى فرق التهامة وكان الجنود فيها يعزفون أيضاً بعض الانغام التركية كلما توقفت موسيقى السراى عن العزف واستمر العزف هكذا نحو نصف ساعة ثم أخذ الجنود بالقرب منى ينشدون (زاملهم) الخاص ـ أى نشيد فرقتهم ـ وهو كما يأتى :

(والعز ياصبيان قومى ما يأتى الا بالغصايب [1]
والذى يجنى بأول شبابه ماحصله والرأس شايب
(قرار)
يامن تمنى حربنا لابد ما يطلب عوافى [2]
أو ينادى بالصلاح [3]

شعرت وايم الحق بينما كان الجنود ينشدون نشيدهم الوطنى ان كل شعرة فى رأسى قد وقفت وكاد قلبى يخرج من فمى ، كأنى قادم على معركة حربية عظيمة وذلك بالرغم من أننى لم أفهم كلمة واحدة مما كانوا ينشدون ولكن الانغام والنبرات كان فى مقدورها أن تدفع حتى الجبان الى القاء نفسه فى أشد المعارك هولا وفظاعة

ولما انتهى جند السراى من النشيد بادر جند القلعة الى مجاوبتهم ، وبعد الانتهاء من الاناشيد أتى دور ضرب الطبول فضرب جند السراى الطبول ضربا يستفز الشعور ويهيج الاعصاب ، فجاوبهم جند القلعة بضرب كضربهم ثم ختمت الحفلة عندنا وعندهم ، بالمناداة بكلمة (وامتوكلاه) على نغم .. (بادشاهم جوق يشا !) اشارة الى دوام صحة صاحب الجلالة الامام يحيى حميد الدين المتوكل على رب العالمين

---

(١) بالقوة (٢) العفو (٣) الصلح

وفى هذه الساعة الرهيبة لا يسمع المرء فى بلاد اليمن من أقصاها الى أقصاها الا نداء الجنود فى ثكناتهم وقلاعهم وحصونهم : «وامتوكلاه» وبعدئذ يضرب بوق النوم فيذهب جميع أهل المدن الى النوم ويصبح الخروج من المنازل الى الازقة والشوارع محظورا على الجميع ماخلا الجند !

لفظت سيارتنا فى باجل أنفاسها الاخيرة فترحمنا عليها وركبنا البغال ، والبغال هى أفضل حيوانات الركوب فى اليمن ، أولا لانها قوية وثانيا لانها تتسلق الجبال الشامخة الوعرة بسهولة تامة خلافا للخيل التى تصعد الجبال الوعرة ولكن بصعوبة . ويجلبون البغال الى اليمن من بلاد الصومال بحراً

سرنا على البغال مسافة أربع ساعات فى سهول واسعة خصبة مغروسة سمسما وذرة وأقبلنا نحو الظهر على قرية صغيرة مبنية من القش يقال لها (البحيح) وهنا شاهدت جمعاً من السيدات من ذوات القبعات قد أحطن بفتاة صغيرة لاتتجاوز سنها الثالثة عشرة وكن يغنين لها ويضربن على الدفوف وهى ترقص رقصاً جميلا فسألت عن أمرهن فقيل لى هذه عروس ترقص صباح عرسها تسلية لضيوفها وزوارها !



عروس ترقص صباح عرسها

تناولنا طعامنا فى قهوة ويقال للقهوة فى تهامة (مقهاية) وقضينا فيها ساعة من الزمان طلباً للراحة والمقاهى فى الحديدة وتهامة هى المطاعم والفنادق اذ لا يوجد فى بلاد اليمن جميعها فندق واحد بالمعنى الذى نفهمه نحن معاشر السوريين بل فنادق اليمن هى مقاه وخانات يأوى اليها المسافر هو وراحلته !..



صورة لبعض سكان تهامة اليمن وقد وقفوا يستعرضون موكبنا الغريب لديهم وتظهر فيها هيئاتهم المختلفه

الرق لا وجود له فى اليمن

بينما كنا جالسين فى المقهاية أقبل علينا كثير من الاهلين للفرجة فلاحظت أنهم يختلفون اختلافا كبيراً من جهة اللون والهيئة وتركيب البنية عن أهل الحديدة ويغلب على ظنى أنهم انقى دما من سكان الساحل وهذ أمر بديهى لانهم لم يختلطوا كثيراً بأهل القارة الافريقية الذين كانوا يأتون الى سواحل اليمن بقصد التجارة وبيع الرقيق . ومادمت فى ذكر الرقيق ، فانه يحضرنى الآن أننى كنت قرأت فى بعض الصحف والكتب أن تجارة الرق مازالت موجودة فى اليمن وهذا افتراء باطل فلا أثر للرق فى بلاد اليمن فى هذا

الزمن ، لان الامام حفظه الله منع هذه التجارة منذ تولى الحكم ، وكان عنده عبد يدعى صمصام فأعتقه لوجه الله وزوجه من فتاة كانت فى خدمته ووظفه فى احدى الوظائف

طبيعة اليمن الفاتنة

بيوت اليمن تشبه القلاع

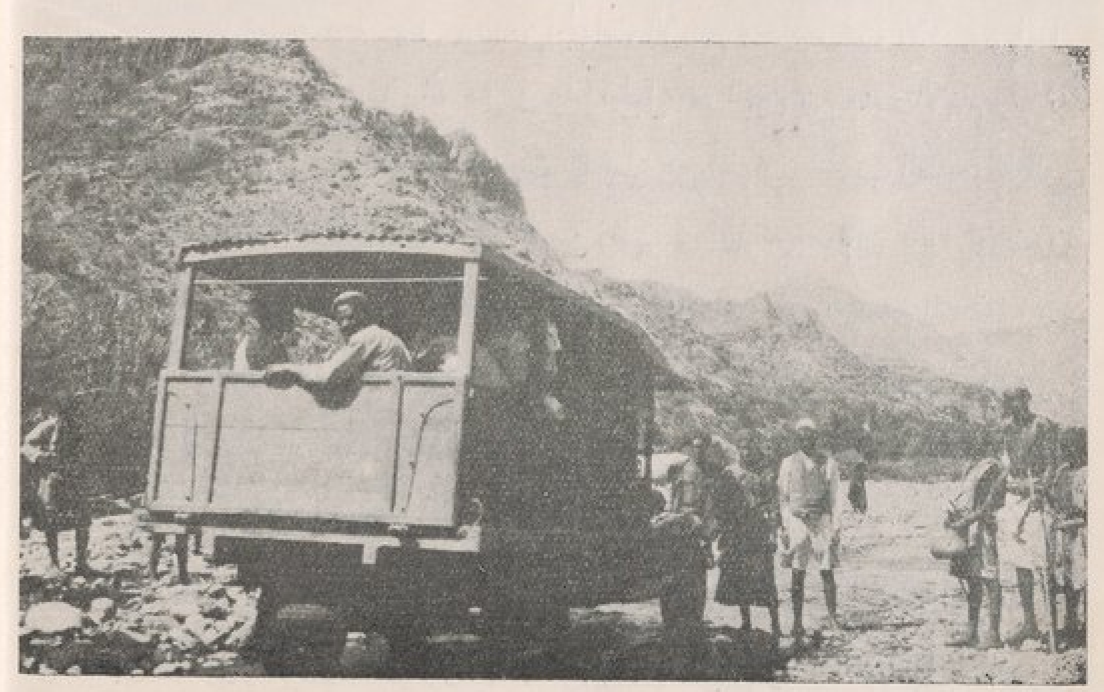
ركبنا بعد الظهر من البحيح إلى (عبال) وهى محطتنا الثانية وكان برفقتنا حرس من الجند فاقترب منى أحدهم وأخذ يسألنى عن بلادنا وعن الحكم فيها وعن الاسلام والمسلمين والترك ومصطفى كمال فكنت أجيبه على أسئلته أجوبة مختصره توافق عقليته وأشار لى فى الطريق الى جبل وعر عال واقع الى الغرب ، وقال : هذا هو جبل برع ؛ وفيه كثير من البن والقات والموز وغير ذلك من النبات ، وقد وقع فيه بعد الحرب العامة — أى حينما كانت الحديدة وتهامة بيد السيد الادريسى — معارك كثيرة بين جنود الامام وجنود الادريسى وفى أربع مرات متواليات انتصرت جنود الادريسى على جنود الامام ولم تمكنها من احتلال القلعة الكائنة فى رأس الجبل. ولكن منذ بضع سنوات احتل الامام الساحل وأحاط بجبل برع من الجهات الأربع وحاصر قوة الادريسى فقتل معظمها وفر منها القليل . ويقال انه قتل فى هذا الجبل نحو الفين من جنود الامام وثلاثة آلاف من جنود الادريسى . وبعد البحث الدقيق عن أسباب الحرب الطاحنة التى وقعت بين الامام والادريسى مدة من الزمن ظهر لى أن البريطانيين كانوا يحرضون الادريسى على قتال الامام ويمدونه بالمال والسلاح والعتاد ، ويغرونه بعدم التخلى عن تهامة التى تركها الترك فراراً من جنود الامام فاحتلها السيد الادريسى من غير مقاومة ، ولا يزال البريطانيون الى هذا اليوم يحرضون ملوك العرب وأمراءهم على التقاتل لتضعف قواهم ويصبحوا لقمة سائغة لكل أجنبى طامع !

قضينا ليلتنا فى عبال فى (مقهاية) فسيحة أعدت خصيصاً لنزولنا وكانت مبنية من الحجر والقش ، وتوجد الى جوانبها بعض (المصاطب) ينام عليها المسافرون ويربطون حيواناتهم الى مذاود فى وسطها وهذه (المقهاية) كغيرها من مقاهى اليمن

خاليـة من كل شيء يقال له أثاث أو رياش ولا يوجد فيها سوى بعض الكراسى المعمولة من قشور النباتات ، وهى تشبه (الفوتيل)

وفى الصباح نهضنا مبكرين وركبنا البغال ووجهتنا (الحجيلة) فوصلنا اليها بعد بضع ساعات وكانت تبدو لنا طيلة الطريق مياه جارية وأشجار وأطيار كثيرة غريبة وطروش عظيمة من الماعز والبقر والغنم ، والحجيلة قرية صغيرة فيها دار للحكومة وعامل ومركز للجند ومركز للتلغراف وهى واقعة فى أول الجبـال وبيوتها مبنيـة من الحجر لا من القش .

ابتـداء من الحجيلة ينقسم الطريق الى فرعـين : فرع يذهب الى (وسـل) و (مناخة) وهو وعر ولايسلكه غير البغال، وفرع يذهب عن طريق بيت (القابلى) ويقال له (طريق القوافل) لان قوافل الجمال الذاهبة الى صنعاء والعائدة منها تسـير فيه وهو أبعد من الاول وأسهل منه ! وقد عبد منذ برهة جلالة الامام طريقاً جديدة للسيارات عن طريق معبر فصار بالامكان قطع المسافة بين الحديدة وصنعاء بيوم واحد بعد ما كانت تستغرق ستة أيام على البغال



سيارة مسافرة الى صنعاء عن طريق معبر فى وديان جميلة

بعد ما استرحنا من وعثاء السفر وأطعمنا بغالنا قليلاً سرنا الى وسل بين الجبال والاودية ولم يكن هنالك طريق نسير عليها لان الأمطار والسيول جرفت الطريق وجعلتها أثراً بعد عين منذ عدة سنين وكنا نهتدى الى بقايا الطريق بأحد جنودنا الذى اتخذ لنفسه وظيفة دليل وقد شاهدت فى الطريق أحراجاً عظيمة وأطياراً غريبة وقردة كبيرة من نوع (البابون) ودام طريقنا فى صعود بين تلك الجبال الوعرة بضع ساعات ولكننا لم نشعر بطول الوقت لان وطأة الحر الشديد التى كادت تخمد أنفاسنا فى تهامة خفت هنا كثيراً ومنظر الجبال الشاهقة وصوت تغريد الأطيار الناطقة كالدرة والببغاء كل ذلك حوّل اهتمامنا عن وعثاء الطريق الى جمال الطبيعة فمضت الساعات دون أن نشعر بها ودون أن نعبأ بالتعب

قضينا ليلتنا فى (وسل) الى جانب مقهاية كبيرة ووسل قرية صغيرة ، بيوتها من الحجر ، وتختلف عن غيرها من البيوت التى رأيناها حتى الآن كثيراً ، فهى تشبه القلاع وفى جدرانها (رمايات) ونوافذها صغيرة وقليلة بعكس نوافذ الحديدة وسلالمها لولبية ضيقة وهذا شأن البناء فى جميع القرى الجبلية فى اليمن فهى تشبه القلاع ، لأن اليمانيين منذ الأزل كانوا فى قتال دائم بعضهم مع بعض ، ولذلك كانوا يختارون تلالاً منيعة يبنون عليها مساكنهم ويحصنونها على الطريقة الآنفة الذكر ، فلو مر المرء ولو على بعد بضع مئات من الأمتار ، فى جانب القرية فانه لا يكاد يتبينها ، أولاً لأنها من لون الجبل المبنية عليه ، وثانياً لانها فى الغالب تبنى فى زاوية مستورة من التل لكى لا تتعرض للأبصار كثيراً ، وغرف معظم منازل الجبال صغيرة وذات منافذ قليلة،وقد قست مرة احدى الغرف فى قرية معبر فوجدت ارتفاع بابها ثلاثة أقدام ونصف وفى الغرفة عادة ثلاث أو أربعة نوافذ صغيرة وكبيرة ، أما الصغيرة فطولها سبع قراريط والكبيرة فطولها ثلاثة عشر قيراطاً وعرضها ثمانية ، وطول الغرفة ثلاثة عشر قدما وعرضها ثمانية اقدام وارتفاع سقفها سبعة أقدام

نهضت فى وسل مبكراً وصعدت الى سطح عال فشاهدت منظراً لم أر مثله فى حياتى (إلا فى قمة جبال الشيخ ورأس ظهور أبو الحن فى جبل سرغايا) وذلك انى وجدت

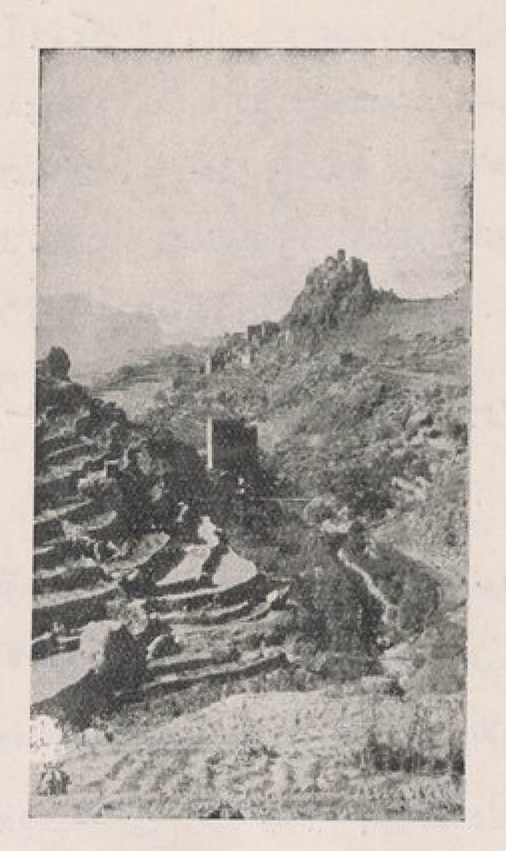
نفسى أعلى من الغيم الذى كان يمر تحتى بسرعة زائدة ، ورأيت حولى جبالاً عظيمة تناطح الجوزاء يعلو رأسها فوق السحاب تيهاً واستكباراً ، وكان القمر يرسل أشعته الضعيفة من خلال الغيوم فى الجهة الغربية فيكسبها لوناً تحار فى جماله العقول ، وان هى إلا برهة من الزمن حتى ودعتنى البقية الباقية من حشاشة أنواره اللطيفة وبزغت من الشرق أشعة الغزالة القوية الكثيفة فاخذت تبدد جموع تلك الغيوم وتضىء الجبال والأودية والسهول فتظهر عظمة الخالق الجبار فى هذه الديار

وتعلو قرية وسل عن سطح البحر ٤٤١٠ أقدام وقد سرنا منها عقيب طلوع الشمس وكانت طريقنا فوق جبال وعرة شاهدنا فى وديانها وعلى منحدراتها شجر القات وشجر البن والصبارة والياسمين البرى والرياحين وأنواعا مختلفة من الازهار ذات الروائح العطرية الذكية وأنواعاً كثيرة وغريبة من الأطيار وفى جملتها البلبل والعندليب والهزار

وصلنا نحو الظهر الى قرية صغيرة بين وسل ومناخه ويقال لها العتّاره فشاهدت قربها منظراً خالف الأمثال السائرة ، وأثبت انه لا بد لكل قاعدة من شواذ اذ يقولون فى الامثال «ان الصيف والشتاء لا يجتمعان على سطح واحد» وهنا شاهدت صيفاً وشتاء وخريفاً فى آن واحد . رأيت حقولاً من القمح والشعير بعضها خضراء يانعة وبعضها صفراء يابسة وبعضها تزرع زرعاً جديداً ، وقفت بالقرب من تلك القرية الجميلة وسرحت نظرى فى ذلك الوادى الصغير فاذا به آية من آيات الجمال ، تظهر فيه مقدرة الاله العظيم المتعالى ، فالفصل فصل شتاء ، ولكن لا برد هنالك ولا أمطار ، ونحن فوق جبال عالية كجبال بلودان ، هواؤها عليل وماؤها سلسبيل وشجرها كثير وبناؤها جميل ، تنساب بين هضابها عين ماء لا تسقى من الزرع الا القليل ، ولكنها تشفى العليل وتروى الغليل

ودعت هذا المنظر وبودى لا أودعه وصعدنا فى طريقنا الى مناخه ، فرأيت جبالاً مزروعة ذرة وحنطة وشعيراً ولا يكاد الانسان يرى فيها قطعة صغيرة صالحة للزرع لم يحولها القرويون الى حقول زراعية غرسوها حنطة أو شعيراً أو قاتاً أو بنا . وهذا مما

يدل على ان اليانيين منذ القديم أهل جد ونشاط وإذا رأيناهم اليوم متأخرين عن غيرهم من الأمم فلا شك ان ذلك يعود الى الامبراطورية العثمانية التى أهملت شأن اليمن كما أهملت غيره من الاقطار العربية كل الاهمال وكانت تعتبر بلاد اليمن مستعمرة حقيرة



واد بالقرب من قرية العتارة

وتعامل أهلها معاملة سيئة ، ولم يكن لها هم غيرجباية الضرائب وارسالها الى العاصمة العثمانية اشباعا لبطن عاهلها ورجاله . واذا طاف المرء بلاد اليمن من أقصاها الى أقصاها لا يجد للدولة العثمانية أثراً من آثار المدنية غير الحصون والقلاع وبعض المستشفيات العسكرية والأسلاك البرقية ومدرسة أو مدرستين للصناعة . وكان رجال العهد البائد فى تركيا لا يرسلون إلى اليمن إلا كل مغضوب عليه من الموظفين الملكيين والعسكريين ، غير ناظرين الى المقدرة العلمية والأهلية الشخصية ، فكان هؤلاء الموظفون يسيئون استعمال وظائفهم ويرتكبون الموبقات والمحرمات ويتناولون الهدايا

والرشـوات ، وهذا مما أثار خواطر اليمانيين وجعلهم فى احتراب دائم مع الحكومة العثمانية ولم يتمكن الترك من صيانة الأمن فى اليمن مـدة حكمهم ، أما اليوم فبفضل صاحب الجلالة الامام يحيي حميد الدين ورجال حكومته الأفذاذ أصبحت بلاد اليمن من أفضل بلاد العالم أمناً ، ويمكن للمرء أن يسير بمفرده فى طول البلاد وعرضها فلا يعترضه أحد ولا يعتدى عليه أحد. والسر فى ذلك شدة حرص الامام على تطبيق قواعد الشريعة الاسلامية الغراء على جميع من تحدثه نفسه بالاخلال بالأمن أو التعدى على الغير، ولا فرق عند جلالته بين الحقير والرفيع والفقير والغنى ؛ فالقاتل يقتل حالاً والسارق تقطع يده بلا رحمة أو شفقة ، والزانى يجلد ويشهر . وهلم جرا . . .

أساطير وترهات ... يذيعها الاوربيون

لاخلاف دينى بين الزيود والشوافع ؟

وكان رجال الدولة العثمانية فى جميع أيام حكمهم لليمن يسعون الى بذر بذور الشقاق بين أهل البلاد فتارة كانوا يستميلون اليهم الشوافع ويضربون بهم الزيود وتارة كانوا يستعينون ببعض الزيود لضرب الشوافع ، وقد بثوا داخل بلاد اليمن وخارجها دعاية باطلة خلاصتها أن الزيود والشوافع لا يحب بعضهم بعضاً وانهم يتحينون الفرص لايقاع بعضهم ببعض ، وان هنالك اختلافا فى العقائد الدينية بينهم . ومما يؤسف له ان نجد بعض كتاب العرب فى هذا الوقت يأخذون بهذه الدعاية فيكتبون عن العرب فصولا فى هذا الباب كلها أباطيل

أنا لاأنكر أن هنالك بعض اختلافات مذهبية ثانوية بين الشوافع والزيود ولكنى لاأعيرها أية أهمية ، لأنه لاشأن لها من الوجهة القومية ولا من الوجهة الدينية واليك بعض الأمثلة :

يجوز عند الزيود تحليف اليمين للمدعى والمدعى عليه ولا يجوز عندهم أن يقال آمين فى نهاية قراءة فاتحة القرآن الكريم . وفى الطلاق ، لايعتبر الزيود قول الرجل لامرأته

طلقتك ثلاثاً الا بمثابة قوله طلقتك مرة واحدة فيجب على من أراد طلاق امرأته ثلاثاً أن يعيد هذه العبارة ثلاث مرات، ولا يعترف الزيود بخليفة مالم يكن من آل البيت الى غير ذلك من الاختلافات اليسيرة . والزيود جمع (زيدى) نسبة الى زيد بن على ومذهب زيد بن على فرع من فروع مذاهب المعتزلة، فلا يجوز والحالة هذه أن يطعن فى الزيود من الوجهة الدينية وما من عاقل من المسلمين يجرؤ على الطعن فى مذهب زيد بن على وقد قال أحد الأدباء الذين زاروا اليمن فى كتاب كتبه عن رحلته ان حكم الامام يحيى فى اليمن حكم زيدى لاحكم عربى وان الشوافع ليسوا راضين عنه وانهم محرومون من الوظائف وهذه الأقوال مبالغ فيها كثيرا فجلالة الامام يحكم جميع البلاد على السواء ولا يفرق بين حقوق رعيته لاختلاف مذهبهم أوديهم وهو لايحترم الشوافع فقط بل يحترم اليهود أيضاً الذين هم أقلية ضئيلة ويعاملهم كمعاملة الخلفاء الراشدين رضى الله عنهم فى صدر الاسلام لأهل الذمة ، وأما الشوافع فهو يحترمهم كثيراً ويعتمد على بعض كبار رجالهم وقد عين منهم الكثيرين فى وظائف مختلفة ، فالمزجاجى من الشوافع وهو عامل الامام فى لحية وأخوه عبد الله عامل فى زبيد ومحمد باسلامه عامل آب وهو أيضاً من الشوافع ومأمور خزينة الامام من الشوافع واسمه الحاج لطف . كما أن كثيرين من أئمة الجوامع هم من الشوافع ، والمثال على ذلك الشيخ طاهر امام جامع بئر العزب فى صنعاء . وجميع من ذكرت هم من الموظفين الكبار وأما الموظفون الصغار من الشوافع المستخدمون فى اليمن لايحصى عددهم، كما ان وزير خارجية الامام القاضى محمد راغب هو من الشوافع أيضاً وينسب الى أصل تركى

ويجدر بالذكر هنا أن معظم الكتاب الذين كتبوا عن اليمن عقيب الحرب العامة لا تخلو كتاباتهم من الدعايات والأغراض وذلك لأن بعض الدول الأجنبية أخذت تتزاحم على هذه البلاد ولا تمر سنة الا ونجد فى صنعاء مندوبين كثيرين أوفدتهم دول مختلفة أو شركات أجنبية لمفاوضة جلالة الامام فى بعض الشؤون السياسية والاقتصادية وقد اتفق اننى عند مازرت صنعاء فى احدى رحلاتى المتعددة كانت فيها وفود ألمانية

واميركية وايطالية وبريطانية وروسية وبكل أسف أقول ان هذه الدول وتلك الشركات وجدت لنفسها خارج بلاد اليمن بعض الدعاة المأجورين الذين أخذوا يكتبون عن اليمن أشياء كثيرة تسويدا لصفحته ومعظم هذه الأشياء افتراء واختلاق

عفواً أيها القارئ الكريم لقد شططت بك عن سبيل الرحلة وطرقت أبوابا سياسية وذلك لتكون على بينة مما يحاك للبلاد العربية المستقلة من الدسائس الأجنبية لتمزيقها والاستيلاء عليها

هؤلاء يهود من أهل الذمة

يطيلون سوالفهم ويحللون الخمر ولا يحملون السلاح

ويحظر عليهم أن يركبوا الخيل لانها علامة الفروسية ! !

وفى الطريق ظهرت لنا مناخة ، وهى تشبه صهوة الفرس من حيث شكل بنائها ولما وصلنا اليها ذهبنا تواً الى دار الحكومة فوجدنا العامل وثلة من الجند فى انتظارنا وقد اعدت لنا فى « السراى » نفسها غرف للاستراحة والنوم ، ولكن رغبتنا فى رؤية البلدة ، حملتنا على تقصير مدة الاستراحة ، فما كدنا نستريح قليلا ، حتى خرجنا لمشاهدة البلد

تبعنا فى الطريق جم غفير من الرجال والاولاد ، وقد لاحظت أن بينهم أشخاصاً يختلفون عن غيرهم ، سواء بالسوالف الطويلة ، أو بالالبسة و « الجنبيات » — أى الخناجر — وبينما كنت اشاهد أهل تهامة وأهل القرى التى مررت بها فى أول الجبال يلبسون عمائم مختلفة ، وجدت هنا جماعة يلبسون عمائم وغيرهم يلبسون (لبدا) بعضهم لف عليها قطعاً من القماش ولا يشدون الى وسطهم كغيرهم من أهل البلاد الجنبيات أى المدى ولا يحملون عتادا ولا سلاحاً، فسألت عنهم فقيل لى هؤلاء يهود من أهل الذمة ، فقلت ولماذا يرخون سوالفهم ولا يحملون سلاحاً ؟ فقيل لى : اما اطلاق السوالف فعادة من عاداتهم وأما حمل السلاح فمحظور عليهم من قبل الحكومة، ومحظور عليهم ايضاً ركوب الجمال والخيل ، لأنها علامة الفروسية ولكن يسمح لهم

ر ركوب البغال والحمير بشرط انهم اذا قابلوا أحداً من السادة ينزلون عنها احتراماً لهم وتعظيما

طفت أسواق البلد فوجدتها ضيقة وحقيرة وشاهدت فى مخازنها كثيرا من الاقمشة والتبغ والتنباك والخردوات الاوربية وأ كثرها من مصنوعات المانيا وكميات وافرة من السكاكر والحلوى والفواكه. وصلت الى طرف البلد الشمالى الشرقى فوجدته فى عزلة عن البلد وتختلف هندسة أبنيته عن غيرها من الأبنية وهى أصغر منها وأحقر فسألت



توراة يهودية مكتوبة على رق غزال وقد وقف الى جانبها الحاخام

عن هذا الحى الحقير فقيل لى : هذا هو حى اليهود وقد شاهدت فيه كثيراً من السيدات والاولاد فرأيت ألبستهم تختلف عن ألبسة أولاد المسلمين ونسائهم فالسيدات اليهوديات يسدلن على رؤوسهن نقابا اسود ويلبسن فوق هذا النقاب قبعة (مزركشة) بالقصب والفضة وتبقى وجوههن سافرة بينما المسلمات القرويات وحدهن سافرات وأما المسلمات فى المدن فيضعن حجاباً يستر رؤوسهن وعيونهن ووجوههن وتنسدل

اطرافه حتى الكواهل فلا يظهر منهن شيء محرم أو محلل وقد لاحظت أن اليهوديات القرويات تختلف هيأتهن كثيراً عن هيئة السيدات المسلمات وذلك لاختلاطهن بغير جنسهن أيام الدولة العثمانية

أردت أن اصور ولداً يهودياً فغضب أحد أولاد المسلمين الذى كان مرافقاً لموكبي المختلط وشتم اليهودى بقوله له : اذهب ياخبيث ، ياشارب الخمر ! فغضب اليهودى لهذه الاهانة وقال لرفيقه المسلم ! تعال معى نذهب الى العامل فاشكوك اليه وهذا الغريب ـ وأشار الى ـ يشهد عليك ، واذا كنت شجاعاً حقاً فاعترف أمامه بهذه الشتيمة ! فلم يجسر الولد المسلم أن ينبس ببنت شفة ، أمام هذا التهديد لأن قانون اليمن الخاص بمعاملة أهل الذمة صارم جداً . فكل من يشتم ذمياً أو يعتدى عليه يسجن ويغرم بتقديم ذبيحة اما بقرة أو جمل أو نعجة لتذبح وتوزع على الفقراء . وياحبذا لو كان اليهود الصهيونيون الذين أموا فلسطين يتخذون من هذه المعاملة درسا وعظة

ويوجد لليهود فى مناخة كنيس خاص ولهم أيضاً مدارس خاصة وهم يمارسون صلاتهم وعباداتهم على الطريقة التى يريدونها ويعلمون أولادهم وبناتهم فى مدارسهم كما يشاؤون لا وفقاً لبرامج الحكومة المحلية . وتوجد فى كل معبد من معابدهم توراة قديمة مكتوبة على رق الغزال باللغة العبرية وعندهم أيضاً بعض كتب التوراة من مطبوعات النمسا أرسلتها لهم الجمعيات الصهيونية من الخارج ولقد سألت كثيرين من اليهود الذين قابلتهم فى اليمن هل هم مسرورون من معاملة المسلمين لهم أم لا ؟ فأجابنى الجميع أنهم مسرورون جدا وانهم يتمتعون بحقوق لا يتمتع بها المسلمون أنفسهم فهم لا يدفعون ضرائب ولا أعشاراً ولا فطرة ولا رسوما بل يدفعون الجزية وهى شيء زهيد بالنسبة الى ما يدفعه المكلف المسلم الى حكومته من أنواع الضرائب المختلفه ، وجميع الصناعات اليدوية فى أيديهم فترى النجار والحداد والصائغ والبناء والمعمار والتاجر والصيرفى الخ منهم، وهم يصنعون الخمر ويشربونها فلا تمنعهم الحكومة ولكنها لا تأذن لهم أن يبيعوها للمسلمين .



مناخـــة

اليمانى يجوع فى سبيل «القات»

مجلس القات ، كيف يمضغونه ، وما هى لذته ؟

عدت من طوافى فى البلد وذهبت الى دار العامل لأرد له الزيارة فوجدت عند باب داره بعض الجنود ، فطلبت إلى أحدهم أن يبلغه انى بالباب أريد زيارته ، وما هى الا لحظة حتى عاد الجندى قائلا : تفضل ! فدخلت خلفه ، الى ردهة كبيرة ولـكنها مظلمة لفقدان النوافذ فيها ! ولشدة النور فى خارجها وضعفه فى داخلهـا صرت أتخبط فى الظلام لاأعرف طريقى فقادنى الجندى كما يقود صحيح البصر الأعمى الى درج لولبى ضيق يشبه درج المآذن عنـدنا فصعدته بعناء الى أن وصلت الى الدور الثالث وهنالك كانت بعض الأشعة تنبعث من نوافذ صغيرة ورأيت بابا كبيرا مقفلا فقرعه

الجندى فما لبث أن فتح فدخلته فوجدت حضرة العامل وحوله بعض كبار الموظفين فى الحكومة ووجوه البلد وكانوا جالسين على طنافس صغيرة مفروشة بسجاد عجمى وجميعهم يدخنون (الاركيله) ويمضغون القات[١] ، فقلت السلام عليكم : فأجاب الجميع عليكم السلام ورحمة الله وبركاته ونهضوا على الأقدام : وتقدم العامل الى وصافحنى مرحباً بى ترحيباً جميلاً وأجلسنى الى جانبه وقال : أرجو غض النظر عن استقبالك هنا (أى فى هذه الغرفة الصغيرة) فنحن بمجلس القات ! فقلت انى مسرور جداً بأن أشاهد القات ومجالسه . فقدم لى حضرته رزمة من القات وقال : (هيا كل !) وهم يقولون أَكلَ القاتَ وخزنه بمعنى مضغه. فشكرته على هديته وأخذت بضع أوراق من هذا النبات العجيب ووضعتها بفمى وأخذت أمضغها فوجدت فيها طعما غريباً لم أذق مثله فى حياتى ولكنى لم أجد فيه لذة ما بل بالعكس نفرت منه نفسى

سرحت طرفى فى تلك الغرفة الصغيرة فرأيت فيها أربع نوافذ جميعها مقفلة وفى وسطها اناء (صدر) كبير من النحاس الأصفر وضعت عليه الارا كيل ، وتصنع الارا كيل فى الغالب من النحاس ويعنون بها عناية عظيمة ويسمونها (مداعة) ولها عندهم أسماء متعددة منها المدعى (بكسر الميم والعين) والمزة وتصنع من الفخار و(الفرشى) وتصنع من الحديد ، والكركر (بضم الكافين) الى غير ذلك من الأسماء الغريبة وأما (النربيش) المستعمل فى اليمن فيبلغ طوله نحو أربعة أمتار وله غلاف من الحرير المزركش يباهى صاحبه به ويبرهن عن مقدار ذوقه فى اختيار الألوان الجميلة وكان الدخان فى غرفة العامل يتصاعد من هذه الارا كيل بكثرة وقد فسد هواء الغرفة من النفس المحصور ودخان الارا كيل فشعرت بانقباض فى صدرى فسألت العامل لماذا لا تفتحون هذه النوافذ فيتغير هواء الغرفة ؟ فقال من البرد ، اننا نخشى البرد كثيراً وجبالنا كما تراها باردة والبرد مضر بالصحة ، وأردف قائلا : وهل عندكم فى بلادكم برد كبردنا ، فقلت نعم ان بلادنا أبرد من بلادكم كثيرا وفى الشتاء تهطل الثلوج على جبالها مراراً ومع ذلك فنحن نفتح نوافذ بيوتنا كل يوم أكثر من مرة لتغيير هوائها . فقال حضرته ان

---

(١) يلفظون «القاف» كالجيم المصرية

بردالیمن مضر فاذا تعرض له الانسان فلا شك انه يمرض فورا. فسكت لهذا الجواب بالرغم من عدم قناعتى به وحولت نظري الى بعض الجلوس فرأيتهم منهمكين بمضغ القات وأمام كل واحد منهم رزمة كبيرة والى جانبها ابريق نخارى ومبصقة فضية، أما الابريق فيستعمله ماضغ القات لغرغرة فمه بين حين وآخر وأما المبصقة فيستعملها للبصاق ولطرح بقية أوراق القات التى يمضغها والتى لا يبلعها بل يمص ماءها ثم يطرحها من فمه فى المبصقة . ويدوم مجلس القات من بعد الغذاء ظهرا حتى المساء

والقات نبات غريب فيه مادة مخدرة ويقال له بالانكليزية (كاتا اديوس) أو (فورسكالى) ومن خصائصه انه يؤثر فى الأعصاب فيخدرها فيشعر المرء ببسط وانشراح . ويقول الاطباء انه مضر بالصحة كثيرا لانه يقلل من شهية الانسان للطعام ويزيد فيه الميل الى شرب الماء ويضر بالاسنان ويسودها ، وبالمعدة فيقلل من عصيرها وبالنسل فيضعفه . وبالرغم من جميع هذه المضار وبالرغم من علم أهل اليمن بها فهم يمتدحونه وينشدون القصائد بمزاياه ويستعملونه بأجمعهم ماعدا صاحب الجلالة الامام يحيى فقد منعه طبيبه الخاص عن استعماله منذ عدة سنوات ولا يزال جلالته ممتنعاً عنه الى هذا اليوم

وبكل أسف أقول ان اليمانيين يضيعون ثروتهم ووقتهم فى القات لافرق فى ذلك بين سيد ومسود وغنى وصعلوك وتجد الصانع الذى يشتغل كل نهاره بفرنك واحد ينفق معظمه على القات ويهتم للحصول عليه أكثر من اهتمامه للحصول على قوته الضرورى. وقد سمعت الكثيرين يقولون انهم يفضلونه على الطعام والشراب

ويغرس شجر القات كما يغرس البن فى الأودية المرتفعة التى لا تتعرض لحرارة الشمس الحادة الا بضع ساعات فى اليوم وتوجد منه أنواع مختلفة تختلف أسماؤها باختلاف المكان الذى ترد منه وتغرس فيه فهنالك قات الوادى والقات التعزى والبرعى والريمى نسبة الى قرى الوادى: وتعز وبرع وريما ويشبه القات بعض الشبه الحور الصغير عندنا ويبلغ طول شجرته أحياناً خمسة أمتار ويمتاز بعض الانواع عن بعضها بالحلاوة والطول . والقات أثمن وأغلى نبات فى اليمن وتساوى الرزمة الصغيرة من غصونه نحو

ثلاثة فرنكات . ومن ألطف ماسمعت عن القات ان اللصوص أيام الدولة العثمانية كانوا يتعرضون للقوافل وينهبونها ولكنهم كانوا دوماً يسمحون لتجار القات أن يمروا فى طريقهم دون أن يتعرضوا لهم بأذى

جلست فى مجلس القات نحو ربع ساعة كدت أفقد فيها صوابى لشدة الدخان واحتباس الهواء وأخيراً استأذنت العامل بالانصراف فأذن لى بعد ان استوضحنى عن راحتنا وعن ما كلنا ومشربنا وهل نحن فى حاجة الى أى مساعدة ؟ فقلت اننا والحمد لله على غاية مايرام وعدت إلى السراى

ثورة الزرانيق على اليمن

أولاد الأمراء والوجوه رهائن عند الامام

رأيت من نافذة غرفتى فى السراى صبية يلعبون فى صحن دار متسعة ظننتها لأول وهلة مدرسة ولكن سرعان ما تبدل هذا الظن إذ رأيت بالقرب منهم جنديا حاملاً بندقيته ، ووافقاً لحراستهم ، وقد دهشت لهذا المشهدالغريب وسألت البعض عن أمر هؤلاء الصبية ، فقيل لى هؤلاء من الرهائن !

وقد اعتاد أئمة اليمن وغيرهم من أمراء العرب وملوكهم فى العصور الأولى أن يحكموا البلاد على طريقة الرهائن فكانوا يأخذون ممن يولونه الحكم فى صقع من الأصقاع ولداً من أولاده أو أخا من اخوته فيحفظونه عندهم رهينة لكى يأمنوا شر ذلك الحاكم أو العامل فلا يقدم على العصيان أو التمرد إذا قويت شوكته وعظمت دولته حفظاً لحياة ابنه أو اخيه ، ويأخذون أيضاً الرهائن من معظم وجوه البلاد النائية وشيوخها ليأمنوا شرهم . وقد عاب البعض على جلالة الامام هذا النوع من الحكم ونعتوه (بالدمل) ولكنهم لو أنصفوا لعذروه عليه لان بلاد اليمن بقيت فى حكم الدولة العثمانية ٤٠٠ سنة وهى فى فوضى دائمة : القوى يا كل الضعيف والناس فى حرب مستمرة بعضهم مع بعض ، وهم بطبيعتهم ميالون الى الغزو فلا يستطيع الحاكم أن يخضد شوكتهم الا بشىء من الارهاب والشدة . وطريقة الرهائن هى من جملة الطرق التى

استعملها الامام حتى قضى على الفوضى فى البلاد . وهى معروفة عند الغربيين ومستعملة عندهم الى هذا اليوم ويسمونها (بالاقامة الاجبارية - ريزيدانس فورسيه)

مدير المال

قابلت فى مناخه مدير المال فسألته عن واردات قضائه فقال ان مناخه مركز لقضاء (حراز) وهذا القضاء من أغنى أقضية اليمن واكبرها ، وفيه شىء كثير من البن والقات وخصوصاً فى الجبل القريب المدعو (صعفان) وقال ان عائداته تبلغ فى السنة ٣٠،٠٠٠ الف ريال تساوى أى ثلاثة آلاف جنيه انكليزى ، ويقصدون بالعائدات واردات الجمرك ، وأما بقية الضرائب فتبلغ ألوفا متعددة من الريالات تختلف فى بعض السنين بحسب جودة الموسم وكثرة الأمطار أو قلتها

وتستوفى الضرائب عينا أو بدلاً ، ومنها الاعشار والزكاة والويركو . وجميع البضائع التى تدخل مناخه يستوفون عنها اثنين ونصفاً بالمائة ضريبة جمركية ، هذا إذا لم تكن مرسلة (ترانزيت) إلى صنعاء

اطلعت على دفتر حسابات مدير المال فاذا به من دفاتر الترك القديمة ويقيد حضرته حساباته فيه من دخل وخرج بالعملة الفضية والعملة الذهبية . ولم تعن حكومة اليمن إلى هذا اليـــوم بطبع أوراق خاصة بمعاملاتها وهى لا تزال تستعمل دفاتر الدولة العثمانية وأوراقها

جبل صعفان

جبل صعفان جبل مشهور بالقرب من مناخه وهو غنى ببنه وقاته وموزه وغير ذلك من الاثمار والنباتات ، وقد تنازعه الامام يحيي والادريسى عقب الحرب العامة ووقعت فيه معارك كثيرة وقد حدثنى البعض عن هذه المعارك قال : احتل الادريسى هذا الجبل عند ما انسحبت جيوش الدولة العثمانية من اليمن وجرت فيه معارك تشيب من هولها الاطفال ، وخاصة فى احدى قراه الغنية التى يقال لها قرية (الجراح) وكان النصر تارة للزيود وطوراً للشوافع ، وقد تجلى ههنا مقدار تأثير طبيعة الأراضى

فى المحاربين . فالزيود رجال الامام من أهل الجبال ، والشوافع من أهل السهول، فكان النصر فى الجبال دائماً حليف الزيود ، وكان النصر فى تهامة غالباً حليف الشوافع

وقد أدرك كل من الفريقين المتحاربين نقطة الضعف فى خصمه ، فكان الزيود أحيانا يتقهقرون أمام الشوافع فى أسفل جبل صعفان ويفسحون لهم المجال للتوغل فيه ثم يحملون عليهم ويقتلونهم على بكرة أبيهم وهكذا كان الحال مع الشوافع فكثيراً ما أفسحوا المجال للزيود فى تهامة وتغاضوا عنهم الى وقت الظهر أى إلى وقت اشتداد الحر عندئذ يهاجمونهم وفى أغلب الاحيان ينتصرون عليهم وبديهى أن أهل الجبال قد ألفوا اعتدال الهواء والماء وليس بمقدرتهم أن يتحملوا شدة حرارة تهامة كما يتحملها أهلها الذين شبوا وشابوا فيها ولذلك طال الحرب بين جنود الامام وجنود الادريسى وكان النصر بينهما سجالا ولكن فى نهاية الامر تغلب رجال الامام على رجال الادريسى ومزقوهم شر ممزق واستولوا على باجل والحديدة وجميع تهامة الى حدود امارة الادريسى فى عسير

ثورة الزرانيق واحتلال الانكليز
للضالع وقعطبة

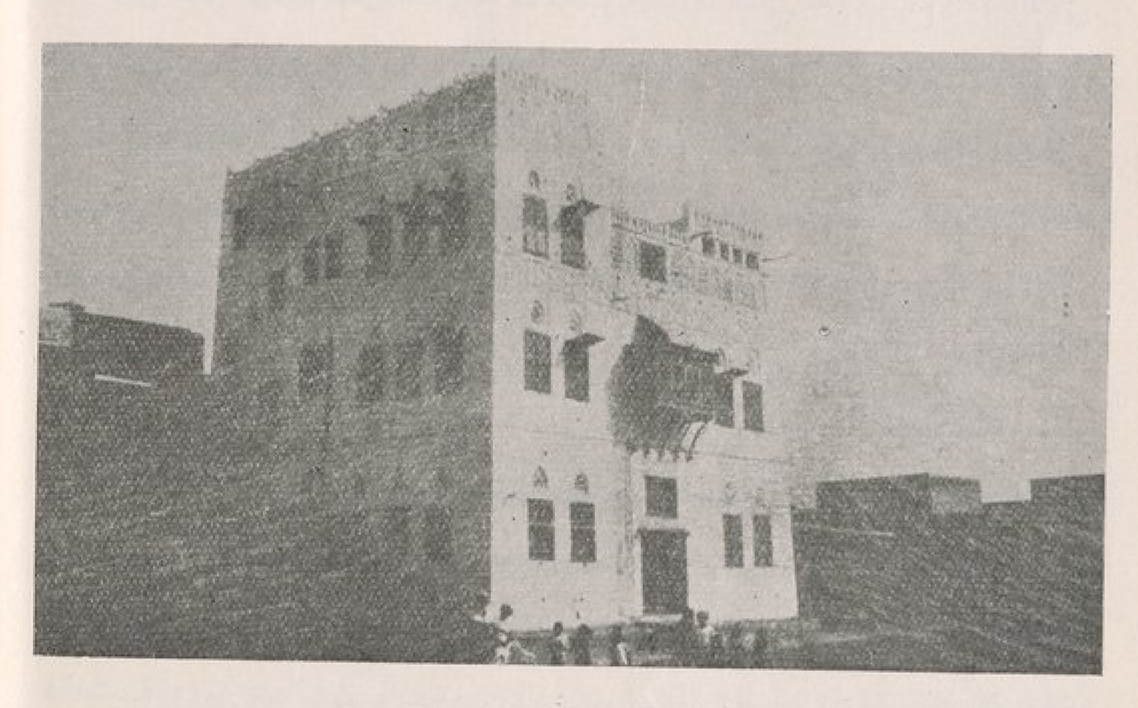
ولما كان الشئ بالشئ يذكر ، ما دمنا أتينا آنفاً على بيان حروب الامام والاريسى فلا بأس من أن نذكر شيئاً عن ثورة الزرانيق تلك الثورة العظيمة التى قتل فيها ألوف كثيرة من المسلمين الابرياء فى سبيل المطامع الاجنبية . وقد وقعت هذه الثورة سنة ١٩٢٩ وصادف انى كنت فى تلك السنة فى اليمن وقد شاهدت الجنود المتوكلية تساق لمقاتلتها من كل حدب وصوب

تقطن قبيلة الزرانيق فى تهامة ما بين الحديدة وزبيد وأهم مدنها بيت الفقيه ويقال ان عدد نفوسها يبلغ نحو ٩٠٫٠٠٠ جميعهم من الشوافع ولم تستطع الدولة العثمانية كل مدة اقامتها باليمن اخضاع هذه القبيلة لشدة بأسها ومراسها وكانت كثيراً ما تضطر الى التساهل معها بشأن تعديها على القوافل والمسافرين وتقدم لكبار شيوخها المال والهدايا باسم الاخوة والصداقة ، ولما استولى جلالة الامام على تهامة والحديدة ترك هذه القبيلة

وشأنها ولم يتعرض لها بخير أو شر وهى بدورها حافظت عدة سنوات على السكينة التامة ولم تعتد على القوافل ولا على المسافرين، ولكن لما وقعت الواقعة بين جلالة الامام وجيرانه البريطانيين واختلفوا على حدود ولاية عدن المحمية ، وادعى البريطانيون ان الضالع وقمطبه وغيرهما من البلاد الواقعة الى جنوب اليمن والتى هى بيد جلالة الامام هى ضمن الاراضى التى وافق الترك على ضمها لنواحى عدن التسع المحمية بموجب معاهدة فطلبوا من الامام التنازل عنها فرفض الامام ذلك الطلب لان هذه البلاد فى عرف جلالته وعرف حكومته جزء لا يتجزأ من اليمن وبناء على تمسكه ورفضه التسليم بما ادعى الانكليز هاجموه بطياراتهم وجيوشهم على حين غرة وانتزعوا هذه البلاد منه وأخذوها عنوة. والسر فى أخذهم لها هو أنها غنية بالمعادن كالزئبق والرصاص وهواؤها عليل ومناخها جيد وهم يريدون أن يبنوا فيها مستشفى لجيوشهم المحتلة لعدن ويتخذونها مصيفا لهم ولعائلاتهم القاطنة فى عدن وقد أتموا تعبيد طريق بينها وبين عدن حالما استولوا عليها

وفى نفس الوقت الذى هاجم فيه الانكليز جنوب اليمن قدم الشيخ احمد الفتينى كبير شيوخ قبيلة الزرانيق الى جمعية الامم احتجاجا على استيلاء جلالة الامام يحيي على تهامة والحديدة بدعوى ان هذه البلاد جزء متمم لاملاك الزرانيق ويقول بعض العارفين ان هنالك علاقة بين هجوم البريطانيين على اليمن وبين حركة الزرانيق والله أعلم وقد أخذت عصابات من الزرانيق تساب وتنهب على الطرقات فى رابعة النهار وبلغ من جرأتهم أن هاجموا مخفراً من مخافر جند الامام فى جنوب الحديدة وقتلوا جنديين من جنوده فغضب جلالة الامام من تصرفات الزرانيق غضبا شديداً وأرسل حملة بقيادة احد السادة للتنكيل بالعصاة فاجتمع شيوخهم بالسيد المشار اليه ومكروا به ووعدوه بتسليم العصاة والمجرمين ودعوه الى مكان قريب من بيت الفقيه وهناك غدروا به وبجنوده وقتلوهم شر قتلة . لم يطق جلالة الامام صبراً على هذه الخيانة التى لم يسبق لها مثيل فى تاريخ العرب فانتدب ولى عهده صاحب السمو احمد سيف الاسلام لتأديبهم والاستيلاء على بلادهم فسار سموه على رأس قوة كبيرة من مركزه فى حجة فى

طريقه الى بلاد الزرانيق ومر بالحديدة ولكنه لم يدخلها اذ بلغه أن الأهلين قد أقاموا له الزينات واستعدوا لاستقباله استعداداً فخماً وكان جوابه لهم أنه من العار علينا أن نقوم بمثل هذه التظاهرات وننام على الفرش الوثيرة والى جانبنا عدونا يعيث فى الأرض فساداً ويسلب راحة الأهلين ويعتدى على أرواحهم وحلالهم ومن المشهور عن سموه شدة ديموقراطيته وعلو همته وعظيم بسالته وشجاعته وميله وعطفه على المظلوم وكرهه للظالم، وهو ربع القامة حنطى اللون ذو عينين سوداوين تتقدان ذكاء ونشاطاً، محبوب من جنده ومن الطبقة العامة حباً جماً، ولكنه محسود ... يحسده بعض الخاصة لبروز هذه الصفات الكريمة فيه، اذا رآه المرء فى معسكره راكباً أو جالساً فلا يفرق بينه وبين أى جندى من جنوده لأنه يلبس لباسهم ويأكل طعامهم ويتزيا بزيهم، سار سموه الى بلاد الزرانيق فاحتل بلاد المراوعة والدريهمة بعد مصادمات عنيفة وشعر بان الزرانيق متصلون باكثر من واحدة من الدول العظمى عن طريق البحر وانهم يجلبون منها العتاد والسلاح فادرك للحال خطورة الموقف وبدلا من أن يوجه أفكاره نحو داخلية البلاد استولى أولا على شواطئها البحرية فاحتل الجاح والطائف - وهى غير طائف



سراى الحكومة فى بيت الفقيه وقد أمر جلالة الامام ببنائها بعد احتلال المدينة

الحجاز طبعاً ـ وميناء غليفقه وأقام فيها حصوناً وحرساً للشواطىء واستولى على مراكب الزرانيق الشراعية وأرسلها الى الحديدة وبذلك تم له مايريد ومنع الزرانيق من الوصول الى البحر وأحاط بهم احاطة السوار بالمعصم وقطع عنهم كل مدد خارجي .

أدرك الزرانيق شدة الخطر المحدق بهم ففر شيخهم الأكبر مسبب هـذه الثورة أحمد الفتيني والتجأ الى أصدقائه الانكليز فى جزيرة قمران التى تقع على مسيرة يوم الى شمال الحديدة واستسلم بعض الشيوخ الى سيف الاسلام دون قيـد أو شرط ، وأسر سموه خلقاً كثيراً من أعدائه واكره معظمهم على الالتجاء الى بيت الفقيه وحصرهم فيها

ولما رأى جلالة الامام شدة الضرر الذى لحق بهذه القبيلة أمر ولى عهده بحصار بيت الفقيه وهى أعظم مدنهم وعدم مهاجمتها وذلك رحمة بارواح الجميع فامتثل سموه لارادة والده وشدد الحصار عليها فبلغ ثمن رطل الحليب ريالا اماميا أى خمسين ضعف ثمنه فى الاوقات العادية وبلغ ثمن رطل الخبز أربعين ضعفاً فلم يطق الزرانيق الدوام على هذا الحصار فاستسلموا الى سيف الاسلام وأعطوه الرهان أسوة بغيرهم من القبائل .

نقيل الشجة

نزلنا من مناخه التى يبلغ علوها ٧٣٣٠ قدما فى نقيل يقال له نقيل الشجة ويطلق لفظ النقيل فى اليمن على الطريق الجبلية الوعرة . وكانت الأمطار تهطل رذاذاً ، وقد شاهدت فى هذا الطريق الجمال الجبلية الضخمة تنقل أثقالا عظيمة غير مبالية بالصعود والهبوط ولا مكترثة بالوعر والجبل ، ولا شك أن القارىء يدهش متى علم أن الجمال تصعد الى علو ١٠٫٠٠٠ قدم بأحمالها الثقيلة على طريق لا تسلكها غير القردة والبغال والماعز ، وشاهدت أيضاً فى هذا النقيل نسوة ينقلن حطباً على رؤوسهن من أسـفل الوادى السحيق الى مناخـة ولو أن القـرويين شجروا جبلهم لوفروا على نسائهم عناء كثيراً ، ومما لاريب فيه أن الأشجار تنمو فى هذا الجبل نمواً حسناً ، ولا شك انها كانت كثيرة فى الزمن الغابر لأنى شاهدت بقاياها على جنبات الوادى



اسرى من الزرانيق يساقون الى الحديدة وقد ربطوا الى رقابهم بالحبال

حصن المطارمة

فى منتصف هذا الوادى رأيت على رابية قريبـة من الطريق حصناً كبيراً حوله بعض المنازل فسألت أحد الجنود عنه فقال لى كان هذا الحصن أيام الدولة العثمانية مخفرا للجنود ، وهو يخص رجلا من المكارمة يقال له اسماعيل ، والمكارمة فئة من الاسماعيلية أتوا اليمن من الهند وتوطنوا فى قضاء حراز ويقطن معظمهم فى جبل مناخه الشرقى

ويبلغ عدد نفوسهم فى هذا الجبل نحو عشرة آلاف ، ولهم عادات خاصة وعبادات خاصة . وقد حاربوا الامام مدة من الزمان ولكنهم غلبوا أخيرا على أمرهم ودخلوا فى طاعة الامام فأكرههم على تجديد اسلامهم والاقلاع عن عاداتهم الغريبة المخالفة للشريعة الاسلامية الغراء ، ومن بعض خرافاتهم أن الواحد منهم يذهب الى شيخه وينقده مبلغا من المال يبتاع منه به ذراعاً فى الجنة وبمبلغ آخر يغفر له خطاياه ، ولكن بفضل الامام زالت هذه الخزعبلات اذ أرسل جلالته الى هؤلاء الناس أئمة صالحين من أهل العلم والفضل فلقنوهم قواعد الدين الحنيف وأرشدوهم الى عبادة الواحد الأحد فأقلعوا عن خرافاتهم وكفرهم . ولا يأخذ الامام منهم جنوداً نظامية ، ولكنهم عند الحاجة يدعون للجندية فيتطوعون من تلقاء أنفسهم لمقاتلة أعداء الامام . ويجدر بالذكر هنا أن شرف التجنيد فى الجيش المتوكلى لا يحصل عليه فى الدرجة الأولى الا من كان من حاشد أو بكيل ، وحاشد وبكيل هما أكثر قبائل اليمن نفوساً وأعلاهم كعباً وأغناهم زرعاً وأكثرهم ضرعا وهما ذراعا الامام اليمين واليسار وعليهما يعول عند الشدائد والملمات

وصلنا الى أسفل نقيل الشجة بعد أن مشينا ساعة ونصف ساعة هبطنا فيها ٢٥٣٠ قدما وما أكثر الصعود والهبوط على طريق الحديدة صنعاء وما أسخف القائلين بأنه فى الامكان الاستيلاء على صنعاء عن طريق الحديدة حرباً، وقد شاهدت بعينى رأسى أماكن متعددة وعرة وحصينة لا أغالى اذا قلت ان عشرة جنود يحولون دون سير حملة منظمة كثيرة العدد والعدد .

سارت بنا الطريق من أسفل نقيل الشجة بين وديان وتلال لا تعد ولا تحصى وكان جبل الخميس امامنا وجبل مناخة خلفنا وهذان الجبلان عظيمان شاهقان يرتفع الأول ١٠٫٠٠٠ قدم عن سطح البحر ويعلو الثانى ٨٠٠٠ قدم وبينهما وديان وآكام وسلاسل من الجبال آخذ بعضها برقاب بعض ، وفيها بعض الأشجار المثمرة ويقال لها سدر وثمرها أحمر يشبه الزعرور ويأكله القرويون ويوجد فيها أشجار غير مثمرة ويقال لها الفطر والعسق وهى تصلح للوقود

انقطعت الأمطار عند ما وصلنا الى أسفل الوادى وأشرقت الشمس وأرسلت أشعتها الذهبية فى الفضاء فأعادت الى أجسامنا الحرارة الطبيعية فانشرح صدر أحد جنودنا لهذا المنظر وأخذ ينشد بصوت رخيم نشيداً جميلا بنغم لطيف ، ولكنى لم أفهم من ألفاظه شيئاً ، انما طربت كل الطرب لتلحينه وترتيله وخلت نفسى فى حضرة محمد عبد الوهاب اليمنى ولما استقر بنا الجلوس بعد برهة وجيزة سألته : ماذا تنشد ؟ فقال كنت أنشد نشيدا خطر فى بالى لوقته فقلت اسمعنى شيئاً منه فقال :

بالله عليكم يا جبل مناخة ... عد حد يجد بعد الفراق راحة
غبنى على قلبى وكم حنينه ... يبقى زمانا ماعد يرى حبيبه

شاهدت بين هذه الوديان والآكام حقولا من الذرة البيضاء ويدعونها هنا (شامى) أو (رومى) نسبة الى الشام وبلاد الروم لأن أصلها من هذه البلاد . وكان شريط التلغراف ويقولون له باليمن (سلك) يسير الى جانب طريقنا وهو ممدود منذ عهد الدولة العثمانية ، ولكن حالته الحاضرة غير مرضية ولا فنية . فهو مربوط فى



احد المناظر الجبلية فى الطريق

بعض الأماكن الى أغصان الأشجار ومربوط فى بعضها الى عواميد ولـكنها خالية من الفناجين الخزفية التى تستعمل لهذه الغاية ، ولذلك كثيراً ما تتوقف المخابرات أيام هطول الأمطار .

سرنا على هذا المنوال بين الآكام والوديان نحو ساعتين ونصف الساعة ، الى أن وصلنا الى مقهاية ، وهنا توقفنا عن السير لتناول الطعام والاستراحة ، فنظرت الى الالتيمتر اى قائمة العلافوجدت اننا هبطنا الى علو ٥٠٠٠ قدم أى اننا كنا أوطى من مناخة بـ٢٣٣٠ قدما ، وكانت درجة الحرارة فى الساعة الواحدة بعد الظهر ٨٣ درجة فى ميزان فارنهيت بينما كانت فى مناخة فى مثل هذا الوقت من اليوم الماضى ٧٠ فارنهيت .

يصبغون بالنيل وجوههم

استرحنا من وعثاء السفر قليلاً ، ثم سرنا الى (مفحق) على طريق غير معبدة ، بين وديان وهضاب كثيرة ، ولم تتغير طبيعة الارض ولا طبيعة النباتات تغيراً يذكر انما صرنا نرى هنا فى هذه النواحى عدداً عظيما من الغنم والماعز والجمال ، والجمال كالزراف تأكل أوراق الاشجار قبل الأعشاب ! أما الأراضى فهى خلو من القرى الكبيرة العامرة ، وأصحابها يقطنون فى بيوت صغيرة كبيوت البدو الرحل متفرقة بين الأشجار ، يكاد المرء لا يراها لصغر حجمها وتواريها عن الانظار !

وهذه الأراضى تابعة لناحية الحيمة ويغرس فى أرض الحيمة خلاف الذرة ، العدس والشعير والحنطة ، ويغرس فى ودیانها الشمالية شیء كثير من البن والقات والموز والمنكو ويقال للمكان الذى يقطنه عامل الحيمة مفحق وهو حصن قائم على أكمة عالية فى أسفلها بعض الدور اتخذها العامل مكتباً له وخصص واحدة منها للمسافرين النازلين فى ضيافة الامام وقد قضينا ليلتنا فيها ولـكن لم يذق جفننا طعم الـكرى لان جيوشاً من البق (الاكلان) والنمل الأحمر هاجمتنا هجوم المستميت .

وتصلح مفحق أن تكون مشتى أيام البرد لان درجة حرارتها فى الليل والنهار معتدلة وليس كما قال عنها الاستاذ الريحانى فى كتابه قبو اليمن وجحيمه ومقره لان

ارتفاعها عن سطح البحر ٥٥٣٠ قدماً ودرجة الحرارة فيها بلغت بعد الظهر ٧٧ فارنهيت

قمنا من مفحق نحو الساعة السابعة صباحاً وكانت وجهتنا قرية متنة فسرنا صعودا نحو ساعتين على طريق معبدة بين الجبال والوديان كانت الحكومة العثمانية عبدتها لسحب المدافع ونقل الجنود الا انها بسبب الثورات المتواصلة لم تتمكن من انجازها وهى الآن مخربة من جرف السيول والأمطار ، وبعد مسير ساعتين ونصف ساعة من مفحق وصلنا الى قرية الخميس وهى قرية صغيرة فيها بعض المقاهى للمسافرين وكانت قبلا مركزاً لعامل الحيمة الا أن العامل انتقل منها أخيراً الى مفحق بأمر جلالة الامام لأهمية مفحق من جهة واردات الدولة

لم نقف بالخميس طويلا اذ كان الصباح جميلا والهواء عليلا فشعرنا بنشاط شديد ساعدنا على مداومة السير وكان يقابلنا بين حين وآخر على الطريق بعض المسافرين من الاشراف أى السادة فكانت تفوح علينا منهم رائحة عطرية جميلة بخلاف العامة من الناس الذين كانوا يمرون بنا فتهب علينا منهم رائحة ثيابهم المنيلة الزرقاء التى نستعملها نحن لتنيل البياضات الداخلية لتنيل أثوابهم القطنية الخارجية ولكنهم ينيلونها الى حد عظيم فتصبح زرقاء غامقة الزرقة كما أنهم ينيلون وجوههم وأيديهم وجسدهم بهذه النيلة أيضاً .

وسألت بعض الناس لماذا تنيلون ثيابكم وأجسادكم على هذه الصورة ! فقالوا ان بلادنا باردة جداً والبرد يضر بنا كثيرا وقد وجدنا بعد التجربة ان أفضل طريقة يحفظ فيها الانسان نفسه من البرد هى تنييل الثياب والأجساد . فاقتنعت بهذا الجواب المنطق !!! قائلا فى نفسى لاحول ولا قوة الا بالله ، والفرق بين ألبسة السادة والعامة عظيم جدا كالفرق بين ألبسة الأغنياء والفقراء فى سائر البلاد فالسادة عدا الصايات الحريرية التى يرفلون فيها يلبسون الاصواف الجميلة والاجواخ الغالية فى البلاد الباردة وعامة الشعب فى البلاد الباردة يلبسون الديما وفوقها جلود الاغنام وما أشبه

كانت طبيعة الاراضى والمزروعات بين (مفحق) والخميس كطبيعة مارأينا قبل من الأراضى والمزروعات وعلاوة عليها شاهدنا أنواعا مختلفة من الصبير ، ومن الخميس

ابتدأت الطريق تصعد بنا صعودا كبيرا ويمكن أن يقال عنها انها معبدة جزئياً وكانت تسير على رؤوس التلال وأطراف الجبال بشكل لولبي ودمنا على هذه الحال برهة من الزمان أى الى أن بلغنا قمة جبل الخميس أو (جبل بوعان) ويقال لها القرن وعلوها عن سطح البحر ١٠،٠٠٠ قدم وكانت درجة الحرارة هنا وقت الظهر ٦٧ فارنهيت وأعلى



اثنان من السادة على خيولهما

قرية فى هذا الجبل تدعى بيت السلامة وعدد سكانها نحو مائتين ومنازلها نحو ثلاثين منزلا جميعها مبنية بالحجر على شكل الحصون وقفنا بالقرب من هـذه القرية وسرحنا البصر الى جهة الغرب فرأينا على الافق البعيد قرية مناخه تتلألأ منازلها فوق رؤوس الجبال كالنجوم فى السماء وبيننا وبينها من الوديان والجبال والآكام مالا يعد ولا يحصى فـكأننا أمام بحر زاخر من اليابسة لايدرك الإنسان أوله من آخره . أمواجه الآكام والتلال وسطحه السهول والوديان ، وفوق هـذه الامواج شـيدت معاقل المكارمة وحصونهم وفى أعلى رؤوس تلك الجبال منازل الزيود وقلاعهم وجميعها تشبه ببياضهـا السفن الشراعية من ماخرات البحار

وهنا شهدت منظرا فى الجبال لم أر مثله فى بلاد الشام وذلك من حيث عظمة

هذه الجبال وكثرتها واختلاط بعضها ببعض اختلاط الحابل بالنابل وكأنى بأعظم وديان الشام وجبالها لاتساوى نقطة من هذا البحر الخضم ولا ذرة من ذراته

والفرق بين هذه وتلك شاسع من حيث حرارة الشمس . فشمس اليمن فى جميع فصول السنة وفى أعالى الجبال شديدة محرقة بينما هى فى جبال الشام لطيفة دافئة وبديهى أن سبب ذلك عائد الى قرب بلاد اليمن من خط الاستواء وبعد الشام عن هذا الخط

الفحم الحجرى والخط الحديدى

سرحنا البصر الى الجهة الشرقية التى نسير نحوها فرأينا قمة فى جبل سنان باشا تناطح السحاب والى الجنوب رأينا سلاسل عظيمة من جبال بنى مضر وبينما نحن منهمكون فى مشاهدة هذه المناظر البديعة اذا بأحد جنودنا يتقدم منا ويقول انظروا الى هذا التل الاسود اللامع هو من الفحم الحجرى . فاتجهنا بأبصارنا نحوه فرأيناه اسود يلمع لمعاناً يسترعى الانظار وذلك لشدة سواده وانعكاس النور عنه فسرنا اليه فاذا به تل حجرى بركانى من نوع «ابسديون» فقلنا للجندى ومن أخبرك أن هذا فحم حجرى ؟ فقال كنت أيام الترك جنديا فى الجيش العثمانى وقد رافقت بعض المهندسين الغرباء الذين جلبهم الترك لهندسة طريق السكة الحديدية المزمع بناؤه وقتئذ وقد قال لنا أحدهم ان هذا التل من الفحم الحجرى واذا حفرتم الى عمق يخرج لكم نوع أفضل من النوع الذى على سطح الارض فضحكنا من جهل هذا المهندس وقلنا للجندى ولمن حولنا من الناس الذين تجمعوا ليشاهدوا الغرباء لكى نقنعهم أن هذا الصخر ليس فحما : اجلبوا لنا شيئاً منه واضرموا ناراً، فأتوا بقطعة منه وأضرموا ناراً حامية فطرحنا تلك القطعة فى النار وبطبيعة الحال لم تحترق ولا فعلت بها ألسنة اللهيب شيئاً . ولما خمدت النار وردت القطعة الحجرية أخذها الجندى بيده فوجدها كما هى فقلنا له شمها فشمها فلم يجد أثرا لرائحة الفحم فيها وقد أخذ العجب من جميع الناس وصاروا ينظرون بعضهم الى بعض مستهزئين . فسألناهم (وكان معظمهم من سكان قرية بيت السلامة)

أحقيقة قال المهندسون الاجانب الذين جلبهم الترك ان هذا التل من الفحم الحجرى؟ فأجاب بعضهم انهم كانوا بأنفسهم يرافقون بعثة المهندسين بصفتهم من أهل الخبرة بتلك الاراضي ليرشدوهم الى جميع الطرقات وأكدوا لنا أن المهندسين قالوا هذا القول مرارا .
ومما يوجب الاستغراب ان هؤلاء المهندسين لما أتوا الى اليمن لمد خط حديدى من الحديدة الى صنعاء أخطأوا كثيرا فى اجزاء من الطريق التى كانوا يتعقبونها ودليلنا على ذلك انهم أرادوا أن يصعدوا بهذا الخط الى علو ١٠٠٠٠ قدم فى قمة جبل القرن ثم يهبطوا الى صنعاء لعلو ٧٥٠٠ قدم وهم فى غنى عن هذا الصعود لو أرادوا أن يتجنبوه وينحرفوا الى طريق ثانية غير هذه الطريق وقد اكتشف الطريق الثانية القاضي محمد راغب وزير خارجية اليمن وبعض المهندسين الاميركيين الذين أرسلهم شارلس كرين الى اليمن على نفقته ليساعدوا الامام فى بعض المشروعات العمرانية

والخطيئة الثانية التى ارتكبتها الدولة العثمانية ومهندسوها الغرباء وربما تعمدوا ذلك تعمداً لكى يستولوا على جزء من مالية اليمن بصفة الضمانة الكيلومترية كما حدث ويحدث فى كثير من الخطوط الحديدية الخاضعة لهذا الترتيب فى سورية وغيرها من بلاد العالم هى فكرة مدهم خطاً حديدياً الى صنعاء فمن البديهى أن الخط الحديدى فى هذه الجبال الوعرة الشاهقة التى لا يعرف لها أول من آخر يحتاج الى رأس مال كبير لبنائه ومتى تم بناؤه فانه يحتاج الى نفقات باهظة للمحافظة عليه ولتسديد مرتبات الموظفين وهو أبداً معرض للخطر لكثرة السيول فى الجبال أيام المطر ومن عرف اليمن وعرف مقدار الصادرات والواردات التى يمكن شحنها على هذا الخط يدرك أنه من المستحيل عليه أن يسدد نفقاته . لذلك فمن الجهل أن يفكر أحد فى الوقت الحاضر فى مد خط حديدى كهذا فى الجبال . وأما فى تهامة أى ما بين الحديدة والحجيلة وبيت الفقيه والزيدية وغيرها فبالامكان أن تبنى الخطوط الحديدية بنفقات بسيطة ولا تكون عرضة للأخطار ولذلك اقترح المهندسون الاميركيون الذين أوفدهم المستر كرين الى اليمن على الامام أن لا يقوم بهذا المشروع وأن يكتفى فى الوقت الحاضر بتعبيد طريق تصلح لسير السيارات فقط ، وقد أصغى جلالته الى هذه النصيحة وعمل بها وكاف أحد

هؤلاء المهندسين أن يتولى كشف طريق صالحة للسيارات وقد وفق هـذا المهندس المدعو المستر توتشل فى هذه المهمة وخطط طريقاً من صنعاء الى حجة الى الحديدة وقد أتم جلالة الامام تعبيد هـذه الطريق وأصبحت اليوم صالحة لسير السيارات ونقـل البضائع وأخبرنى أحـد القادمين من اليمن حـديثاً بأن السيارات فى الوقت الحاضر صارت تروح وتغـدو عن هـذه الطريق بصورة مستمرة وقد ازداد عددها فصارت بالعشرات بينما كانت تعد بالآحاد قبل بضع سنوات

سوق بوعان

هبطنا من بيت السلامة فى واد ضيق ثم فى نقيل يقال له نقيل (بوعان) الى أن وصلنا الى بعض المقاهى وسوق كبيرة يقال لها سوق (بوعان) وهى تتألف من عدة أزقة ضيقة بنى فيها الأهلون (عششاً) حقيرة من الحجارة والطين لانوافذ لها ولاأبواب ولاسقوف ويأتى اليها الناس كل أسبوع مرة أى كل يوم خميس ويجلبون معهم بضائع مختلفة فيبيعونها هناك ويشترك فى هذه السوق سكان القرى القريبة والبعيدة وقدرأيت البعض قد أتوا اليها من بلاد سنحان وخولان أى من مسافة ثلاثة ايام وشاهدت فيها معروضاً للبضائع المختلفـة التى يحتاج اليها الاهلون من قشر بن وحنطة وشعير وعدس وخردوات وبترول وأقمشة مختلفـة وحيوانات بانواعها وتبغ وتنباك الى غير ذلك من الاشياء وكانت تعج بالناس عجيـجاً ، ومن ألطف ما رأيت ان أهل القرى القريبـة يأتون إلى هذه السوق ويبتاعون زيتا فى كل أسبوع مرة ويحملونه فى أباريق مصنوعة من التنك لا يزيد حجم الواحد منها على حجم زجاجة صغيرة تسع مائة غرام وهذه الكمية تكفى احدهم أسبوعا كاملا وهم يشعلون البترول للتنوير فى مصابيح صغيرة مصنوعة من الصفيح (ضواية) ويستعملون للغاية نفسها زيت الزيتون فيشعلونه فى مصابيح مصنوعة من حجر المرمر . وفى البيع والشراء يستعملون النقود أو يستعملون (الحاجيات) بعينها ولأول مرة فى حياتى شاهدت هذه القاعدة الاقتصادية الأوليـة تطبق بحذافيرها كما يصفونها فى كتب الاقتصاد ، أى قاعدة (المقايضة) فيأتى الفلاح إلى السوق مثلا وهو

لا يملك غير شوال من الحنطة فيأخذ بهذا الشوال كازاً وبنا أو خاما إلى غير ذلك من لوازمه من دون أن يستعمل النقود

انواع البن

والى جنوب بوعان تقع بلاد بنى مضر وهى مشهورة بجودة بنها ويقال له : (الصافى) وهوأفضل أنواع البن فى اليمن ثم يليه البن الحيمى — من الحيمة — فالبرعى من جبل برع فالريمى من بلاد ريما . وقد شاهدت شجر البن ، وهو يشبه فى بعض الوجوه شجر الليمون وثمره أحمر اللون يشبه حب المرجان وعندما يتم نموه وينضج تماماً تجمعه النساء ويأخذنه الى دورهن فينشرنه على السطوح الى أن يجف ويصبح لونه أسود فيجرشنه بطواحين يدوية فتخرج منه القشرة السوداء ويبقى حب البن الصافى ، ويستعمل اليمانيون القشر لمشروبهم الخاص ولا يستعملون الحب أبداً ويقولون ان القشر مرطب ومفيد للجسم جداً ويغلون معه أحياناً حب الهال أو القرفة فى أباريق فخارية خاصة من صنع اليمن .

وأهم صادرات اليمن البن ، وكان قديماً يشحن الى البلاد الخارجية من ميناء المخا فاطلق عليه بعض الشعوب الغربية كالأميركيين مثلا اسم المخ ، أما اليوم فمعظمه يرسل إلى الحديدة أو إلى عدن من أعالى اليمن عن طريق البر ويسميه البعض البن العدنى لانه آت بطريق عدن ويوجد بالحديدة بعض التجار الاجانب كاخوان ليفراتو وهؤلاء يبتاعونه من الوطنيين وينظفونه وينقونه ثم يخلطون الانواع المختلفة بعضها ببعض ويرسلونها إلى الخارج من الحديدة وعدن ويتراوح ثمن الفراسلة فى الحديدة بين ٩ و١١ ريال أى بين الأربع والخمس ورقات سورية وتزن الفراسلة عشرة كيلو غرامات ونصفاً ويتلاعب هؤلاء التجار الأجانب بأثمان البن كما يشاءون وتشاء اطماعهم لانهم هم الواسطة الوحيدة التى يتمكن القرويون من بيع بنهم بواسطتها للخارج وذلك لان رأس مال التجار الوطنيين قليل ومعرفتهم بالعالم الخارجى وأسواقه محدودة

البلشفيك فى اليمن

ولكن ابى الله أن يستنزف هؤلاء التجار المحتكرون أموال الناس فسخر لليمن أخيراً الشركة التجارية الروسية التى أتت سنة ١٩٢٨ وأخذت تضارب تجار البن وغيرهم من التجار بشتى البضائع وقد رأيت سماسرتها فى الطريق يبتاعون البن رأساً من القرويين وقد جلبت شيئا من السلع المختلفة كالسكر والارز والدقيق والكاز والخشب والكبريت والاقمشة الى غير ذلك من البضائع الكثيرة واستولت على الأسواق التجارية وثبتت أثمان الحاجيات بعد ما كان التجار يتلاعبون بها كيفما شاءوا وقد كان لهذه الدعاية البلشفية أثر بعيد فى اليمن وقد أخذ بها معظم الناس وصاروا يمتدحون هذه الشركة ويثنون عليها أطيب الثناء وقد اهتمت الحكومة الروسية كثيراً بأمر اليمن وصارت تسير بواخرها من اوديسا فى البحر الاسود الى خليج فارس فى العجم تمر هذه البواخر بالبحر الأحمر وتقف بالحديدة فى ذهابها وايابها وتنقل البضائع والحجاج بأثمان بخسة لا تزاحم وقد ضربت بعملها هذا السفن التجارية الصغيرة التى تسير بين شواطئ البحر الأحمر ضربة قاضية لان أصحاب هذه السفن كانوا يستنزفون أموال التجار ويتقاضون منهم اجوراً غير معقولة لنقل بضائعهم ولا أكون مغاليا اذا قلت انهم يتناولون اجرة الطن من عدن الى الحديدة كما تتناول السفن الكبيرة اجرة الطن ما بين عدن ونيويورك ولذلك لما أتت هذه الشركة الروسية حول التجار نظرهم نحوها وانصرفوا عن غيرها ولا تأتى سفينة روسية الى الحديدة الا وهى ملأى بشتى البضائع والحاجيات وتعود من الحديدة ملأى بالجلود والبن .

سرنا من بوعان الى متنة على طريق معبدة يمكن فى الوقت الحاضر للسيارات أن تسير عليها الى صنعاء بسهولة تامة وكان الى جانبها سهل لا بل واد متسع تخترقه فى بعض المحال جداول صغيرة ويزرع فيه الشعير والحنطة والذرة ، وبعد مسيرة ساعتين تقريباً وصلنا «متنة» وهى قرية صغيرة لا يزيد عدد منازلها على الثلاثين وقد بنت الدولة العثمانية فيها ثكنتين ولكنهما تخربتا فى الوقت الحاضر من عدم الاعتناء بهما وكأنى



مسجد وسبيل ماء فى متنة

بالطبيعة قد أدركت أنه لم يبق لزوم لهما فى ظل حكم جـلالة الامام يحيى فمالت عليهما رياحها وأعاصيرها ومطرها وسيولها فجعلتهما أثراً بعد عين، والحق يقال انه لاحاجة للثكنات العسكرية ولا للمخافر فى ظل حكم صاحب الجلالة الامام لأنه بفضل حب الأهلين لجلالته وتعلقهم بعرشه وسدته لا يسمع الانسان اذا جاب البلاد من أقصاها الى أقصاها بحادثة سلب أو نهب أو قتل الا ما ندر ، والأمن مستتب فى كل ناحية من نواحى اليمن ويمكن للمرء كما يقولون أن يحمل الذهب ويسير بأمان واطمئنان أينما شاء دون أن يعترضه معترض أو يعتدى عليه معتد ، وقد سرت بنفسى مرة دون حرس أو جند من الحديدة الى صنعاء ومن صنعاء الى عدن واستغرقت هـذه الرحلة معى نحو عشرين يوما فلم أشهد ما يكدرنى أو يخيفنى . وطفت مرة فى شمالى صنعاء وشرقيها لوحدى و كنت أقابل أينما ذهبت بالحفاوة والاكرام وكان القوم يستأنسون بى ويسألوننى أشياء كثيرة عن العالم الخارجى وخاصة عن الترك وتركيا ومطفى كمال

الجندى اليمنى

وصلنا (متنة) مساء وكان البرد شديداً وليس ذلك غريباً لأن علو متنة ٩١٨٠ قدما

عن سطح البحر ، وأما جنودنا فلم يصلوا معنا لأنهم وقفوا فى الطريق لتناول الطعام والقشر والقات وذلك على الرغم من توصيتنا لهم بلزوم السرعة وعدم التوقف فى الطريق ، ولكن من البديهى أن كل يمانى مغرم بالقشر والقات حتى اذا ما حان وقتهما لا يلتفت لأمر ولا يصغى لنهى مهما يكن شأن الآمر أو الناهى ، وأما فيما



جندى يمانى فى بزته العسكرية

عدا ذلك فالجندى اليمنى مطيع جداً وهو صغير الجسم ، خفيف الحركة ، قليل الأكل صغير اليدين والرجلين ، يتحمل الأتعاب ، وينقل الأثقال من سلاح وعتاد دون أن ينبس ببنت شفة بل يسير كل يوم فى أثناء السفر عشر ساعات متواليات الى جانب الخيل أو البغال ولا تبدو عليه علامات التململ أو التذمر مهما تدم هذه الحال ولا يتناول وقت السفر من الطعام الا كمية قليلة ولا من الراحة الا قسطا يسيراً وقد فر ذات يوم فرس من خيلنا عقب وصولنا الى مكان معين بعد سفر سبع ساعات فما كان من ثلاثة من جنودنا الا أن أخذوا يعدون خلفه وظل الفرس يعدو وهم يعدون الى منتصف الليل وأخيراً تمكنوا من القبض عليه وجلبه الى (المقهاية) ثانية . وأما من جهة الشجاعة فحدث عن الجندى اليمنى ولا حرج فهو من أبسل جنود العالم اذا لم يكن أبسلهم ، وقد سمعت عن حروب الجندى اليمنى مع الترك من النوادر والحكايات ما يشيب لهوله الأطفال وأقل ما يقال ان الجندى اليمنى كان يهاجم الجيش التركى بالخناجر والشبارى والعصى ، وكان يتغلب على تلك الجيوش ويستولى على سلاحها وعتادها فى كثير من المعارك والاحوال . وهو يعتمد على هذه البسالة ويستعملها فى جميع حروبه .

واليمانيون أذكياء جداً بفطرتهم ويميلون إلى المزاح بطبيعتهم ويحبون النكات اللطيفة وجلهم خفيف الروح لا يمل الانسان معاشرتهم وكلهم أحرار فى مبادئهم مستقلون فى رأيهم لا يقيمون على الضيم ولا يرضون بالذل والخنوع فترى أصغرهم قدراً يأتى الى أرفعهم مقاماً من الأشراف والسادة ويقبل يديه أو ركبتيه أو طرف ثوبه حباً واحتراماً ثم يقول له وجهاً لوجه دون ما خوف أو وجل وفى كثير من الصراحة والجرأة : أريد هذا ، ولا أريد ذاك ، وهذا حقى وليس حقك ، وانى لن أتنازل عن حقى لك أو لسواك وإن أبيت فنحتكم إلى كلام الله فيجاوبه السيد المخاطب بلهجة لطيفة مؤيداً طلباته أو ناقداً لها باسلوب جميل والرفيع يحترم الوضيع احتراماً زائداً وما ذلك إلا لكبر نفس الوضيع وعدم اذعانه للذل والهوان وليس تقبيل الأيدى أو الركب أو الثوب بنقيصة عند اليمانيين بل هى عادة ألفوها منذ القديم أباً عن جد، ولكنهم

لا يقبلون الا أيادى السادة الشرفاء الذين يمتون الى الحسن والحسين بانسابهم وهؤلاء يبادلونهم تقبيل الأيدى عند التحية

لم نستطع أن ننام داخل المقهاية فى متنـة لكثرة البق الذى هاجمنا هجوما عنيفاً فالتجأنا الى السطح ونمنا نوماً هادئاً وكانت درجة الحرارة تحت الصفر فاضطررنا الى تغطية أنفسنا بجميع الأغطية الموجودة معنا والنوم بثيابنا. وفى الصباح نهضنا قبيل بزوغ الشمس فشعرت بنشاط زائد فنزلت الى المقهاية لأتفقد جنودنا وخدمنا فوجدتهم جميعاً نياماً وقد لفت نظرى غطاء بعضهم

النوم فى الاكياس

دنوت منهم فاذا هم نيام داخل اكياس مصنوعة من الخام وكل واحد منهم رابط كيسه فوق رأسـه ومدخل رأسه فيه . ناديت أحدهم ففك رباط كيسه وخرج منـه متأبطا بندقيتـه فقلت له ما هذا ؟ فقال هذا كيسى أنام فيه ليقينى من البرد ، فقلت الا تشعر داخله بانقباض فى صدرك ؟ وهلا تتضايق بالتنفس؟ فاجاب كلا انى أنام فيه مستريحا ولا يدخل البرد من هذا الـكيس فانظر اليـه ، فأخذته بيدى وتأملته فاذا هومصنوع من الخام السميك وخياطتـه قوية جداً . وجميع أهل الجبال فى اليمن على ما علمت يستعملون هذه الاكياس فينامون فيها بعد أن يخلعوا جميع ملابسهم . ولا اعلم ماذا يقول حضرات الأطباء فى تفسير عدم اختناقهم أو على الأقل عدم تسممهم من الغازات الـكربونية التى تفرزها أجسامهم لانه من البديهى ان الهواء لا يتجدد داخل هذه الاكياس لانهم يحكمون رباطها ويصنعونها من القماش الذى لا يمكن للهواء أن يدخل بين مسامه . خرجت من المقهاية فشاهدت خارجها مسجداً صغيراً وسبيل ماء وما أكثر هذه المساجد فى اليمن ! فأينما سار الانسان يجد سبل ماء أقيمت فى الطرقات ليرتوى منها المـارون والمسافرون ، ومساجـد بناها أناس من أهل الخير والاحسان ووقفوا عليها الأوقاف وأقاموا الأوصياء لينفقوا عليها من ريعها . وأجمـل مسجد رأيته فى الطريق هو مسجد «سنان باشا» وفيه بركة ماء كبيرة وثـكنة للجند، ويقال

ان فيه قبر النبى (شعيب) ، وقد سمى هذا المكان سنان باشا باسم أحـد الباشوات العثمانيين الذين أتوا الى اليمن وجامع سنان باشـا هو آخر مرحلة الى صنعاء .

أسماء الاشياء

سرنا من (متنة) بعد طلوع الشمس وكان الهواء بارداً جداً ودرجة الحرارة تحت الصفر ففضلنا المشى على الاقدام بدلا من الركوب لتنشيط الدورة الدموية

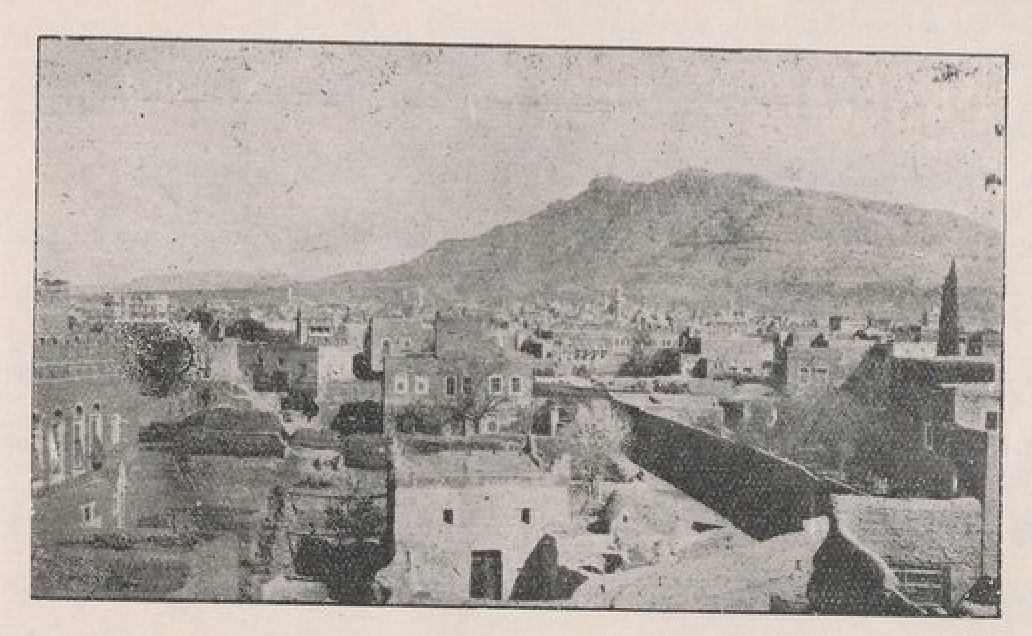
وكانت طريقنا تمر فى قلب الوادى المتسع «سهمان» وقد تخللها فى بعض الاماكن صعود وهبوط ، وما زلنا كذلك الى أن وصلنا قمة جبل عصر . وقد شاهدنا فى الطريق الزراع يبذرون حبوبهم فى الارض فسألت أحد جنودنا ماذا يزرعون ؟ فقال لى : بر ، فلم أدرك معنى البر فدفعنى حب الاستطلاع الى الذهاب الى أحد الزراع لرؤية مايزرع فـلم يبخل على المزارع بذلك وأعطانى شيئاً من حبـه فاذا هى حنطة بيضـاء . وهكذا كنت أصنع دائماً كى أعرف أسماء الأشـياء لأن هنالك اختلافاً عظيما بين لغتنا ولغة اليمن ، ولأول وهلة لا يمكن للشامى أن يفهم اليمنى ولـكنه بالتـدريج يتعلم الألفاظ الغريبة عنه فيصبح فى امكانه التفاهم مع اليمانيين ، والى القارىء الـكريم بعض الأمثلة فى اختلاف الالفاظ عندنا وعنـدهم : فهم يقولون للنقود (ظلط) وللحيوانات (قراش) وللبئر (بحر) وللحم (شركة) وللسكين (الجنبية) وللعمال (الشقاة) ولساقية الماء (الغيل) ولـكل من يتقن الكتابة والقراءة (قاضى) وللقاضى الشرعى (الحاكم الشرعى) وللاقمشة (البز) الخ

سلام عليك ياصنعاء يامقر الخلافة !

جبل عصر أو السنينة

وقفنا على قمة جبل «عصر» برهة من الزمان ، ومن هنا رأينا صنعاء تحتنا تمتد فى سهل واسع وتحيط بها الجبال من كل حدب وصوب على ابعاد مختلفة ، وكان الوقت قبل الظهر وقد أرسلت الشمس أشعتها الذهبية على منازل المدينة القديمة وجوامعهـا

وما آذنها فبدت آية من آيات الجمال وانعكست تلك الأنوار على جدرانها البيضاء وزجاج نوافذها الملون فزادتها جمالا على جمال ، وكم وددت لو كنت رساماً لأرسم هذه الصورة بالألوان .. وأ كثر مايسترعى الانظار فى صنعاء عن بعد ما آذنها الكثيرة المختلفة الألوان والاشكال والارتفاع



منظر جانب من مدينة صنعاء

ولما وصل جنودنا الى قمة الجبل ورأوا صنعاء نادوا بلسان واحد «السلام عليكم ورحمة الله ، السلام عليكم ورحمة الله ! .» فناديت أيضاً معهم «السلام عليكم ورحمة الله» دون أن أدرك السر فى ذلك ولكن بعد هنيهة سألت أحد الجنود على من تسلمون ؟ فقال : ألا تعلم أن صنعاء هى دار الخلافة ومقر الحضرة الشريفة ؟ فأجبت نعم ، الحق معك ، وسلمت للمرة الثانية عن علم «السلام عليكم ورحمة الله السلام عليكم ورحمة الله»

بعدما أدركت هذه الحقيقة اللطيفة سررت غاية السرور وتناثرت دموع الفرح من عينى وغبطت الجندى اليمنى ، لا بل راعى البقر فى اليمن ، لأن له خليفة يفتخر به ولأنه يملك الحرية والاستقلال ويعلم أن هذه الجبال والوديان والسماء والماء والاشجار والهواء هى ملكه ووطنه لايزاحمه فيها مزاحم ولاينازعه عليها منازع !

هنيئاً لك أيها اليمنى السعيد ! السعيد بحريته والسعيد بخلافته والسعيد ببذله مهجته فى المحافظة على أمته ووطنه

بورك فيك ياأمير المؤمنين وياحفيد الرسول الأمين يامن ضحيت منذ نعومة اظفارك براحتك وجسدك وقاتلت قتال المستميت حتى حررت شعبك من نير الاستعباد والاستعمار .

بهذه العبارة المؤثرة ختمت مذكراتى فى ذلك اليوم وكانت نفسى تذوب شوقا إلى رؤية الشام وأهل الشام !!

هبطنا من جبل عصر على طريق لولبية كان الترك قد عبدوها قديما لنقل المدافع . ففضلت المشى على الركوب تجنباً لكثرة دورانها فتركت بغلتى وسرت رويداً رويداً على الأقدام

العرب يغارون على الشام

حديث الرجل الغسانى

جاءنى رجل مرتد فروة من جلد الغنم ومئزراً من الديما وقفطاناً منيلا وقال : السلام عليكم : فأجبته وعليكم السلام والرحمة والاكرام : فقال هل أنتم آتون من بلاد مدخل ؟ فقلت لا نحن لسنا آتين من داخل اليمن بل آتون من خارجها ونحن غرباء عن هذه البلاد. فقال نعم أعلم من هيئتكم بأنكم من بلاد مدخل أى من خارج اليمن ولكن أين بلادكم ؟ فقلت هل تسمع بالشام فنحن من الشام ، فقال نعم أسمع بالشام وأصلنا نحن أيضاً من الشام من بنى غسان جاء جدودنا قديماً الى اليمن واستوطنوا بلاد خولان وكنا أيام الدولة العثمانية براحة واطمئنان عاصين عليها فلا ندفع لها عشوراً « أى عشر » ولا ضرائب لأن الترك كانوا ضعفاء لا يقوون على تحصيل شىء من القبائل الابالقوة واخراج الجيوش الجرارة والحملات وهذا العمل كان متعذراً فى أغلب الأحيان وكنا قبل خروج الحملات نعلم بها فنرحل عن مضاربنا ريثما تمر الحملة فنعود ثانية وأما الآن فقد تبدلت الأرض ومن عليها والله يحفظ الامام انه استولى على البلاد والعباد وضرب أهل الشرق بأهل الغرب وأهل الشمال بأهل الجنوب وأخذ من الجميع

الرهـائن وأخضعهم لسلطـانه فأصبحوا لامره طائعين ولجميـع مايريد من الضرائب والتـكاليف دافعين . فقلت وهل تحبون الامام أم تفضلون الدولة العثمانية عليه ؟

فأجاب أي والله نحبه ولا نحب أحـداً غيره لانه بعكس الدولة قوي وقادر أن يأخـذ لناحقنا من شيوخنا اذا ساورتهم أنفسهم بالتعـدي علينـا والضعيف والقوي والغني والفقير عنده بسع بعض (أي بعضهم مثل بعض) فهو لا يفضل واحدامن أجل ماله وجاهه أو حسبه ونسبه على الآخر بل يسمع شكاية المظلوم ولايهاب الظـالم بل يجازيه ويسجنه ويقفه عند حده مهما كان شأنه . فسألته وكيف حالـكم مـع الجند والعمال ؟ فأجاب : لاشغل للجند معنا مادمنا ندفع ما علينا ولا نخـالف شريعتنا واما العمال فأحيانا يظلموننا ويأخـذون منا زيادة عن حق بيت المـال ولـكن الله يحفظ الامام فـكل من يشكو امره له ينصفه حتى من العمال انفسهم .

ثم سألني هو بدوره عن بلادي الشام وعن بعدها عن اليمن وعن الترك ، وهل نحن مسرورون بحكمهم أم لا ؟ ولما قلت له ان الترك قد رحلوا عن الشام بعدما رحلوا عن اليمن وان الفرنسويين استولواعلى الشام والانـكليز على القدس غضب وقال: لاحول ولا قوة الا بالله ! .

ثم قلت له : ولـكن السوريين ثاروا على الفرنسويين وحاربوهم نحوسنتين ،فبدت على اسارير وجهه علامات الفرح والسرور . ولـكن لمـا قلت له ان الشوام غلبوا في النهاية على أمرهم وخضعوا للقوة غضب واحتد وقال : « الله اكـبر الله اكـبر ! اين المسلمون في الدنيا ؟! بلاد الشام مقدسة ، وفيها القدس ثالث الحرمين الشريفين : لماذا لم يأتوا ويخلصوا القدس والشام ويحاربوا معكم ؟ والله احنا أي نحن نروح ونجاهـد من أجل المسلمين في آخر الدنيا روحي فدا المسلمين وفدا الشام والقـدس فقلت القدس بيد الانكليز والانكليز جيرانكم واصحابكم في عدن. فقال لا والله الذي يأخـذ بلادنا ماهو بصاحبنا والجهاد فيه لازم . . وأردف بكلام كثير كله غيرة وحمية ، ولا يسعني ذكره الآن لاسباب بديهية .. انما يمكنني القـول بان معظم أهل اليمن من زيود وشوافـع يغارون على اخوانهم المسلمين في جميع المعمورة غيرة دينية صحيحة ويرغبون

كثيراً فى سماع أخبارهم والاستفسار عن أحوالهم وقد سمعت من بعضهم اقوالا أشد حماسة من أقوال صاحبنا الغسانى هذامن جهة عامة الناس غير المسؤلين عن السياسة وأما من جهة الخاصة وجهة المسؤلين عن سياسة الدولة فجميعهم أيضاً يشعرون نفس الشعور ويظهرون عين الميل ولكنهم لبعدهم عن البلاد الاسلامية ولعدم وجود الدعاية الكافية لتوحيد كلمة العرب وعدم معرفتهم بشؤون العرب معرفة صحيحة يميلون الى سياسة العزلة والانفراد

النساء القرويات والنساء المدنيات

وفى أثناء الطريق كان يمر بنا كثير من النساء القرويات ذاهبات بمفردهن أو مع رجالهن الى الحقول والجبال لقضاء الاعمال المختلفة، والنساء القرويات فى اليمن كغيرهن من نساء القرى فى جزيرة العرب يقمن بمعظم أعمال الرجال من زراعة وحراثة ونقل وذهاب الى الاسواق لبيع الحاصلات وجلب البن وتقشيره الى غير ذلك من الاعمال الخشنة وعلاوة على مشاركتهن للرجال فى هذه الاعمال فانهن يقمن باعمال منزلهن خير قيام ويعنين بتربية أطفالهن وقد لاحظت أنهن نشيطات جداً على العمل ويشتغلن ليل نهار دون كلل أو ملل ولا يتناولن من الراحة الا قسطاً يسيراً

ويميل لون النساء فى الجبال الى السمرة وفى السهول الى الصفرة وهذا خلاف مايتبادر الى ذهن الانسان فى مثل هذه الاحوال لان النساء فى الجبال عادة يميل لونهن الى البياض والحمرة ولكن حرارة شمس اليمن تغير الألوان وتحرق الاجسام، ومن اللطيف فى بعض نساء اليمن انهن يزدن فى سوادهن او صفارهن سواداً أو صفاراً بوضع الاخضبة والادهان على وجوههن وأذرعهن وهن يعتبرن ان الجمال (التواليت) بالسمار والصفار كما يعتبر نساء الغرب ان الجمال (التواليت) فى الحمرة والبياض . وتختلف ازياء نساء اليمن اختلافا بيناً لم أر مثله فى جزيرة العرب فبينما يشاهد الانسان نساء قبائل تهامة نصف عاريات يرى نساء صنعاء متحجبات من أعلى الرأس الى أخمص القدم بشكل لا يمكن معه للمرء ان يرى من تركيب أجسامهن شيئاً حتى ولا يقدر أن يفرق

بين ظهورهن ووجوههن الا من حركة سيرهن اذا كن مقبلات أومدبرات . ويكثر نساء اليمن من التزين بالحلى المختلفـة وعندهن حلى للرأس وللعنـق وللأذن وللانف وللمعصم وللزند وللكاحل وللصدر وبالاختصار لجميع أعضاء الجسم . وقد رأيت كثيراً منهن يلبسن أثوابا بـلا اكمام ولا تختلف عن عادة (موضة) سيدات بلادنا كثيراً ، ويلبسن فوق زنودهن الأساور الضخمـة المصنوعة من الفضة ومعظم الحلى مصنوعة من الفضـة ويقولون لها (مخلص) وبعضـها مطلى بالذهب وبعضها من الذهب الخالص وتختلف أسماؤها عندهم عن اسمائها عندنا ، ويقوم بصناعتها اليهود ويتقنونها اتقانا بديعا وقد نقلوا عن رسوم الحلى التركية رسوما متعددة فجاءت نادرة الجمال

ومن المشهور عن سيدات اليمن شـدة عفافهن وتمسكهن بدينهن والقيام بجميع فروضهن واطاعتهن لازواجهن ولذويهن بالرغم من ضغط هؤلاء عليهن ضغطا شديدا ويكثر الرجال فى اليمن من الزواج وقلما يجد الانسان رجلاً متزوجا بأقل من زوجين أو ثلاثة وكثيرا ما يطلق الزوج زوجاته ويتزوج من غيرهن ، وربما بلغ عدد زوجات بعضهم من مطلقات وغير مطلقات الثمانية أو العشرة أو اكثر ، وقد روى لى أحدهم عن نفسه أنه تزوج من تسع زوجات طلق منهن ستا وبقى عنـده ثلاث وقد رزقه الله من جميع زوجاته ٢٥ ولدا مات منهم ١٦ وبقى عنده تسعة . فسألته وكيف كان بامكانه أن يعدل بينهن فقال ان الامر سهل جدا لان النساء فى اليمن قد ألفن تعدد الزوجات فـلا تجد الغيرة اليهن سبيلا ولا يؤآخذن رجالهن على الزواج ولا يلمنهم ويعيش غالبا زوجات الرجل فى منزل واحد دون أن يحدث بينهن شجار أو خصام

امام اليمن يعطف على المرأة

لم تهتم الدولة العثمانية بتعليم نساء اليمن وتثقيفهن — شأنها فى جميع البلاد العربية التى كانت تحت حكمها — وندر أن يجد الانسان فى اليمن امرأة متعلمة ، وأظن ان هذا الاهمال كان من حسن حظ الرجال .. فلا يتنازع الرجل هناك مع المرأة كما يتنازع معها فى البلاد الراقية ! ولـكن يظهر أن الامام لم يكن راضياً عن هذا الاهمال ولذلك

أعار النساء شيئاً من عنايته، فقد شاهدت فى صنعاء وغيرها من المدن الكبيرة كتاتيب أى مدارس تأتى اليها البنات ليدرسن القراءة والكتابة وشيئاً من العلوم الدينية.

ومن ألطف ما سمعت عن نساء اليمن فى جهة نجران أنهن يرقصن مع الرجال أزواجاً أزواجاً على نغمات الرباب وضرب الدفوف رقصاً يشبه (فوكس تروت) و (الفالس) وقد الفن هذه العادة من أجيال عديدة، ويشارك بعض نساء اليمن رجالهن فى شرب القشر و (تخزين) القات

وصلنا الى الى أسفل جبل عصر بعد هبوط دام نحو ساعة من الزمان فالتفت الى الوراء واذا بالجبل يبدو أسود قاتماً فوق السحاب، وهو جبل بركانى يأخذ منه أهل صنعاء حجارتهم السوداء التى يستعملونها فى بناء دورهم، والمشهور عن أحجار هذا الجبل أنها صلبة جداً.

طبقات الارض

ويجدر بنا قبل أن ندخل بالقارئ الكريم الى صنعاء أن نلتفت الى خلفنا حتى الحديدة، ونبين طبيعة الأراضى التى اجتزناها من حيث الجيولوجيا والمراحل التى قطعناها من حيث الوقت فنقول:

من الحديدة الى باجل مرحلة يوم كامل على البغال وأرضها سهول رملية يقال لها بالانكليزية (سيديمنترى) فيها شىء كثير من المتحجرات.

من باجل الى الحجيلة أرض رملية وكلسية وفيها شىء من المتحجرات وهى مرحلة يوم واحد على البغال.

من الحجيلة الى مناخة مرحلة يوم واحد فى جبال وعرة لا طريق فيها وكلها بركانية

من مناخة الى مفحق مرحلة يوم كامل فى وديان وجبال بركانية.

من مفحق الى متنة مرحلة يوم كامل فى جبال ووديان بركانية.

من متنة الى أبواب صنعاء مرحلة نصف يوم تقريباً فى جبال بركانية ووديان متسعة خصبة.

وقد شاهدت فى بعض الأماكن على طول الطريق بين الحجيلة وصنعاء نوعاً من الصخور التى يقال لها (كونكلامرت) (Conglamerete) وهى كناية عن أحجار بركانية صغيرة التصق بعضها ببعض بالتراب والطين بفعل المياه والسيول وهذه تشير الى كثرة المياه التى مرت فيها .

وشاهدنا أيضاً فى بعض الأماكن تبر الحديد ويقال له (Hematitie) وشاهدنا فى أسفل جبل مناخة نوعاً من الأحجار ويقال له (Rhigolite) وهو مائل الى الخضرة وفى أحيان كثيرة يوجد النحاس الى جانبه ولكننا مع الأسف لم نجده ههنا ويقول الناس ويذكر بعض المؤرخين انه يوجد باليمن معادن كثيرة وأما نحن فلم نشاهد شيئاً بطريق الحديدة وصنعاء ولكننا وجدنا بعض المعادن الثمينة بعد وصولنا الى صنعاء وسنأتى على ذكرها فيما بعد .

سهل عصر

من أسفل جبل عصر امتطينا بغالنا وسارت الطريق فى سهل متسع يقال له سهل عصر ومررنا فى منتصفه تقريبا بقرية صغيرة فيها سبيل ماء ومسجد بناهما الى جانب الطريق أحد أصحاب الخير لراحة المسافرين . وهنا وقفنا قليلا فسقينا بغالنا وشربنا وسرحنا نظرنا فى هذا السهل الواسع الذى يظهر من لون تربته ونعومتها وعمقها انها خصبة و لكنى رأيت معظم هذا السهل بوراً لا زرع فيه فأخذنى العجب لهذا الأمر لأن أهل اليمن وخصوصاً سكان الجبال نشيطون ويحبون العمل وقد رأيناهم فى الطريق كما يذكر القارىء الكريم قد حولوا الجبال الى حقول مغروسة فما بالهم قد أهملوا هذا السهل الخصب الواسع؟ هذا سؤال كان يدور فى خلدى عندما مررت بهذا السهل وقد وجهته الى واحد من الناس الذين كانوا يرافقوننا فى الطريق فقال لى ان البحر هنا بعيد واخراج الماء منه متعسر ، فلم أفهم شيئاً من هذا التصريح ، وبعد أخذ ورد وسؤال وجواب علمت أن البحر معناه نبع الماء فى داخل الجب أى البئر وبعيد أى عميق . وبعبارة أوضح قال اننا لو اردنا أن نحفر آبارا فى هذا السهل لعز علينا ذلك أولا لأن البئر ستكون عميقة جداً وثانياً لان اخراج الماء منها سيكون صعباً ومتعباً

للغاية وقد تحققت فيما بعد صحة قول هذا الرجل بنفسي فقست عمق أول بئر رأيتها في هذا السهل فوجدت عمقها مائة قدم ونيف أي ٣٥ متراً وبما أن وسائط استخراج الماء بالآلات الرافعة من أعماق سحيقة غير متوفرة في اليمن لذلك اكتفى اليمانيون في مثل هذه الاحوال بغرس هذا السهل وغيره من السهول التي على شاكلته أيام المطر فقط أي اكتفوا بالزراعة البعلية كما هي الحال عندنا في جبل الدروز وحوران

ويوجد في أطراف هذا السهل الممتد الى شمال صنعاء وفي صنعاء نفسها كثير من المزروعات والحدائق الغناء فيها من كل فاكهة زوجان ويوجد في شمالي هذا السهل نوع من أنواع الشجر غير المثمر ويقال له الاثل وينمو هنا بكثرة عجيبة ويستعملونه للوقود ولكنه شجر صغير الحجم لا ينمو كثيراً ولا يفي بالمراد ويوجد في هذه الجهة ماء كثير وقريب من سطح الأرض ولو أنهم غرسوا عوضاً عن الأثل أنواعاً جيدة من الأدواح والاشجار الضخمة في هذه الجهات كاليكاليبتوس مثلا لكان لهم منه فائدتان الاولى حطب الوقود والثانية خشب البناء وفي الحق أنهم في صنعاء بحاجة ماسة الى خشب البناء الذي يكاد يكون مفقوداً بالمرة ويجلبونه اليها من مسافات بعيدة وقد شاهدت في صنعاء بعض شجر اليكاليبتوس كان الترك قديما قد غرسوه في المستشفى العسكري وفي مكتب الصناعات وفي بعض الدور ولذلك فانا متيقن بان هذا الشجر ينمو نموا جيداً في صنعاء وضواحيها . تابعنا السير في هذا السهل الواسع الى أن وصلنا نحو العصر الى أحد أبواب صنعاء المسمى « باب قاع اليهود » وسمي بذلك لأنه قائم في آخر السهل الممتد الى حي اليهود وهنا وافانا شرطي فكتب أسماءنا وأخذ سلاح جنودنا لأنه لا يسمح لغير جنود صنعاء وحرسها أن يحملوا سلاحاً داخل المدينة ، وسألنا الشرطي بعد كتابة أسمائنا : هل أنتم قادمون من مدخل (أي من خارج اليمن) ضيوفا على مولانا الامام ؟ فأجبناه بالايجاب فقال على الرحب والسعة هيا تفضلوا

أبواب صنعاء وسورها

ولصنعاء ستة أبواب وسور يحيط بها من جميع أطرافها وتدعى هذه الابواب باب

البلقة فباب الشقاديف فباب اليمن أو عدن فباب شعوب فباب خزيمة فباب الروم وأجمل هذه الابواب واتقنها صنعاً وأكثرها عرضاً وترتيباً باب عدن وأما ، سورها فمبنى من جدران غليظة معمولة من الطين واللبن (أى الآجر غير المشوى) ويوجد فى هذا السور على ابعادمتناسبة بروج (كركونات) خاصة بالجنود الموكول اليهم حراسة البلد وهذه البروج قائمة على مسافات هندسية متساوية من الابواب وفيها رمايات كرمايات المنجنيق وأماكن خاصة للمراقبين يقف فيها الحراس ليل نهار ولهم فى الليل نظام خاص يتأكدون بواسطته من تيقظهم وانتباههم وذلك بواسطة الصياح بعضهم على بعض وترديد بعض العبارات المعروفة عندهم والتى لم أتمكن من فهمها ويبتدىء بالصياح عادة الحارس القريب من سراى جلالة الامام فينادى بعبارته المعروفة فيرددها فى الحال حارس المخفر القائم الى جانبه وهكذا دواليك الى أن يردد جميع الحراس بالمخافر هذه العبارة ويصل الدور الى حارس السراى فينادى بعبارة أخرى فيرددها الجميع ، وأحياناً زيادة فى الحرص وفى ظروف خاصة يستعملون الابواق فى تبليغ الاوامر العسكرية وفى ابلاغ بعضهم الى بعض وقت الصلاة أو الساعة الى غير ذلك من الأمور المهمة .

موكب الغرباء فى قاع اليهود

النساء فى اليمن آلة التصوير تخيفهن أكثر من البندقية

ما كدنا نسير فى قاع اليهود مسافة يسيرة حتى تبعنا من الأولاد والرجال جمهور كبير وأخذت نوافذ البيوت تفتح وستائر النوافذ تكشف قليلاً وقد وقفت خلفها بعض السيدات اليهوديات يستعرضن موكب الغرباء وينظرن اليهم بأعينهن الفاتنة حتى اذا ماوقعت العين على العين أقفلن النوافذ وأرخين الستائر ، ويشردن هاربات داخل غرفهن ورأينا بعضهن فى الطريق يسدلن على رؤوسهن غطاء أزرق أو اسود ويلبسن تحته طاقية مزركشة بالخرز والفضة ، ويلبسن عادة أثواباً (فساتين) زرقاء وتحتها سراويل طويلة تبلغ الى الكواحل ، محلاة بالأشغال اليدوية من قصب وفضة ،

ويلبسن فى أرجلهن أحذية ذات كعب قصير من دون جوارب ، وجميعهن يخرجن فى الاسـواق سافرات الوجوه ، ولـكن إذا صادفن غريباً أى أجنبياً مثلنـا بالطريق فانهن يسدلن قسما من غطـاء رؤوسهن على وجوههن فلا يتمكن الغريب من رؤية شئ منهن غير أعينهن . واردت مراراً أن أصور بعضهن فـكن ينفرن منى ولـكنى تمكنت من تصوير بعضهن خلسة صورا عديدة وأرسلتها فى البريد الى مصر (ولـكن سامح الله البريد الذى أوصل أكثرها إلى حيث لاأعلم ..)



امرأة يهودية واولادها

ومن الغريب أن جميع نساء اليمن مسلمات ويهوديات بخلاف الرجال والاولاد كن ينفرن من التصوير نفوراً غريباً ، واتفق مرة انى أردت تصوير احدى القرويات الجبليات ، ولما رأتنى فتحت آلة التصوير ووجهتها نحوها أخـذت تصيح وتستغيث

وتبكى بكاء مراً كأنى سددت اليها بندقية أو مدفعاً . وعبثاً حاول أحد رفقائى من اليمانيين أن يخفف من روعها وعويلها فلم تسكت حتى سرنا وابتعدنا عنها بعشرات الأمتـار وهـذا بخلاف الأولاد والرجال الذين كانو يضايقوننـا كثيراً كيفما سرنا ويتبعوننا من مكان الى آخر منادين بأعلى صوتهم : صورنى صورنى

صنعاء قطعة من جنة عدن

وهى ثالثة الجنان بعد دمشق ! ! ...

وما كادت أرجلنا تطأ ارض صنعاء حتى اوفـدوا الى (المقام الشريف) أى الى سراى جلالة الامام يعلمونه بوصولنا وقد قابلنا فى آخر قاع اليهود جندى من عقفة الامام (أى حرس الامام) أتى موفدا من قبل المقام الشريف ليهدينا الى الدار التى أعدت لنزولنا ، وبعد أن قدم نفسه الينا وعرفنا بمهمته قال هيا تفضلوا معى ، وسار أمامنا الى دار كبيرة فسيحة قائمة فى أول حارة بئر العزب يقال لها دار الزيدى

أما حديقة الدار فتشبه فى كثير من الاحوال بساتين وادى النيربين فى أرض الصالحية ففيها من كل فاكهة زوجان وقد رأيت شيئا كثيرا من شجر التفاح والمشمش والخوخ والسفرجل والدراق والكرمة والرمان والاجاص ومن النباتات والخضر شـاهدت القرنبيط واليخنة والكرنب والسبانخ والسلق والقرع والفـاصوليا والجزر والبصل والثوم الى غير ذلك وقد جلب الترك معظمها من سورية فوافقتها الاقاليم وصارت فى جملة الخضروات الوطنية وأول شيء استرعى نظرنا عند مادخلنا الدار من باب الحديقة هو الشادروان القائم فى وسطها ، والشادروان هو البحرة فى المنزل يجرى اليه الماء فى (نوافير) جميلة وقد ذكرتنى هذه النوافير عند مارأيتها لاول مرة بنوافير الربوة بدمشق . ويقال لهـذه الدار دار الزيدى وقد دخلناها من بوابة خشبية كبـيرة تشبه ابواب الحدائق عندنا وفيها باب صغير (باب خوخة) يدخل منه النـاس والبـاب الكبير خصص لدخول الحيوانات بما فيها الجمال واول شيء شاهدناه خلف البوابة هو منزل

عامل الحديقة (الجنايني) الموكول اليه حراستها وغرس حديقتها وهو كناية عن غرفتين أرضيتين فوقهما غرفة صغيرة فى حوش كبير يسكن هو وعائلته فيها

والى جانب منزل الجانيني يوجد صالون كبير خصص للزوار ، وخلفه غرفتان خصصتا لخدم الضيوف الذين ينزلون بهذه الدار ، والى جانب هذا الصالون الكبير توجد حديقة كبيرة قائمة فى وسطها دار جميلة مبنية على الطراز التركى من الحجر الابيض والاسود

واول ما يسترعى نظرك فى صنعاء النواعير والمياه الجارية فيها ، فان المياه تجلب اليها من مسافات بعيدة عالية حيث تجمع من مياه الانهر ، وأما النوافير فماؤها يأتيها من خزانات (برك) مرتفعة وتملأ هذه الخزانات من الآبار بواسطة الحيوانات كالحمير والبقر والجمال ، اذ يربطون دلوا كبيراً من الجلد يسع نحو اربع تنكات (صفائح) ماء الى بكر ويدلونه فى البئر ويربطون حبل البكر الى حيوان ويجعلون هذا الحيوان يمشى من حافة البئر مسافة مساوية لعمق البئر الى الامام فيسحب الدلو من قعر البئر الى سطحها ومتى وصل الدلو الى سطح البئر يفرغ ماؤه فى الخزان ، فيعود الحيوان ادراجه نحو البئر فيسقط الدلو بالبئر رويداً رويدا وهلم جرا وقد قست عمق بئر دارنا فوجدته ٨٢ قدما ومتى امتلأ الحوض الذى يختلف حجمه باختلاف مساحة الحديقة التى تشرب منه يستعملون ماءه لسقاية الاشجار والخضراوات ويوجد فى صنعاء مئات من المنازل فيها حدائق على هذه الصورة تشرب من ماء الشادروان ويوجد فيها أيضاً حدائق كثيرة تشرب من ماء (الغيول) والغيول جمع غيل — أى قناة الماء الصغيرة —

ويسوق الحيوانات على البئر فى اكثر الاحيان اولاد صغار لا تتجاوز سنهم الثانية عشرة ولهم فى ذهابهم وايابهم مع الحيوان غناء واناشيد خاصة ينشدونها طيلة النهار اما موسيقى هذا النشيد فهى صوت احتكاك الحبال على البكر وفى الحقيقة تتولد من غناء الاولاد وصوت الحبال أنغام لطيفة لا يسمعها الانسان فى غير صنعاء ، ولكن من المتعذر على الغريب أن يفهم نشيد هؤلاء الاولاد .

انشودة البئر

ولدى الاستفهام من بعض رفاقى عمـا ينشد هؤلاء الاولاد عرفت انشودة البئر وهذه هى :

بالله عليك يا ضالعى من البير البنت شمعـة والولد قنـديل

وبالله عليـك يا طـير يا رمادى صف الجنـاح وردنى لبلادى

وقد شاهدنا فى بعض الأماكن البعيدة عن صنعاء رجالا ونساء يعملون على البئر عوضاً عن الحيوانات وقيل لنا انه فى امكان الواحد منهم أن يشتغل على البئر عدة ساعات متوالية ، ولـكن ماء الآبار هنالك قريب من سطح الأرض لا يحتاج الى عناء كثير لاستخراجه ويوجد خلف الشادروان غرفة جميلة لها نوافذ زجاجية ذات أنوان مختلفة كالاحمر والاصفر والازرق والاخضر يستعملها رب البيت كصالون للاستقبال ويعقد فيها مجلس القات ، أما نحن فاستعملناها كغرفة للطعام ، وكانت هذه الدار تخص أحد قواد الجيش العثمانى أيام الحكومة العثمانية ولما غادر العثمانيون اليمن باعها صاحبها الى بيت المال وقد سكنها جلالة الامام مدة من الزمان قبل أن تبنى سرايه العامرة ، وهى مؤلفة من ثلاثة ادوار: الدور الال وفيه غرفة فسيحة للاستقبال وبعض الغرف للمؤنة والمطبخ والدور الثانى فيـه أربعة غرف فسيحة للسكن والنوم ، والدور الثالث فيه غرفـتـان صغيرتان للنوم أيضا ، وفوق هـذا الدور يوجد غرفة صغيرة يقولون لها المنظرة أى طيـارة مكتوب على جدرانهـا « لا اله الا الله محمد رسول الله » ومحفور عليها بعض الآيات القرآنية وهى مطلقة من جميع الجهات حيث يمكن للانسان أن يشرف منهـا على جميع المدينـة ، وفيها عدا نوافذ الزجاج الملون نوافـذ صغيرة مصنوعة من حجر المرمر ، واستعمال المرمر للنوافذ كزجاج شائع جداً فى اليمن ويجلب المرمر كاحجار كبيرة الى صنعاء من مكان يقال له الفراس وقـد حفروا هنالك مقالع عظيمة يقلعون منها هذه الاحجار ويجلبونها الى صنعاء حيث ينشرونها ألواحا رقيقة كألواح الزجاج بمناشير خاصة كما ينشر النجار الخشب ويستعملونها عوضا عن الزجاج

وينطبق وصف هذه الدار على جميع دور الحى المعروف بحى بئر العذب ، وقد بنى هـذا الحى رجال الحـكومة العثمانيـة أيام دولتها وهو فى الحقيقـة حى جميل ودوره متقنة ومريحة



قائد الروضى مأمور الاعاشة فى سراى الامام

قائد الروضى

ما كاد يستقر بنا المقام ساعة من الزمان فى هذه الدار حتى جاءنا رجل يدعى قائد الروضى موفداً من قبل المقام الشريف ليؤمن راحتنا وقد جاب لنا معه أسرة حديدية وفرشاً وثيرة وسجاداً عجمياً وبعض الكراسى والطاولات الى غـير ذلك من لوازم البيت وبعد التحية قال : عفواً ياحضرات الضيوف الكرام ما كنا متوقعين وصولكم

اليوم بل ظننا كم ستصلون غدا لذلك لم نعد لكم الدار قبل الآن وانما الخيرة فى الواقع وها أنذا قد جلبت لكم معظم لوازمكم وقد أمرنى جلالة مولانا أمير المؤمنين أن أحضر لكم جميع ماتشتهون فما عليكم الا أن تطلبوا ماتشاءون وأنا رهن اشارتكم

وعلمت فيما بعد أن هذا الرجل مأمور اعاشة سراى الامام ويهتم بخدمة ضيوفه وان هى الا نصف ساعة حتى نظفت دارنا وكنست ورشت من ماء الشادروان ووضع الأثاث فى مواضعه فصار لنا صالة استقبال وغرفة طعام وغرف نوم ومطبخ وكراس لنجلس عليها ومائدة نتناول عليها طعامنا وملاعق وسكاكين الخ

ولا أنكر عليك أيها القارئ الكريم بأن سرورنا كان عظيما بهذه الاشياء لأننا فى الطريق — كما لايخفاك — كنا محرومين منها «وفى الحقيقة لايجد الانسان لذة فى استعمال شئ من الأشياء من ضروريات هذه الحياة الا متى حرم من استعماله زمناً طويلا

جلسنا فى غرفة الطعام وقد أعد لنا طاهينا شيئاً من الحليب والشاى وكان الشادروان بنوافيره ومائه يزين المكان برونق خاص وبهجة خاصة ومن خلفه الحديقة وقد ماست فيها أغصان الصفصاف والمشمش والكرمة وغنى على أفنان بانها البلبل والشحرور فزاد هذا المنظر اللطيف جمالا على جماله وأنساً فوق أنسه فشربنا الشاى بلذة منقطعة النظير وكاد نسيم صنعاء الجاف العليل ينسينا الدنيا ومن عليها وخلنا أنفسنا فى قطعة من جنات عدن فذهبت عنا جميع مشاق الطريق ومتاعبه وثبت لنا صحة ما كنا نسمعه فى أثناء السفر على ألسنة بعض الناس من أن صنعاء هى ثالث الجنان وأما الجنة الثانية فهى دمشق الشام والأولى جنة عدن

وبعد أن فرغت من شرب الشاى جاءنى قائد الروضى — وكان ينتظر انتهاءنا من تناول الشاى على مسافة بعيدة عنا — وقال بلطف : أنتم ضيوف جلالة مولانا أمير المؤمنين وأنا مكلف عن المقام الشريف أن أجلب لكم كل شئ تحتاجونه من المواد الغذائية وغيرها ، وان كنتم بحاجة الى طاه فانى مكلف أيضاً بجلبه لكم ، وعندنا طاه حاذق جداً ويعرف الطبخ على الطريقة التركية . فقلت له : أما الطاهى فلا حاجة لنا به لان طاهينا معنا ومعتاد على الطبخ وأما المواد الغذائية فاننا نتقبل مع الشكر

الجزيل كل ما يتكرم به جلالة الامام فقال : ناهى ـ أى حسن ـ غداً صباحاً سأجلب لكم حاجاتكم انشاء الله فالى اللقاء والسلام عليكم فقلت وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته

خرج الرجل من الدار مسرعا وبقيت أتتبعه ببصرى وأنا أفكر فى أدبه ولطفه وعدم ازعاجه ايانا وقت تناول الشاى رغم انه كان مشغولا يريد الانصراف ، وقد لاحظت فى كثير من المواقف والمناسبات أدبا جما عند اليمانيين ودقة فى الملاحظة وميلا شديداً الى عدم التدخل فى مالا يعنيهم

بستانى الحديقة

بعد ما انصرف الروضى نهضت من مكانى وأنا لا أزال أفكر فيه ، وأخذت أمشى فى الحديقة فوقع نظرى على البستانى فذهبت اليه وقلت له أسعدت مساء ياعم! فأجاب مساكم الله بالخير والعافية ، فسألته من يكون قائد الروضى ؟ وماهى وظيفته ؟ فأجاب انه من أهل صنعاء وهو مأمور الاعاشة فى المقام الشريف وموكول اليه الاهتمام بشأن الضيوف وتأمين راحتهم ومأكلهم ومشربهم ، وهو يجلب لهم حاجياتهم من نفس الحاجيات التى تقدم لسراى جلالة الامام ويأتى لزيارتهم يومياً وكان يكلمنى وهو مهتم بقلع بعض الأعشاب الغريبة التى كانت تنمو بكثرة بين الخس وقد لاحظت أن المعول الذى كان يستعمله لقلع الاعشاب بسيط جدا فأخذته وقلبته بيدى فوجدته من مصنوعات صنعاء وهو طويل مصبوب من حديد واطئ ويده الخشبية قصيرة للغاية تكاد تكون طول الحديد فقط وهم يستعملون هذا المعول ـ ويقولون له (مفرس) للحفر والردم ولكل شىء فى الحديقة وليست سائر أدواتهم الزراعية بأفضل من المفرس فمحراثهم لايبلغ طول القسم الحديدى منه ـ أى السكة التى تدخل فى الأرض ـ بضعة سنتيمترات وفى أغلب الاحيان يصنعون السكة من الخشب عوضاً عن الحديد ، انما شدة خصب أراضيهم تجعلها تدر خيرات كثيرة بالرغم من هذه الوسائط الزراعية الابتدائية

وقد روى لى غير واحد من أهل بلاد الجوف الواقعة على مسير بضعة أيام الى شرقى صنعاء انهم لايستعملون هنالك المحاريث والسكك أبداً حتى ولا يعرفونها بل يجلبون البقر الى الحقل ويجعلونها تمشى فيه ذهابا وايابا مرات متعددة ثم يطرحون بذورهم تحت أرجلها فتطأها وتغرسها فى الأرض . ومن الغريب انهم يحصدون من هذا الزرع الابتدائى كميات عظيمة من الحنطة والذرة وينتج المد عندهم على أقل تعديل خمسين مداً. وقد روى لى واحد من أهالى قرى الجوف انه لا يوجد عندهم فى قريتهم سوى معول واحد يستعملونه فى حفر القبور لدفن الموتى

طفت الحديقـــة بصحبة البستانى فرأيت كثيراً من الاغصان اليابسة باقية على الاشجار ورأيت بعض الاشجار كالسفرجل والتفاح والخوخ والرمان صغيرة الحجم وكثيفة الاغصان ولاحظت أيضاً فى كثير من حدائق صنعاء وحدائق قرية وادى القابل (وهى عندهم بمثابة الغوطة عندنا) وتبعد عن صنعاء نحو ساعة بالسيارة وان أشجارها تشبه الاشجار البرية فى قلة الاعتناء بها وعدم قطع أغصانها التى لافائدة منها وتركها وشأنها تنمو حسب الطبيعة حتى أصبحت الحدائق كالغابات البرية يتعذر دخولها الا بصعوبة. وقد سألت بعض القرويين والفلاحين لماذا تتركون أشجاركم على هذه الصورة من قلة الاعتناء ؟ فقالوا هذه هى العادة عندنا ألفناها منذ القديم وورثناها أباً عن جد! فأجبتهم انكم مخطئون بهذا العمل فلو انكم قلمتم الاشجار وقطعتم الاغصان اليابسة التى لافائدة منها وغرستم أشجاركم بعيدة بعضها عن بعض لغدت أشجارا كبيرة ونمت نمواً جيداً وفاضت عليكم بمحصول أفضل بكثير من محصولها الحالى فأجابوا والله ماعرفنا هذا قبل الآن أحد ولا علمنا كيفية الزراعة ان شاء الله سنجرب هـذه الطريقة لعل فيها خيرا ...

انتشار زراعة الفواكه والثمار فى صنعاء

ومن اللطيف عنـد اليمانيين انهم اذا رأوا رجلاً أعلم منهم ببعض الشؤون وأبدى لهم بعض الملاحظات التى لم يألفوها والتى لا تتفق مع عاداتهم ورأوا احتمال صوابها

لا يدافعون عن نظرياتهم القديمة ولا يقولون كما يقول كثير غيرهم : لا ! ان طريقتنا أفضل واننا وجدنا آباءنا وأجدادنا عليها فلا يمكننا أن نغيرها ! بل بالعكس هم يأخذون بالنظريات الحديثة ويجربونها فاذا وجدوها أفضل من نظرياتهم وعاداتهم اتبعوها والا رفضوها . وهم بطبيعتهم أذكياء ويفرقون بالبداهة بين الغث والسمين

وبالرغم من عدم الاعتناء بالاشجار اعتناء فنياً وبالرغم من تركها على هذه الحال من الاهمال فهى تأتى بأثمار جيدة وشهية . كل ذلك عائد الى جودة المناخ وطيبة الأرض ولا شك انهم لو عنوا بها عناية فنية لزادت وارداتهم زيادة كبيرة وقد رأيت بحديقة منزلنا بعض أشجار المشمش مطعمة بالأجاص والدراق ، فاسترعت نظرى كثيراً ، ومع ان دمشق مشهورة بفاكهتها فلم أشاهد فيها حتى ولا سمعت بأن المشمش يطعم بالاجاص والدراق ولا قرأت فى الكتب الزراعية انه يطعم بهذه الأنواع من الثمار فسألت البستانى : من الذى هدا كم الى تطعيم الاشجار على هذه الصورة ؟ فأجاب ان بعض الموظفين الترك أيام الدولة العثمانية جلبوا معهم من بلاد مدخل - أى خارج اليمن - أنواعاً مختلفة من الأشجار والطعوم والبقول وجربوها فى صنعاء وغيرها من البلاد ، فبعضها وافقها الهواء والتربة فنمت وازدهرت وعمت زراعتها ، وبعضها أحرقتها شمس اليمن الحارة فماتت لوقتها

غيل آلاف والغيل الاسود والآبار

وشاهدت بين حديقتنا وحديقة جارنا جدول ماء صغير وهو أول جدول ماء رأيته فى صنعاء فسألت البستانى عنه فقال لى هذا غيل آلاف - والغيل يعنى الجدول - وماؤه الآن قليل لقلة الأمطار ولكنه يزداد بموسم المطر كثيراً ويسقى معظم حدائق بئر العزب وبعض الأراضى الزراعية بأطراف صنعاء ونبعه فى الجبال على مسافة بضع ساعات من صنعاء ويوجد بصنعاء غيل آخر غير هذا الغيل وا كبر منه ويمر بباب الشرارة ويدخل حديقة سراى جلالة الامام ويستعمل الأهلون ماءه للشرب ولرى المزروعات وهو صغير أيضاً بالنسبة لأنهر دمشق ويقال له الغيل الأسود ، وفى الحقيقة لا يوجد باليمن

أنهر كبيرة بالمعنى المفهوم من النهر ولكن يوجد بعض الأنهر التى تعادل أنهرناوتزداد أيام الأمطار زيادة متناسبة مع الامطار وفى وقت المطر تسيل سيول عظيمة فى الشعاب والوديان بشدة عدة ساعات أو أيام ثم تشح وتنشف عقيب انتهاء الأمطار ، وهذا ما حدا بالحميريين فى العصور الأولى لبناء سدود وخزانات عظيمة وقد شاهدت فى أماكن مختلفة سدوداً كثيرة

بيد ان المياه فى اليمن موجودة بكثرة فى جوف الأرض وعلى أعماق مختلفة تتراوح بين متر واحد وثلاثين أو أربعين متراً ، وفى بعض المحال الجبلية يبلغ عمقها خمسين متراً واكثر ، والدليل على كثرتها اننى شاهدت المئات من الآبار فى اماكن مختلفة بعضها قريب من بعض وينبع ماؤها من طبقة ترابية تدعى بالانكليزية (ترف) لا من طبقات صخرية ، وهذه الينابيع قريبة من سطح الأرض وتدل على كثرة وجود المياه فى الأرض

وفى أغلب الاحيان تنضب هذه الينابيع اذا اكثر الانسان من سحب مائها ، لان الماء يرشح اليها رشحاً من الأراضى الترابية المجاورة ، ولكن اذا اخترق الانسان هذه الطبقات الترابية الى أن يصل الى الصخر الأصم عندئذ يتفجر الماء بكثرة ولا ينضب معينه مهما أخرج منه ؛ ولكن أصحاب الآبار والمزارعين فى اليمن لما يدركوا ذلك حتى الآن . والغريب اننى لم أشاهد بئراً واحدة تنبع من الصخر رأساً ، ولهذا فالآبار تنضب كل يوم ثم ينتظرونها حتى تمتلئ ثانية فيعيدون الكرة عليها

وقد طلب الينا الكثيرون أن نرشدهم الى طريقة تزداد معها مياه آبارهم دون أن يحفروها الى الصخر فقلنا لهم يمكنكم أن تحفروا عدة أقبية جانبية فى قعر البئر لا يزيد عرض الواحدة منها على ربع متر وطولها متر ونصف وهى تضمن لكم زيادة ينابيعكم فعمل البعض بهذه النظرية البسيطة فازداد الماء كثيرا

مناورات الانكليز للتحالف مع الامام

حديث المعاهدة الانكليزية مع البستانى

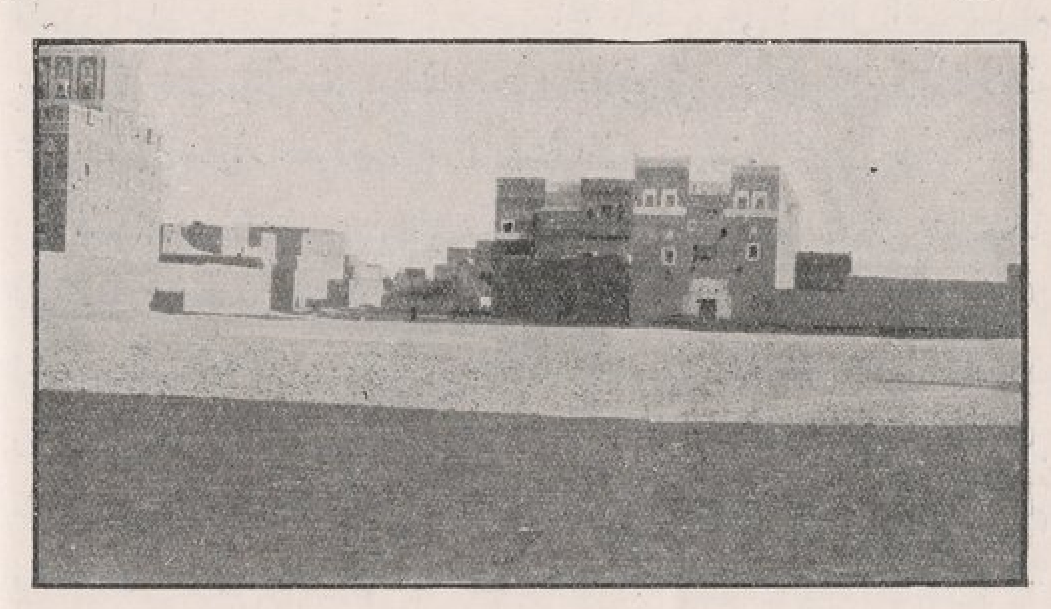
وفى أثناء تحدثى الى البستانى وجه لى أسئلة متعددة فكنت اجاوبه عليها بالتفصيل

ومما قاله لى : يظهر من كلامك وأسئلتك عن الأشجار والخضر أنك من بلاد تكثر فيها هذه النباتات فاستحلفك بالله من أى بلد أنت ؟ فقلت انا آت من القطر المصرى ولكن أصلى سورى دمشق فقال مرحى بك والف مرحى ! وهل أنت مسلم أم نصرانى ؟ فقلت مسلم مؤمن موحد بالله ، والحمد لله على دين الاسلام ولا اله الا الله محمد رسول الله فقال الحمد لله ولا اله الا الله محمد رسول الله .

وبعد ما نطقت أمامه بالشهادتين رأيت امارات وجهه قد تبدلت وظهرت ابتسامة لطيفة على فمه وتغيرت لهجة كلامه وزاد اهتمامه بى واطمئنانه الىّ . ثم أردف قائلا اخبرنى بالله عليك ما دمت قادماً من بلاد « مدخل » فلا شك انك مررت بعدن وقابلت اناساً كثيرين هناك فقلت نعم مررت بعدن وتقابلت مع بعض الناس فسل ما تريد فانى أجيبك على كل شىء أعلمه فقال : ما الذى جرى بين مولانا الامام والانكليز ؟ هل اتفقوا على الحدود وعلى الامور المختلف عليها بجهة عدن أم لا ؟ فقلت لا أظن أنهم اتفقوا تماماً ولكن بينهم فى الوقت الحاضر شبه هدنة وربما تدور أثناءها بعض المفاوضات لحل جميع المشاكل . ثم سألته ومن أنبأك أن هناك اختلافاً بين الانكليز وجلالة الامام ؟ فقال سامحك الله أتظن اننى وأنا فقير وبستانى لا أعلم ولا أهتم بشؤون بلادى؟ تأكد اننا نحن معشر اليمانيين من غنى الى فقير نهتم كثيراً بشؤون بلادنا وخصوصاً مع جيراننا الانكليز وفى الربيع الماضى كان عندى هنا بهذه الدار ضيف انكليزى اسمه « جاكوب » وقد أتى من عدن خصوصاً ليقابل مولانا الامام وكان برفقته رجل نصرانى وآخر هندى وقد مكثوا هنا مدة طويلة وتخابروا مع مولانا الامام كثيراً وقد علمت من الهندى أنهم أتوا ليتفاوضوا مع جلالة الامام فى الأشياء المختلف عليها

وبعد سفرهم الى عدن أتت طيارة انكليزية وضربت « ماوية » و « قعطبة » و « تعز » و « اب » وغيرها من البلاد بالقنابل فقتلت خلقاً كثيراً ودمرت بيوتاً متعددة وقد خاف أهالى صنعاء منها وفر قسم كبير منهم الى بلاد مشرق وبلاد الشام (أى الشمال) وتوقفت حركة التجارة وقل الأخذ والعطاء فى المدينة واستعدت

الحكومة لمواجهة الطوارئ استعدادا عظيما فأرسلت الجيوش الى الحدود ووضعت المدافع بهذا الجبل : (أى جبل نقم فوق صنعاء ونقلت الذخائر والعتاد والسلاح



دار فى بئر العزب فى صنعاء

الى الكهوف والمغاور حتى لا تصيبها الطيارات بسوء وكنت كل يوم ترى الوفاً مؤلفة من أهل الجبال الاشداء يأتون بسلاحهم الكامل الى أمام سراى مولانا أمير المؤمنين فيسلمون عليه ويعرضون تطوعهم للدخول فى الجيش والاشتراك فى الحرب لذلك ترانى وسوف ترى كل يمانى يهتم لمعرفة حقيقة الخبر مع الانكليز وجميعنا والله ثم والله مستعدون أن نفنى عن آخرنا قبل أن ندع انكليزياً واحداً يدخل بلادنا . فقلت له لاتخش شراً ولا تخف بأساً لان حكمة صاحب الجلالة الامام واسعة ومقدرته عظيمة وفى امكانه أن يحل جميع الصعاب والمعضلات بالتى هى أحسن وأظن أنه انتهى كل شيء بين جلالته وبين الانكليز ووضعوا اتفاقية مؤقتة وسيسعون لعقد معاهدة ولا اعتقد أن الطيارات الانكليزية ستغزو اليمن مرة ثانية ، فقال : الحمد لله الحمد لله ، الله يحفظ الامام روحى فداه .

ولم يكن الرجل كاذباً فيما رواه لى عن شعور أهل اليمن نحو الانكليز ونحو

كل من تغريه نفسه بغزو اليمن لأنى فى صلاتى الكثيرة واختلاطى مع جميع طبقات الشعب من موظفين وسادة وعامة أفراد الأمة وجدت فيهم نزعة الى الاستقلال والمفاداة بكل عزيز وغال لم أجدها بين الشعوب الراقية لا فى الشرق ولا فى الغرب .

من هو الكولونيل جاكوب ؟

وفى الواقع كان الرجل محقا فى تخوفه من الحرب لانها كانت على قاب قوسين أو أدنى ، وقد جاء الكولونيل جاكوب موفداً من قبل الحكومة البريطانية ليحل مشكلة حدود عدن بين جلالة الامام وبين حكومته وليبحث فى عقد معاهدة مع الامام.

والكولونيل جاكوب هو ضابط بريطانى مشهور بحب الفتح والاستعمار وقد وضع بالانكليزية كتاباً سماه « ملوك العرب » بحث فيه فى تاريخ اليمن وكيفية احتلال البريطانيين لعدن ولسائر المحميات التسع ومن يطالع هذا الكتاب بدقة وامعان يجده محتوياً على اطناب الكاتب فى مدح نفسه وافتخاره باعماله التى قام بها عند ماعينته حكومته معاونا لحاكم عدن وقد سبق له أن زار اليمن للمرة الاولى قبل هذه الزيارة فى آب سنة ١٩١٩ وأسره شيوخ القحرا فى تهامة وقد اتينا فى مقالة سابقة على كيفية هذا الأسر ولولا تدخل الامام وفكه من الأسر لقضوا عليه .

وكانت غايته من الزيارة الاولى ان يتعرف الى الامام ويدرس أحواله ويحاول أن يتفق معه على حدود بعض المحميات ولكنه عاد بخفى حنين ولم يوفق الى حل شىء من الامور التى انتدب لحلها وقد جاء فى المرة الثانية فى سنة ١٩٢٨ للغرض نفسه ولعقد معاهدة فأخفق فى مساعيه ولم يتنازل جلالة الامام للبريطانيين عن شبر أرض واحد ولذلك هاجم البريطانيون اليمن على أثر عودته الى عدن واحتلوا ما احتلوا من البلاد عنوة وبقى الاهلون متخوفين الى مابعد الاحتلال لأنهم ظنوا أن البريطانيين سيواصلون زحفهم ويستمرون فى تعدياتهم لذلك هاجت البلاد وماجت وقامت كرجل واحد

وأخذ المتطوعون يتوافدون لصنعاء أفواجاً أفواجاً ليسيروا الى قتال الانكليز ولكن جلالة الامام حفظه الله رأى ان الاراضى التى احتلها الانكليز ليست ذات قيمة زراعية أو حربية لذلك غض طرفه على مضض حتى لا يزج باليمن فى حرب مع الانكليز لا يعرف مداها أحد ، وأعتقد أنه لولا سقوط حكومة المحافظين فى لندن فى تلك السنة من الحكم وقيام حكومة العمال عوضاً عنها لغزا البريطانيون اليمن حتى صنعاء وخصوصاً بعد ما تم الاتفاق والتفاهم بينهم وبين الطليان فى مصوع على السياسة التى يجب اتباعها والسير عليها فى جزيرة العرب

وقد زار حاكم عدن الانكليزى حاكم مصوع الطليانى فى أوائل هذا العام أى عام ١٩٢٨ ورد الثانى الزيارة للاول فى نفس العام وقد حسب الناس لهذه الزيارات الف حساب وأبدى اليمانيون كثيراً من التخوف ولا أخالهم مخطئين فى ذلك لان التجارب علمتنا أن نحذر الغربيين وأن نتوقع ظهور محالفات سرية وتقسيمات أساسية لبلاد الشرق عموماً ولجزيرة العرب خصوصاً فى أى وقت كان ، وليست معاهدة (سايكس — بيكو) المعلومة التى قسم الحلفاء بموجبها الاراضى التى انسلخت عن الدولة العثمانية فيما بينهم ببعيدة العهد عنا .

اليمانيون يهمون بقتل الكولونيل جاكوب

وقد قص علىَّ البستانى شيئاً كثيراً عن معاملة الكولونيل جاكوب ورفيقه العربى المسيحى للاهلين والجنود الذين كانوا فى خدمته فقال ان الجميع كانوا يشكون من فظاظته ولا يرغبون فى مرافقته أو مجالسته وكان دأبه أن يكتب الشكاوى الى جلالة الامام عنهم لأقل حركة تبدو منهم وكان يمتنع عن الطعام اذا مر احدهم بباب غرفة طعامه أثناء تناوله الطعام ويطالب اليهم أن يحيوه تحية عسكرية كلما دخل أو خرج ؛ وقد أثار بأعماله هذه حقداً فى صدور جميع جيرانه وسرت اخباره بين الناس فى صنعاء سريان النار فى الهشيم فابتعد الجميع عنه وصاروا يفرون من وجهه اذا قابلوه على قارعة الطريق ولم يكن رفيقه باكثر تأدبا منه بل كان ايضاً يحتقر الوطنيين وينظر اليهم نظرة السيد

للعبيدوهذاشيء لايمكن لليمانيين ان يحتملوه لانهم خلقوا احراراًوتربوا تربية استقلالية طبيعية ، فمن البديهى أن يشمئزوا من هذه المعاملة وان يبتعدوا عن هؤلاء الضيوف الثقلاء كل الابتعاد حتى فى الطرقات وصاروا على الرغم من قلة ميلهم للثرثرة والافراط فى الكلام لا يتركون فرصة سانحة تمر الاشكوا منه وذكروا سيئاته .

وقد ذكرنى تصرف هذا الرجل الانكليزى الشاذ مع أهل اليمن بتصرف زملائه الانكليز أصحاب البواخر التى تعبر البحر الاحمر الى الشرق الاقصى مع الشرقيين فانهم لايجلسون الشرقيين مع البريطانيين على مائدة واحدة للطعام ! ويعتبرون الشرقيين من الاجناس البشرية الملونة التى لايجوز لها ان تحصل على شرف المساواة مع البريطانيين حتى فى الطعام ! !

القومندان كروفرد وتقريره السرى

وقبل مجيء الكولونيل جا كوب الى اليمن جاء رجل انكليزى آخر يدعى القومندان كروفرد ، ويظهر أنه كان موفداً ليمهد الطريق أمام الكولونيل جا كوب



شارع فى بئر العزب فى صنعاء وتظهر فيه
احدى سرايات الامام خلف السور

ليعقد المعاهدة مع الامام وقد تظاهر هذا الرجل انه تاجر جاء الى اليمن من تلقاء نفسه كى يشتغل بالتجارة ورفع الى حكومته تقريراً سرياً وقد وقعت بيدى مسودة هذا التقرير

وقبل أن أترجم هذا التقرير السرى للقارىء الكريم أقدم له القومندان كما عرفته جريدة (الايمان) التى تصدر فى صنعاء حيث قالت بعددها ٣١ ما يأتى :

قدم العاصمة فى غرة ذى القعدة الحالى المستر (كروفر) المتقاعد من أركان الضباط البحرية لدولة انكلترا وهو الذى تكرر وصوله قبلاً الى عاصمتنا والموما اليه كان سابقاً قائداً للسفينة الحربية الانكليزية الشهيرة (ميلتون) وقد قام باسفار عديدة فى البحار الأميركية والأسترالية والهندية ولا سيما سواحل الجزيرة العربية . اذ بقى فيها مدة طويلة واستقر أخيرا فى بندر عدن وبينما كان الموما اليه مقيما بلوندرة مع عائلته منذ سنة دعته الرغبة لزيارة اليمن مرة أخرى فوصل الى عدن ثم قصد العاصمة وحل ضيفاً بصورة خصوصية والموما اليه من عائلة انكليزية أصيلة الخ

وأما التقرير فهذه صورته :

« سيدى

« لى الشرف أن أعرض ما يأتى :

« طلب منى امام اليمن أن أقدم تقريرا غير رسمى الى الحكومة البريطانية بشأن بعض المقاطعات المختلف عليها والتى يدعوها البريطانيون مقاطعة عدن المحمية

« اننى فى صنعاء أسعى للحصول على اتفاقية تجارية مع جلالته وقد أجابنى ان مسألتك سهلة ويمكن الاتفاق عليها بصورة مرضية متى تمكنا من حل القضية السياسية وانى شخصياً واثق ان مسألتى لا تحل كما أرغب الا اذا حلت القضية السياسية وبناء على ذلك أقدم هذا التقرير غير الرسمى متوسطاً فى حل هذه القضية

« قضيت فى مقاطعة عدن المحمية نحو خمسة عشر عاماً أى منذ سنة ١٩١٢ ومضى على فى خلال هذه المدة شهور طويلة كثيرة لم أشاهد فيها رجلاً بريطانياً واحدا فمن البديهى اذا أن يكون لى من الخبرة التامة بشؤون مقاطعة عدن المحمية اكثر مما لأى

رجل بريطانى حتى لم تسمح له الصدف أن يأتى الى هذه البلاد ويعيش فيها بعيدا عن البريطانيين . واننى لا أتقن العربية مع انه من الضرورى لى أن أعرفها معرفة جيدة كى أتمكن من اتمام مقاصدي

« وانى أعتقد بفائدة المقابلات الشخصية وأراها أفضل وسيلة للتفاهم وها أنا ذا أجنى نتيجة مقابلتى الشخصية مع الامام فى كتابة هذا التقرير وانى أشعر انه يختلف كثيرا عن التقارير السياسية الرسمية

« ان الفريقين الداخلين فى هذا التقرير هما (١) البريطانيون فى عدن وهم يمثلون الحكومة البريطانية (٢) عرب اليمن وبعض العرب فى مقاطعة عدن المحمية ويمثلهم امام اليمن الذى ينتمى الى أصل معروف منذ الف سنة

«وقبل أن نبت فى النزاع القائم بين الفريقين يجدر بنا أن نعود الى التاريخ فنرى أن البريطانيين شعب طموح يميل الى التوسع فاذا وجدوا بقعة من الارض كثيرة الخيرات مالوا بكليتهم الى الاستيلاء عليها منتحلين لانفسهم الاسباب الواهية لانتزاع ملكيتها من أصحابها الشرعيين وبديهى أن البريطانيين يدعون انهم محقون فى اعمالهم وانهم يحافظون على حقوقهم وهم ابدا مستعدون لان يستعملوا جميع قواهم لتأييد حقوقهم الموهومة ولا شك أن سلوكهم القديم غير المرضى فى الصين والهند وافريقية ومعظم المستعمرات البريطانية قد أدى فى الوقت الحاضر الى الاضطرابات فى هذه البلاد وهذه الاضطرابات تدفعنى الى بيان الحقائق عن البلاد العربية التى كثيرا ما ينخدع المرء بظواهر الامور فيها إذ يخيل الى الباحث أن العرب لا يفقهون معنى الوطنية وانهم يحاربون بعضهم بعضاً حرباً دائمة ولكن إذا أنعمنا النظر فى حقيقتهم نرى أن جميع العرب فى هذه الدنيا يميلون الى غاية وطنية واحدة هى أن جزيرة العرب للعرب وهى فى نظرهم مقدسة كل التقديس وقد أكد لى صحة هذه النظرية محمد بن ادريس حاكم عسير ولا شك ان عدد نفوس المسلمين فى هذه الدنيا يعادل عدد المسيحيين هذا ان لم يزد عليهم

«لاجدال ان هنالك اختلافات بين المسلمين كما توجد اختلافات بين المسيحيين ولكن فى كثير من الأمور المهمة يتفق المسلمون ولا شك فى أن البريطانيين سيلاقون صعوبات جمة اذا بقوا متمسكين ببعض الأماكن فى جزيرة العرب وقد أثبت لنا التاريخ ان العرب لا يسكتون على الضيم وانهم يحقدون واذا حقدوا فلابد لهم من أن يثأروا مهما كان خصمهم عنيداً وقد أدرك السلطان سليمان القانونى هذه الحقيقة أكثر من البريطانيين فترك اليمانيين وشأنهم بعد ما كاد يعلن الحرب عليهم ، وانى أنصح حكومة جلالة الملك أن تدقق فى هذا الأمر بامعان

« ان مقاطعة عدن المحمية تكتسب أهميتها فى الأمور الآتية :

«أولا — ان الضالع (اسم مكان) ضرورى للبريطانيين من الوجهة العسكرية وفى امكاننا أن نحتفظ به دون صعوبة عظيمة ودون أن نتمسك بجميع مقاطعة عدن المحمية

ثانياً — ليس فى وسعى وأنا رجل مدنى وضابط بحرى أن أبدى رأياً عسكريا ولكن حباً بصراحة هذا التقرير أبسط بعض آرائى الخاصة وهى بطبيعة الحال عرضة للانتقاد ان مقاطعة عدن المحمية ليست من الاهمية فى شىء بالنسبة الى عدن نفسها لان عدن كمضيق جبل طارق منيعة من كل هجوم داخلى واهل مقاطعة عدن لم يخلصوا يوما من الايام لحكومة عدن ولا يمكننا أن نحافظ على صداقتهم الا ببذل الاموال الطائلة ونحن نخالف فى عملنا هذا القول المأثور ان الجيش يجب أن يعيش على البلاد التى يحتلها ولا يمكن تطبيق هذا القول فى مقاطعة عدن أبداً ، فنحن نجلب اللحم الذى نأكله هناك من الصومال ونجلب الحنطة من بلاد الهند ولا اشك بان عدن ستبقى دائما عرضة لدسائس العرب وقد تنتقض علينا على حين غرة كما ثبت لنا ذلك فى أيام حربنا مع الترك فى سنة ١٩١٦

« ثالثا — يوجد بعض املاح الزئبق فى مقاطعة عدن المحمية ولكن لا يمكن الانتفاع بها قبل أن يستتب الامن ولا يمكن ايضا الاستفادة من حاصلات عبيان ولحج الزراعية الا متى أعدت طرق الموصلات الجيدة وبامكانى ان أصرح بكل وضوح أنا لا نستفيد

فائدة تجارية تذكر من مقاطعة عدن المحمية الا اذا قبضنا عليها بيد حديدية وحميناها حماية حقيقية وذلك يقتضى اموالا طائلة لاتتناسب معها واردات المقاطعة أبداً .

« ورب سائل يسأل : هل تساوى مقاطعة عدن المحمية هذه النفقات الطائلة ؟ فالجواب كلا . وللامام بطبيعة الحال نظريته الخاصة فى هذه المسألة وهى تستحق العناية اذا اردنا الانصاف واما اذا شئنا المكابرة فى المحسوس فيمكن للبريطانيين ان يحتفظوا بمقاطعة عدن المحمية ويوهموا انفسهم انهم على حق فى دعواهم لانه من البديهى ان السياسة لاعدل فيها

« أنا رجل بريطانى مخلص لحكومتى وأعتقد انها أفضل حكومة فى العالم وخصوصاً للبريطانيين، وقد قضيت السنين السبع الاخيرة بين العرب وانى أؤكد لكم عن علم بانكم لا تستفيدون من مقاطعة عدن المحمية بل بالعكس تخسرون كثيرا من النفقات على حمايتها وانى واثق أنه لا يوجد عندكم فى عدن أحد من أهل الخبرة التجارية ليطلعكم على هذه الحقيقة ويهتم بترقية التجارة ولا يمكنكم ادراك حقيقة تجارة مقاطعة عدن المحمية ما لم تحصلوا على مكان عسكرى أمين تحافظون بواسطته على عدن ولا يمكنكم الحصول على هذا المكان الأمين الا اذا كان امام اليمن مسالماً لحكومة صاحب الجلالة

« ويمكن لامام اليمن أو لمن يأتى بعده أن يهب عدن موقعاً عسكريا وعندئذ تحل مشكلة مقاطعة عدن المحمية وتترك، وفى امكاننا أن نتنازل عنها دون أن نخسر شيئاً من نفوذنا ودون أن نضيع حقوق غيرنا أو حقوقنا ، وأما ان ادعيتم غير ذلك فلا شك أن كفة ميزان العدل الراجحة لا تكون فى جانبكم

« انى أوجزت فى بيان طلبات البريطانيين لانها معلومة لكم ولا تحتاج الى زيادة ايضاح ولكن لا يخفى عليكم أن لكل قضية وجهين وحباً فى الايضاح أعرض عليكم تاريخا مختصرا للنزاع القائم بينكم وبين الامام منذ سبع سنوات ، أما نظريتكم فانتم أعلم بها وأما نظرية الامام فانكم لم تطلعوا عليها بحذافيرها ، ففى سنة ١٩١٤ حافظ الامام على الحياد التام ولم يكن فى وسعه وقتئذ أن يفعل اكثر من ذلك . ولما طرد

الترك من جزيرة العرب فى سنة ١٩١٨ أمّل جلالته أن ينال المكافأة وقد صرح البريطانيون على رؤوس الأشهاد فى خلال سنة ١٩١٤ وسنة ١٩١٨ انهم لا يمدون أيديهم الى شبر واحد من أراضى جزيرة العرب وان بلاد العرب للعرب

« وكانت منطقة عدن المحمية قديماً تابعة لبلاد اليمن ولم يعترف أحد من أئمة اليمن للترك بملكيتهم لها أولعدن ولم تكن عدن من أملاك الحكومة التركية فتهبهما لمن تشاء ولذلك كان الامام ينتظر بفارغ صبر اعادة مقاطعته الجنوبية له ولكنه لما خاب ظنه فى الحكومة البريطانية فى عام ١٩٢٠ احتل بعض أجزاء المقاطعة وظن انه سيوفق الى نيل مطالبه بصورة عادلة ، ولما جاءته بعثة كليتون كان يرجو أن تزول الاختلافات بطرق حبية إلى أن أفهمته هذه البعثة ان البريطانيين يريدون موقعاً حربياً فى الضالع فتيقن الامام من هذا الطلب أنهم متى حصلوا على موقع حربى يمكنهم أن يحصنوه وينتقلوا منه لغيره فيحتلوا ما يريدون من بلاده فاضطرب لهذا النبأ وعبثاً حاول أن يرضى البريطانيين وفى النهاية فشلت بعثة كليتون

« ولما وصلت إلى هنا (لصنعاء) ظن الامام فى أول الأمر اننى موظف ولكنه غير هذا الظن عندما اكدت له انى لست مأموراً ولا موظفا بل تاجراً يبتغى قضاء بعض المصالح التجارية فوسطنى لأسعى لابلاغ رغائبه الى حكومتى وقال انه سيعطينى مذكرة يبين فيها طلباته. وقد صرح لى تصريحا غير رسمى أنه لا يرى فائدة من محاربة الحكومة البريطانية ولكنه يطلب العدالة البريطانية وهو لا يرى صعوبة فى وضع شروط مرضية بشأن جعل الضالع مركزاً عسكريا بريطانيا وبين انه بصفته حاكما عربياواماما لايمكنه أن يسحب جميع قواته من مقاطعة عدن المحمية، ولكنه اذا أعطى الوقت الكافى ليحافظ فيه على عظمته يمكنه عندئذ أن يسحب قواته بالتدريج، هذا اذا اقتضت الضرورة ذلك وقد قال لى هذه الاقوال شفاها ولكنه كان قبلاً مستعدا أن يكتبها على الورق وقد سرنى انه لم يفعل ذلك اذ لا فائدة من احراج الانسان وقد كتبت هذا التقرير قبل أن أحصل على مذكرة الامام غير الرسمية أو على ترجمتها

« حاشية : تلقيت مذكرة من امام اليمن أملاها جلالته على أمين سره الخاص

ولأسباب بديهية لم يمضها وقد كلفنى شفاها أن أهتم بها اهتماما كثيرا وأن أقدمهامع الشروح الكافية الى حكومة صاحب الجلالة وها أنذا أقدم شروحى مصحوبة بالمذكرة وبترجمتها المعنوية لا الحرفية وفى امكانكم أن تحصلوا على ترجمة صحيحة فى دائرتكم - انتهى



سراى جلالة الامام المسماة دار الشكر وقد بناها حديثا

اللورد لامنكتون واليمن

وعقيب عودتى لمصر من رحلتى هذه فى اليمن كان الانكليز قد شرعوا فى التعدى على اليمن وضرب بعض المدن بقنابل الطيارات فرأيت من الواجب أن أكتب شيئاً فى هذا الموضوع وأبين هذه التعديات للشعب البريطانى الذى لا يوافق بكل تأكيد على تصرفات حكومته هذه فأرسلت صورة تقرير القومندان كروفرد مع كتاب مطول وشرح أطول عن حوادث اليمن الى فخامة اللورد لامنكتون صديق العرب ونصير الضعيف ورجوته نشر الجميع للرأى العام البريطانى ، ولدى وصول كتابى لفخامته احتج فخامته على تصرفات حكومته وطلب منها ايضاحات عن أعمالها فى اليمن وأرسل الى كتابا يشكرنى فيه على رسالتى وهذه ترجمة بعض ماجاء فى ذلك الكتاب :

«أشكركم على كتابكم المهم الذى أرسلتموه إلى وعلى التقرير المرسل طيه وانى

أكون ممتناً لكم اذا عرفتمونى بما يجرى باليمن وبموقفنا وعلاقاتنا معه وأيضاً بموقف الدول الأوروبيـة الأخرى وعلاقاتها به . ولا أرى من المناسب أن أنشر تقرير كروفرد ولكنى بكل تأكيد سأنصح حكومتى بعقد اتفاقية مع اليمن وقد أوضحت أسس هذه الاتفاقية فى مجلس اللوردات البريطانى . انتهى

ومن دواعى سرورى انه تم أخيراً عقد اتفـاقية بين الانـكليز وجلالة الامام وانتهت مسألة الحدود بين اليمن والمحميات على ابقاء كل شيء على حاله وبذلك فازت السياسة اليانية فوزا لاغبار عليه ورضي البريطانيون بالأمر الواقع

أستميح القارئ الكريم العذر بولوجى وإياه فى مفاوز السياسة والشطط عن سير الرحلة لأنى رأيت من الضرورى أن يفهم العرب حقيقة موقف الانـكليز معهم. والآن أعود بالقارئ الكريم الى دارنا فى صنعاء وأصف له ماتم لى فيها يومئذ فأقول: صعدت قرب الغروب الى سطح الدار لأرقب مغيب الشمس وأجلت نظرى أولا فى جهـة الشرق واذا بصنعاء المدينة الازلية الخالدة تبدو أمامى بمآذنها الجميلة وبناياتها الملونة العجيبة كأنها حسناء من حسان هذا الزمان قد ازدانت باللؤلؤ والمرجان ، ومن خلفها (يشمخ) حارسها الاعظم جبل «نقم» برأسه فوق السحاب وتتلألأ فى قمتـه أنوار تنعكس عن جدران الحصون فتزيده بهاء على بهاء ، ونظرت بالقرب منى فاذا بالحدائق مزدهرة بأنواع البقول والاعشاب التى أكسبت أرضها لوناً سندسياً أخضر ينفـذ جماله الى القلوب قبل الجلود ، وكان النسيم عليلاً وحرارة الشمس خفيفة والأولاد على الآبار ينشدون أناشيدهم الجميلة ، وبالاختصار كان كل شئ فتاناً يهيم فيه الانسان ، وبقيت أمتع النفس بهذا المنظر الخلاب الى أن اصفر قرص الشمس وأخذ يتوارى شيئاً فشيئاً خلف الجبال ، وما كاد يغيب عن بصرى حتى هاجمنى الظلام بخيله ورجله وما أسرع دخول الظلام بعد غياب الشمس فى هذه الجهات القريبة من خط الاستواء

شعرت فى الحال ببرد يتسرب الى جسمى فهرولت نازلا من فوق السـطح الى (المنظرة) ـ وهى الغرفة فى أعلا المنزل ـ وأمرت الخدم أن يعدوا لى سريرى وفتحت

صندوقاً فأخرجت منه معطفاً ثقيلا فارتديته وجلست الى (الخوان) وقد وضعوا لى عليه مصباحا مضاء بالبترول وأخذت أطالع فى كتاب جلبته معى، وهذه هى أول ليلة بعد خروجى من الحديدة تمكنت فيها من المطالعة ، وبعد مدة من الزمان قرع أحد الخدم الباب ـ وهذه عادة غيرمألوفةفى اليمن ولكن خادمنا هذا كنا أحصرناه معنامن عدن وقد تعلم من الانكليز بعض عاداتهم ، فصار لايدخل الى الغرفة الا بعد الاستئذان ـ وقال لى : (العشاء طيار) أى جاهز ، فقلت : حسناً وهرولت خلفه قافزا كل درجتين قفزة واحدة لان المعدة كانت خاوية ولا غرابة فى ازدياد شهية المرء للطعام بعد رحلته عدة أيام على ظهور البغال بين الوديان والآكام والجبال ! جلست وأصحابى الى المائدة وتناولنا طعامنا على الطريقة الغربية بملاعق وشوكات وسكاكين الخ . ولكننا كنا نبتلعه ابتلاعا لشدة جوعنا وقبل أن ننتهى منه شعرنا باشتداد البرد كثيرا ولما لم تكن عندنا وسائل للتدفئة . انسحبنا من غرفة الطعام وذهب كل منا الى فراشه .

الليلة الاولى فى صنعاء

ونمت ليلتى الأولى فى صنعاء على سرير حديدى وفراش وثير ناعم ولم أستيقظ فى الليل كما كنت أستيقظ مراراً فى أثناء السفر على صوت الجنود ينشدون (الزامل) وعلى صوت النزاع بين بعض ضيوف (المقهاية) وهم يربطون (قراشهم) أى حيواناتهم أو يطعمون جمالهم ، وعلى نداء صاحب (المقهاية) لزوجه (ياعتيقة أضرمى النار وياعتيقة اغلى القشر) وعتيقة اسم شائع فى اليمن بين النساء كثيراً وأظن أن اصله مشتق من تعدد الزوجات فصار الزوج ذو الزوجات المتعددات ينادى زوجه الأولى (بعتيقة) للتفريق بينها وبين غيرها من الزجات الجديدات ، وبعد استعماله على هذه الصورة مدة من الزمن أصبح اسما علماً . نهضت من نومى قبل طلوع الضوء فشعرت ببرد قارس جداً فبقيت غارقاً فى فراشى الوثير الى أن بزغت الشمس وسمعت وانا فى سريرى بعض المؤذنين يحيون على الصلاة وعلى الفلاح وعقبتهم أبواق الجند فى مخافر

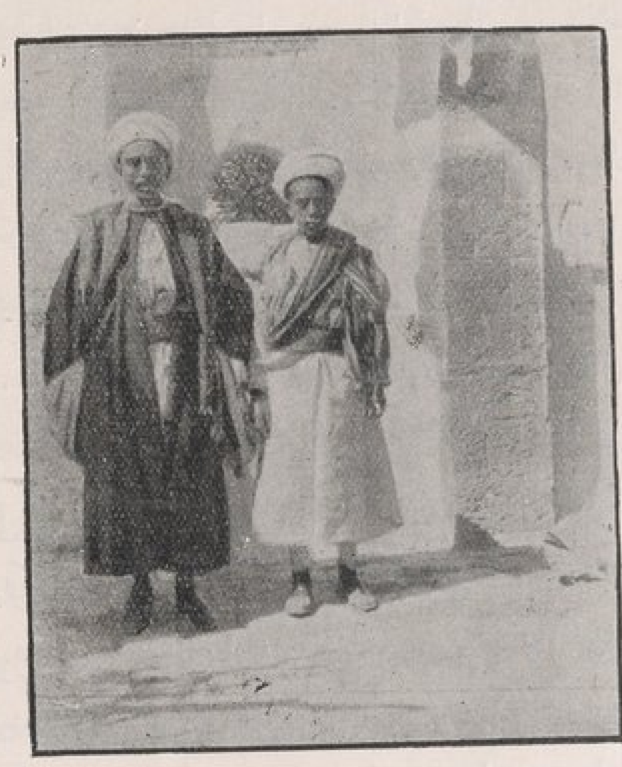
سور المدينة بايقاع يعبر عن أوامر مختلفة ويدعو الجند الى الصلاة وقد أبصرت وانا فى غرفتى أحد الجنود الموكول اليهم حراسة دارنا يتوضأ فى ماء (الشادروان) المتجمد فاقشعر جسدى من البرد ولازمت الغرفة، وجميع اليمانيين كهذا الجندى يصلون الصبح حاضراً ولا يهملون وقتاً واحداً من أوقات الصلاة وهم متمسكون كل التمسك بفرائض الدين الحنيف لا يحيدون قيد شعرة عن جميع ما أمر الله به ورسوله . وليس تمسكهم بدينهم مظهراً من المظاهر الخارجية « الميكانيكية » التى يتبعها بعض المسلمين من غير اليمانيين بقوة العادة والاستمرار بل هى عقيدة ثابتة متمكنة فى نفوسهم وليس ذلك بالغريب (فالايمان يمانى والحكمة يمانية).وما كادت الشمس ترسل أشعتها الذهبية من أعلى جبل (نقم) حتى ابتدأت موسيقى البئر تعزف انغامها الشجية وأخذ الأولاد ينشدون أناشيدهم المعلومة اللطيفة تسلية لانفسهم وتنشيطا لحيواناتهم، وقد ذكرنى هذا الصياح بايام طفولتى بدمشق الشام فى عهد السلطان عبد الحميد فكثيرا ما كنا نصحوا أيام الشتاء فى فرشنا ولا نجسر على مغادرتها من شدة البرد وكان فى الوقت نفسه بوق الجيش الحميدى يرسل فى الشكناب ألحاناً هى نفس الالحان التى يرسلها بوق صنعاء

نهضت بعد طلوع الشمس من فراشي ونظرت الى مقياس الحرارة (ترمومتر) فاذا به أربع درجات تحت الصفر ولكنه كان وقتئذ آخذا فى الصعود ويكاد المرء لا يصدق أن درجة الحرارة فى الظل تختلف بين الليل والنهار ثلاثين درجة فارنهيت فبعد أن كانت بالليل أربعاً أو أكثر تحت الصفر بلغت فى النهار فى الظل ٦٠ فوق الصفر وفى الشمس ٩٧ فوق الصفر . وبسبب اختلاف درجة الحرارة فى الشتاء على هذه الصورة كثيراً من الرشوحات الصدرية وخصوصاً بين الأولاد . وقد دام البرد على هذه الحال نحو شهر من الزمان كان الماء فيه يجمد كل ليلة وقد أضر الشجر كثيراً وأتلف الخضار الشتوية كالقرنبيط والكرنب والسبانخ الخ واخبرنى الكثيرون من المتقدمين فى السن أنهم لم يروا برداً كهذا البرد منذ ثلاثين سنة أو أكثر . نزلت بعد طلوع الشمس الى غرفة الطعام فتناولت منه ما تيسر وجلست أتمتع بجمال الطبيعة وأتدفأ بحرارة الشمس واراقب الشادروان كأنى فى منام وبينما أنا كذلك إذ بقائد

الروضي (مأمور الاعاشة) حضر وقال : (أصبحتم) : أى أسعد الله صباحكم فأجبناه بلغة اليمن (صبحكم الله بالخير والعافية) . وكان يحمل فى احدى يديه نخذ كبش من الضأن وبيده الثانية سلة كبيرة وقال (هو ذا تعيين يومكم) فلم أفهم ماذا يعنى وقلت له : وما هذا التعيين؟ فأجاب نحن هنا نجلب للضيوف كل صباح ما يحتاجون اليه من الطعام فى مدة أربعة وعشرين ساعة فقلت حسناً ! غير أن حب الاستطلاع دفعنى الى أن أرى ماذا كان يحمل فقلت له : أرنى ماذا جلبت ؟ فوضع السلة أمامى فاذا هى طافحة بالسمن والسكر والأرز والبن والبيض والبطاطس والملح والفلفل، وبالاختصار بجميع ما تحتاج اليه عائلة كبيرة فى عدة أيام وكان خلفه غلام يحمل لبناً ولحما وقال انه سيجلب لنا حطباً ، للوقود والطبخ ، فقلت له : ياقائد أدام الله تعالى بقاء مولانا الامام وأكثر عليه الخيرات ، نحن لا نحتاج الى جميع هذه الاشياء ، فقال لا والله هذا غير ممكن ، ومقامكم عند مولانا الامام كبير فلا يمكن أن نتأخر عنكم بشىء وسنجلب لكم كل يوم سع — أى مثل — هذا التعيين أو أكثر منه أما الخضر فمروا البستانى أن يجلب لكم من حديقة داركم ماتشتهون ، فشكرناه شكرا جزيلا على هذا الكرم العظيم ودعونا لجلالة الامام بطول العمر . ثم قال لى قائد لا بد أن يرسل مولانا بعض أخصائه للترحيب بكم ولكن بطبيعة الحال هو يعلم انكم متعبون من مشاق السفر والطريق ، وربما يبطىء رسوله فسامحوا - أى غضوا النظر - فقلت حسناً بارك الله فيكم وأدام لنا حياة مولاكم

وجاءنا قبيل الظهر القاضى احمد الآنسى ، وهو من رجال حكومة الامام ، ويعتمد جلالته عليه كثيرا وقد أوفده مرة الى انقرة لكى يفاوض الغازى مصطفى كمال باشا وحكومته فى بعض الشؤون السياسية وهو يشغل اليوم بصنعاء وظيفة مدير المعارف وهو رجل اسمر اللون ربع القامة، نحيف الجسم، تبدو على محياه امارات الذكاء فرحبنا به ودعوناه الى صالة الاستقبال ، ولما استقر به المقام قال : حيى الله من قد جاء أمرنى جلالة مولانا أمير المؤمنين أن احضر لزيارتكم للترحيب بكم ، وابلاغكم سلام جلالته ، وللاطمئنان على أحوالكم وصحتكم فكيف انتم ؟ عساكم معافين وبخير وكيف وجدتم بلاد اليمن واقليمها وماءها وهواها ؟ فقلنا: الحمد لله والشكر لجلالة مولانا الامام

على لطفه وعطفه نحونا ، اننا على اتم مايرام من الراحة والهناء ، وقد سررنا بكل شيء شاهدناه فى هذه البلاد السعيدة ، وما أخطأ من سماها « السعيدة » لأن كل شيء فيها مريح وسعيد وجميل ، واننا نتمنى لها كل خير ونجاح فى ظل جلالة مولانا الامام وحكومته المتوكلية: فقال شكراً لكم على هذه العواطف النبيلة، وهل لكم من خدمة



القاضى احمد آلانسى مندوب الامام فى تركيا سابقا
ومدير المعارف فى صنعاء فى الوقت الحاضر والى جانبه احد اولاده

أو حاجة نقضيها لكم ؟ فقلنا كلا انما نريد أن نحصل على شرف المثول بين يدى جلالة الامام . فأجاب سأعلم جلالته بذلك ، ولكن لابد لكم من تناول قسط من الراحة بعد سفركم الطويل وعنائكم الكثير فاستريحوا يومين أو ثلاثة واخرجوا الى صنعاء وشاهدوا أسواقها وآثارها ومبانيها وأعلمونى بكل غرض يلزم حتى أقوم بتأديته حالاً، وقد أمروا لكم بجنديين كى يكونوا فى خدمتكم ، ويحرسوا داركم وأشياءكم فى وقت غيابكم . فقلت : أخشى أن يكون هذان الجنديان مراقبين علينا ، كما وصف ذلك

بعض الذين أتوا اليمن ؛ وألفوا كتابا عن رحلتهم ؟ فأدرك حضرته للحال قصدى وقال عافا كم الله أنتم شيء وأولئك الذين تعنونهم شيء آخر ، وما هذان الجنديان الا مظهر من مظاهر الحفاوة والاحترام ،فكونوا براحة بال،واذهبوا أينما شئتم،وافعلوا ماأردتم، فأنتم على الرحب والسعة وأنتم مناونحن منكم،فقلت أصبحنا وايم الحق مغمورين بلطف جلالة الامام وفضله وكرمه ، وليس بنا حاجة الى شيء : ثم تناول حديثنا أحوال ، الجو فأحوال السياسة ، وغيرها من الشؤون العالمية ، فوجدناه عالما بها كأحد أبناء مصر ، والشام ، ممن يعنون بهذه الأمور ، وأخبرنا حضرته بأنه يقرأ كثيراً من الجرائد المصرية والشامية ، ويتابع سير النهضات الوطنية ، فى العراق ، ومصر ، والشام ، وفلسطين ، باهتمام شديد ، فسألته هل يأتى الى اليمن كثير من الجرائد ، وهل تباع فى المكاتب العمومية ؟ فأجاب كلا ان لبعض الجرائد العربية بعض المشتركين ، فتصل لهم كميات فى كل بريد يأتى الى صنعاء فقلت ، ومتى يأتى البريد ؟ ومتى يسافر؟ فاجاب يقوم البريد ، من الحديدة ومن صنعاء فى كل أسبوع مرة واحدة ، ويستغرق وصوله اليها أربعة أيام ، ويسافر يوم الربوع (أى الاربعاء) من كل أسبوع فقلت وكيف يرسل ؟ فقال يتسلمه أميرالجيش (أى قائد الجيش) ويرسله مع جندى نجاب من مركز الى مركز ، ويسير الجندى النجاب فى الليل والنهار ، ولذلك يصل فى أربعة أيام من الحديدة الى صنعاء عوضاً من أن يصل فى سبعة أيام ، وبديهى أن الجندى النجاب يتغير فى كل مركز فى أثناء الطريق .

مصلحة البريد

ويوجد باليمن مصلحة للبريد لابأس بها ، ويتقاضون فيها على الرسالة العادية الداخلية ؛ من عامة الناس ، نحو غرشين سوريين ، ومن الجند غرشاً واحداً ،وعندهم نوعان من الطوابع بيضاء وصفراء ، فالبيضاء بقرشين ، والصفراء بقرش واحد، وهى مصنوعة فى صنعاء من الورق العادى .ومن ينظر اليها لا يتبادر الى ذهنه لاول وهلة ، انها طابع بريد لغرابة شكلها وقد كتب عليها فى أعلاها (صنعاء) وفى وسطها

(الحكومة المتوكلية الاسلامية) وفى أسفلها ثمنها واسم جلالة الامام

ويأتى البريد الداخلى الى صنعاء اليمن من سائر انحاء البلاد فى كل أسبوع مرة واما البريد الخارجى فيأتى غالبا كل أسبوعين مرة واحدة ، وذلك متوقف على مجىء احدى بواخر شركة القهوجى من عدن الى الحديدة ، وهذه البواخر تحمل البريد الذى يجتمع فى عدن من جميع أطراف العالم بصورة غير رسمية ، لان اليمن غير مشتركة فى مؤتمر البريد الدولى ولذلك لا يضمن أحد وصول البريد الى هذه البلاد ويضطر المرء الذى يريد أن يرسل كتابا من صنعاء الى العالم الخارجى أن يضع عليه نوعين من الطوابع الطابع الاول ، يمانى وهذا يكفل وصوله من صنعاء الى الحديدة والطابع الثانى هندى وهذا يضمن وصوله الى العالم الخارجى ، والسر فى أنه هندى هو أن عدن تابعة لحكومة الهند ولما كنت فى صنعاء للمرة الاخيرة علمت أن الحكومة مهتمة بالاشتراك فى مؤتمر البريد الدولى وقد تم لها الامر منذ بضع سنوات ودخلت اليمن بصورة رسمية فى اتحاد البريد الدولى، وصار بالامكان ارسال الرسائل من صنعاء الى جميع اطراف العالم بوضع طابع يمانى فقط وقد صنعت حكومة اليمن كمية كبيرة من طوابع البريد فى المانيا منذ دخلت باتحاد البريد الدولى ، وصار لليمن كما لغيرها من الدول طوابع بريد بالمعنى المفهوم عندنا والشكل المعروف لدى جميع الناس .

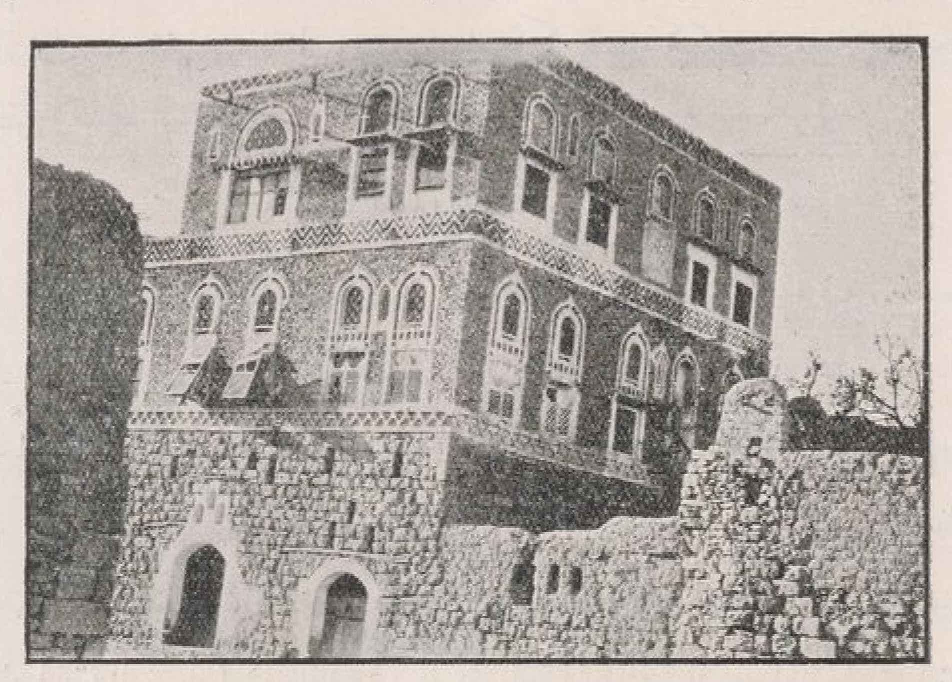
مصلحة التلغراف

وتوجد فى صنعاء مصلحة للتلغراف تابعة لمصلحة البريد ويمكن للمرء ان يتخابر بالتلغراف مع من شاء فى جميع أطراف اليمن بسهوله تامة وبأجور بخسة ويوجد فى صنعاء أيضاً مركز للتلغراف اللاسلكى (طار الهواء) أسسه الطليان بامر جلالة الأمام منذ بضعة أعوام ، وصار من السهل أن يتخابر الانسان من صنعاء مع العالم الخارجى عن طريق (ماركونى مصوع) ولكن من دواعى أسفى ان الموظفين الطليان فى هذه المصلحة لا يقومون بمهمتهم حق القيام ، فقد أرسلت من صنعاء ثلاث برقيات عن يدهم باللغة الفرنسية فى رحلتى الاولى الى اليمن سنة ١٩٢٧ وتقاضوا منى أجوراً باهظة عنها وأعطونى وصلاً بالقيمة المدفوعة، ولكن تلك التغرافات لم تصل. ولسبب من الأسباب

غضب جلالة الأمام على هذه المصلحة وأمر باغلاقها مدة من الزمان ، ثم زالت تلك الأسباب وعاد لاستعمالها مرة ثانية ، وهى اليوم مستعملة بصورة رسمية . وعلاوة على هذا الماركونى اشترك جلالة الامام مؤخراً فى التلغراف الدولى (كابلو) عن طريق الشيخ سعيد وصار بالامكان مخابرة اليمن من جميع أطراف العالم عن هذا الطريق

حى بئر العزب

بعد ذهاب القاضى احمد الآنسى تناولت طعام الغداء واسترحت ساعة من الزمن ثم خرجت لأشاهد المدينة وصحبت برفقتى جنديا من جنودنا ليهدينى الى الطريق ويكون لى خير الرفيق خرجت من الدار فى زقاق ضيق لا يبلغ عرضه اكثر من مترين ، وأرضه غير معبدة ؛ وتقوم الى جانبه جدران بنيت من اللبن والطين على طراز بناء (دكوك) حدائق دمشق الى علومتر ونصف ، أو مترين ، ويوجد خلف هذه الدكوك حدائق غناء ، ومنازل جميلة على شكل — فيلات — مكشوفة الأطراف ، الا من سور فى آخر حدائقها ، مررنا بمنتصف الزقاق بكتاب للاولاد الصغار ، وكان صوت



دار فى حى بئر العزب مبنية من الحجر والآجر الاحمر

قراءتهم بالغاً عنان السماء ، فهم كغيرهم من الاولاد فى كتاتيب البلاد الشرقية بما فيها دمشق الشام يقرأون بالجملة لا بالمفرد وانتهينا فى آخر الزقاق بميدان واسع يقال له ميدان باب الشرارة ويوجد فى جهة هذا الميدان الشمالية المدرسة العلمية المتوكلية ، وبعض الشوارع المتجهة نحو حى بئر العزب وتوجد فى جهة باب الشرارة من الجنوب ثكنة عسكرية كانت أيام الدولة العثمانية مكتباً للصناعات ، والى جانبها توجد طريق واسعة تؤدى الى قاع اليهود، ويوجد على جانب هذه الطريق حانوت كبير لتاجر يهودى قيل لى انه من أغنى تجار صنعاء ويوجد فى جهته الشرقية المستشفى الملكى وقد وضعت عليه لوحة كتب عليها باللغة التركية — صنعاء خسته خانه سى — أى مستشفى صنعاء ويوجد فى هذه الجهة أيضاً سور ثان - غير سور صنعاء العمومى - وهو يحيط بسراى جلالة الامام وحدائقها ، وفيه باب صغير خاص للحرم الشريف ، وفيه على بعد بضع مئات من الأمتار باب آخر يقال له باب الشرارة ، وهو المدخل العام الى أحياء المسلمين ، وشوارع مدينة صنعاء القديمة اذ يمكننا أن نطلق على حى بئر العزب اسم مدينة صنعاء الجديدة ، لأن هذا الحى بنى أيام الترك فقط . ويوجد فوق باب الشرارة بناء فخم بناه الترك ، ويستعمله حاكم صنعاء كمكتب له وفيه أيضاً مكاتب لبعض الضباط المستخدمين فى الحرس الملكى .

حانوت اليهودى والنسيج الشامى

دخلت حانوت اليهودى المثرى فى باب الشرارة لأرى ماذا يوجد فيه من البضائع والسلع ، فرحب بى صاحبه أجمل ترحيب وقدم لى كرسياً لأجلس عليه ، فجلست وأجلت نظرى فى أطراف الحانوت فاذا بمساحته تبلغ نحو ثمانية أمتار مربعة ، وعلوه نحو مترين ونصف متر وقد كدست فيه البضاعة بعضها فوق بعض بصورة منتظمة ، وأهم تلك البضائع وأكثرها صايات الحرير الشامية ، ويقولون لها فى صنعاء (الصايات المصرية) لأنها تأتى عن طريق السويس المصرية وصايات الديما الشامية ومعظمها من مصنوعات حلب ، وقد قرأت أسماء بعض الحلبيين عليها ورأيت أيضاً

أنواعاً مختلفة من الحرير الملون بالوان زاهية كالاحمر ، والاصفر ، والاخضر ومعظمها من مصنوعات فرنسا ، وهذه الأقمشة الحريرية تستعملها السيدات المسلمات الغنيات لملابسهن ، وقيل لى ان بعضهن ينفقن عن سعة على ملابسهن ، ويبلغ أحياناً ثمن ثوب السيدة منهن مع شغله وتطريزه وتحليته بالخيوط القصبية أو الفضية والذهبية ، من ثلاثين الى خمسين جنيها انكليزياً .

وشاهدت أيضاً كثيرا من الشيت والكتان وغيرهما من الاقمشة القطنية الرخيصة، التى لاتعى الذاكرة أنواعها ويوجد على بعضها رسوم ونقوش غريبة الاشكال تستعملها النساء فى صناعة أحجبتهن «حبارتهن» ورأيت أيضاً أنواعا مختلفة من الجوخ والاقمشة الصوفية ، وجلها من الاصناف الواطية ، المصنوعة فى بريطانيا العظمى. سألت التاجر من أين تستوردون بضاعتكم ؟ وهل لكم عملاء فى خارج اليمن ؟ فقال : كلا، لايوجد لنا عملاء خارج اليمن، انما نستورد بضائعنا من عدن. فقلت ولماذا لاتستوردونها رأساً من معاملها فتوفرون على أنفسكم « القومسيون » وغيره ، فقال ان «مقطوعية» محلى قليلة بالدرجة الاولى ، ولاتوجد عندنا بنوك لنحول عليها أصحاب المعامل فى الخارج لذلك نضطر الى أن نذهب بين آونة وأخرى الى عدن ونشترى بضائعنا منها ونشحنها معنا ونأتى بها الى هنا

البنوك

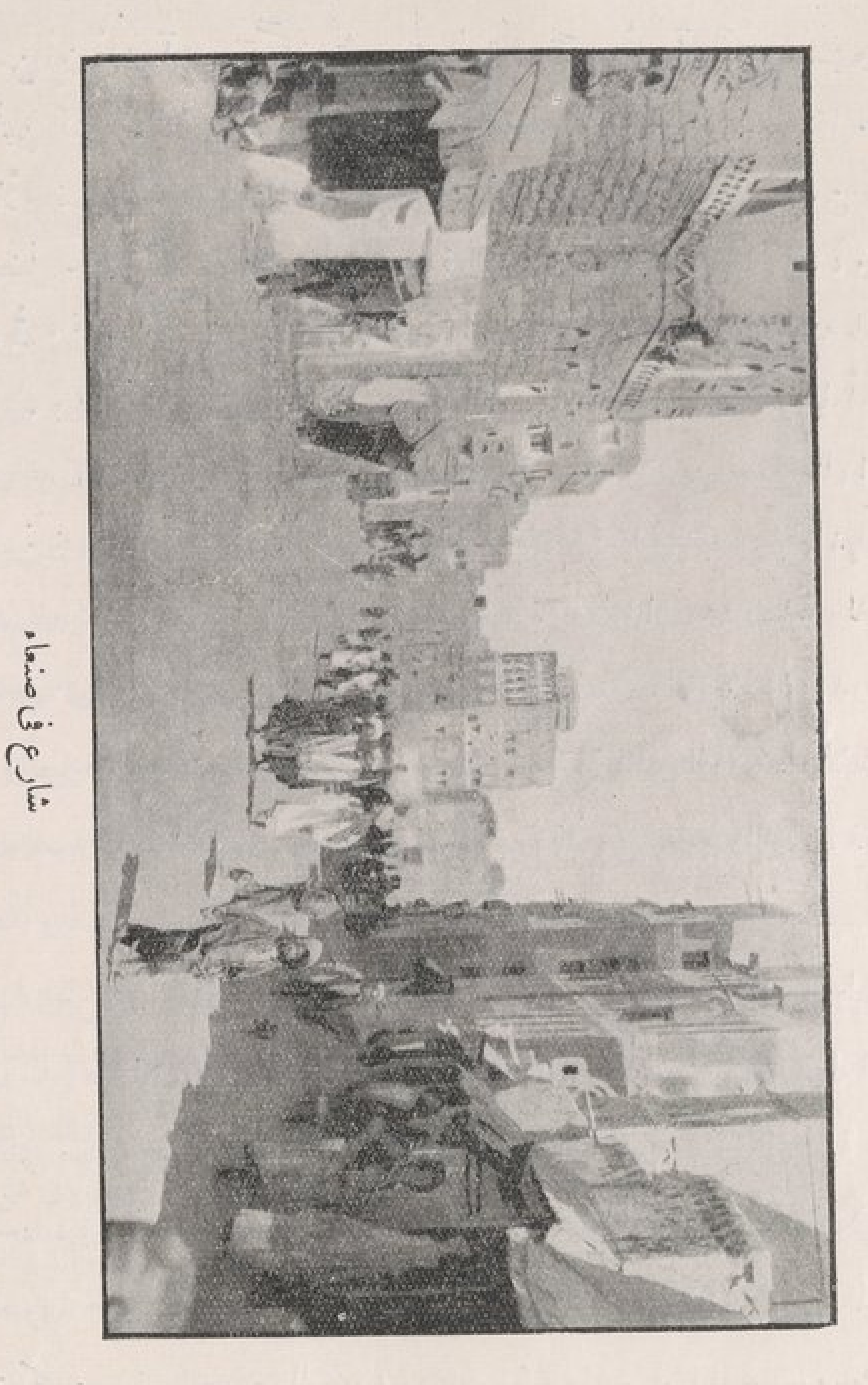
وفى الحقيقة ان مشكلة البنوك مشكلة مهمة فى اليمن إذ لايوجد بنك واحد فى هذه البلاد التى يبلغ سكانها خمسة ملايين وقد سعى بعض المثرين كالخديوى عباس وغيره لفتح بنوك فى اليمن ولكن جلالة الامام لم يقبل بالشروط التى عرضوها عليه فباء مشروعهم بالفشل وظلت البلاد الى هذا اليوم تخبط خبط عشواء فى مبادلاتها التجارية وحالاتها المالية فى حوالاتها المالية فتارة تستعين بالشركات التجارية الاجنبية وطورا تلجأ الى وكلاء الوابورات البحرية وسألت التاجر اليهودى وعن أى طريق تجلبون بضائعكم من البر أم من البحر ؟ فقال عن طريق أب برا مع القوافل لاعن طريق البحر ونفضل

هذه الطريق بالرغم من أخطارها ونفقاتها لعدم وجود بواخر تسافر من عدن الى الحديدة فى أوقات معينة منتظمة . فقلت وأى اخطار ونفقات تعنون ؟ فقال نفقات النقل الباهظة واخطار السلب والنهب مابين عدن وماوية فى أراضى الحواشب ، والصبيحة ، وغيرهما من القبائل الخاضعة للحكم البريطانى فى المحميات التسع اسما لا فعلا ونضطر الى دفع ضرائب لسلطان لحج وخوات لغيره من أمراء المحميات لكى يأذنوا لنا فى المرور فى أراضيهم ، وخاصة الى سلطان المسيمير الذى يأخذ رسماً على كل حمل دون أن يهاب سلطة احد . ومتى وصلنا الى ماوية وهى أول حدود بلاد جلالة الامام ندفع ضريبة جمركية ثانية على هذه البضائع ولكنا هنا ننجو من السلب والنهب ولا ندفع خوات لاحد ويستغرق وصول القوافل من عدن الى صنعاء عن هذه الطريق اكثر من خمسة عشر يوما ، ومما يؤسف له ان البريطانيين فى أيام الحرب العامة عملا بقاعدة فرق تسد استمالوا بالوعود والمال امراء النواحى التسع المحمية ، وحملوهم على أن يشقوا عصا الطاعة على أئمة اليمن ويثوروا عليهم وينفصلوا عنهم ، ونصبوهم أمراء وسلاطين على هذه البلاد ، وأخذوا يغدقون عليهم العطاء والنياشين ، ويضربون لهم المدافع اذا جاءوا الى عدن ، ففسد أمرهم ، وظنوا انهم سلاطين حقيقة . وصاروا يستبدون باتباعهم ورعيتهم ويسومونهم سوء العذاب ، ولما قطع البريطانيون عنهم المرتبات والعطاءات بعد الحرب العظمى ندموا على ما فعلوا ولات ساعة مندم ، ومن شدة ضغط البريطانيين عليهم ثار بعضهم على البريطانيين بزعامة أمراء قبيلة الصبيحة وصاروا يسلبون وينهبون على قارعة الطريق ، وفى وضح النهار فاضطر الانكليز مراراً أن يرسلوا أسرابا من طائراتهم الحربية فى عدن فتقذفهم بقنابلها ، ولكن من دون نفع او جدى

تلامذة المدرسة العلمية المتوكلية

سرت من دكان اليهودى نحو المدرسة العلمية المتوكلية ، فرأيت التلاميذ يأتون اليها أفواجا أفواجا ، وجميعهم بعمائم بيضاء ، ويلبسون ألبسة جميلة وثمينة تدل على انهم من أبناء الطبقة الغنية وقفت أنظر اليهم وأتأمل بملامحهم فجاءنى بعضهم يمشون مرحا

وسألونى من أين أنت آت ؟ وكيف وجدت اليمن ؟ فقلت أنا آت من مصر وقد أحببت اليمن كثيراً ، لانه أصبح فى هذه الايام القطر العربى الوحيد المستقل الذى لا نفوذ للأجانب فيه ، وانى أغبطكم على هذه النعمة التى تفردتم بها من دون العرب بفضل حكمة جلالة الامام وكياسته ، فقالوا : سبحان الله سبحان الله ، والحمد لله ، الحمد لله ، ثم سألنى أحدهم عن الأزهر ومصر والشام والحجاز فاجبته باجوبة توافق المقام ، وبدأت بدورى أسألهم عن عدد الطلبة وعن العلوم التى يدرسونها وأوقات الدرس الى غير ذلك من الأسئلة فأجابنى أحدهم انهم يدرسون من الصباح الى الظهر ومن ثم يستريحون نحو ساعة من الزمان فيتغدون خلالها ، فيذهب الطلبة النهاريون الى بيوتهم ، ويتعشى الطلبة الداخليون فى المدرسة . وقالوا ان عدد الطلبة يبلغ نحو خمسمائة طالب ، والقسم الكبير منهم داخليون وهم رهائن عند جلالة الامام ، ويدرسون القرآن ، والصرف ، والنحو ، والفقه ، والحديث ، وجميع العلوم الدينية ، والانشاء ، والبيان ، والعروض ، والحساب ، والجغرافيا ، الى غير ذلك من العلوم والفنون. فقلت: حسناً جداً وطلبت منهم أن يسمحوا لى بأخذ صورتهم فوقف رهط منهم أمامى فصورتهم ، ومن ثم ودعتهم وأردت الانصراف فاعترضنى أحدهم قائلاً : هل طبعتنا ؟ (أى صورتنا) فأجبت نعم. فقال : أعطنى الصورة. وأخذ الجميع يرددون قوله اعطنى صورة أعطنى صورة فقلت لايمكننى أن اعطيكم الآن صوراً لانها تحتاج الى عملية طويلة الى اخراجها ، وأخذت أشرح لهم كيفية التصوير ، محاولاً اقناعهم بعدم تمكنى من اخراج الصورة فوراً ، فلم يقنعوا بذلك ، وعبثاً حاولت أن أغير فكرهم ، وهكذا كان الحال معنا كلما صورنا واحدا من الناس ، ودعتهم ثانية وانصرفت فدخلت صنعاء من باب الشرارة وكان واقفاً بالباب جندى حارس فبادرنا بالسلام العسكرى ببندقيته فرددت عليه السلام برفع اليد على الطريقة العسكرية التركية



شارع فى صنعاء

الاحياء الوطنية فى صنعاء : الصيدلية

وأول شيء استرعى نظرى فى احياء صنعاء الوطنية هو صيدلية البلدية التى تبعد بضعة أمتار عن باب الشرارة وقد وضعت عليها لوحة مكتوب عليها باللغة التركيـة : (بلدية أجرخانة سي) ، دخلت اليها فرأيت رجلا نحيف الجسم ، أسمر اللون ، براق

العينين متوسط الطول ، يرتدى ألبسة عسكرية تركية ، ويحمل (رتبة) قائد ، جالساً الى كرسى وأمامه غلام يقرأ ورقة . فقلت السلام عليكم ، فأجابنى باللطف اليمانى المشهور وعليكم السلام ورحمة الله . ونهض واقفاً فقلت أين مدير الصيدلية ؟ فقال (هااندا !) قلت من قراءة اللوحة التى على بابكم خلت ان صيدليتكم ملكية ولكنى أراها عسكرية الآن ! فقال بلهجة يمانية : (مافيش خلاف) أنا جندى ، ولكن الصيدلية ملكية وعسكرية فى آن واحد ونحن نقدم العلاجات لجميع الناس لافرق عندنا بين الملكيين والعسكريين فطلبت منه بعض العلاجات ، مثل كينا واسبرين ، وصبغة يود ، وملح انكليزى الخ . ؛ فقدمها لى حالا فنظرت الى زجاجة أقراص الكينا ، فاذا بها من معمولات شركة ويلكم الانكليزية ، فقلت يظهر لى انكم تجلبون عقاقيركم من بريطانيا العظمى ، فقال : عندنا علاجات مختلفة جلبنا بعضها من بريطانيا وبعضها من فرنسا وبعضها من ايطاليا والمانيا

أجلت البصر فى هذه الصيدلية الوحيدة من نوعها فى صنعاء ، فرأيتها على غاية من النظافة والترتيب لاتقل رقياً وترتيباً عن متوسط الصيدليات فى بلادنا فقلت له : من دواعى سرورى أن أرى صيدليتكم تضارع الصيدليات الراقية فى ترتيبها ، فقال أشكرك على هذا التقدير ، هلم تفضل وانظر مستودع العلاجات فى الدور العلوى وصعد أمامى فى سلم حجرى نظيف ، فصعدت خلفه فوجدت ثلاث غرف كبيرة قد كدست فيها أنواع مختلفة من العقاقير والاجزاء الطبية ، وجميعها مرتبة أحسن ترتيب فقلت بارك الله فيكم وفى صيدليتكم ، من أين استحصلتم على شهادتكم ؟ وأين بلادكم فقال : أنا يمانى ، صنعانى ، واسمى حسين الروضى وتعلمت فن الصيدلية على الصيدلى التركى الذى كان يشتغل هنا أيام الدولة العثمانية ، وليس بيدى شهادة مدرسية ، وها أنذا اليوم أعلم ابنى هذا الفن ، فقلت وأين ولدكم ؟ فقال هو الغلام الذى رأيتموه فى الاسفل فقلت ماشاء الله . ونزلت واياه الى الصيدلية فوجدت الغلام مكبا على قراءة وريقة ، فأخذتها بيدى وتأملتها جيدا ، فاذا فيها أسماء علاجات كثيرة مكتوبة باللغة الايطالية ؛ والى جانبها الحروف الرمزية (سيمبول) التى تنوب مناب الاسماء فى علم الكيمياء ويتقن

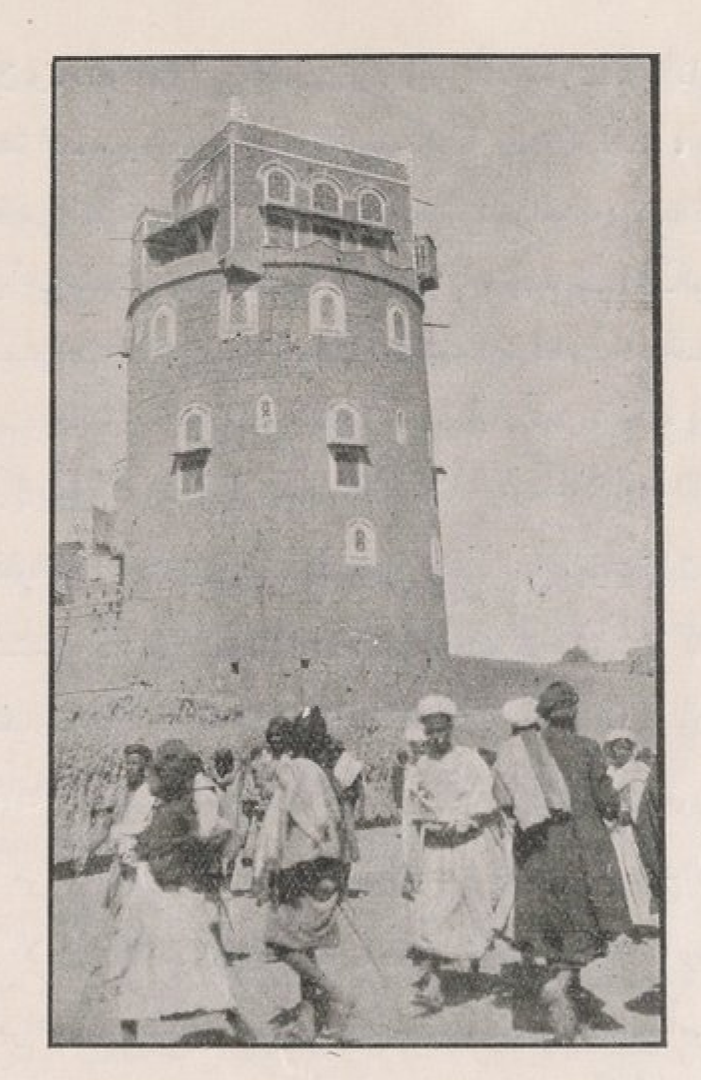
هذا الغلام ووالده اللغة الطليانية ، وقد تعلماها عقيب مجىء الدكاترة الطليان الى اليمن سألت الصيدلى ، كم ثمن هذه العلاجات التى أخذتها ؟ فقال كذا بالعملة اليمنيـة ، فقدمت له المبلغ وهو فى الحقيقة زهيد جداً ، اذا قسناه بالمبلغ الذى تتقاضاه الصيدليات المتوسطة عندنا ، فقلت له ؛ يظهر لى أن أثمانـكم بخسة جداً ، فقال : يجب أن تكون بخسة لأننا لم نفتح هذه الصيدلية بقصد الربح ، الله يحفظ جلالة الامام وحكومته لأن قصدهما من فتحها المنفعة العامة ليس الا ، ونحن لاندفع على علاجاتنا جمركا لأنها تخص الحكومة ، وقد أمرتنا هذه الحكومة بأن نعطى العلاجات الى الفقراء مجاناً ، وان نتقاضى من الأغنياء ثمن العلاج دون أقل ربح لذلك تجد أثماننا بخسة الى هـذه الدرجة فقلت شكراً لهذه الحكومة الحكيمة التى تهتم بشأن رعاياها هذا الاهتمام . ثم سألته هل يوجد فى جميع أطراف بلاد اليمن صيدليات على هذه الصورة ؟

فأجاب : كلا ، لاتوجد صيدليات ولـكن يوجد أطباء طليان فى الحديدة ،وحجة وتعز ، وغيرها من المدن الكبيرة ويرافق كل طبيب خبير كيماوى يمكنه أن يركب بعض العلاجات بحسب أمر الطبيب وقال ان أهل اليمن لايزالون غير متمدنين فلا يعنون كثيراً بالأطباء والعقاقير ، وخصوصاً القبائل البدوية التى لاتعرف عن الطب شيئاً ، وتداوى معظم الأمراض بالكى والنار وببعض الوصفات البدوية التى توارثها الابناء عن الآباء .

الاطباء فى اليمن

تحتاج اليمن الى كثير من الاطبـاء حاجة ملحة ، وبرغم تصريح الصيـدلى بان اليمانيين لا يتطببون ، فانا أعتقد اعتقاداً جازماً بانهم يقدمون على التداوى تدريجياً متى وجدوا عندهم أطباء من بنى جنسهم ودينهم ، ولـكن الأطباء فى بلادنا العربية ويا للاسف ، لا يقدمون على المهاجرة كما يقدم الاروبيون لذلك نرى الـكثيرين منهم يقنعون بالعمل اليسير فى بلادهم ويرجحونه على تكليف أنفسهم السفر الى بلاد بعيدة ولو كانت لهم من وراء هذا السفر أرباح طائلة ! أما الاطباء الموجودون فى اليمن الآن ،

فهم من الطليان وقد أتوا الى اليمن عقيب زيارة والى أسمره السنيور غاسبريني لليمن وعقده المعاهدة الطليانية اليمانية المعلومة مع حكومة جلالة الامام ، وهم يتناولون رواتب ضخمة من الحكومة المتوكلية ، ويبلغ مرتب الواحد منهم ما ينوف على ٦٠٠ ريال امامى أى نحو ستين جنيها انكليزياً فى الشهر ، وتقدم لهم الحكومة أيضاً دارا لسكنهم ؛ وحيوانات لركوبهم وجنوداً لحراستهم ومرافقتهم ، وخدماً لخدمتهم وطعاماً لمأكلهم ، وقد زرت المستشفى الذى أسسوه فى صنعاء فوجدته فى حالة ابتدائية تنقصه معظم لوازم المستشفيات الحديثة ، وقد أدركت حكومة الامام هذا النقص وأمرت الأطباء أن يبذلوا جهدهم لتحسين هذا المستشفى وغيره من المستشفيات ، وجعلها على أقل تقدير كالمستشفيات المتوسطة فى بلاد العالم ، وقد تقابلت مع اكثر من واحد من الاطباء الطليان وسألتهم لماذا لاتهتمون بالمستشفيات وأنتم المسؤولون عنها بالدرجة الاولى ؟ فقالوا : ان هذه المستشفيات كثيرة على اليمانيين ولا يستحقون أفضل منها وشكوا كثيراً من قلة اهتمام اليمانيين بصحتهم ، وعدم إصغائهم لنصائح الأطباء ، وعدم مراجعتهم لهم الا فى الحالات الخطرة جدا ، وذلك مما يسبب كثرة الوفيات ، ويزيد فى انتشار الأمراض ، بسرعة ويجعل مقاومتها صعبة ، وخصوصاً أمراض الجدرى وحمى الملاريا ، والتيفوئيد وغيرها من الأمراض السارية ، التى تكثر فى المناطق الحارة وأظن أن الأطباء على شىء من الحق فى شكواهم ، ولكن من البديهى أن هذه الشكوى المريرة لا تنطبق على اليمانيين فقط بل تنطبق على معظم سكان جزيرة العرب الذين لا يأبهون للطب والتطبيب ، وذلك بالرغم من أن أول من اشتغل بالطبابة هم العرب ولكن أعود فأكرر ثانية أن اليمانيين لو وجدوا عندهم أطباء مسلمين عرباً لكان موقفهم منهم غير موقفهم من الدكاترة الطليان ، والسر فى ذلك بديهى لا يحتاج الى ايضاح وبيان .



بناء مستدير داخل سراى الامام
يستعمل كمكتب لبعض الموظفين ومخفر للحرس الملكى

سراى الإمام

رأيت خلف صيدلية البلدية ، أى فى الجهة الشمالية من باب الشرارة ، مسجداً وبالقرب منه حماماً على طراز حمامات دمشق ، وخلفه سراى جلالة الامام ، التى لا يتمكن المرء أن يراها كاملة ولا من جهة من الجهات الأربع ، لانها كما ذكرت سابقا محاطة بسور خاص عال ، فلا يرى الانسان منها الا ما ارتفع فوق هذا السور ولها بوابة خارجية فى السور ، ضخمة مبنية بالحجر الأبيض ، والاسود ، بترتيب جميل . وفيها باب كبير خشبي اسود ، وفيه باب صغير (خوخة) ويوجد بالقرب من هذه البوابة

بناء مستدير الشكل ، يشبه مخافر الجنود فى السور العمومى ، مبنى من اللبن والطين وبابه من داخل السراى يستعمله بعض الموظفين كمكتب لهم . وأما الجامع القريب من السراى فقد جدد بناءه ووسعه ، جلالة الامام ، وهو يصلى فيه فى بعض الاحيان وقد ذكر لى أحد البنائين الذين بنوا هذا الجامع ، أنه لم يكلف سوى مبلغ يسير وان نفس سراى جلالة الامام كلفت نحو عشرة آلاف من الجنيهات وفى الحقيقة هذا مبلغ زهيد جداً بالنسبة الى ضخامتها وفخامتها ، وهى مبنية جميعها من الحجر الأبيض والأسود والمرمر ، ولكن البناء فى صنعاء ككل شيء آخر فيها رخيص جداً ، اذ لا تكلف الدار العادية المكونة من أربعة أدوار ، والمبنية من الحجر والمرمر، والخشب الجيد أكثر من الف جنيه ، والايجارات هناك رخيصة للغاية إذ يمكن للمرء أن يستأجر داراً فسيحة مؤلفة من ثلاثة أدوار ، بمبلغ ثلاث ورقات سورية شهرياً ، وقد لاحظت فى صنعاء أن أهلها كغيرهم من أهل الجبال يخشون البرد كثيراً فلا يكثرون من النوافذ الحقيقية ويصغرون حجمها ولكنهم يكثرون مما أسميه بالنوافذ الخلابة الكذابة وأسميها كذابة لأنها لاتفتح ولا تغلق وأسميها بالخلابة لأنها جميلة الشكل تكسب الدار جمالاً خاصاً وبهجة خاصة ، وتصنع من أنواع رقيقة من المرمر الأبيض الصافى باشكال هندسية مختلفة يمكن منها دخول النور ولا يمكن دخول الهواء

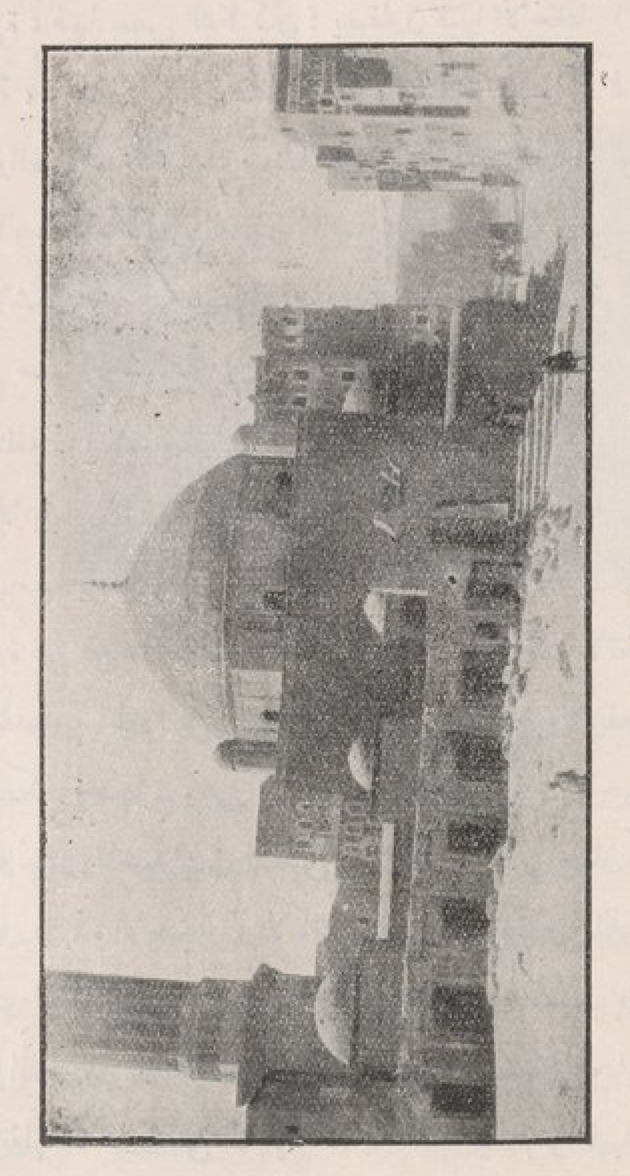
دور اليمن

وتبنى الدور فى صنعاء وغيرها من بلاد اليمن على شكلين : الاول من الحجارة فقط يضعون بعضها فوق بعض ولا يستعملون فى بنائها الطين بل يبنونها بشكل يركب معه الحجر الواحد فوق الحجر الآخر والشكل الثانى يبنونه من الحجارة فقط أو من الحجارة والآجر والطين العادى - ويسمونه باليمن (خلب) - أو الطين المضاف اليه شيء من الكلس ويبيضون هذه المنازل بما يسمونه (قص) وهو يشبه الكلس ويصنعونه من حجر خاص يجلبونه من مكان واقع فى شرقى صنعاء يقال له الغراس ، وهو المكان الوحيد الموجود فيه هذا الحجر فيجلبونه منه الى صنعاء ويحرقونه كما تحرق احجارنا الكلسية

فى أفران خاصة ثم يخرجونه ويطحنونه طحنا فيصبح جاهزاً للعمل ويجلبون أحجارهم من الجبل الشرقى المدعو نقم (وهى بيضاء) ويجلبون أيضا أحجاراً من جبل الجراف الواقع غربى الروضة (وهى سوداء) ويجلبون أيضا احجاراً بركانية سوداء من جبل عصر أو السنيتة الواقع غربى صنعاء ، وهى أصلب من حجارة الجراف ومعظم البنائين فى صنعاء من اليهود وبعضهم من المسلمين وآلات البناء وأدواته ابتدائية بسيطة للغاية يصنعونها هم بأنفسهم فى صنعاء من الحديد ، أو من الخشب . ولكن بناءهم قوى جداً ويبقى قائما مئات من السنين . وقد شاهدت بنفسى بعض الأبنية القديمة لا أشك فى أن عمرها أكثر من مائة سنة على أقل تقدير ولا تزال متينة وقوية . وليس هذا بغريب على اليمانيين لانهم ورثوا فن البناء عن أجدادهم اهل سبا ومارب المشهورين بالبناء القوى فى العصور الخالية . وقد شاهدت فى بعض الاماكن بجهة وعلان آثاراً لسد حميرى قديم لا تزال بادية للعيان كأنها من بناء أمس وأول من أمس على الرغم من أنه مضى عليها ألوف السنين . وقد رأيت شيئا قبيحاً فى بعض أبنية صنعاء أوجه اليه نظر رجال الحكومة المتوكلية وهو أنه لا يوجد للدور مجار وأنابيب مغطاة لتصريف الماء القذر حتى ولا مجار لبيوت الخلاء . وقد استعاضوا عن الانابيب بمجارى ماء مكشوفة ومبنية الى طرف جدار الدار فينزل فيها الماء على مرأى من الناس الى الشوارع والأزقة ويسيل بصورة قبيحة وتفوح منه رائحة كريهة ، وربما كان هذا الماء من جملة الاسباب فى انتشار الامراض ، فأوجه نظر أهل الحل والعقد فى صنعاء ثانية الى هذا الخلل راجياً أن يتداركوه بحكمتهم لانه يضر كثيراً بالصحة العامة

سرت من أمام الصيدلية ومسجد الامام الذى يقال له مسجد المتوكل ماراً بباب الشقاديف ، الذى يخرج منه جلالة الامام يوم الجمعة لتأدية الصلاة ، ورأيت عنده الغيل الأسود الذى يسقى بعض حدائق صنعاء وقد مر بنا ذكره جاريا فى نفق صغير عمقه نصف متر عن وجه الارض ، وفيه حفرة تأتيها النساء فيملأن جرارهن ؛ ويوجد فوق باب الشقاديف مخفر للجند مخصص لفصيلة من حرس جلالة الامام مبنى على شكل مستدير وله درج لولبى ورمايات كرمايات الحصون وتقوم الى جانب هذا الباب

الشوارع الكبيرة والاحياء الوطنية واول شيء شهدته فيها سوق فسيحة معظم دكاكينها كانت مقفلة فخلت نفسي بدمشق فى أحد أيام اضرابنا وتنتهى هذه السوق بمجرى سيل واسع يفصل الاحياء بعضها عن بعض ؛ وتجرى فيه المياه أيام المطر بكثرة مبتدئة من أسفل جبل نقم بالجهة الشرقية ، ومنتهية بقاع شعب الذى يحيط بصنعاء فى الجهة الشمالية ، ولكن مجرى السيل فى هذه الايام كان جافاً لاماء فيه ، لان الفصل فصل شتاء وفى الشتاء تقل المطر فى اليمن !



مسجد فى صنعاء يقال له قبة المهدى عباس

الاحجار الكريمة

رأيت الى جانب هذا السيل مسجداً يقال له (قبة المهدى عباس) وكان هذا المسجد مفروشاً بالسجاد العجمى القديم ، ولكن تجار السجاد الغرباء أتوا الى اليمن بكثرة وأخذوا يبتاعون السجاد القديم بأثمان باهظة فباعهم متولى الجامع السجاد القديم الموجود عنده ، وابتاع سجاداً جديداً فرش الجامع به . وتوجد الى جانب هذا المسجد سوق صغيرة ، فيها بعض الدكاكين ؛ يصقلون فيها الاحجار اليمانية الكريمة وكانت يومئذ مغلقة ، وتختلف ألوان هذه الحجارة اختلافا عجيباً ، فمنها البيضاء والسوداء والخضراء والصفراء والحمراء ، ومنها ماهو مزيج من هذه الألوان جميعاً أو من بعضها وعلى بعضها رسوم بأشكال الطيور والسمك والزحافات وأغصان الاشجار ؛ الى غير ذلك من الاشكال . وهم يجلبونها من جبل نقم ومن جبل الغراس وغيرهما من الجبال القريبة من صنعاء ، ويصقلونها بالماء والتراب الناعم على أحجار رملية ، ويصنعونها بأشكال مختلفة ويستعملونها فى صناعة الحلى ، كالخواتم والحلق والازرار وغير ذلك ويجب أن لا يتبادر الى ذهن القارىء من أشكال هذه الحجارة بأنها من المتحجرات لانها ليست منها بل هى نوع من أنواع الصخر يقال له بالانكليزية (كورتز) وتمتاز هذه الحجارة عن غيرها بصلابتها : فهى صلبة الى درجة لاتخدشها ولا تعمل فيها الادوات الحديدية الحادة بل هى كالماس تقطع الزجاج ولا يقطعها شىء . وتستعمل الاحجار الكبيرة منها — وهى نادرة — فى صناعة بعض الاجران الكيماوية الصلبة التى يستعملونها فى الصيدليات لسحق العلاجات . وفى أحيان كثيرة يوجد الذهب كعروق فى هذه الاحجار ، الا اننا لم نشاهد عروقا من الذهب فى طوافنا باليمن ؛ ولكن روى لنا أن الذهب موجود فى بلاد الشرق . سرت من هنا بين أزقة ضيقة قائمة الى جوانبها دور فخيمة شاهدت فى جدران بعضها أحجاراً قديمة عليها كتابة (حميرية) نقلها الأهلون من الأبنية القديمة المتداعية فبنوا فيها دورهم وحوانيتهم

الاسواق المغلقة والاضراب بالرصاص

ثم مررت بسوق البقر وسوق الحطب وسوق البز أى الأقمشة وسوق القمح وسوق الزبيب والجوز وغيرها من الأسواق الكثيرة وكانت معظمها مقفلة ولم أشاهد فيها الا بعض الناس ، فحرت فى امرها وسألت رفيقى الجندى هل عندكم اليوم عيد ؟ أم عندكم اضراب عام ؟ فقال : لايوجد عندنا عيد . قلت اذاً اضراب ؟ فلم يفهم معنى الاضراب وعند ماأفهمته معنى الاضراب ضحك حتى كاد يغشى عليه من الضحك ويستلقى على قفاه وقال : نحن لسنا بحاجة الى هذه الامور ولو احتجنا اليها لانستعملها



أحد الاسواق فى صنعاء

بل نستعمل هذا (البندق) وأشار الى البندقية التى كان يحملها على كتفه أكبرت فى الجندى هذا الشعور الوطنى وقلت فى نفسى (آكل المعصى ليس كالذى يحصيها) ثم سألته ثانية اذاً لماذا أغلق الناس حوانيتهم ومخازنهم ! فأجاب : سامحك الله الوقت وقت الظهر والناس يأكلون القات . فقلت حسنا وعدت أدراجى نحو الدار وأنا أفكر بالقات وأكله وكنت أصادف بعض المارة فى الطريق فأرى أفواههم وأحناكهم منهمكة فى مضغ القات وأيديهم ملأى بغصونه . فقلت لرفيقى الجندى ماشاء الله الناس (يخزنون) القات حتى فى الطرقات ، فأجاب ، نعم ياسيدى انهم يخزنون القات فى كل مكان والقات ناه (أى جيد) خذ وكل وأخرج من بين ثيابه رزمة من القات ابتاعها فى الطريق وقدم

لى بعض الاغصان . فشكرته وقلت بلطف لا أريد . فقال الله يسامحك الغنى والفقير يأ كل القات عندنا وينفق الفقراء أحيـاناً ريالا أو ريالين ثمن القات ، فقلت حسناً هنا كم الله بالقات وصرت أتعجب فى نفسى وأفـكر فى أمر ذلك الفقير الذى ينفق ريالا ثمن قاته كل يوم فى حين يعيش رب العائلة مع أهل بيته فى اليمن ولاينفق فى يومه نصف ريال لأن ثمن المأ كولات والحاجيات رخيص جداً . فالبيض مثـلا العشرون منه بفرنك والدجاج الواحدة بفرنك ورطل اللحم بأربعة الى خمسة فرنـكات وعلى ذلك فقس ! وأما القات فغال جداً بالنسبة الى غيره من الحاجيات أولا لشدة الطلب عليه وثانياً لأن الحـكومة تعتبره من الـكماليات وتتقاضى عليه رسوما باهظة. ولايوجد فى صنعاء نفسها قات بل يجلب اليها من الضواحى مثل الروضة والوادى وعافش الخ الخ. ومن الغريب ان اخواننا اليمانيين بما فيهم المتعلمون والراقون ، ماخلا نفر قليـل منهم يسلمون بضرر القات ويعلمون حق العلم الخسائر المادية والمعنوية التى تعود عليهم من استعماله ولـكنهم يأنفون ويغضبون من سماع كلمة نقد فيـــه ويدافعون عنـه بكل قواهم .

البرد فى صنعاء

وصلت الى الدار قبـل الغروب وقد أخذ الهواء يبرد وابتدأت قائمـة الحرارة (ترمو متر) تهبط هبوطاً سريعـاً فشعرت بالبرد يتسرب الى جسمى فلبست معطفى وجلست أطالع فى بعض الـكتب قصد التسلية وانتظارا لوقت العشـاء . وبعـد العشاء شعرت بالبرد أ كثر فصعـدت لغرفة النوم واندسست فى سريرى هرباً من البرد اذ لا يوجد فى منازل صنعاء وسائط للتدفئة ولم أشاهد (دفاية) واحـدة وبعد التجربة العملية وجدت أن الفراش أفضل مكان للتدفئة ولاحظت أن برد اليمن كبرد بلودان لا يضر بالجسم كما يضربه برد مصر ودمشق وذلك لان هواء اليمن كهواء بلودان ناشف جدا بخلاف هواء مصر والشام المشبع بالرطوبة

قضيت ليلتى على أحسن حال ونمت نوما هادئا استيقظت خلاله مرة أو مرتين على

صياح الحرس فى مخافر السور وهم ينادون بعضهم بعضا باصوات غريبة عذبة وانغام اعذب تجتذب الاسماع ، وقبيل الفجر صحوت على صوت المؤذنين الذى كان يرن صداه فى هدوء ليل صنعاء البهيم فيزيده حرمة ورهبة ويشعر بفرار جيوش الظلام ويبشر بقرب طلوع جحافل النهار باسم الواحد القهار . وقد لاحظت ان الاذان فى صنعاء تختلف نغمته عن الاذان فى مصر والشام وخصوصا اذان (التذكير) المشهور فى يومى الجمعة والاثنين فهو عندهم مختصر جدا ولا يرتلونه ترتيلا كما يرتلونه فى الشام ومصر

الدلالون والعاديات

بعد تناول طعام الصباح اتانى احد الجنود الذين بالباب وقال لى يوجد كثير من الدلالين بالباب يريدون الدخول عليك قلت وما شأننا والدلالون ؟ فقال : هذه عادتهم فى صنعاء متى علموا بوصول غرباء فانهم يجلبون لهم ما خف حمله من العاديات (الانتيكات) ليعرضوها عليهم بقصد البيع والشراء فاذا اذنتم لهم بالدخول ادخلناهم وان لم تأذنوا انصرفهم ، فقلت لا بأس من دخولهم ، فدخلوا فاذا بهم يحملون (مفارش) — أى سجاداً عجميا — وادوات نحاسية ودراهم فضية وذهبية قديمة و(فصوصا) يمانية وهى أحجار غريبة الأشكال والالوان بعضها قديم وبعضها جديد يستعملونها فى صياغة الخواتم ، واحجار حميرية منها ماهو منحوت بشكل اشخاص وتماثيل ومنها ماهو على شكل الحيوانات ومنها ما هو مكتوب كتابة غريبة ، قيل لنا انها حميرية ومسمارية . فتأملنا فى هذه الاشياء الغريبة ولم نشتر سوى بعض الفصوص لعدم معرفتنا بالاشياء الاخرى ، وسألنا الدلالين عن السجاد القديم فقالوا لقد أخذه التجار الترك باثمان بخسة ورووا لنا أن تاجرا ابتاع سجادة عجمية قديمة من آل السنيدار بمبلغ مائة جنيه انكليزى وباعها بمصر بالف وخمس مائة جنيه مصرى . ومما قالوه ان الجامع الكبير كان مفروشا بالسجاد القديم فابتاعه الترك وفرشوا عوضا عنه سجادا جديدا . واما النحاس فبعضه كان جميلا جدا ومكتوبا عليه كتابة عربية وفيه رسوم سمك واسماء بعض الملوك والأئمة المعاصرين له وتاريخ حكمهم وجله مصنوع من النحاس الاصفر

وبعضه من النحاس الاحمر. والدلالون فى صنعاء كغيرهم من الدلالين والباعة فى أقطار الشرق يطلبون فى الحاجة عشرة دنانير فيبيعونها بدينار واحد وهم كثيرون جدا لا يأتى غريب أو أجنبى الى صنعاء الا وينهالون عليه من كل فج عميق ويجلبون له كل شىء تصل اليه أيديهم من طبول وزمور وبنادق وسيوف وجنبيات ومسدسات وساعات ونقود وزجاج فارغ الخ ... وبعد التجربة والدرس وجدنا ان معظم النقود والتماثيل التى كانوا يأتوننا بها والتى يدعون انها قديمة من عهد حمير ليست الا جديدة ومزيفة بصنعاء منذ عهد قريب جداً ويقوم بعملية التزييف رهط من الصناع اليهود ولكن معظم النحاس قديم جداً وخاصة النوع الذى يقولون له غسانى

قاع اليهود

بعدما انتهيت من الدلالين خرجت من الدار وبصحبتى أحد الدلالين اليهود لزيارة قاع اليهود وأصل معنى القاع السهل وسمى محل اليهود بالقاع لانه واقع فى سهل واسع ولم أصطحب معى أحداً من الجنود لأن اليهود لايميلون الى الجنود ولا يحبونهم ولا يتكلمون أمامهم غير الكلام المباح ، أما اذا اختلوا بالغريب فانهم يتكلمون معه بحرية تامة . طفت بالقاع من أوله الى آخره ودخلت منازل كثيرة من منازله ورأيت بعض غانياته وتحدثت اليهن فلم يفررن منى كما كن يفررن يوم دخولنا الى صنعاء ؛ ومنازل اليهود من داخلها نظيفة وأنيقة للغاية رغم حقارتها وصغر حجمها ولكنها من الخارج قذرة وأطرافها ملأى بالاوساخ والاوحال ويوجد فى القاع عدة أسواق فيها جميع أنواع البضائع والخردوات من أقمشة وأدوات منزلية الى غير ذلك من لوازم هذه الحياة وفيها فرن (أتون) لصنع الاجر الأحمر وآخر لصناعة الأدوات الخزفية والفخارية كالاباريق والشربيات والتنانير الى غير ذلك من المصنوعات المشوية

حديث مع الحاخام يحيى اسحاق

تقابلت فى القاع مع عدة أشخاص من كبار اليهود وعيونهم وسألتهم أسئلة متعددة عن أصل اليهود اليمانيين وعن أحوالهم وأشغالهم وها أنا أنقل حديثاً جرى بينى وبين

حاخامهم الا كبر المدعو يحيي اسحاق فى داره سألته ماذا تعرف عن أصل اليهود فى اليمن وعن مدنيتهم ؟

فقال : كانت لليهود مدنية عظيمة وكان لهم ملك نخيم فى شرقى صنعاء وقد أسس ذلك الملك وتلك المدنية الملك سليمان بن داود وكان سلام الله عليه سيد البلاد بلامنازع ودامت مملكته من بعده زمناً طويلا

(س) هل قامت تلك المملكة فى نجران

(ج) لا أعلم بالضبط أين كانت ولكنى لا أشك انها كانت فى شرقى صنعاء ومن المحتمل انها كانت فى نجران وأنا واثق بان صنعاء حديثة العهد بالنسبة الى تلك المملكة العظيمة القديمة

(س) كم عدد اليهود فى صنعاء و كم هو فى جميع بلاد اليمن ؟

(ج) يوجد فى صنعاء نحو عشرة آلاف يهودى من الذكور ومثلهم تقريباً من الاناث ويوجد كثير من اليهود فى جميع أطراف اليمن ولا أعلم عددهم بالضبط لانهم يتنقلون من مكان الى مكان ضاربين بارض اليمن الواسعة فلا يستقرون الا حيث يجدون عملا

(س) كيف كانت معاملة الترك لليهود أيام الدولة العثمانية ؟ وكيف معاملة اليمانيين لهم الآن ؟

(ج) لم تكن معاملة الترك لنا حسنة كما ان معاملة اليمانيين ليست حسنة ولكنها على كل الاحوال أفضل من معاملة الترك والله يحفظ الامام انه يدافع عنا وينصفنا ويمنع جميع التعديات علينا ويجازى كل من يتجرأ فيتعدى علينا جزاء صارما

(س) هل لكم علاقات بالعالم الخارجى وهل تأخذون أخبار اخوانكم اليهود فى هذه الدنيا ؟

(ج) نعم يوجد لنا علاقات ومخابرات دينية مع القدس ويافا والقاهرة والاسكندرية ونأخذ دوماً جرائد من القدس ويوجد يهود يمانيون بكثرة هنالك ولى ولد فى يافا والمكاتبات تجرى بيننا وبين أصدقائنا فى جميع البلاد بصورة منتظمة

(س) هل يوجد بينكم يهود صهيونيون ويهود غرباء عن اليمن وهل تعطفون على الحركة الصهيونية وتؤيدونها أم لا ؟

(ج) لايوجد عندنا يهود غرباء ولا يهود صهيونيون انما منذ عهد بعيد اتى الى اليمن بعض التجـار اليهود الغرباء وما لبثوا أن قفـلوا راجعين من حيث أتوا واما الصهيونية فليس لنا أقل علاقة بها ولا ننظر بارتياح الى بعض مبادئها وكانت ولاتزال جريدة من جرائد الصهيونين ترسل الينا من القدس هدية من دون أن نطلبها

(س) هل يوجد عندكم مدارس وكنائس وهل يعارضكم أحد فى ممارسة طقوسكم الدينية ؟

(ج) عندنا ١٥ مدرسة و ١٩ كنيسة فى صنعـاء ونمـارس طقوسنا الدينية كما نشتهى ونطبق شريعتنا اليهودية كما نرغب فلا يعترضنا معترض ولا ينتقدنا منتقد، وقلما يراجع احد منا الحـكومـة المحلية بشأن من الشؤون ونعلم أولادنا فى مـدارسنا العبرانى ولا نعلمهم العربى وجميعنا نتكلم العبرانى فى دورنا وبين ذوينا ولا احـد من المسلمين يتدخل فى أمر مدارسنا أو أى شأن آخر من شؤوننا الدنيوية والدينية مادمنا محافظين على الامن والسكينة

(س) هل لـكم ارتباط خاص مع الحاخامين بالخارج من الوجهة الدينية ؟

(ج) ليس لنا ارتباط باحد من الحاخاميين بصورة رسمية ولـكن كثيراً ما تأتينا أسئلة من حاخام مصر أو القدس مثلا عن موسى من الناس اليمانى الاصل وهل هـو متزوج أو أعزب ؟ واذا كان متزوجاً فـكم ولد عنـده ؟ وهل له املاك أو تجـارة فى فى اليمن ام لا ؟ فنجيب على هذه الأسئلة بحسب الظروف ، وبديهى أن هذه الأسئلة تتعلق بالزواج والطلاق وأعمال العزوبة الخاصة التى يجب على كل رئيس دينى أن يعرفها

(س) هل تعلمون حقيقة السر فى عزلة حى اليهود عن أحياء المسلمين ؟

(ج) لا يوجد سبب جوهرى ومن المعلوم أن اليهود فى اليمن كانوا تحت رحمة أئمة المسلمين وولاة الترك وبحسب الظاهر أن أحد الأئمة أو الولاة غضب على اليهود بسبب من الأسباب فأمر بلزوم ابتعادهم عن المسلمين وعزلتهم عنهم فصارت عادة من ذلك

الحين وانا لا أشك أنهم كانوا قديماً أى قبل ٢٠٠ سنة يقطنون بعضهم مع بعض فى احياء واحدة ودليلى على ذلك أنه توجد فى بعض أطراف اليمن على حدود عسير بلدان كثيرة يقطن فيها المسلمون واليهود أحياء قائمة جنبا الى جنب ومن الغريب أن المسلمين هنالك يعيدون فى أعياد اليهود كما أن اليهود يعيدون فى أعياد المسلمين وكانوا فى قديم الزمان ايضاً يتزوجون بعضهم من بعض.

(س) من المسموع فى الشرق والغرب أن الترك كانوا يعطفون عليكم فهل هذا حقيقى؟

(ج) كلا ان حالنا مع الترك مثله مع الائمة اذا صادف ان عطف علينا أحد الولاة أو أحد الائمة يوما من الأيام فلا شك أن يأتى يوم آخر يقوم به وال أو امام فيسىء الينا بقدر ما أحسن الينا سلفه .

(س) هل تعلمون شيئاً عن أصل اليهود فى اليمن ! وهل اتوا من فلسطين ؟ وهل هم من سكان البلاد الأصليين ؟ وعن أى طريق اتوا الى اليمن ؟

(ج) ليس اليهود من سكان اليمن الأصليين ولكنهم اتوا من أرض كنعان قبيل أن يتشتت شملهم من القدس وقد جاءوا اليمن مهاجرين عن الطريق الشرقية

(س) هل عندكم كتب تاريخية قديمة تبحث فى أحوال اليهود بعد خراب الهيكل فى القدس ؟ وكيف تشتت شملهم !

(ج) كان يوجد عند حاخامى اليهود كتب تاريخية قديمة كثيرة ولكن معظمها تلفت فى الحروب التى حصلت باليمن بين اليهود والمسلمين وبين الترك والعرب

(س) هل كان اليهود يساعدون مواطنيهم العرب على الترك فى حروبهم ؟

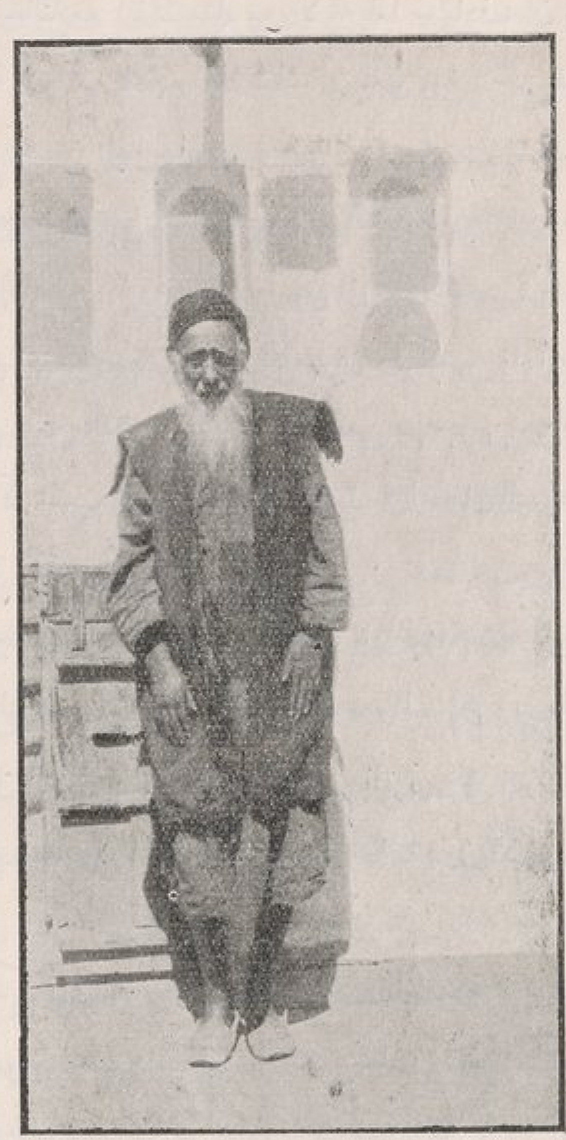
(ج) كلا : هم دائماً على الحياد لا يلتزمون جانبا دون الآخر ولا يناصرون فريقا على فريق .

(س) ارى عندكم فوق الرفوف بعض الكتب المطبوعة فهل توجد عندكم مطابع ؟

(ج) كلا لا توجد عندنا مطابع بل نحن نجلب كتبنا المطبوعة من القدس وأما الكتب الخطية فاننا ننسخها عن بعض الكتب القديمة التى لا تزال محفوظة عندنا وهى نادرة الوجود فى غير خزائننا

يشوع ابراهيم عوض

حضر حديثنا رجل يهودى طاعن فى السن ، بيضت الايام جميع شعر رأسه ولحيته فسألت محدثى عن هذا فقال هو نسيب لى يدعى (يشوع ابراهيم عوض) وهو فى العقد العاشر من العمر وقد زار اميركا منذ خمسين سنة . فملت بنظرى نحو هذا الرجل الهرم الكبير وسألته أى ولاية من ولايات أميركا زرت ؟ فقال: انى ذهبت الى مدينة نيو يورك نفسها وبقيت فيها ثلاث سنوات اشتغلت فيها كعامل بسيط فى



اليهودى يشوع ابراهيم عوض وقد زار أميركا قبل ٥٠ عاما

أحد المعامل . فقلت هل تعلمت اللغة الانكليزية ؟ فقال : تعلمتها قليلا ونسيتها الآن . قلت ولماذا عدت من أميركا ! قال حب الوطن قتّال والشوق الى الاهل والخلان حملانى على مغادرة نيويورك وحياتها الرغيدة والعودة الى صنعاء وحياتها الشاقة

طلبت الى الحاخام أن يقف الى جانب الرجل العجوز لاصورهما فامتنع من ذلك وقال انه لا يحب التصوير ولكن العجوز لم يمانع فى ذلك

مخابرة الصهيونيين السرية

انى أعتقد بأن الحاخام الاكبر كان صادقا فى جميع أقواله ولم يتصنع فى أجوبته اللهم ماعدا تصريحاته عن الصهيونية فانى لاحظت عليه الارتباك عند ما كنت أسأله بعض الاسئلة التى تتعلق بالصهيونية فقد علمت فيما بعد بان للصهيونيين مخابرة طويلة عريضة مع صنعاء ولهذه الجمعية صناديق للاعانة فى كل دار من دور اليهود فى معظم مدن اليمن . واليهودى الذى يريد أن يتصدق بشىء مهما يكن زهيداً يضعه فى هذا الصندوق ورب الدار ليس مأذوناً بفتح هذا الصندوق بل يفتحه وكيل الجمعية كل شهر مرة ويخرج ما فيه فيجتمع لديه مبلغ وافر يرسله الى صندوق الجمعية بالقدس ويدعون هذا الصندوق بصندوق الامة

وأخبرنى محدثى عن الصهيونية خارج اليمن بأن لها طوابع بريد خاصة بثمن زهيد جداً يضعها كل صهيونى على كل خطاب يرسله الى صهيونى آخر واذا ورد لاحدهم كتاب وليس عليه الطابع الصهيونى فيرده المرسل اليه الى المرسل ولا يفض غلافه مهما تكن خطورة ذلك الكتاب ولهم أيضاً حدائق خاصة بالمواليد فاذا رزق احدهم مولوداً يغرس له شجرة باسمه فى تلك الحديقة ويدفع لقاء ذلك مبلغا من المال ولهم أيضاً حدائق باسم الأموات فاذا مات شخص غرسوا شجرة لذكراه فى حديقة الاموات ويذهب ريع هذه الحدائق الى صندوق الامة. أكبرت هذا الترتيب والتنظيم فى هذا الشعب المضطهد فى سائر أقطار المعمورة وقلت فى نفسى ياحبذا لو كان زعماء الحركة الوطنية فى الشرق يقتدون باليهود ويأخذون هذا الدرس عنهم

المدارس والكنائس

بعدما انتهيت من الحديث مع الحاخام الاكبر ودعته وزرت بعض المدارس والكنائس فوجدتها على غاية من النظام والترتيب والنظافة ورأيت أولاد اليهود كاولاد المسلمين يجلسون فى مدارسهم على الارض وامامهم طاولات خشبية صغيرة يضعون عليها كتبهم ويقرأون جميعاً بصوت واحد ووقت واحد فلا يفهم الانسان منهم شيئاً . ورأيت فى الكنائس التوراة مكتوبة على رق غزال وملفوفة بعدة ملفات فطلبت من أحد الحاخاميين أن (يفردها) أمامى فنشر لى ملفاً فوجدت كتابته جميلة ومتقنة للغاية وقد صورت واحدة منها .

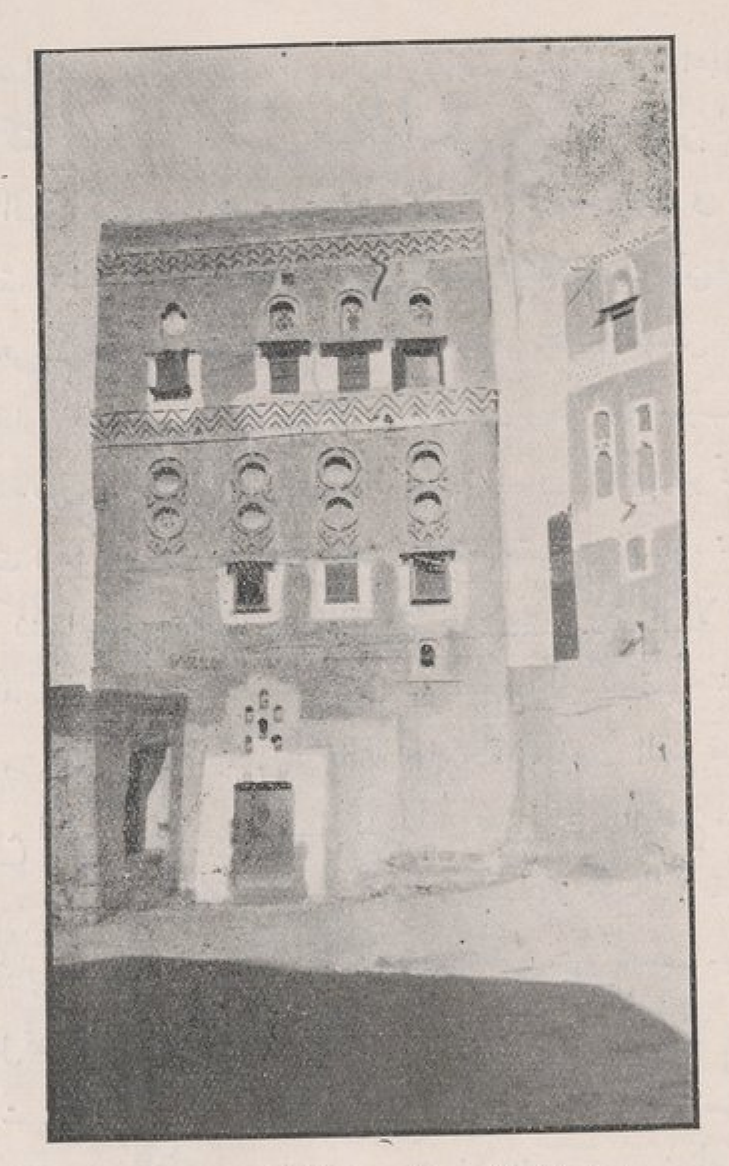
ويدعى اليهود أنهم جلبوا التوراة معهم من فلسطين بعد خراب الهيكل أى منذ ٢٠٠٠ سنة تقريباً .

قابلت كثيرين من حاخامى اليهود وشيوخهم فى صنعاء وذمار واب وسألتهم نفس الاسئلة التى وجهتها الى حاخامهم الاكبر فى صنعاء فوجدت منهم اجماعا على أن اليهود ليسوا من سكان اليمن الأصليين بل هاجروا اليها قبل خراب الهيكل وبعده من القدس وقد جاءت أجوبتهم مطابقة لأجوبة حاخامهم الاكبر وسوف يطلع عليها القارئ الكريم فى سير هذه الرحلة

رأى المسلمين فى هجرة اليهود

سألت كثيراً من المسلمين العلماء فى صنعاء وغيرها من البلاد عن أصل اليهود وهجرتهم فقالوا لى ان اليهود من سكان اليمن الاصليين وجدوا فيه قبل خراب الهيكل وبعد خراب الهيكل أتت منهم جموع عظيمة وتغلغلت فى أطراف اليمن وحضرموت وعسير وغيرها من البلاد

وقد اكد لى بعض المسلمين انه كانت لليهود فى اليمن مدنية راقية وكانوا أهل سنان وعنان وكانت لهم دولة قوية وتحاربوا مع العرب حروبا كثيرة ، غلبوا فى نهايتها على أمرهم وخضعوا لسلطان غيرهم وأدخلهم الاسلام فى ذمته فاصبحوا ذميين



دار فى قاع اليهود فى صنعاء فيها معمل برتقان

معامل البرتقان

عدت من حى اليهود حوالى الظهر ومررت فى طريقى بمعامل (البرتقان) — ويطلق اسم البرتقان على العطوس أو النشوق — أى التنباك المسحوق الذى يستعمله الناس كمضغة يمضغونها بأفواههم وكنشوق يستنشقونه بأنوفهم

دخلت أحد هذه المعامل فاذا به يتألف من (دور) أرضى فيه عدة غرف صغيرة وفى كل غرفة أريكة علوها نحو متر واحد وعليها ثلاث أو أربع مطاحن يدوية ،

ويعمل فى كل مطحنة منها فتاة أو امرأة يهودية وقد عصبن انوفهن وأفواههن بعصابات من القماش (كقناع) ليمنعن دخـول التنباك المسحوق اليها ، ولـكن لم تأت هذه العصابات أو الـكمامات ـ ويا للاسف ـ بالفائدة المطلوبة ، وقد رأيت فى وجوه جميع هؤلاء البائسات وأعينهن اصفراراً يشبه اصفرار المصابين باليرقان وصحتهن متأخرة جدا فسألت احداهن كم ساعة تعملن على المطحنة فأجابت من طلوع الشمس حتى الظهر وعند الظهر نتناول طعامنا ونستريح قليـلا ثم نعود الى الرحى حتى مغيب الشمس ، فقلت : وكم تتقاضين من الاجرة فى اليوم؟ فأجابت : ربع ريال ، أى نحو ثمانية قروش سورية ، فقلت : هل تنزعجن من رائحة التنباك ؟ فأجابت : فى ابتـداء ممارستنا لهذا العمل نتزعج كثيراً وأما بعد الممارسة فنألفه ولا نعود نشعر برائحته الا قليلا . وفى أثناء هذا الحديث مع الفتاة الذى لم يستغرق غير بضع دقائق كدت أختنق من رائحة التنباك فأسرعت بالخروج من المعمل الى باحة الدار واذا بصاحب المعمل قد أتى فسألته هل تضعون مع التنباك شيئاً قبل أن يصبح نشوقاً أو عطوسا ؟ فقال نعم اننا نضع معه نوعا من التراب يقال له (دقدقة) ، فقلت : ومن أين تجلبون التنباك ؟ فقال : يجلبـه لنا التجار الكبار من عدن ، ومن السويس ونبتاعه نحن منهم بحسب حاجتنا اليه .

فقلت هل تصنعون كميات كبيرة ؟ فأجاب : نعم اننا نصنع كميات لا يستهـان بها لأن البرتقان شـائع الاستعمال كثيرا بين جميع طبقـات الشعب وخاصة بين رجال القبـائل البدوية ، وهم الـكثرة فى البـلاد . وقد لاحظت بنفسى فى أثنـاء روحاتى وغدواتى هنا وهناك صحة هذا القول ورأيت الناس يقدمون البرتقان بعضهم لبعض كما نقـدم نحن السيكارات وهم يضعونه فى علب خاصة جميـلة يحملونها فى أحزمتهم والاحزمة كثيرة الشيوع بين اليمانيين ويندر أن يشاهد الانسان رجلا يمانيا بدون حزام وهذا الحزام هو جيب بل (خرج) يضع فيه المرء جميع ما يحتاج اليه من الادوات من مقص وموسى وخنجر وسيكارات وعلبة برتقان وقلم ودواة وقرطاس ومسلة وخيوط ودراهم الخ الخ . والبرتقان كالقات مضر بالصحة كثيراً لانه يقلل من شهية الانسان للطعام ويؤثر فى الاعصاب فيخدرها ويضعفها ويغير لون الاسنان ويصبغها بصبغة سوداء

لا تزول عنها رغم غسلها بالماء والسواك وقلما يرى السائح رجلا فى اليمن سليم الأسنان ونظيفها وذلك لكثرة استعمال القات والبرتقان

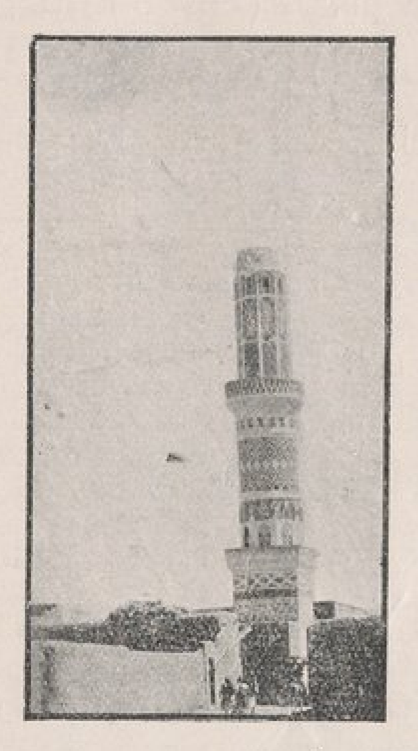
دكاكين الصياغ

سرت من معمل البرتقان بعد أن ودعت صاحبه وشكرته على المعلومات التى ادلى بها الى، ومررت بدكاكين الصياغ فوجدت أصحابها وعمالها جميعا من اليهود فدخلت أحد تلك الدكاكين فرأيت صاحبها جالساً فى الصدر وحوله ثلاثة أو أربعة عمال كبار وصغار والى جانبه خزانة حديدية قديمة فقلت له بلغة اليمن: مرحبا يا يهودا - أى يهودى فتمتم بعض الكلمات التى لم أفهمها ثم قدم لى صندوقاً خشبياً قديماً وقال: هيا تفضل وقنبر (أى اجلس) فقنبرت على صندوق الكاز وقلت له هب لى - اى اعطنى - بعض الاساور والخواتم والحلق من صنعكم فلم يفهم منى شيئاً وأخذنا نتكلم بالاشارة ولغة الخرسان وبينت له اننى اريد الحلى التى تلبسها النساء بالمعصم والاصابع والآذان فقال تعنى بلاذك (اى أساور) ومداور (اى خواتم) فقلت نعم لا فض فوك هذا الذى أعنيه، فقال حسناً فهمت طلبك ولكن أتريد من الدقة (اى النقشة) التركية الحديثة ام من الدقة القديمة الخاصة بالقبائل! فقلت أرنى جميع ما عندك، ففتح درجاً بالصندوق الحديدى وأخرج منه كيساً مملوءاً اشكالا وأنواعاً مختلفة من المصاغات، والحق يقال ان بعضها جميل جداً وعليها نقوش لم اشاهد مثلها فى الشام ومصر وجميعها مصنوعة من الفضة وبعضها مطلية بماء الذهب، ورأيت العمال الى جانبى يصبون بعض الحلى صباً بقوالب خاصة ويشتغلون بعضها شغلا باليد ويحفرونها أشكالا غريبة، ورغم ضخامتها فان عليها مسحة من الجمال قلما يراها الانسان فى المصاغات الحديثة فى البلاد المتمدنة، فسألت عن أثمان بعضها فقال لى بالوزن.. فقلت زن لى هذه البلاذك وتلك المداور فوزنها وقال لى ثمنها كذا فقلت حسناً ونفحته الثمن وهو يزيد شيئاً يسيراً عن قيمة الفضة، وهذه الزيادة اليسيرة لاتساوى فى الحقيقة اجرة العمل ولكن بارك الله فى العربية السعيدة فكل شىء فيها جميل ولطيف ورخيص وما أخطأ الذين سموها سعيدة فى هذه

التسمية . والحلى التركية أدق صنعاً من الحلى اليمانية وأخف منها . وأما الحلى القبائلية فثقيلة الوزن كبيرة الحجم وكثيرة السلاسل والتعاليق والدبابيس وما أشبه ذلك . وتلبس نساء اليمن حلى كثيرة ويفاخرن باقتنائها وعندهن حلى لمعظم أعضاء الجسد بما فيها الاذن وبين العينين والاذنين والساعدين والمعصم والارجل الخ ... ولها اسماء خاصة تختلف كل الاختلاف عن أسمائها عندنا .

الحمامات

خرجت من دكان الصائغ وعدت الى دارنا قاطعاً حى بئر العزب من الغرب الى الشرق فشاهدت فى أوله من جهة قاع اليهود جامع حنظل وله مأذنة (منارة) جميلة مبنية من الحجر والآجر . ومررت بطريقى ببعض الحمامات وهى كثيرة فى صنعاء لانه لا توجد فى المنازل حمامات خاصة وربما بلغ عدد الحمامات فى صنعاء أكثر من العشرين وهى مبنية على الطراز التركى القديم المعروف عندنا فى الشام ، ويقوم بادارتها مدير (معلم) وبعض العمال ولهم طرق خاصة فى التدليك والتفريك وتمسيد الاعضاء والعضلات ،



مأذنة جامع حنظل

وفى الحقيقة ان المرء اذا دخلها بعد سفر طويل شاق كسفر الحديدة - صنعاء يخرج منها ولسان حاله يردد ماقاله البدوى : « ان نعيم الدنيا هو الحمام ! » وتفتح هذه الحمامات أبوابها فى الصباح للرجال وبعد الظهر للنساء وبعضها تخصص أياما للنساء وأياما للرجال .

السيد زبارة والقصر

وصلت الدار بعد جولة استغرقت عدة ساعات فوجدت رسولا قد أتانى من قبل السيد محمد بن محمد زبارة أمير القصر السعيد بصنعاء وكنت أحمل اليه كتابا من صاحب السمو المرحوم محمد سيف الاسلام يوصيه فيه بأن يطلعنى على حقيقة نهضة الامام وحروبه مع الترك ومواقعه المشهورة ومواقفه المعروفة . والسيد محمد زبارة المشار اليه هو من رجال الامام الذين رافقوه منذ أول نهضته وأيده فى دعوته سنة ١٣٢٢ هجرية وشاركه الضراء قبل السراء فى جميع حروبه . وقد تفضل سيادته وأرسل لى مع رسوله خطابا يقول فيه بأنه سيأتى لزيارتى بعد الظهر . جاء سيادته بعد الظهر فرحبت به أجمل ترحيب وأجلسته فى صالون استقبالنا وشكرته على مقدمه وطلبت منه أن يحدثنى عن تاريخ حياة جلالة الامام وعن أحوال اليمن قبل توليته الامامة فحدثنى سيادته أحاديث مطولة وتكرم على ببعض الكتب والقصائد والرسائل ، وسأنقل للقارئ الكريم شيئاً منها ليقف على حقيقة أعمال هذا الرجل . وقد أظهرت لى أحاديثه ذكاء نادراً وعلماً واسعاً ولطفاً زائداً وقد عرف جلالة الامام فى هذا السيد الكريم هذه الصفات الحميدة فعينه أميراً للقصر ؛ والقصر هو معمل ميكانيكى عظيم تصنع فيه البنادق الحربية والعتاد والبارود والأدوات الميكانيكية ، وتسك فيه النقود ، وتصلح المتراليوزات والمدافع . وقد أكثرت على السيد زبارة من السؤالات وأحرجت مركزه مراراً بطلبى منه الافصاح عن بعض الأخبار والأسرار التى لايجوز افشاؤها فكان يدور حول أسئلتى دون أن يجيب عليها ثم يتملص منها بأسلوب سياسى أديب وينتقل بلطف الى موضوع آخر ، وقد أطلعنى سيادته على قصيدة عامرة قالها فى مديح

جلالة الامام أثر توليته امامة اليمن بعد وفاة جلالة والده المنصور وهذا بعضها :

ومذ قضى امامنا المنصور وكادت الارض لذا تمور
اجتمع السادات والقادات وعمدة الاعلام والاثبات
ونظروا فى الامر قبل دفنه فبايعوا عن اتفاق لابنه
وهو أمير المؤمنين (يحيى) من جدد الدين لنا وأحيا
وأوضح الحجة فى هذا الزمن وأرشد الخلق الى خير سنن
وشيد الاعلام للشريعة وبدد المظالم الشنيعة

الى أن يقول :

مولده باليمن والسرور بنفس صنعا جاء فى غفور
ثم دعا من بعد تلك الحادثه فى ثانى العشرين بعد الثالثه

ثم يقول :

وثالث [(١)] العشرين فتح صنعا فأظهر الامام فيها الشرعا
وعادت الاتراك كالرمال يقودها فيضى [(٢)] الى ازال
قيل الى تسعين ألفاً رجلها ودونها فرسانها وخيلها
وشن فيضى على شهاره [(٣)] فى شهر رمضان أى غاره
وكان ما كان من المعامع وأخذ ما أوصل من مدافع
وفر فيضى الى أزال من خوفه للاسر والنكال
وسبب الاخبار فى حبور [(٤)] وغيرها للوحش والطيور
ورابع العشرين فى زراجه حرب تثير النقع والعجاجه
ومعرك فى قرية الحمودى وحربها شبيهة الرعود
ووقفة الاشمود للغضنفر وفخرنا الليث ابو منصر [(٥)]

---

(١) أى سنة ١٣٢٣ (٢) أحد ولاة اليمن أيام الدولة العثمانية (٣) اسم مكان (٤) اسم مكان
(٥) أحد قواد جيش الامام واسمه عبد الله أبو منصر معروف فى أيام الامام المنصور

وخامس العشرين فى خولان (١) معارك عظمى وفى سنحان (٢)
ودارنا البيضا وفى رجام (وطود قبفان) وفى الحيام (٣)



محمد بن زبارة وصاحب هذه الرحلة

مجمل التاريخ . حياة الامام

ثم حدثنى السيد محمد زبارة عن تاريخ حياة الامام فقال : قيل فى تاريخ مولد الامام البيت التالى :

لئن تأخر فى الأزمان مولده فهو المجلى على آبائه الغرر

---

(١) اسم بلاد (٢) اسم جبال (٣) أسماء معارك وأماكن

ولد الامام يحيي فى شهر ربيع الأول سنة ١٢٨٦ هجرية فى مدينة صنعاء نفسها وتلقى دروسه وعلومه فى صنعاء عن والده الامام المنصور بالله وعن القاضى محمد بن عبد الملك الآنسى والقاضى محمد بن محمد العراشى والقاضى على بن على اليمانى وغيرهم من القضاة والعلماء وفى سنة ١٣٠٧ هاجر مع والده الامام المنصور من صنعاء الى جبل الأهنوم وهنا أكمل دروسه وعلومه على القاضى العلامة عبدالله بن احمد المجاهد الذمارى وعلى العلامة لطف بن محمد شاكر وغيرهما من العلماء الأعلام الذين يشار اليهم بالبنان. وكانت جميع أيام حداثته أيام شدة وبؤس على اليمن وأهله وقد شهد بعينى رأسه ظلم الأتراك واستبدادهم بأبناء قومه وتلاعبهم بمصالحهم وبلادهم ارضاء لشهواتهم واستحلالهم الحرمات وتركهم ما أمر الله به من الفروض والواجبات وانغماسهم فى الشرور والمعاصى وارتكابهم البغى وشرب المسكرات. وقد كان يخرج المتصرف أو الوالى أو الحاكم العثمانى من محل وظيفته الى الأرياف والجبال ليجمع الأعشار ويجبى الضرائب فيأخذ لنفسه جميع ما يمكنه تحصيله من الأهالى الفقراء ويعود الى محل وظيفته دون أن يعطيهم سنداً أو وصلا ويقول لحكومته بأن الأهلين عاصون عليه لايرغبون دفع الضرائب له ، فتسير الحكومة الجيوش عليهم فتنهبهم وتخرب بيوتهم وتسوق طروشهم وتكتب الى الباب العالى (فى الاستانة) بأن أهل اليمن عصوا الحكومة وأنهم أشقياء يدينون بدين (الزيدية) ولا يطيعون الأوامر الشاهانية ولا يعترفون بالخلافة العثمانية ولما كان أولو الأمر والنهى فى القسطنطينية جهالا لا يفهمون ماهو المذهب الزيدى وما هى حقيقة أخبار اليمن كانوا يؤخذون بهذه الدعايات الكاذبة ويؤيدون سياسة موظفيهم فى اليمن ويمدونهم بالجند والسلاح والعتاد ويأمرونهم باخضاع اليمانيين بالسيف والمدفع ولذلك كانت اليمن فى حرب دائم مع الترك وقد ذكر لى السيد زبارة وغيره من العلماء والعارفين بدقائق الأمور أسبابا كثيرة لهذه الحرب ألخصها فيما يلى :

(أولا) كان الولاة العثمانيون يطردون الموظفين اليمانيين لأسباب أوهن من خيط العنكبوت

(ثانياً) كان الولاة يضايقون أئمة اليمن وساداته ويضغطون عليهم بصورة قاسية

(ثالثاً) بعد اخماد الفتن والثورات كان الولاة يفرضون الغرامات الحربية على الاهلين ويجبونها بالقوة كما يفعل الغزاة الفاتحون

(رابعاً) كان الموظفون العثمانيون يمنعون الامام والسادة من الاختلاط بالناس وكانوا يقطعون رواتبهم ويجبرونهم على بيع املاكهم واطيانهم بأبخس الأثمان

(خامساً) كانوا يسجنون علماء الزيود لا لجرم أو ذنب ارتكبوه بل لاختلافهم مع رؤساء المحاكم الاتراك فى المحاكم الشرعية وغيرها من المحاكم وكان فى جملة من سجنوهم (أيام الوالى مصطفى عاصم) والد جلالة الامام يحيي صاحب الجلالة الامام المنصور بالله ورئيس العلماء بصنعاء السيد احمد بن محمد الكبسي والعلامة زيد بن احمد الكبسى وغيرهم وبعد سجنهم فى صنعاء نفوا الى الحديدة فمات بعضهم فى المنفى

(سادساً) كان اليمانيون ينفرون من الترك لتركهم الصلاة والصوم وعدم محافظتهم على شريعة الله وسنة رسوله ﷺ

(سابعاً) كان الولاة يوهمون الناس بانهم يريدون ارسالهم الى الاستانة بناء على أوامر السلطان ، ومعلوم بان جميع الذين يرسلون الى الاستانة كانوا لا يعودون منها بل يذهبون طعاما للسمك فى البوسفور ، لذلك كان بعض اليمانيين يفتدون أنفسهم بالمال . ومن لا مال عنده كان يساق صاغراً إلى المنافى والسجون ؛ وقد نفى على هذه الصورة خلق كثير نذكر منهم عبد الله الضلعى نفى الى عكا ، والقاضى يحيي المجاهد التعزى أرسل إلى الاستانة ومات فيها

(ثامناً) كان الترك يسجنون جميع من يكاتب الأئمة ، والأغرب من ذلك أنهم سجنوا الحاج سعد الدين الزبيرى لأنه زوج ابنته من المرحوم الامام المنصور والد جلالة الامام يحيي ومن ثم نقلوه الى رودس

مبايعة الامام يحيى

هذا وصف موجز لحالة اليمن أيام الامام المنصور وقد شاهدها الامام يحيي بنفسه

فشب على بغض الترك، ولما توفى والده فى سنة ١٣٢٢ هجرية فى قفلة حوت دعا جلالته جميع أهل الحل والعقـد فى البلاد دون أن يعلمهم بوفاة والده ، ولما اكتمل عددهم قال انا لله وانا اليه راجعون ، امامكم قد ذهب الى رحمة ربه فاختاروا لانفسكم من بينكم خلفاً له ، فاجمعت كلمتهم على اختياره

قبـل جلالته الأمامة ، ووارى والده التراب ، ونادى الى الجهاد وامتشق الحسام بنفسه وقاتل الـترك فى طول البـلاد وعرضها ، وحاصر جميع مراكز اليمن ما عدا الحديدة وتعز، واستولى عليها من الترك المركز بعد المركز وقتل فى هذه الحروب خلق عظيم ومات من الجوع ألوف مؤلفة ، وأخرج جلالة الامام الحبوب والدقيـق والأعطيات وفرقـه على الجند ورجال القبائل وانتصر على الترك انتصاراً كاملاً ، ودخل صنعاء بعد حصار طويل كاد يهلك فيه جميع سكانها

ووقع يومئذ حادث غريب يدل على حلم الامام وتسامحه وذلك انه كان يوجد بصنعاء مفت يقال له القاضى محمد جغمان وقد ظلم الناس كثيراً ، وأساء اليهم اكثر . فلما دخل جيش الامام صنعاء هجم الناس عليه يريدون قتله تشفياً وانتقاماً ، فمنعهم الجند من قتله وساقوه الى الامام بقرية القابل ، وكان جلالته يومئذ خارجاً من صلاة الجمعة وقد اصطفت الجنود والأهلون لتحيتـه أثناء خروجه . ولما رأى الناس المفتى صاحوا : (اقتلوه ! اقتلوه !) فامر جلالة الامام الناس بالابتعاد عنـه ، فصرخ عندئذ وهو يبكى (ارحمنى يأمـير المؤمنين وخلصنى من الناس ولو بالقتل ؟) فاجابه جلالته (لا ضير انك آمن ونحترمك لعلمك، أما ما بينك وبين الناس من الحقوق فأمامكم الشريعة، وأما ماحصل لى ولوالدى الامام المنصور بالله منك من الضر فقـد سامحتك منه وعفوت عنك) ثم اكرمه وأعاده الى أهله آمناً وأجرى له معاشاً وافياً من الدراهم والحبوب وصار معظماً مكرماً وقد تعجب الناس من حلم الامام وعفوه !

احمد فيضى باشا والمعاهدة مع اليمن

دامت الحرب بين جلالة الامام وبين الدولة العثمانيـة سنين متعددة كان فيها النصر

أحياناً حليف الامام وأحياناً حليف الدولة . وقد عين احمد فيضى باشا والياً على اليمن للمرة الثالثة ليسترد صنعاء من الامام وتمكن دولته بعد حروب شديدة من استردادها ثم وقعت معارك متعددة فى قريـة الحمودى وفى الأشمور وغيرهما من القرى، ولما عجزت الدولة العثمانية عن مقاتلة الامام واخضاع اليمن أرسلت وفدا لعقد الصلح فطلب جلالة الامام الشروط الآتية :ـ

شروط الامام

(١) أن تطبق الاحكام وفقاً للشريعة الاسلامية الغراء

(٢) أن يعود الى الامام حق عزل القضاة وحكام الشرع وتعيينهم

(٣) أن تكون معاقبة الخائنين والمرتشين منوطة بالامام

(٤) أن تخصص رواتب كافيـة للحكام والموظفـين كى لا تدفعهم قلة ذات اليد الى الارتكابات

(٥) أن تحال الأوقاف الى عهدة الامام لاحياء المعارف فى البلاد

(٦) اقامة الحدود الشرعيـة على مرتكبى الجرائم من المسلمين والاسرائيليين كما أمر الله تعالى بها وأجراها رسوله والتى أبطلها المأمورون الترك كانها لم تكن شيئاً مذكوراً

(٧) يؤخذ العشر من المزروعات التى تسقى بماء السماء وأما التى تسقى بمياه الآبار فـيؤخذ منها نصف العشر بعد أن يقـدر ذلك أرباب الخبرة واذا حصل خلاف يرجع الى الأصول التى وضعها عبد الله بن رواحة فى الخرص ويؤخذ عن البقر والغنم والأبل النـصاب الشرعى وأما الأراضى الـتى تغل مرتين أوثلاثاً فـيؤخذ عنها نصف العشر أو ربعه ودفع ما سوى ذلك من التكاليف

(٨) جباية الاموال المـار ذكرها تـكون بواسطة مشايخ البـلاد تحت نظارة مأمورى الدولة واذا تجاسر أحد على أخذ زيادة عن التكاليف المار ذكرها فعزله أو تحديد الجزاء له راجع الى الامام ولا يكون للامام علاقة بقبض الاموال الاميرية .

(٩) تعفى عشائر حاشد وخولان والحدا وارحب من التكاليف .

(١٠) يسلم كل من الفريقين المتعاقدين الخائنين الذين يلتجئون اليه ٠

(١١) اعلان العفو العام فى البلاد كى لا يسأل أحد عن ماضيه

(١٢) أن لا يولى أحد من أهل الكتاب على المسلمين

(١٣) أن تشمل احكام هذه المواد المار ذكرها صنعاء وتعز وملحقاتها

(١٤) أن لا تدخل الحكومة فى شؤن آنس ولا تعارض الامام فى تعيين المأمورين لهذا القضاء لفقر سكانه وقلة حاصلاتهم ولما يخشى من وقوع محظور فى مخالفة مأمورى الحكومة لهم

(١٥) أن تكون المحافظة على هذه البلاد من تعديات الدول الاجنبية راجعة للدولة العلية

ان تنفيذ هذه الشروط الاساسية فى البلاد اليمانية يكون سببا لسلامة الافراد البشرية وترقى البلاد واحيائها ، فيظهر الامن بابهى مظاهره ويحصل منه خير عظيم ٠

ولا يخفى أن البعض يستفيدون من كثرة سوق الجنود الى البلاد اليمنية اذ لا يخلو من الفائدة المادية لهم ، ولعلهم لا يرضون بهذه الشروط لانه باتباعها يستتب الامن وينقطع ورود العساكر الى هذا القطر فيخسرون بذلك ما كانوا يؤملون ، لذلك طلب الامام صدور فرمان سلطانى يتضمن قبول الشروط المار ذكرها كى يطمئن اليمنيون وترتاح قلوبهم ولا يعترضه المأمورون فى اجراء الأحكام التى تخوله اياها هذه الشروط ، واحالة إدارة البلاد الشرقية من اليمن التى تشبه بلاد آنس الى عهدته

هذه هى الشروط التى قدمها الامام لتكون أساس التفاهم بينه وبين الدولة العثمانية وذلك فى ١٣ صفر سنة ١٣١٤ الا أنه لم يتم الاتفاق عليها ، لان الموظفين الذين أنيط بهم عقد الصلح لم يخلصوا نيتهم وخدعوا حكومتهم ، لشىء فى نفوسهم ، فوقعت الحرب ثانية وحصلت معارك تشيب من هولها الاطفال فى خولان والدار البيضاء وسنحان ورجام وذمار والحيمة وآنس وغيرها

وقد أثبت شروط الصلح ههنا لسببين: الاول ليعلم القارىء الكريم أن جلالة

الامام يحيي لم يكن متعنتاً فى طلباته ولا أراد المحال وانه وضع هذه البنود لتكون ميثاقاً قومياً لليمن . والثانى لان حكومة الامام المتوكلية الحالية قد اتخذت هذه الشروط دستوراً لحكمها ، وهى اليـوم تسير فى جميع أعمالها بموجب هـذا الدستور ولا تخل به فى شيء

الامام وأهل اليمن

هذا ما كان من موقف الامام مع الدولة العثمانية ، ولم يكن موقفه مع الاهلين بأقل خطورة منه مع الدولة لأن الاهلين ألفوا الثورات على الدولة واعتادوا العصيان وعدم دفع الضرائب ومالوا الى الفوضى وصار كل شيخ قبيلة أو شيخ قرية يخال نفسه انه هو الزعيم الوحيد فى البلاد ومن الواجب على العباد طاعته وتأدية الضرائب والزكاة له ، فأصبح اليمن شعلة من نار وصار من المتعذر على المرء أن يخرج من قريته لا بل من بيته خوفا من السلب والنهب ووقعت فى البلاد حروب أهلية عظيمة التهمت الاخضر واليابس ، وقام بعض السادة يطالبون بالامامة غير معترفين بجـلالة الامام يحيي وفى جملتهم أحد أبناء عمه المدعو أحمد بن قاسم حميد الدين الضحيانى وألف المخالفون لجلالته حزبا لمقاومته واستنجدوا ببعض أعدائه الا انهم لم يفلحوا فى دسائسهم وتمكن الامام يحيي فى آخر الأمر بما له من المركز الدينى والدنيوى أن يضرب على أيدى جميـع الثوار والعصاة بيد من حديد وأن يأخذهم أخذ عزيز مقتدر الواحد بعد الآخر ويأخذ منهم رهائن وتمكن أن يؤمن البلاد فى بضع سنين وأن ينشر النظام والانتظام فى البلاد من أقصاها الى أقصاها ، وأن ينظم حكومة مدنية اسلاميـة تسير فى جميع أمورها وأحكامها بموجب الشريعة الاسلامية الغراء ، وان يقسم البلاد الى ألوية متعددة ويجعل على رأس كل لواء حاكما من قبله . وبالاختصار فقد خضعت جميع اليمن لسلطانه فألف من أجزائها مملكة اسلامية مستقلة استقلالا تاما وقد اعترفت الدول المعظمة كايطاليا وروسيا وبريطانيا العظمى بهذه المملكة ولعمر الحق ان هذا عمل جليل يدل على عظمة القائم به واقتداره ، فالدولة العثمانية — دولة الخلافة الاسلامية — لم تتمكن فى برهة ٥٠٠ سنة أن تستولى على اليمن وتخضعه لسلطانها ولكن جلالة الامام يحيي بذكائه وشجاعته

ومفاداته تمكن فى بضع سنين من جمع شمل جميع أهل بلاده واقامة مملكة عربية فيها .

هذه بعض أعمال هذا الملك القوى العظيم وصفتها باختصار . والآن أنتقل الى وصف جلالته فى مواقفه المختلفة

سراى الامام والمخيم المنصور

بعد مضى ثلاثة أيام على وصولنا الى صنعاء أذن لى جلالته بأن أتشرف بالمثول بين يديه ، وكنت قد سمعت عنه أشياء كثيرة كدمقراطيته ، وبساطة عيشه ، ونبذه للعظمة وكرهه لسماع ألفاظ التضخيم كصاحب الجلالة وبغضه للمراوغة الخ .. فذهبت الى مقابلته فرحاً مسرورا واصطحبت معى أحد الجنود ، وكان الوقت بعد الظهر وكنت فى الطريق أشعر بشوق الى رؤية هذا الرجل الفذ العظيم الذى طالما سمعت عنه الشيء الكثير ، وصلت الى الباب الخارجى للمقام الشريف (السراى) فأوقفنى الحارس بالباب ، فتقدم صاحبى الجندى من الحارس وقال له هذا فلان ومسموح له بالدخول لمقابلة مولانا الامام . سمع هذا الكلام كبير الحراس فجاء مسرعاً خطاه نحونا وقال : ما اسم حضرتك ؟ فأجابه الجندى عنى : (نزيه بك) فقال حسناً ، سننب (أى نخبر) الامام بقدومك ، وان هى الا بضع دقائق حتى وصل الجندى الى الامام فأذن بدخولى . تخطيت الباب الخارجى ودخلت منه الى فسحة كبيرة فيها بضع غرف للجنود والحرس بعضها يستعملونها لنومهم وبعضها لجلوسهم . ولجت من هذه الفسحة باباً آخر ثم خرجت منه الى حوش مستطيل قائم الى جانبه الجنوبى مكاتب بعض الموظفين والكتبة . وفى صدره أى فى الجهة الغربية يوجد باب أسود جميل قائم خلفه حديقة سراى الامام ودار الحرم الشريف ، وعليه حراس من الجنود ولا يؤذن لاحد بدخوله . ويوجد فى الجهة الشمالية من القصر مكاتب لبعض المأمورين ودائرة البريد ومركز التلغراف السلكى واللاسلكى ، ويوجد فى منتصف الحوش الكبير درج واسع مبنى من الحجر الاسود يصعد المرء عليه الى جناح خاص من السراى يطلق عليه اسم (المخيم المنصور) وهو مكتب جلالة الامام وموظفيه وكبار كتابه ووزرائه

حديث مع جلالة الامام يحيى

عاهل اليمن يستنكر تجزئة البلاد العربية

صعدت على درج المخيم المنصور فاستقبلنى فى منتصفه أحد حجاب جلالة الامام المدعو محسن جلالى وقال أهلا وسهلا ، وصعد أمامى فمررنا بآخر الدرج بحارس من الجنود ذوى الثياب المنيلة وتخطيناه الى فسحة طويلة أى رواق قائم الى جوانبه غرف كثيرة جميع أبوابها مغلقة . وقف الحاجب فى منتصف الرواق أمام باب صغير نصفه مغلق ونصفه مفتوح وقال : هيا تفضل ، فأخرجت حذائى من رجلى كما هى العادة فى اليمن ، ودخلت الباب فوجدت نفسى فى غرفة مستطيلة جلس الى جوانبها فوق فرش وثيرة وسجاد عجمى بضعة عشر رجلا تبدو على محياهم سيماء العظمة والنبل ، فخلت نفسى فى غرفة رئيس الكتاب ، أو رئيس التشريفات . وارتبكت فى أمرى لحظة ثم تقدمت بقدم ثابتة الى منتصف الغرفة حيث كان يجلس رجل وقور بهى الطلعة معتدل الجسم أسمر اللون مستدير الوجه، فيه بعض علامات الجدري، ذو جبين عال وفم صغير ورأس كبير وعينين سوداوين تقدحان مغنطيساً ونوراً ، له أنف قصير عريض ولحية سوداء مستديرة وأيد وأرجل صغيرة . فقلت موجهاً خطابى نحوه :

السلام عليكم . فأجابنى :

وعليكم السلام، حيا الله من قد جاء ، تفضلو واجلسوا فجلست أمامه على سجادة عجمية واحترت فى أمرى واعترتنى الدهشة فى من عسى أن يكون هذا الرجل ، هل هو رئيس الوزراء أم هو رئيس الكتاب أو رئيس الحجاب ؟ مرت هذه الاسئلة الاستفهامية فى مخيلتى كمرور البرق ، وكنت فى خلال هذا الوقت أراقب كل شىء حولى ، فرأيت أمام هذا الرجل الذى حرت فى أمره رزماً من الأوراق بعضها ملفوف لفاً كالسجائر وبعضها مطوى طياً ، وكان جالساً بين يديه رجل يفض هذه الاوراق ويقدمها له الواحدة بعد الواحدة ، فكان يقرأ بعضها ويلقيها الى الذين حوله ذات

اليمين وذات اليسار وكان يملى على بعضهم الأجوبة التى يجب أن تكتب عليها، وأحياناً كان يكتب بيده على بعضها ، ويطرحها أمامه فيلتقطها الحاجب ويرملها برمل أحمر ويختمها بخاتم خاص فنظرت من طرف خفى الى الخاتم فاذا به خاتم جلالة الامام فأدركت للحال انى أمام الحضرة الشريفة فاعتدلت فى مجلسي فادرك جلالته بذكائه العجيب موقفى وتوقف عن العمل وحول نظره نحوى وقال : كيف وجدتم بلاد اليمن ؟ انها فقيرة وحقيرة ، وليس فيها شيء من التمدن ! فقلت : كفانا الله شر التمدن يا صاحب الجلالة ربما تكون بلادكم فى الوقت الحاضر فقيرة من حيث الثروة المادية، ولكنها دون ماشك غنية بحريتها واستقلالها ، وهذه نعمة نغبطكم عليها نحن معاشر العرب الذين اكتسحت الدول الغربية بلادهم واحتلتها قوة واقتدارا وفرضت عليها ضربا من ضروب الحكم الكيفى سمته انتدابا ؟ فقال : وأين بلادك ؟ فقلت الشام . فقال : ماذا جرى بمدينة دمشق ؟ فقلت دمشق مسقط رأسى وقصصت عليه قصتها منذ أيام الحرب العظمى الى ذلك التاريخ . فقال عجيب . عجيب ، لا حول ولا قوة الا بالله . لقد بلغنا أشياء من هذه الاخبار فلم نصدقها . فقلت : صدقوها ، وصدقوا أكثر منها ، فاستفظع ذلك واستنكره وحوقل كثيراً وقال : والحلفاء ، ألم يساعدوكم؟ فقلت كلا يا مولاى ان الحلفاء أجمعت كلمتهم وتم الاتفاق بينهم على تقسيم تركة الرجل المريض (أى تركيا) وأخذوا البلاد العربية التى سلخت عن الدولة العثمانية وقسموها بينهم واختصت كل واحدة منهم بقطر أو أكثر من هذه البلاد ، وأما وعودهم ، وأما عهودهم التى قطعوها للعرب أيام الشدة والضيق، أيام كان المدفع الالمانى يلعلع فى السماء والارض فأصبحت قصاصات ورق لا قيمة لها ولا وزن فأطرق جلالته قليلا وحوقل كثيراً وغير مجرى الحديث قائلا : كيف وجدتم برد اليمن ؟ وكيف كانت معاملة العمال لكم فى الطريق ؟ فقلت : شكراً والف شكر لجلالتكم فاننا والحمد لله مازلنا بمكان الاوكنا موضع الحفاوة والتكريم ، وقد قام الجميع نحونا باكثر من الواجب فاصبحنا ألسنة شكر لجلالتكم ، وأما البرد فانه لا يضايقنا لان بلادنا أشد برودة من اليمن . فقال هل من حاجة تريدون قضاءها ؟ وهل أنتم مستريحون فى داركم ؟

قلت : الحمد لله والشكر لمولانا الامام اننا بحسب أنظاركم والتفاتاتكم على غاية ما يرام ونرغب أن نصور بعض الصور فى صنعاء وضواحيها لنحفظها كذكرى لزيارتنا البلاد السعيدة . فقال : لك أن تصور ما شئت ومن شئت ماعداى انا فشكرته على لطفه وودعته وانصرفت وبمناسبة التصوير أقول إن جلالة الامام لم يسمح فى حياته لأحد أن يصوره وما هذه الصور التى نراها له فى بعض المجلات والجرائد الا صور خيالية رسمتها مخيلة واضعيها وهى لا تشبه الامام لا فى قليل ولا كثير .



أحد شوارع مدينة صنعاء

قبل أن أخرج بالقارىء الكريم من المخيم المنصور أصف له بعض مشاهداتى فيه المخيم المنصور أومكتب الامام الخاص هوغرفة مستطيلة يبلغ طولها نحوسبعة أمتار وعرضها نحو ثلاثة أمتار وفيها بعض النوافذ الكبيرة ذات الزجاج الملون ، وجدرانها مبيضة بالكلس الذى يقال له (قص) وأرضها مفروشة بالسجاد العجمى والطنافس ويجلس جلالة الامام فى منتصفها قرب الحائط الشمالى ويجلس كتبته وكبار رجال دولته حوله أربعة الى يمينه وأربعة الى يساره على سجاجيد عجمية ممدودة فوق فرش وثيرة ويوجد أمام كل واحدمنهم ابريق صغير من الفخار مملوء ماء والى جانبه مبصقة نحاسية جميلة عليها بعض الكتابة العربية والنقوش القديمة والى الجانب الآخر رزمة كبيرة من

القات وجميع الكتبة يخزنون أى يمضغون القات ويشتغلون فى آن واحد وقد رأيت الأوراق مكدسة تكديساً أمام كل واحد منهم ، وهم يكتبون عليها باقلام من القصب الأبيض العادى وحبر أسود . وأما جلالة الامام فيكتب بقلم حبر ولا يوجد أمامه قات ولا ابريق نخارى لان جلالتـه قد ترك استعمال القات بناء على اشارة طبية وقد أخذ فى استعمال علكة من نوع المستكة يمضغها بعض الاحيان للتسلية بدلاً من القات. ويوجد الى يسار جلالته مكتب كبير فيه كثير من الادراج وأمامه طاولة صغيرة وزجاجة ماء مملوءة ماء معطراً بعطر الورد البلدى وقد علق خلفه على الجدار حساماً يمانياً كريماً وبندقية نمسوية قصيرة من نوع (شتير) وأما لباسه فى وقت الشغل فى المخيم المنصور فهو ثوب حريرى بسيط وطاقية قطنيـة ويلبس فى اصبع من أصابع يده اليسرى خاتما ذا حجر يمانى أحمر

طريقة الكتابة

ويجدر ان نذكر هنا أن طريقة الكتابة فى اليمن تختلف عن طريقة الكتابة عندنا وقد رأيت بعض الاوراق فى المخيم المنصور ويبدأون الكتابة فيها جميعها : بسم الله الرحمن الرحيم ثم يكتبون بضعة أسطر تحت البسملة ، ثم يدورون بالكتابة حول هذه الاسطر بشكل كروى ويكثرون من استعمال الفاظ التعظيم والتبجيل والمترادفات ولا يخلو كتاب واحد من القوافى والحواشى الكثيرة وبعد أن يكتبوا الرسالة أو ما أشبه يلفونها لفاً كما نلف نحن السيجارة ويضعونها فى حزامهم أو عممتهم فى انتظار ارسالها إلى المحل المقصود ارسالها اليه

خرجت من المخيم المنصور وسرت فى الرواق نحو الباب أريد الخروج ، فشاهدت فى الرواق مصابيح كهربائية ، بعضها مدلاة من السقوف ، وبعضها موضوعة فى الجدران فاسترعت نظرى كثيراً لانها هى المصابيح الوحيدة الموجودة فى جميع بلاد اليمن، تأملتها جيداً فاذا بها من مصنوعات ايطاليا وأسلاكها رديئة جداً وأغطيتها أردأ ، وهى تنار (بدينامو) خاص وقد جلبها الطليان لجلالة الامام من أسمرة ومجراها الكهربائى من

النوع المستمر ولا بطاريات لها وقد كلفت جلالة الامام مبلغاً طائلاً من المال يزيد على أربعة أضعاف ثمن مثلها فى مصر

كنيسة القليس

عدت الى دارنا وأنا أفكر فى جلالة الامام وديمقراطيته ولطفه وقضيت ليلتى فى غاية الراحة والانشراح ، وفى الصباح خرجت مبكرا الى صنعاء ، وصورت فيها صور كثيرة أهمها صور بعض المنازل الحميرية القديمة والاسواق والجوامع والاشخاص الى غير ذلك . ومررت فى أثناء طوافى بمكان فيه حفرة كبيرة وبضع شجرات ويقولون لهذه الحفرة فى الوقت الحاضر (غرقة القليس) بفتح القاف وكسر اللام وسكون الياء وآخرها سين مهملة ، وهى الكنيسة التى بناها ابرهة بن الصباح الحبشى وأراد من بنائها أن يصرف الناس عن الكعبة اليها، وقدقال فى وضعها السيد صارم الدين بن ابراهيم الوزير المتوفى سنة أربع عشرة وتسعمائة ، ماخلاصته .

القليس كنيسة ابرهة الحبشى سميت بذلك لارتفاع بنائها ، وكان ابرهة قد استذل أهل اليمن وأخضعهم فلما عزم على عمارة هذه الكنيسة أمرهم بنقل ما فى قصر بلقيس من أحجار منقوشة بالذهب والفضة ورخام مجزع ، ثم جد فى بنيان الكنيسة وجعلها مربعة وبناها بتلك الحجارة منقوشة لاتدخل الابرة فى أطباقها وجعلها ملونة : فحجر منها أخضر وحجر أحمر وحجر أبيض وحجر أزرق وحجر اسود ؛ وجعل دائرها (مفصلا) على هذه الصفة ثم (فصل) فوق الرخام بحجارة سود لها بريق جلبها من جبل نقم وهو جبل صنعاء المشرف عليها ، وكان عرض الحائط ستة أذرع وكان المدخل منه الى بيت فى جوف الكنيسة طوله ثمانون ذراعا فى عرض أربعين ذراعا عوده من العاج المنقوش وفيه مسامير الذهب والفضة ثم يدخل من ذلك البيت الى ايوان طوله أربعون ذراعاً عن يمينه وعن يساره عقود عاجية تتلألأ ككواكب الذهب والفضة ثم ذهب جدرانها وسقوفها ونصب فيها صلباناً من الذهب والفضة ومنابر من العاج وغيرها فصارت تلتهب التهاباً وجعل فيها قناديل من الذهب والفضة والبلور توقد بأطيب

الادهان وجعل أبوابها من العاج المصفح بالذهب والفضة فلما هلك ابرهة ومزقت الحبشة كل ممزق أقفر ماحول هذه الكنيسة وكثرت حولها الحيات فلا يستطيع أحد أن يأخذ منها شيئاً وكان أهل اليمن يعتقدون أن من هم بشيء من ذلك أصابه لمم ولم تزل هذه الكنيسة كذلك فى زمن الصحابة رضى الله عنهم وأيام بنى أمية الى زمن أبى العباس السفاح فذكر له أمرها فبعث العباس ابن الربيع عاملاً على اليمن فوصله معه أهل الحزم والجلادة ولم يلبث أن أمر بخرابها فخاف الناس . ثم ان قوما تقدموا فخربوها على وجل ورعب شديد فاجتمع منها مال عظيم حمل الى السفاح وقد نزلت بالذين خربوها ضروب من الآلام من جنون وجذام فازداد أهل اليمن تطيرا بذلك ثم بعد ذلك عفا رسمها وانقطع خبرها

ياقوت وكنيسة القليس

وقال ياقوت فى معجم البلدان عن القليس مامختصره : انها الكنيسة التى بناها ابرهة بن الصباح بصنعاء اليمن سميت القليس لارتفاع بنيانها وعلوها ، ومنه القلانس لانها فى أعلى الرؤوس ، وانه بناها ابرهة ونقشها بالذهب والفضة والزجاج والفسيفساء وألوان الاصباغ وصنوف الجواهر وجعل فيه خشباً له رؤوس كرؤوس الناس وكللها بأنواع الأصباغ وجعل لخارج القبة برنساً فاذا كان يوم عيدها كشف البرنس عنها فيتلألأ رخامها من ألوان أصباغها حتى تكاد تخطف البصر وكان ابرهة قد استذل أهل اليمن فى بناء هذه الكنيسة وجشمهم فيها أنواعاً من السخر وكان ينقل اليها آلات البناء كالرخام المجزع والحجارة المنقوشة بالذهب من قصر بلقيس صاحبة سليمان عليه السلام ،وكان من موضع هذه الكنيسة على فراسخ وكان فيه بقايا من آثار ملكهم فاستعان بذلك على ماأراده من بناء هذه الكنيسة ونصب فيها صلباناً من الذهب والفضة ومنابر من العاج والأبنوس وكان يريد أن يرفع بنيانها حتى يشرف منه على عدن وكان حكمه فى العامل اذا طلعت الشمس قبل أن يأخذ فى عمله أن يقطع يده ، فتأخر رجل منهم ذات يوم حتى طلعت الشمس فجاءت معه أمه وهى امرأة عجوز فتضرعت اليه

تستشفع لابنها فأبى الا أن يقطع يده فقالت : اضرب بمعولك اليوم فاليوم لك وغداً لغيرك وكما صار الملك اليك من غيرك فكذلك سيصير منك الى غيرك ، فأخذته موعظتها وعفا عن ولدها وعن الناس من العمل فيما بعد وكتب على بابها بالمسند « بنيت هذا لك من مالك ليذكر فيه اسمك وأنا عبدك »

ولما هلك ابرهة ومزقت الحبشة كل ممزق وأقفر ماحول هذه الكنيسة ولم يعمرها أحد كثرت حولها السباع والحيات وكان كل من أراد أن يأخذ منها شيئاً أصابته الجن فبقيت من ذلك العهد بما فيها من العدد وآلات من الذهب والفضة ذات القيمة الوافرة والقناطير من المال لايستطيع أحد أن يأخذ منه شيئاً الى زمان أبي العباس السفاح فذكر له أمرها فبعث اليها خاله الربيع بن زياد الحارثى عامله على اليمن وأصحبه رجالا من أهل الحزم والجلدحتى استخرج ما كان فيها من الآلات والاموال وخربها حتى عفا رسمها وانقطع خبرها .

الآثار الحميرية

هذا ما كان من أمر هذه الكنيسة التاريخية العظيمة، وقدخربها المسلمون لان ابرهة أراد من بنائها أن يحول نظر المسلمين عن كعبتهم فى مكة ، ولم يكن حظ الآثار الحميرية القديمة باحسن من حظ الكنيسة فقد هدم اليمانيون هذه الآثار كلها أو اكثرها والذى لم يهدموه نقلوا كثيراً من أحجاره الكبيرة الجيدة وبنوا بها منازلهم وجوامعهم هذا فى صنعاء وحدها ، وأما فى سائر أطراف اليمن فلا يزال يوجد كثير من الأبنية الحميرية العظيمة وقد شاهدت بعض هذه الأبنية فى قرى كعوان والضيق وظفار وريم ووادى القابل وغيرها [١] وتمتاز الأبنية الحميرية القديمة عن أبنية اليمن الحالية بكبرها واتساعها وليس فيها شيء من اتقان الصنع وجمال الهندسة . وقد سمعت شيئاً كثيراً عن مارب وسبأ وقصر بلقيس ولكنى لم أتمكن من زيارة هذه المنطقة [٢] لأن الأمن فيها لايزال غير مستتب وسكانها من القبائل

---

١ وقد روى لى غير واحد من الناس انه يوجد عند شيخ قرية ظفار شخص منحوت من المرمر على شكل يمثل العنقاء !! ٢ زرتها بعد ذلك وكتبت عنها مفصلا فى الجزء الثانى من رحلتى هذه

المتوحشة التى لم تخضع لسلطان الامام الى هذا اليوم خضوعاً تاماً ولذلك اكتفيت بأخذ بعض المعلومات عن هذه المنطقة الأثرية القديمة ممن وصلوا اليها ، وسأورد للقارئ الكريم بعض الاحاديث عنها مبتدئاً بحديث الشريف محمد بن عبد الرحمن علوى .

سبأ ومارب

زارنى ذات يوم الشريف محمد بن عبد الرحمن علوى أمير سبأ ومارب يصحبه رجل من صنعاء يقال له أحمد بن الحاج احمد حمادى وبعد ما تعارفنا وتصافحنا قال الامير انه لم يدخل الى صنعاء منذ عشرين عاماً أى منذ خروج الدولة العثمانية منها وقال انه كان يعرف ولاة الترك وباشواتهم وقد عينه بعضهم حاكماً على بلاد سبأ ومارب وكان يتناول راتباً شهرياً قدره ٤٠٠ ريال أى نحو ثلاثين ديناراً عثمانياً ذهباً وقد كلفه ذات مرة أحد الولاة بان يأخذ معه ضابطاً تركياً الى تلك البلاد فأخذه معه وأبقاه عنده عدة أيام وأعاده الى صنعاء سالما قلت له انا أرغب كثيراً أن أذهب الى هناك فقال : على الرحب والسعة ، قل لأمير المؤمنين أن يسمح لك بالذهاب وأنا آخذك على عهدتى ، قابلت أمير المؤمنين ورجوته أن يسمح لى بالذهاب مع هذا الرجل فقال جلالته انه يخشى علىّ ويخشى أن يحصل مالا تحمد عقباه اذا أنا ذهبت اليها ، امتثلت لهذا الأمر على مضض ولا تزال بنفسى غصة كلما سمعت بذكر مارب وسبأ لانى لم أزرها .

سألت الأمير أن يحدثنى عن السد العظيم فقال ان السد قائم فى واد متسع بين جبلين عظيمين ويبلغ علوه نحو ١٥ قامة أى ٢٥ متراً وعرضه نحو ٣٥٠ متراً . وقد تهدم من أحد جوانبه المبنى على حافة الجبل ولم يبق من الجدران ههنا سوى أساساتها فقلت وأين قصر بلقيس من هذا السد ؟ فقال ان قصر بلقيس قائم الى جانب السد على مسافة غير بعيدة ويوجد من قصر بلقيس حتى نبع الماء الذى كان يصب فى خزان هذا السد العظيم نفق تحت الأرض كانت الملكة بلقيس تروح وتغدو فيه إلى النبع حتى لا يراها أحد وآثاره لا تزال بادية للعيان الى هذا اليوم ويوجد من هذه الآثار فى

أول النفق من ناحية القصر تماثيل خيل ، وفرسان ، وبغال، وجمال ، محفورة جميعها من المرمر ، وسقف النفق من المرمر ، وبقايا قصر بلقيس من الأحجار الملونة والمرمر وقال انه يوجد بالقرب من قصر بلقيس قصر ثان يقال انه قصر سليمان وهو مبنى من اثنى عشر حجراً عظيما ، كل جدار من جدرانه الأربعة مبنى من ثلاثة أحجار

حديث السيد حسين بن ابراهيم

وحدثنى أيضاً السيد حسين ابن احمد بن ابراهيم عامل جلالة الامام على منطقة سبأ قال : انتدبنى جلالة الامام للذهاب إلى سبأ وعيننى عاملا عليها فذهبت فرحا مسروراً ووقع بيننا وبين قبائل تلك البلاد معارك كثيرة، كان النصر فيها حليفنا ففتحنا البلاد وأمنّا العباد على أرواحهم وأخذنا منهم سبعين رهينة أرسلناها لجلالة الامام ولا تزال عنده الى الآن. فقلت : حدثنا عن هذه البلاد العجيبة المجهولة للعالم فقال : ان وادى سبأ واد جميل للغاية وتربته خصبة جداً ويجرى فيه نهر ماء الى مسافة طويلة ويقوم على ضفتيه شيء كثير من خرائب الحميريين وقراهم وا كبر هذه القرى وأعظمها خربة أو قرية عال وقرية كهنة ومدينة السودة . وبناء هذه المدينة عجيب جداً وأبواب بناياتها أعجب . فالباب كناية عن حجر واحد منحوت ، والجدران كناية عن أربعة أحجار لكل جدار . وأما مناخ هذه البلاد فقال بانه أشد حرارة من مناخ صنعاء ، ثم سألته عن السد وعن قصر بلقيس فلم يختلف جوابه عن جواب أمير سبأ ، فسألته عن الآثار والعاديات القديمة ؟ وهل يسمح أهل تلك البلاد للناس بعمل الحفريات ؟ فقال لا أظنهم يعترضون على ذلك وخاصة اذا ا كرمهم المرء بالهدايا والعطايا. فقلت وهل يوجد لديهم شيء من العاديات ؟ فقال : كثيراً ما تأتى السيول العظيمة وتجرف بعض الأراضى فيظهر فيها كثير من الانتيكات المختلفة وا كثرها مصنوعة من المرمر والحجارة الكريمة ، فيلتقطها البدو ويرسلوها الى صنعاء أو الى عدن فيبيعونها للتجار بأثمان بخسة وهؤلاء يرسلونها للخارج

العراضة

دعانا جلالة الامام الى مشاهدة حفلة استعراض الجيش التى تقام فى صنعاء ، كل يوم جمعة بعد الصلاة أمام السراى ويقولون لهذه الحفلة عراضة ، وخصص لنا مكاناً فى غرفة أحد الموظفين فى السراى قريبة من المكان الذى يجلس فيه جلالته فى أثناء العرض . ذهبنا الى هذه الغرفة نحو الساعة الثانية عشرة فوجدناها مرتبة ترتيباً حسناً وفيها مكتب وعدة كراس ودولاب للاوراق وغير ذلك وما كاد يستقر بنا المقام حتى رأينا شرذمة من الجند من ذوى الثياب المنيلة أتت ووقفت بباب السراى واختلط معها نفر غير قليل من الاهلين وبعد برهة خرج جلالة الامام فى عربة عادية تجرها الخيل الشقراء المطهمة ، ولا يقيم جلالته وزناً للفخفخة والعظمة ولا يوجد عنده عربات رسمية عالية خاصة بالتشريفات كما هى الحال عند كبار الامراء والملوك لانه حفظه الله يحذو فى جميع أعماله وتصرفاته حذو جده النبى العظيم صلوات الله عليه ولا يوجد عنده ياوران ولا أمناء ولا ما يشبه ذلك ، وكان يركب معه فى العربة اثنان من أنجاله سيوف الاسلام

سارت العربة يحتاط بها الجند والناس الى الجامع الكبير فى صنعاء حيث أدى جلالته صلاة الجمعة ، وسار خلفها على جواد عربى ضامر أحمد سيف الاسلام ولى عهد الامام وعامله على حجة والطويلة وكوكبان ومسور وبنى حبيش والتهامة اذ كان يومئذ موجودا فى صنعاء

بعد تأدية الصلاة عاد جلالة الامام وعاد خلفه ولى عهده يتقدمهما تلاميذ المدارس فالجنود المشاة فالرشاشات فالمدافع الصغيرة المحملة على الجمال ثم المدافع الكبيرة المجرورة بالبغال وقد خرج الجميع من باب الشقاديف الكائن بقرب السراى الى فسحة كبيرة خارج السور ، ودخل جلالة الامام السراى وجلس فى شرفة خاصة يرقب العرض وكانت فرقة من موسيقى الجيش واقفة أمامه تعزف ألحاناً تركية . عاد الجيش فدخل من باب الشقاديف ومر أمام جلالة الامام يمشى مشيته العسكرية وكانت تعزف أمامه

فرق الموسيقى ألحاناً مختلفة وكان الجنود ينشدون الزامل (النشيد) بصوتهم الجميل الرهيب، وكان هذا الموكب مؤلفاً من ١٥٠٠ جندى من المشاة وثلاثين مدفعاً كبيراً وصغيراً واثنى عشر متراليوزا و٤٠٠ تلميذ من تلامذة مدرسة الايتام والحربية

وقد لاحظت أن بعض الضباط هم من بقايا ضباط الجيش التركى طاعنون فى السن يجب احالتهم على التقاعد، وشاهدت ضباطا من اليمانيين شبابا صغارا يمشون مشية عسكرية على نغم الموسيقى فسررت كل السرور بهم وقلت ياحبذا لو كان جلالة الامام يستعين ببعض كبار الضباط من العرب ليعلموا جيشه التعليم العسكرى الحديث فعساه فاعلا ان شاء الله. وسألت عن زامل الامام الذى كان ينشده الجند أمامه فقيل لى هكذا:

يامن يخالف أمر مولانا ويعصيه   لا بد من يوم يراه

لابد من يوم يشيب الطفل فيه   والطير يرسى فى سماه

حديث مع وزير خارجية اليمن

القاضى محمد راغب

لما كان جلالة الامام لا يرد الزيارة لاحد من الضيوف فقد أوفد لنا القاضى محمد راغب وكيل الخارجية ليرد لنا الزيارة. والقاضى محمد راغب رجل فى العقد الخامس من العمر جميل الصورة ، ربع القامة ، أبيض اللون ، حسن الهندام ، أديب المعشر لطيف



القاضى محمد راغب بك بن رفيق وزير الخارجية

الكلام ، وليد الاستانة وقد سبق له أن وظف أيام الدولة العثمانية فى وظائف متعددة اذ كان قائمقاما لطرابلس الشام ثم عين متصرفا على الحديدة وتعز وغيرهما من متصرفيات اليمن وهو يجيد العربية والتركية والفرنسية . جلسنا واياه فى صالون الاستقبال أمام الشادروان وسألناه أسئلة كثيرة وبحثنا معه بحوثا كثيرة فكان يجيبنا عليها بالتفصيل كأنه رجل يمانى واقف على جميع الشؤون وهو يشغل اليوم وزارة خارجية اليمن

(س) لما لاتعبد الحكومة اليمانية الطرقات ؟

(ج) أن اليمانيين لم يروا من منافع الطرقات أيام الدولة العثمانية سوى جر المدافع وسوق الجنود لذلك تجد اليمانيين غير مبالين بتعبيدها الآن .

(س) الم يفكر جلالة الامام بتعبيد طريق الحديدة ـ صنعاء ؟

(ج) نعم فكر جلالته فى ذلك وأرسلنى مرة لكشف طريق يمر بعافش . فكشفت هذه الطريق وكدنا نباشر تعبيدها وهى تمر بسامق ، اللواء ، عافش ، الحقل ، الرصعة جعيرة ، بيت المنامة ، عبال الحديدة ، ولكن حدثت وقتئذ بعض الامور المهمة التى حولت نظر الامام واهتمامه فصرف نظره عنها مؤقتا . وجلالته مصمم على تعبيد طريق الى الحديدة بكل تأكيد ، ومن دواعى سرورى انه نفذ هذا التصميم فى نهاية الأمر وعبد طريقا جديدة تمر بحجة فالحديدة بعد رجوعى من اليمن وصار فى امكان السيارات أن تنقل الركاب والبضائع بين صنعاء والحديدة فى يوم واحد ؟ والآن عبدوا طريقا ثانية تمر بمعبر

(س) هل يوجد عندكم خرائط لليمن

(ج) كلا لايوجد خرائط عندنا ولكنى عثرت مرة على خريطة وضعها المهندسون الفرنسيون الذين جاءوا ليهندسوا طريق سكة الحديد بين الحديدة وصنعاء وهى غير كاملة .

(س) هل اطلعتم على الخريطة التى وضعتها دار الخرائط الانكليزية فى لندن نقلا عن بعض خرائط الجيش البريطانية وغيره ؟

(ج) كلا : لم أطلع عليها وسألنى حضرته لماذا اهتم بالخرائط فقلت له لانى عثرت

على خريطة لليمن من صنع دار الخرائط البريطانية وجلبتها معى وحاولت تطبيقها على الأراضى والجبال الخ فلم أفلح : أولا لانه يوجد فيها غلطات فادحة وثانيا لان نقل الاسماء من العربية الى الانكليزية جاء مشوها ولا يمكن قراءته فقال حضرته انه آسف لعدم وجود خريطة تفى بالمرام .

(س) هل يوجد كتب جغرافية لليمن

(ج) لا يوجد كتب بالمعنى المطلوب

(س) ماذا تعلمون من حقيقة اليهود فى اليمن ؟ وهل هم من سكانه الاصليين أم دخلاء عليه ؟

(ج) ان اليهود من سكان اليمن القدماء ولما تغلب الرومانيون على اليمن تنصر بعضهم ولما افتتح المسلمون اليمن وادخلوه فى حوزتهم أسلم معظمهم وكانوا قديما يتزوجون من المسلمين ويزوجونهم .

بعد ما تحدث الينا القاضى محمد راغب بهذا الحديث وسألنا هو بدوره أسئلة متعددة تتعلق بسياسة العالم الخارجى ودعنا وانصرف . وقد علمنا من أسئلته الكثيرة والدقيقة أنه واقف كل الوقوف على السياسات الدولية ولا يفوته شيء منها .

جغرافية اليمن

ولشدة ولوعى بالجغرافيا وحرصى على الوصول الى معرفة بلاد اليمن معرفة صحيحة كنت أسأل جميع من أتصل بهم عن أنهر اليمن وجباله وقبائله ووديانه الخ . . الخ . . وقد توصلت الى معرفة الشيء الكثير منها ودونته فى مذكراتى بأوقات مختلفة وها أناذا أذكر للقارئ الكريم شيئاً منها على سبيل التمثيل :

ان أهم مدن اليمن هى صنعاء ويحيط بها من الشمال حجة وعمران وشهارة وحوث وصعدة وأبو عريش . ومن الغرب والغرب الشمالى كوكبان وشبام وثلا والطويلة والمحويث ومناخة والمنيرة والزهرة وباجل والزيدية والمخا ومدينة العبيد والى جنوب صنعاء معبر وذمار ويريم والجند وإب وتعز والسيانى والسدة وقعطبة وماوية

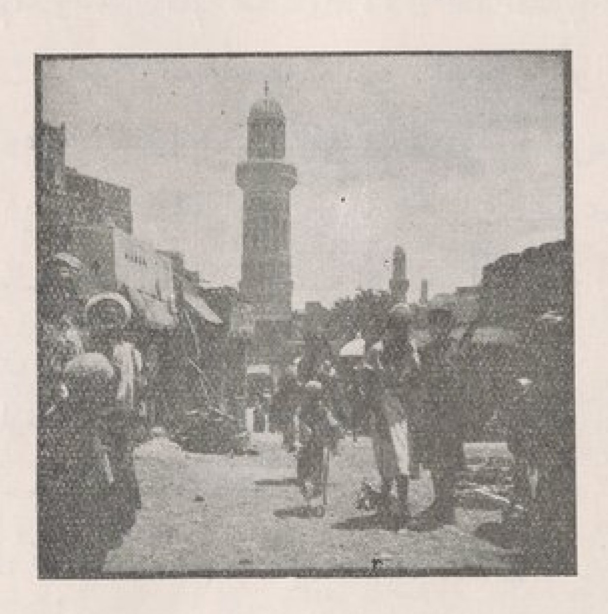
والى الشرق الدار البيضاء والجوف وموانى اليمن الطائف والحديدة والمخا وابن عباس والصليف واللحية

وأما أنهار اليمن فمعظمها وديان تسيل أيام المطر وتجف أيام القيظ وأعمها وادى سهام ويصب فى البحر ووادى مور ويجتمع فيه وديان متعددة ووادى نبا يصب فيه نهر الدلانى والحورة والرداعى ويصب الجميع فى لجج ووادى هندوان يمر بمدينة تعز والوادى الكبير يصب قرب ميناء المخا ووادى التالوق وهو مجمع وديان رداع وذمار وعنس ويذهب الى مارب

وأهم جبال اليمن جبل نقم شرقى صنعاء ويسلح وشبام و كوكبان ومسور وملحان وبعدان وسمارة وعاز والريمة وكحلان والخميس وبرع والأهنوم والرازح وشظب وشهارة وغبلاء وحصن العشة وعراش وغيلان وخولان وبرط الخ . . الخ . .

وأهم قبائل اليمن هى بنو الحارث . وبنو حشيش . وسنحان . وهمدان . وأرحب . وحاشد . وبكيل . وذو محمد . وذو حسين . وخولان . وبنو جبر . وبنو ظبيان الخ

ومعظم القضاءات والنواحى هى بلاد البستان والحيمة وانس وبلاد الروس . وعتمة والريمة وحراز . وكوكبان . والطويلة . والمحويت . وحفاش . وملحان . وعمران . وحجة . وصفدة . ونجران . الخ .



صورة أحد أسواق صنعاء

فى اسواق صنعاء

خرجت من الدار بعد ذهاب القاضى محمد راغب ويممت وجهى نحو أسواق صنعاء ترويحاً للنفس ولم أصطحب معى جنديا لكى أختلط بالناس وأسمع أحاديثهم دون أن يساورهم القلق من وجود الجندى فمررت بسوق النجارين فوجدت معظمهم يعمل بكرات خشبية ودلاء للآبار وشاهدت بعضهم يعمل صناديق خشبية للقبائل البدوية وهى على شكل صناديق الفلاحين عندنا ومررت بسوق الحدادين فرأيتهم يصنعون سكاكين ومحشات ومحاريث ومسامير . ومناشير . وسلاسل . وحلقات الى غير ذلك من الأدوات الحديدية ولكن صناعتهم أولية للغاية وأدواتهم ابتدائية فسألت بعضهم لماذا لا تجلبون أدوات وآلات تعينكم فى صناعتكم ؟ فقالوا نحن فقراء وأثمان الآلات غالية وجلبها صعب . ولذلك نكتفى بادواتنا البسيطة . فقلت ومن أين تجلبون الحديد ؟ فقالوا يجلبه لنا التجار الكبار من عدن ونحن نبتاع حاجتنا منهم . ومررت ببعض مصانع الأراكيل وهى دكاكين كبيرة جلس فيها عدة صناع بعضهم يعمل قلب الأركيلة وبعضهم رأسها وبعضهم سائر أدواتها وصناعة الأراكيل صناعة مهمة ويعملون منها كميات وافرة لان الطلب عليها كثير . ثم مررت ببعض المحلات حيث شاهدت نشر أحجار المرمر العظيمة الى ألواح دقيقة شفافة بمناشير حادة خاصة وهذه صناعة اختصت بها صنعاء دون غيرها من بلاد العالم لان المرمر لا يستعمل كزجاج للنوافذ الا فى صنعاء . ومررت أيضاً بمحلات الحياكة وشاهدت العمال جالسين خلف أنوالهم الخشبية الكبيرة التى تشبه أنوالنا كل الشبه وهم يحيكون البز من خيطان القطن على نفس طريقة الحياكة عندنا؛ ثم مررت ببعض دكاكين بائعى الحجارة اليمانية الكريمة فوقفت أمام دكان وطلبت الى صاحبه أن يعرض علىّ بعض حجاراته ، فقدم لى شيئاً كثيراً منها فاخترت نحو عشرين حجراً وسألته كم ثمنها فقال كل حجر (بثلاث بقش) فنفحته الثمن وسرت نحوالدار وعلى ذكر البقش والدراهم أذكر للقارىء الكريم النقود المستعملة فى اليمن .

الدراهم

يقولون للدراهم « ظلط » وواحدها القياسى هو البقشة وتقسم البقشة الى نصف بقشـة وربع بقشة وثمن بقشة وكل عشر بقشات تساوى ربع ريال نمساوى أو امامى ويقال له عمادى وكل أربعين بقشة تساوى ريالا واحـدا وكل عشرة الى ١٥ ريالا تساوى جنيها انـكليزيا ذهباً وذلك بحسب هبوط سعر الفضة وارتفاعها . وأساس التعامل هو الذهب والذهب الموجود فى اليمن هو الجنيه الانكليزى والعثمانى ويوجد ايضا بعض العملة الورقية كالجنيه الانـكليزى الورق والروبية الورق وهذه يتداولها التجار وأما الأهلون وخاصة القبائل فلا تتعامل بغير الفضة والذهب ، وهم يفضلون المقايضة أحياناً فى الاسواق البعيدة عن المدن . ومعظم الريالات الموجودة فى اليمن هى من نوع الريال النمساوى المعروف بأبى شوشة أو بماريا تريزا. والبقشة وأجزاؤها مصنوعة من نحاس ومضروبة فى صنعاء اليمن وكذلك الريال الامامى فهو مضروب فى صنعاء اليمن ومصنوع من الفضة الخالصة

وقوة الدراهم فى الشراء عظيمـة جداً وذلك لقلتها وكثرة البضـائع والحاجيات المعروضة للبيع فقوة الشراء فى البقشة الواحدة تساوى قوة الشراء بقرشين سوريين عندنا تقريباً .

كيف تلقى نزيه المؤيد العظم الحكم عليه بالاعدام ؟

ليالى صنعاء

خرجت مساء ذات يوم الى صنعاء لأقضى سهرتى فى مقاهيها وكان يرافقنى أحد الجنود ويحمل أمامى فانوساً صغيراً يضاء بالبترول ، اجتزت شارع بئر العزب ودخلت من باب الشرارة وطفت فى بعض الأسواق فلم ار قهوة ما .. فسألت رفيقى الجندى ألا توجد (قهاوى) فى صنعـاء ؟ فأجاب بلى يوجد مقاهى كثيرة للمسافرين ولـكن ماحاجتكم (للمقهاية) وانتم والحمد لله تقطنون فى دار كان الامام حفظه الله سا كناً

فيها ؟ أدركت للحال أن الجندى يقصد بالمقهاية الخان للمسافرين فقلت له لا اريد مقهاية للنوم بل اريد قهوة للجلوس فلم يفهم قصدى ، فعدت وإياه ادراجى الى الدار ولدى الاستفهام من بعض الاصدقاء غداة ذلك اليوم عن المقاهى والمطاعم والفنادق علمت انه لا توجد قهاوئ فى صنعاء أبداً ولا توجد فيها مطاعم ولا فنادق ولا دور للسينما وما أشبه،فسألت بعض الأصدقاء عن كيفية قضائهم للسهرات فقالوا اما أن نسهر مع عائلتنا وأولادنا وإما أن نتزاور مع الأصحاب ويسهر بعضنا عند بعض ونقضى جانبا طويلا من السهرة بأكل القات وندخن (المداعة) أى (الاركيلة) والذين لا يخزنون القات ليلا يقضون بعض وقتهم بالعبادة والقراءة . واما أنا فكنت أقضى معظم سهراتى فى تدوين هذه المذكرات وفى مطالعة بعض الكتب .

وسام الامام الحكم بالاعدام

نهضت ذات يوم مبكراً وبينما كنت أتناول طعام الصباح واذا (بمحسن جلالى) حاجب الامام الخاص يأتى ويقول « أصبحتم » فأجبته صبحكم الله بالخير والعافية فقال الحضرة الشريفة (تبغا كم) أى تريدكم فقلت حسناً سأحضر قريباً ، وفكرت فى نفسى ماذا يريد جلالة الامام فى هذا الوقت ياترى ؟ ورحت أضرب أخماساً فى أسداس وأحسب لهكذا الطلب الف حساب وانهيت طعامى ولبست ثيابى وذهبت مسرعاً الى المقام الشريف فاستأذنوا لى بالدخول فدخلت على جلالة الامام فى مكتبه فاذا به يجلس كالعادة يهتم بشؤون المملكة فقلت أسعد الله صباح جلالة مولانا الامام وهممت بتقبيل يده فدفعها بلطف وقال : حى الله من قد جاء ، وابتسم ابتسامة جميلة وهو يقول هيا اجلس .جلست أمام الحضرة الشريفة وقلبي يخفق خفقاناً شديداً ولكنه ليس بخفقان الخوف بل خفقان الحب الممزوج بالاحترام ، ونظرت الى جلالة الامام فرأيت الابتسامة لم تفارق شفتيه فخرت فى الأمر وقلت : اعطانا الله خير هذه الابتسامة ياصاحب الجلالة ، فقهقه عندئذ جلالته بالضحك ، وقال نعم خيرا وخيراً كثيراً ان شاء الله ! خذ هذا الوسام ومد يده الى تحت الوسادة وأخرج عدداً من

جريدة (الف باء) وقال خذ واقرأ وأشار بيده الكريمة الى نهر من أنهر الجريدة فتناولت الجريدة من يده الكريمة بقلب واجم وتأملت فى المكان الذي أشار اليه جلالته فرأيت العنوان (محاكمة نزيه المؤيد) تلوت تلك المحاكمة فوجدت نتيجتها أن المجلس العدلى بدمشق حكم علىّ بالاعدام عملا بالمادة ٥٨ . لم اتمالك عندئذ من الضحك فقلت أشكركم ياصاحب الجلالة على هذا الوسام الأحمر القانى وانى أتقبل هذا العدد من جريدة الف باء منكم بمزيد الشكر وبالفعل احتفظت بهذا العدد وهو رقم ٢٠٩٧ الى يومنا هذا وكتبت عليه بالحبر الاحمر «أعطانى هذا العدد من جريدة الف باء جلالة الامام يحيي فى صنعاء كوسام للاستحقاق اليمانى» وأخال القارئ الكريم أدرك أن هذا الحكم كان قد صدر علىّ بسبب الثورة السورية فى دمشق وكنت حين صدوره والحمد لله فى اليمن .

الامام والصحف

بقيت بالحضرة الشريفة زمناً غير يسير وتناولت البحث مع جلالة الامام فى امور كثيرة منها الدعاية الخارجية والاشتراك فى الصحف فصرح لى جلالته بانه لا يشترك فى الصحف ويعيد أكثرها الى أصحابها أولاً وثانياً وثالثاً وبرغم اعادتها لهم يستمرون على ارسالها فيقبلها جلالته كهدية ، فقلت ولكن يامولاى ان الملوك والامراء ورؤساء الجمهوريات والعظماء جميعهم يشتركون فى الصحف ويدفعون اشتراك هذه الصحف غالياً لا حباً فى قراءة أخبار العالم فقط بل وارضاء لاصحاب هذه الصحف وشراء لألسنتهم فقال : أنا لاتهمنى هذه الامور أبداً ولا اعتنى بالدعايات ولا أرغب فى شراء لسان أحد فاللسان الذى يكيل المديح بالدراهم يكيل القدح اذا انقطعت الدراهم فلا خير فى المدح والقدح متى كانا بالدراهم . سكت لهذا الجواب المعقول وغيرت الحديث ثم ودعته وانصرفت وأنا معجب بشدة حجته وقوة منطقه ولطافة تعبيره .



بعض كبار رجال الحكومة اليمنية فى صنعاء وهم من اليسار القاضى عبد الكريم
بن احمد المطهر الكاتب الاول فى المخيم المنصور والقاضى لطف بن محمد
الزبيرى والسيد عبد الله بن ابراهيم الوزير

مجلس الامام

ومن الغريب فى جلالة الامام انه لا يكل ولا يمل من العمل وهو ينهض كل يوم
مبكرا فيصلى الصبح حاضرا وينزل بعد طلوع الشمس الى ميدان سرايته العامرة
فيجلس تحت شجرة الفلفل الكائنة بالميدان أو تحت مظلة كبيرة من القماش ويتقبل
شكاوى الناس ويتسلم عرائضهم والدخول الى السراى فى ذلك الوقت مباح لجميع الناس
وبعد أن يجلس جلالته فى الناس مدة يخرج عند الظهر الى أحد جوامع صنعاء فيصلى وفى

أثناء ذهابه وايابه يسمح للناس أن يقابلوه ويقدموا شكاويهم اليه وكثيرا ما ينزل من عربته ويتفيأ ظلها أو ظل أحد المنازل ويدع الناس تأتى اليه وتقابله وترفع ظلاماتهم اليه وهذه أيضاً عادة حسنة يحمد عليها جلالته كل الحمد . وبعد صلاة الظهر يدخل جلالته الى الحرم الشريف فيتناول طعامه ويستريح قليلا ثم يعود الى المخيم المنصور ويبقى هنالك على رأس عمله حتى ساعة متأخرة من الليل

بعد أن تعرفت الى جلالة الامام جيداً وبعد أن شعرت بميله الشديد إلى إصغائه الى أقوالى واقتراحاتى صرت أزوره فى الأسبوع ثلاث أو أربع مرات وأجلس مع جلالته صباحا قبل خروجه للناس فى داخل حديقة السراى العامرة تحت ظل الأشجار ولشدة ديمقراطيته وسمو أخلاقه وعلو مبادئه كان يجلس جلالته دون عظمة أو نخفخة على كرسى عال وأجلس أمامه الى كرسى صغير ولا ثالث بيننا فنتناول من الأحاديث والشؤون العمرانية والزراعية والاقتصادية والسياسية وغيرها من شؤون هذا العالم الشىء الكثير، وكان جلالته يوجه الى أسئلة دقيقة للغاية تدل دلالة واضحة على تعمقه فى جميع العلوم الدنيوية والدينية وكان يصغى إلى أجوبتى بانتباه زائد ويجادلنى فى أمور كثيرة الى أن يقنعنى بنظريته أو أقنعه بنظريتى، ولعمر الحق هذه سجية سامية قل أن توجد فى الناس العاديين فضلا عن الملوك. وقد اتصل بى ان موقف جلالته فى الحديث مع رجاله العظماء الذين يعول عليهم لا يختلف عن موقفه فى الحديث معى وهذا مما يحبب الناس فيه ويجعلهم ألسنة شكر تسبح بحمده وتثنى عليه فى كل مناسبة وليس من الغريب — وحالته مع الشعب كما وصفت — أن يكون الشعب أطوع لجلالته من بنانه فهو قد ملك روح الشعب ونفسه بالسياسة والاحسان واللين لا بالقوة والجبروت. وانى فى رحلاتى الكثيرة وسفراتى المتعددة من أقصى اليمن إلى أقصاه ومقابلتى لأناس من جميع الطبقات من زيود وشوافع ويهود لم أقابل رجلا واحدا شكا لى من جلالة الامام، ولكننى لا أنكر انى سمعت مراً الشكوى من أناس كثيرين فى حق بعض العمال الذين يسيئون استعمال وظيفتهم وقد رفعت هذه الشكوى الى الحضرة الشريفة فوعدنى

صاحب الجلالة باجراء التحقيق واعطاء الأوامر الشديدة الى العمال لانصاف الناس وعدم التحامل عليهم

الضيوف الاجانب والامام

يستقبل جلالة الامام ضيوفه الأجانب من الفرنجة فى جناح خاص من السراى فى صالون كبير مفروش بالسجاد العجمى الثمين وفيه طقم واحد من الكنبات وآخر من الكراسى وطاولة ويقوم هذا الصالون فوق حديقة السراى ويحضر فى أغلب الأحيان اجتماع جلالته مع الأجانب وزير الخارجية القاضى محمد راغب وأحد الحجاب ولا يؤذن للحاجب وللوزير بالجلوس فى أثناء الاجتماع ويسمح للاجنبي أن يدخل هذا الصالون يوم موعد الاجتماع الذى يضرب عادة قبل يوم أو يومين وينتظر تشريف الحضرة الشريفة . وقبل مجىء الحضرة الشريفة بدقيقة واحدة يعلن أحد الحجاب الوزير والضيف اوالضيوف بأن صاحب الجلالة قادم فيستعد الجميع لاستقباله وقبيل دخوله يدخل الحاجب أمامه ويقول صاحب الجلالة شرف، فيقف الجميع تعظيما واحتراما فيدخل جلالته ويجلس على مقعد خاص معدله ويأذن للضيف أو الضيوف بالجلوس فيجلسون وأما الحاجب ووزير الخارجية فلا يؤذن لهما بالجلوس بل يبقيان واقفين الى نهاية الحديث ولا تزيد مدة مقابلته للاجانب على نصف ساعة يتحادث خلالها معهم فى الشؤون التى يريدونها ولا يبت فى أمر من الأمور مهما كان طفيفاً بجلسة واحدة بل دائماً يعد زائريه بدرس اقتراحاتهم أو طلباتهم ثم يجيبهم عليها امابواسطة وزير الخارجية القاضى محمد راغب أو بواسطة رئيس الديوان العالى ووزير الداخلية القاضى عبد الله العمرى وذلك بعد أن يقتل جلالته المسألة درساً وفحصاً مع وزرائه وكبار رجال مملكته وعندما تنتهى المقابلة يخرج جلالته من صالون الاستقبال قبل ضيوفه فيبقى الضيوف مع وزير الخارجية مدة يتحدثون فيها اليه ويشرحون قصدهم ويبينون غايتهم من زيارة اليمن بصورة مطولة وهذا يعرض حديثهم على الحضرة الشريفة فيما بعد

ويرتدى جلالة الامام فى مقابلاته الرسمية للاجانب ثوبا حريريا رقيقاً وفوقه ثوب

آخر (قنباز) مصنوع من صايات الشام الحريرية المشهورة ويتعمم بعمة حريرية كبيرة ويتمنطق بجنبية من جنبيات اليمن التاريخية القديمة ويحمل على جنبه سيفا يمانيا عتيقا غمده من الفضة والذهب ونصله من الفولاذ اليمانى المشهور . ويحمل بيده سبحة صفراء من الكاربلاء . ويلبس فى أصبع يده خاتما معمولا من بعض حجارة اليمن الكريمة يرجع تاريخه الى بضع مئات من السنين

هذه هى ألبسة جلالة الامام فى مقابلاته الرسمية وفى أوقات خروجه من السراى العامرة وأرى نفسى مضطرا لبيانها بياناً دقيقاً لأن جلالته لم يأذن لى ولا أذن لأحد غيرى بأن يصوره وعليه فأنا أصوره بالكلام لا بالفوتوغراف . وما هذه الصور الفوتوغرافية التى تنشرها الجرائد من حين الى حين الا صور خيالية لا تشبه جلالته أبداً كما بينت فيما تقدم

الاجانب

وعلى ذكر الأجانب أقول ان صنعاء لا تخلو منهم فهم يفدون عليها بصورة مستديمة تارة باسم المفاوضة وطورا باسم التجارة والغاية الحقيقية هى التجسس ، وبديهى أن يتخذ الأجانب جميع الأساليب والوسائل للمجىء الى صنعاء لأن جلالة الامام لا يسمح للدول الأجنبية بأن ترسل سفراء أو قناصل أو ممثلين رسميين لليمن ولذلك ترسل هذه الدول أناساً من رعاياها بين الفينة والفينة ليشاهدوا عن كثب حالة اليمن وقد صادف وأنا فى صنعاء ان جاءها وفد افرنسى وآخر طليانى وثالث امريكى ورابع ألمانى وخامس انكليزى وسادس روسى شيوعى وسابع سعودى ، وقد اجتمع الجميع الى جلالة الامام والغريب أن ثلاثة من هذه الوفود كانت تسعى للحصول على امتياز استثمار مملحة الصليف الكائنة على مسافة ٨٠ كيلو متر من شاطىء الحديدة والجميل فى الأمر أن جلالة الامام رفض أن يعطى هذا الامتياز أحدا من الوفود ، وقد تباحثت مع جلالته فى هذا الشأن وسألته لماذا ترفضون ياصاحب الجلالة اعطاء رخصة باستثمار هذه المملحة فقال ألا تعلم يابنى أن سبب استعمار الهند والصين وغيرهما من

البلاد الشرقيـة الضعيفة هو منح حكومات هـذه البلاد للاجانب رخصاً باستخراج الملح وزيت الـكاز وغيرهما من المصالح ؟!! انى أفضل أن نبقى أنا وشعبى فقراء نأكل القصب ولا أدخل الأجانب أو أمنحهم امتيازات مهما كان فى ادخالهم للبـلاد من الفائدة والثروة ولا اخال جـلالة الامام مخطئاً فى هذه النظرية لأنها حقيقة واقعـة لايختلف فيها اثنان ولا يتناطح عليها عنزان

حديث مع وفد تجارى روسى

وقد اجتمعت ببعض أعضاء هذه الوفود الأجنبيـة وأخص منهم بالذكر الوفد الروسى ودار بينى وبين أعضائه وهم الرفيق جورجى استانـكوف رئيس الوفد والخواجه بلـكين (عضو) الوفد والخواجه موريس ا كسلرود عضو الوفد وعضـو المجمع العلمى الشرقى فى موسكو حديث طويل عن أمور كثيرة أورد بعضه هنا للقارىء الـكريم ليطلع على مساعى الروس الحمر فى بلادنا

(س) ماذا تبغون من زيارتـكم الى اليمن ؟

(ج) نحن نعطف على الشعوب الضعيفة ونرغب فى مساعدتها

(س) هل هذه الغاية سبب مجيئـكم لليمن

(ج) كلا : ليست هذه غايتنا الوحيدة فقط . بل نرغب أيضاً أن نعقد معاهدة تجارية مع الامام يحيى إذ لايخفى عليكم أن بلادنا واسعة ومحصولاتنا كثيرة وأبواب العالم الخارجى مغلقة فى وجوهنا فنحن نسعى لايجاد أسواق جديدة وهذه البلاد هى فى جملة البلاد التى يمكننا أن نعمل معها ونجد فيها أسواقاً تجارية

(س) هل تمـكنتم من عقد معاهدة تجارية مع جلالة الامام ؟

(ج) نسعى لذلك سعياً حثيثاً وقد تمـكنا بالاتفاق مع جلالة الامام ورجاله الامجاد من وضع صيغة هذه المعاهدة وسيحملها الرفيق جورجى استانـكوف الى حـكومة موسكو ليعرضها عليها ويأخذ توقيعها ثم يعود الى اليمن ثانية ليأخـذ توقيع جلالة الامام عليها

(س) ماهو عدد مواد هذه المعاهدة وما هى مضامينها ؟

(ج) ستطلعون عليها بعد توقيع الطرفين المتعاقدين عليها لأنها ستنشر فى موسكو وصنعاء فى وقت واحد

(س) هل لهذه المعاهدة ملاحق سرية وما أشبه ؟

(ج) ابتسم الرئيس لهذا السؤال الصريح وأجاب طبعا كلا !

(س) ماذا صنعتم فى هذه البلاد الى الآن ؟

(ج) أسسنا شركة تجارية وقدتعين لرئاستها الخواجه بلكين وهذه الشركة تدعى الشركة الروسية التجارية

(س) وما هى مهمتها ؟

(ج) جلب المحصولات الروسية من بلادنا وبيعها فى اليمن وشراء كميات وافرة من البن اليمنى والجلود

(س) وما هى المحصولات التى تجلبونها ؟

(ج) دقيق وخشب وكبريت وكاز وسكر وأقمشة قطنية وحريرية وخردوات الى غير ذلك من اللوازم

(س) كيف وجدتم هذه البلاد وأهلها ؟

(ج) انها بلاد جميلة جداً وأهلها فقراء ولكنهم أذكياء ورجال جد وعمل

(س) أصحيح أنكم أتيتم الى صنعاء بالطيارة ؟

(ج) نعم طرنا من الحديدة الى صنعاء بالطيارة وقطعنا المراحل الست بين هاتين المدينتين فى خمسين دقيقة فقط !

(س) هل تتلقون بريدكم من بلادكم بصورة منظمة ؟

(ج) نعم نأخذ بريدنا بواسطة سفننا التجارية التى تسافر بين البحر الأسود والعجم بصورة منتظمة ولكن كل ثلاثة أشهر مرة واحدة

(س) ولماذا تتدخل حكومتكم فى امور غيرها من الحكومات والشعوب ؟

(ج) ان حكومتنا تبشر بمبادئ جديدة هى الحرية والعدالة والمساواة ، ولا

تتدخل فى أمر شعب من الشعوب مالم يطلب بعض أفراد ذلك الشعب وأحزابه منها المساعدة

(س) هل أباحت لكم هذه المبادىء الحرة الشريفة أن تقتلوا المسلمين فى القفقاس وتهدموا مساجدهم فوق رؤوسهم وهم يصلون ؟

(ج) ان هذه الأخبار تتسرب اليكم عن طريق بعض خصومنا وهى مبالغ فيها كثيرا . ولا شك انه اتصل بكم اننا ساعدنا تركيا فى أيام محنتها وثورتها مساعدة جليلة وتركيا هى دولة اسلامية كما لا يخفاكم

(س) هل تنوون السفر الى بلادكم الآن ؟

(ج) نعم سيسافر بعضنا ويبقى الخواجه بلكين فى الحديدة كرئيس للشركة التجارية ليشرف على أعمالها وهو سيستعين بالوطنيين فى جميع أعماله .

هذا هو بعض الحديث الذى جرى بينى وبين الوفد الروسي ولا أخفى على القارىء الكريم انى لم أكن مطمئنا فى حديثى مع هؤلاء الناس ولا شعر قلبى بالميل اليهم . ومن الغريب فى روسية الحمراء التى تدعى أنها لم تقم بثورتها المعروفة الا لتنقذ روسيا من مخالب الرأسماليين واستبداد القيصر ورجاله ان جميع زعمائها الشيوعيين أصبحوا يمتلكون الثروات الطائلة وكان أيام القيصر يوجد قيصر واحد يستبد بالشعب فصار فى زمنهم يوجد ألف قيصر وقيصر من الزعماء والوزراء وأصحاب النفوذ ، وقد بلغت شكوى الشعب عنان السماء من أعمالهم ، وبديهى أن المبادىء الشيوعية تناقض الفروض الدينية الاسلامية وتختلف مع السنة المحمدية وعليه أنصح اخواننا العرب أن لا ينخدعوا بدعاية الروس وأن يعلموا بأن هؤلاء الحمر قد قتلوا الوفا من المسلمين فى بلادهم وخربوا مئات الجوامع والمساجد فوق رؤوس المصلين

وكنت أظن أن المعاهدة التى نوه لى عنها الوفد الروسى سوف لا تعقد مع اليمن وسوف تمر الأيام والشهور والسنون بين أخذ ورد بين موسكو وصنعاء من غير جدوى ولكن تمكن الرفيق جورجيوف من اقناع حكومته بقبول صيغة المعاهدة التى وضعها حضرته مع الحكومة المتوكلية فى سفرته الى موسكو وعاد بها ممضاة من حكومته

الى اليمن فوقعت عليها حكومة اليمن أيضا وصارت نافذة منذ تاريخ توقيعها فى سنة ١٩٢٨ والى القارىء الكريم نصها بالحرف

فصل فى المعـــــاهدات [1]

معاهدة الوداد والصداقة والتجارة بين اليمن وحكومة الجمهوريات

السوفياتية المعروفة بمعاهدة صنعاء

بناء على الاستصواب والاستنساب المتقابل من كل من حكومة اتحاد الجمهوريات السوفياتية الاشتراكية من طرف ومن حضرة صاحب الجلالة ملك اليمن الامام يحيي ابن الامام محمد حميد الدين وحكومته من طرف آخر ورغبة الطرفين فى تأسيس المناسبات الرسمية الاعتيادية وفتح الصلات الاقتصادية بين بلاديهما وترقيتها وبنائها على أساس الصدق فى تنظيم العلاقات الودادية بين الحكومتين وشعوبهما والاعتراف بالتساوى بين الطرفين فى كافة الحقوق واحكامها العامة المرعية بين الدول والملل .

قد اتفق الطرفان المشار اليهما على عقد هذه المعاهدة الودادية والصداقية والتجارية واعتبارها كمقدمة لما تستدعيه وتقتضيه الظروف المستقبلة عند ترقى الصلات الاقتصادية بين البلادين وتوسعها من اجراء المذاكرات والسعى من الحكومتين المشار اليهما فى تنظيم الاتفاقات اللازمة كمثل تجارة وغيرها مما يرتضيه الطرفان فقررا الآن ما هو آت :

المادة الأولى :

تعترف حكومة اتحاد الجمهوريات السوفياتية الاشتراكية بالاستقلال الكامل المطلق لحكومة قطعة اليمن ولملكها صاحب الجلالة الامام يحيى بن الامام محمد حميد الدين وحاكميته ويقدر صاحب الجلالة ملك اليمن وحكومته صورة الاحترام

---

١ ـ ليعذرنا القارىء الكريم فى محافظتنا على النص الحرفى للمعاهدات لأن ذلك هو الواجب والمتبع فى مثل هذه الاحوال .

الخالص والحسيات الجميلة التى تضمرها حكومة اتحاد الجمهوريات السوفياتية الاشتراكية لدولة اليمن وشعبها وسائر الشعوب الشرقية ووفاقا لهذا قد تأسس بين الطرفين المتعاهدين المناسبات الرسمية بموجب المقدمة المحررة آنفاً

المادة الثانية :

يتعهد الطرفان المتعاقدان بتسهيل المبادلات التجارية بين المملكتين ووفاقا لهذا التعهد يكون لكل من رعايا المملكتين فى بلاد مملكة الاخرى بعد استحصال الاذن منها الدخول والاقامة طبق نظاماتها وتعاطى التجارة واجراء معاملاتها التى تقتضيها على شريطة أن يكون فصل القضايا التى تحدث لكل من رعايا الطرفين فى المحاكم المحلية للمملكة التى يوجدون فيها على وفق نظاماتها وان ما كان ممنوع الاتجار به فى قوانين احدى الحكومتين فلكل منهما منع أو مصادرة ما وجد فى مملكتها من ذلك ويتعهد الطرفان المتعاقدان أن يساعدا بتطبيق كل تسهيل موافق للنظامات المحلية فى معاملات رعايا المملكتين فى التجارة فيما يختص الضرائب والرسوم الكمركية

المادة الثالثة :

توضع هذه المعاهدة فى موضع التطبيق واجراء من الحكومتين بعد امضائها وتصديقها على مقتضى الأصول الرسمية المعتادة من طرف حكومة اتحاد الجمهوريات السوفياتية الاشتراكية اعتباراً من يوم وصول التصريح الرسمى من الحكومة المشار اليها الى جلالة ملك اليمن الامام يحيى

المادة الرابعة :

تكون هذه المعاهدة الودادية والصداقية والتجارية معمولا بها وموضوعة فى موضع العمل والتطبيق مدة عشر سنوات اعتبارا من التاريخ الذى ذكر فى المادة الثالثة وعند انقضاء المدة المذكورة يكون تمديدها أو تبديلها بغيرها راجعاً الى رغبات الطرفين المتعاقدين وما سيتفقان عليه فى ذلك المستقبل

المادة الخامسة :

تسمى هذه المعاهدة الودادية والصداقية والتجارية معاهدة صنعاء وهى تشتمل على

مقدمة وخاتمة ستأتى وخمس مواد هذه المادة احداها وقد نظمت فى نسختين باللغة العربية لتعاطيهما من الطرفين المتعاقدين

الخاتمة :

لكى تكون هذه المعاهدة مهيئة لا كتسابها صفة التصديق النهائى حسبما نصت عليه المادة الثالثة والرابعة قد أمضيت فى صنعاء عاصمة اليمن من طرف مرخص حكومة اتحاد الجمهوريات السوفياتية الاشترا كية حضرة الرفيق آستاخوف بالنيابة عن حكومته المشار اليها ومن طرف حضرة القاضى محمد راغب المندوب عن جلالة ملك اليمن الامام المشار اليه بعد اتفاقهما على ماحوته من العبارات والمعانى الدالة عليها اتفاقا تاماً كاملا وتحريرها فى ١٧ جمادى الأولى سنة ١٣٤٧ الموافق ١ تشرين الثانى سنة ١٩٢٨

محمد راغب بن رفيق　　　　غ . آستاخوف

معاهدة صداقة وتجارة

بين امبراطورية أثيوبية ومملكة اليمن

ان حضرة صاحب الجلالة ملك ملوك أثيوبية قداماى هيلاسلاسى الأول المعظم وحضرة صاحب الجلالة ملك وحاكم اليمن المطلق الامام يحيى بن الامام محمد بن يحيى حميد الدين المبجل

رغبة منهما فى تأسيس روابط الصداقة والمحبة بين الدولتين العاليتين وتوثيق عراها على قاعدة القوانين الدولية العامة قد قررا عقد معاهدة صداقة وتجارة ولهذا الغرض عين

من طرف حضرة صاحب الجلالة امبراطور أثيوبية : حضرة صاحب السعادة سافى تزوزو ، مسقل ، وصاحب العزة ليج آنداركه ماساى

ومن طرف حضرة صاحب الجلالة ملك اليمن الامام . حضرة صاحب السعادة القاضى محمد راغب بن رفيق

مندوبين مفوضين من الدولتين المشار اليهما . وقد اتفقوا بعد تثبيت وثائق اعتمادهم على المواد الآتية :

المادة الأولى : يفتح بين الامبراطورية الأثيوبية والمملكة اليمانية سلام دائم وصداقة تامة مطلقة .

المادة الثانية : يتفق الفريقان الساميان المتعاقدان على تقوية علاقاتهما الودية والتجارية وعلى أن يسهلا تبادل المنتجات بينهما .

المادة الثالثة : لكل من رعايا الامبراطورية الاثيوبية والمملكة اليمنية الحرية فى الدخول والاقامة للتجارة فى بلاد الفريق الآخر من المتعاقدين الساميين اللذين اتفقا على أن يعاملوهم وتجارتهم بالأحكام المحلية ويتمتعوا بما يتمتع به رعايا الدولة الأكثر رعاية

المادة الرابعة : من المتفق عليه أن رعايا الفريقين الساميين المتعاقدين يكونون فى كل أمورهم ومعاملاتهم خاضعين للقوانين والمحاكم المتبعة عادة فى البلاد المقيمين بها

المادة الخامسة - سيكون من الفريقين الساميين المتعاقدين فى الوقت المناسب وبموافقتهما انشاء سفارة وقنصليات والى أن يكون انشاء العلاقات السياسية والقنصلية هذه يتفقان على أن يعطى لرعايا كل منهما المقيمين فى بلاد الفريق الاخر المساعدة والصيانة اللازمة

المادة السادسة : بهذه المعاهدة لا يسمح الفريقان الساميان المتعاقدان لأى حركة ضد صداقتهما الصميمية ويجتهدان فى التقرب أكثر مما هما عليه الآن فى المعاونة وفى ازدياد علاقاتهما وعلى روح هذه المعاهدة تبنى الاتفاقات والمعاهدات التى سيكون عقدها فى المستقبل بينهما .

المادة السابعة : تكون مدة هذه المعاهدة خمس سنوات ابتداء من تاريخ تبادل حجج التصديق بينهما وتتجدد بنفسها كل مرة خمس سنوات أخر ان لم ترفض المعاملة بها احدى الدولتين المتعاقدتين قبل ستة أشهر من انتهائها

وتبادل حجج التصديق يكون فى صنعاء فى أقرب مدة ممكنة وبهذه المعاهدة يلغى كل ما قبلها .

وتقريراً لذلك وقع المفوضون المشار اليهم امضاءاتهم على المعاهدة هذه ووضعوا

أختامهم عليها ولهذه المعاهدة نسختان أصليتان باللغتين الامهارية والعربية وحيث ان أصل ومنبع اللسانين المشار اليهما متحد فعند اللزوم للتفسير يعتبر النص العربي

وحرر فى صنعاء اليمن فى ١٧ ذى الحجة سنة ١٣٥٣ الموافق ٢٣ مارت سنة ١٩٣٥

محمد راغب بن رفيق　　ليج آندارك ماساى　　سافى تزوزو　　مسقل

المعاهدة الايطالية اليمنية

نقلا عن جريدة الايمان التى تصدر فى صنعاء

كان عقد معاهدة ودية بين دولة اليمن الاسلامية المصطفوية وبين الدولة الفخيمة الايطالية وهى أول معاهدة عقدت فرأينا بكل شوق وسرور أن ندرج وننشر تيمناً وتبركا فى جريدتنا هذه باول نسخة تصدر منها صورة متن هذه المعاهدة لاعلام جميع أهل اليمن بما حوته وكانت المراجعة والتماس المساعدة باطلاعنا على أصلها لنقل صورتها وبعد تمام نقل الصورة كانت الافادة بوقوع تصديق المعاهدة الواقعة من طرف حضرة صاحب الحشمة ملك ايطاليا (فيكتوريو عمانوئيلو) وأنه قد وصل التبليغ الرسمى الى الحضرة الشريفة الهاشمية ونذكر على الوجه الآتى تحت هذا نص متن المعاهدة كما نقلت من الأصل المذكور بحروفها :

مادة ١ ـ تعترف حكومة جلالة ملك ايطاليا باستقلال حكومة اليمن وملكها جلالة الامام يحيى الاستقلال المطلق الكامل ومع هذا فلا يداخل حكومة ايطاليا المشار اليها فى مملكة جلالة ملك اليمن الامام بأى أمر من الأمور التى تناقض ما فى الفقرة الأولى من هذه المادة

مادة ٢ ـ تتعهد الدولتان بتسهيل التبادل فى التجارة بين بلاديهما

مادة ٣ ـ حكومة جلالة ملك اليمن تصرح بانها ترغب أن تجلب طلباتها من ايطاليا وذلك فى الأشياء والآلات الفنية التى تساعد بجلب الفائدة فى نمو اقتصاد اليمن ونفعه وكذلك فى الأشخاص الفنيين والحكومة الايطالية تصرح بانها تبذل جهدها

حتى يصير ارسال الأشخاص والآلات الفنية والأشياء بانسب وجه فى الأنواع والأثمان والرواتب

مادة ٤ ـ ما ذكر فى المادة الثانية والثالثة لا يمنع حرية الطرفين فى التجارة والمطلوبات

مادة ٥ ـ ليس لأحد من تجار المملكتين أن يجلب ويتجر فيما تمنعه احدى الدولتين فى بلادها ولكل من الدولتين أن تصادر ما جلب الى بلادها مما تمنع جلبه والتجارة فيه بعد الاشعار

مادة ٦ ـ هذه المعاهدة لا يكون معمولاً بها إلا من حين تصل الى جلالة ملك اليمن الامام يحيى مصدقة من جلالة ملك ايطاليا

مادة ٧ ـ تكون هذه المعاهدة جارية ومعمولاً بها لمدة عشر سنوات من بعد تصديقها كما فى المادة السادسة وقبل انقضاء مدة هذه المعاهدة بستة أشهر اذا أراد الطرفان تبديلها بغيرها أو تمديدها كانت المذاكرة فى ذلك

مادة ٨ ـ ولما حرر فى هذه المواد فجلالة ملك اليمن الامام يحى وسعادة كفاليرى غاسبارينى بالوكالة عن ملك ايطاليا قد أمضيا هذه المعاهدة المحررة فى نسختين متطابقتين باللغة العربية والايطالية ولعدم وجود من يعرف الترجمة عن اللغة الايطالية معرفة تامة لدن جلالة ملك اليمن ولأن المفاوضة التى تمت بين الطرفين بعقد الودية التجارية كان التفاهم فيها باللغة العربية ولأن سعادة كفاليرى غاسبارينى قد تأكد ان النص العربى هو مطابق للنص الايطالى تماماً لذلك اتفقنا انه اذا نشأت شكوك أو اختلاف فى تفسير النصين العربى والايطالى فالطرفان يعتمدان النص العربى وتفسيره باللغة العربية واعتبار هذا شرطاً

معاهدة الطائف بين المملكة اليمانية وبين المملكة العربية السعودية

وقعت فى جده فى السادس من شهر صفر سنة ١٣٥٣

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده

نحن الامام يحيى بن محمد حميد الدين ملك المملكة اليمانية بما أنه قد عقدت بيننا وبين حضرة صاحب الجلالة الملك الامام عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود ملك المملكة العربية السعودية معاهدة صداقة اسلامية وأخوة عربية لانهاء حالة الحرب الواقعة لسوء الحظ بيننا وبين جلالته ولتأسيس علاقات الصداقة الاسلامية بين بلادينا ووقعها مندوب مفوض من قبلنا ومندوب مفوض من قبل جلالته وكلاهما حائزان للصلاحية التامة المتقابلة وذلك فى مدينة جده فى اليوم السادس من شهر صفر سنة ثلاث وخمسين بعد الثلاثمائة والالف وهى مدرجة مع عهد التحكيم والكتب الملحقة بها فيما يلى : -

معاهدة صداقة اسلامية واخوة عربية

بين المملكة اليمانية — وبين المملكة العربية السعودية

حضرة صاحب الجلالة الامام يحيى بن محمد حميد الدين ملك اليمن من جهة

وحضرة صاحب الجلالة الامام عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود ملك المملكة العربية السعودية من جهة اخرى

رغبة منهما فى انهاء حالة الحرب التى كانت قائمة لسوء الحظ فيما بينهما وبين حكومتيهما وشعبيهما ورغبة فى جمع كلمة الامة الاسلامية العربية ورفع شانها وحفظ كرامتها واستقلالها

ونظراً لضرورة تأسيس علاقات عهدية ثابته بينهما وبين حكومتيهما وبلاديهما على أساس المنافع المشتركة والمصالح المتبادلة

وحباً فى تثبيت الحدود بين بلاديهما وانشاء علاقات حسن الجوار وروابط الصداقة الاسلامية فيما بينهما وتقوية دعائم السلم والسكينة بين بلاديهما وشعبيهما

ورغبة فى أن يكونا عضداً واحداً أمام الملمات المفاجئة وبنياناً متراصاً للمحافظة على سلامة الجزيرة العربية قررا عقد معاهدة صداقة اسلامية وأخوة عربية فيما بينهما وانتدبا لذلك الغرض مندوبين مفوضين عنهما وهما

عن حضرة صاحب الجلالة ملك اليمن :

حضرة صاحب السيادة السيد عبد الله بن احمد الوزير

وعن حضرة صاحب الجلالة ملك المملكة العربية السعودية :

حضرة صاحب السمو الملكى الأمير خالد بن عبد العزيز نجل جلالته ونائب رئيس مجلس الوكلاء

وقد منح جلالة الملكين لمندوبيهما الآنفى الذكر الصلاحية التامة والتفويض المطلق . وبعد أن اطلع المندوبان المذكوران على أوراق التفويض التى بيد كل منهما فوجداها موافقة للاصول قررا باسم ملكيهما الاتفاق على المواد الآتية :ـــ

المادة الاولى :ـ تنتهى حالة الحرب القائمة بين مملكة اليمن والمملكة العربية السعودية بمجرد التوقيع على هذه المعاهدة وتنشأ فوراً بين جلالة الملكين وبلاديهما وشعبيهما حالة سلم دائم وصداقة وطيدة وأخوة اسلامية عربية دائمة لايمكن الاخلال بها جميعها أو بعضها ويتعهد الفريقان الساميان المتعاقدان بان يحلا بروح الود والصداقة جميع المنازعات والاختلافات التى قد تقع بينهما وبان يسود علاقتهما روح الاخاء الاسلامى العربى فى سائر المواقف والحالات ويشهدان الله على حسن نواياهما ورغبتهما الصادقة فى الوفاق والاتفاق سراً وعلناً ويرجوان منه سبحانه وتعالى أن يوفقهما وخلفاءهما وورثاءهما وحكومتيهما الى السير على هذه الخطة القويمة التى فيها رضاء الخالق وعز قومهما ودينهما

المادة الثانية :ـ يعترف كل من الفريقين الساميين المتعاقدين للآخر باستقلال

كل من المملكتين استقلالا تاما مطلقا وبملكيته عليها فيعترف حضرة صاحب الجلالة الامام يحيى بن محمد حميد الدين ملك اليمن لحضرة صاحب الجلالة الامام عبد العزيز ولخلفائه الشرعيين باستقلال المملكة العربية السعودية استقلالا تاماً مطلقا وبالملكية على المملكة العربية السعودية ويعترف حضرة صاحب الجلالة الامام عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود ملك المملكة العربية السعودية لحضرة صاحب الجلالة الامام يحيى ولخلفائه الشرعيين باستقلال مملكة اليمن استقلالا تاماً مطلقاً وبالملكية على مملكة اليمن . ويسقط كل منهما أى حق يدعيه فى قسم أو أقسام من بلاد الآخر خارج الحدود القطعية المبينة فى صلب هذه المعاهدة

ان جلالة الامام الملك يحيى يتنازل بهذه المعاهدة عن أى حق يدعيه باسم الوحدة اليمانية أو غيرها فى البلاد التى هى بموجب هذه المعاهدة تابعة للمملكة العربية السعودية من البلاد التى كانت بيد الادارسة أو آل عايض أو فى نجران وبلاد يام كما أن جلالة الامام الملك عبد العزيز يتنازل بهذه المعاهدة عن أى حق يدعيه من حماية أو احتلال أو غيرهما فى البلاد التى هى بموجب هذه المعاهدة تابعة لليمن من البلاد التى كانت بيد الأدارسة أو غيرها

المادة الثالثة : ـ يتفق الفريقان الساميان المتعاقدان على الطريقة التى تكون بها الصلات والمراجعات بما فيه حفظ مصالح الطرفين وبما لاضرر فيه على أيهما على أن لا يكون مايمنحه أحد الفريقين الساميين المتعاقدين للآخر أقل مما يمنحه لفريق ثالث ولا يوجب هذا على أى الفريقين أن يمنح الآخر أكثر مما يقابله بمثله

المادة الرابعة : ـ خط الحدود الذى يفصل بين بلاد كل من الفريقين الساميين المتعاقدين موضح بالتفصيل الكافى فيما يلى ويعتبر هذا الخط حداً فاصلاً قطعياً بين البلاد التى تخضع لكل منهما

يبدأ خط الحدود بين المملكتين اعتبارا من النقطة الفاصلة بين ميدى والموسم على ساحل البحر الاحمر الى جبال تهامة فى الجهة الشرقية ثم يرجع شمالا الى أن ينتهى

الى الحدود الغربية الشمالية التى بين بنى جماعة ومن يقابلهم من جهة الغرب والشمال ثم ينحرف الى جهة الشرق الى أن ينتهى الى مابين حدود نقعة ووعار التابعتين لقبيلة وائله وبين حدود يام ثم ينحرف الى أن يبلغ مضيق مروان وعقبة رفادة ثم ينحرف الى جهة الشرق حتى ينتهى من جهة الشرق الى أطراف الحدود بين من عدا يام من همدان ابن زيد وائلى وغيره وبين يام فكلما عن يمين الخط المذكور الصاعد من النقطة المذكورة التى على ساحل البحر الى منتهى الحدود فى جميع جهات الجبال المذكورة فهو من المملكة اليمانية وكلما هو عن يسار الخط المذكور فهو من المملكة العربية السعودية فما هو فى جهة اليمين المذكورة هو ميدى وحرض وبعض قبيلة الحرث والمير وجبال الظاهر وشذا والضيعة وبعض العبادل وجميع بلاد وجبال رازح ومنبه مع عرو آل مشيخ وجميع بلاد وجبال بنى جماعة وسحار الشام يباد وما يليها ومحل مريصعة من سحار الشام وعموم سحار ونقعة ووعار وعموم وائلة وكذا الفرع مع عقبة نهوقة وعموم من عدا يام ووداعة ظهران من همدان بن زيد هؤلاء المذكورون وبلادهم بحدودها المعلومة وكلما هو بين الجهات المذكورة وما يليها مما لم يذكر اسمه مما كان مرتبطاً ارتباطاً فعلياً أو تحت ثبوت يد المملكة اليمانية قبل سنة ١٣٥٢ كل ذلك هو فى جهة اليمين فهو من المملكة اليمانية وما هو فى جهة اليسار المذكورة وهو الموسم ووعلان وأكثر الحرث والخوبة والجابرى وأكثر العبادل وجميع فيفا وبنى مالك وبنى حريص وآل تليد وقحطان وظهران وادعة وجميع وادعة ظهران مع مضيق مروان وعقبة رفادة وما خلفهما من جهة الشرق والشمال من يام ونجران والحضن وزور وادعة وسائر من هو فى نجران من وائلة وكلما هو تحت عقبة نهوقه الى أطراف نجران ويام من جهة الشرق هؤلاء المذكورون وبلادهم بحدودها المعلومة وكلما هو بين الجهات المذكورة وما يليها مما لم يذكر اسمه مما كان مرتبطاً ارتباطاً فعلياً أو تحت ثبوت يد المملكة العربية السعودية قبل سنة ١٣٥٢ كل ذلك هو فى جهة يسار الخط المذكور فهو من المملكة العربية السعودية وماذكر من يام ونجران والحضن وزور وادعه وسائر من هو فى نجران من وائلة فهو بناء على ما كان من تحكيم جلالة الامام يحيى لجلالة الملك

عبد العزيز فى يام والحكم من جلالة الملك عبدالعزيز بأن جميعها تتبع المملكةالعربية السعودية وحيث ان الحضن وزور وادعة ومن هو من وائلة فى نجران هم من وائلةولم يكن دخولهم فى المملكة العربيةالسعودية الا لما ذكرفذلك لايمنعهم ولا يمنع اخوانهم وائلة عن التمتع بالصلات والمواصلات والتعاون المعتاد والمتعارف به . ثم يمتدهذا الخط من نهاية الحدود المذكورة آنفاً بين أطراف قبائل المملكة العربية السعودية وأطراف من عدا يام من همدان بن زيد وسائر قبائل اليمن فللمملكة اليمانية كل الاطراف والبلاد اليمانية الى منتهى حدود اليمن من جميع الجهات . وللمملكة العربية السعودية كل الاطراف والبلاد الى منتهى حدودها من جميع الجهات وكما ذكر فى هذه المادة من نقط شمال وجنوب وشرق وغرب فهو باعتبار كثرة اتجاه ميل خط الحدود فى اتجاه الجهات المذكور وكثيراً ما يميل لتداخل ما الى كل من المملكتين اما تعيين وتثبيت الخط المذكور وتمييز القبائل وتحديد ديارها على أكمل الوجوه فيكون اجراؤه بواسطة هيئة مؤلفة من عدد متساو من الفريقين بصورة ودية أخوية بدون حيف بحسب العرف والعادة الثابتة عند القبائل

المادة الخامسة :ـ نظراً لرغبة كل من الفريقين الساميين المتعاقدين فى دوام السلم والطمأنينة والسكون وعدم ايجاد أى شىء يشوش الافكار بين المملكتين فانهما يتعهدان تعهداً متقابلا بعدم احداث أى بناء محصن فى مسافة خمسة كيلومترات فى كل جانب من جانبى الحدود فى كل المواقع والجهات على طول خط الحدود

المادة السادسة :ـ يتعهد كل من الفريقين الساميين المتعاقدين سحب جنده فوراً عن البلاد التى أصبحت بموجب هذه المعاهدة تابعة للفريق الآخر مع صون الاهلين والجند عن كل ضرر

المادة السابعة :ـ يتعهد الفريقان الساميان المتعاقدان بأن يمنع كل منهما أهالى مملكته عن كل ضرر وعدوان على أهالى المملكة الأخرى فى كل جهة وطريق وبأن يمنع الغزو بين أهل البوادى من الطرفين ويرد كل ماثبت أخذه بالتحقيق الشرعى من بعد ابرام هذه المعاهدة وضمان ماتلف وبما يلزم بالشرع فيما وقع من جناية قتل أوجرح

بالعقوبة الحاسمة على من ثبت منهم العدوان ويظل العمل بهذه المادة ساريا الى أن يوضع بين الفريقين اتفاق آخر لكيفية التحقيق وتقدير الضرر والخسائر

المادة الثامنة :ـ يتعهد كل من الفريقين الساميين المتعاقدين تعهداً متقابلا بأن يمتنع عن الرجوع للقوة لحل المشكلات بينهما وبأن يعملا جهدهما لحل مايمكن أن ينشأ بينهما من الاختلاف سواء كان سببه ومنشؤه هذه المعاهدة أو تفسير كل أو بعض موادها أم كان ناشئاً عن أى سبب آخر بالمراجعات الودية وفى حالة عدم امكان التوفيق بهذه الطريقة يتعهد كل منهما بأن يلجأ الى التحكيم الذى توضح شروطه وكيفية طلبه وحصوله فى ملحق مرفق بهذه المعاهدة ولهذا الملحق نفس القوة والنفوذ اللذين لهذه المعاهدة ويحسب جزأ منها وبعضاً متمماً للكل فيها

المادة التاسعة :— يتعهد كل من الفريقين الساميين المتعاقدين بأن يمنع بكل مالديه من الوسائل المادية والمعنوية استعمال بلاده قاعدة ومركزا لاى عمل عدوانى أو شروع فيه أو استعداد له ضد بلاد الفريق الآخر كما انه يتعهد باتخاذ التدابير الآتية بمجرد وصول طلب خطى من حكومة الفريق الآخر وهى

١ — ان كان الساعى فى عمل الفساد من رعايا الحكومة المطلوب منها اتخاذ التدابير فبعد التحقيق الشرعى وثبوت ذلك يؤدب فورا من قبل حكومته بالادب الرادع الذى يقضى على فعله ويمنع وقوع أمثاله

٢ — وان كان الساعى فى عمل الفساد من رعايا الحكومة الطالبة اتخاذ التدابير فانه يلقى القبض عليه فوراً من قبل الحكومة المطلوب منها ويسلم الى حكومته الطالبة وليس للحكومة المطلوب منها التسليم عذر عن انفاذ الطلب وعليها اتخاذ كافة الاجرآت لمنع فرار الشخص المطلوب أو تمكينه من الهرب وفى الاحوال التى يتمكن فيها الشخص المطلوب من الفرار فان الحكومة التى فر من أراضيها تتعهد بعدم السماح له بالعودة الى اراضيها مرة أخرى وان تمكن من العودة اليها يلقى القبض عليه ويسلم الى حكومته

٣ — وان كان الساعى فى عمل الفساد من رعايا حكومة ثالثة فان الحكومة المطلوب منها والتى يوجد الشخص على أراضيها تقوم فورا وبمجرد تلقيها الطلب من الحكومة الاخرى بطرده من بلادها وعده شخصا غير مرغوب فيه ويمنع من العودة اليها فى المستقبل

المادة العاشرة :— يتعهد كل من الفريقين الساميين المتعاقدين بعدم قبول من يفرعن طاعة دولته كبيراً كان أم صغيراً موظفاً كان أم غير موظف فرداً كان أم جماعة ويتخذ كل من الفريقين الساميين المتعاقدين كافة التدابير الفعالة من ادارية وعسكرية وغيرها لمنع دخول هؤلاء الفارين الى حدود بلاده فان تمكن أحدهم أو كلهم من اجتياز خط الحدود بالدخول فى اراضيه فيكون عليه واجب نزع السلاح من الملتجى والقاء القبض عليه وتسليمه الى حكومة بلاد الفار منها وفى حالة عدم امكان القبض عليه تتخذ كافة الوسائل لطرده من البلاد التى لجأ اليها الى بلاد الحكومة التى يتبعها .

المادة الحادية عشرة :ـ يتعهد كل من الفريقين الساميين المتعاقدين بمنع الامرآء والعمال والموظفين التابعين له من المداخلة باى وجه كان مع رعايا الفريق الآخر بالذات أو بالواسطة ويتعهد باتخاذ كامل التدابير التى تمنع حدوث القلق أو توقع سوء التفاهم بسبب الاعمال المذكورة

المادة الثانية عشرة : ـ يعترف كل من الفريقين الساميين المتعاقدين بان أهل كل جهة من الجهات الصائرة الى الفريق الآخر بموجب هذه المعاهدة رعية لذلك الفريق الآخر .

ويتعهد كل منهما بعدم قبول أى شخص أو اشخاص من رعايا الفريق الآخر رعية له الا بموافقة ذلك الفريق وبأن تكون معاملة رعايا كل من الفريقين فى بلاد الفريق الآخر طبقاً للاحكام الشرعية المحلية .

المادة الثالثة عشرة :ـ يتعهد كل من الفريقين الساميين المتعاقدين باعلان العفو الشامل الكامل عن سائر الاجرام والاعمال العدائية التى يكون قد ارتكبها فرد أو أفراد من رعايا الفريق الآخر المقيمين فى بلاده (أى فى بلاد الفريق الذى منه اصدار

العفو) كما انه يتعهد باصدار عفوعام شامل كامل عن أفراد رعاياه الذين لجأوا أو انحازوا أو بأى شكل من الاشكال انضموا إلى الفريق الآخر من كل جناية ومال أخذوا منذ لجأوا الى الفريق الآخر الى عودهم كائنـاً ما كان وبالغاً ما بلغ وبعدم السماح باجراء أى نوع من الإيذاء أو التعقيب أو التضييق بسبب ذلك الالتجاء أو الانحياز أو الشكل الذى انضموا بموجبه واذا حصل ريب عند أى الفريقين بوقوع شىء مخالف لهذا العهد كان لمن حصل عنده الريب أو الشك من الفريقين مراجعة الفريق الاخر لأجل اجتماع المنـدوبين الموقعين على هذه المعاهدة وان تعذر على أحدهما الحضور فينيب عنه آخر له كامل الصلاحية والاطلاع على تلك النواحى ممن له كامل الرغبة والعناية بصلاح ذات البين والوفاء بحقوق الطرفين بالحضور لتحقيق الامر حتى لا يحصل أى حيف ولا نزاع وما يقرره المندوبان يكون نافذاً

المادة الرابعة عشرة :ـ يتعهد كل من الفريقين الساميين المتعاقدين برد وتسليم أملاك رعاياه الذين يعفى عنهم اليهم أو الى ورثتهم عند رجوعهم الى وطنهم خاضعين لاحكام مملكتهم وكذلك يتعهد الفريقان الساميان المتعاقدان بعدم حجز أى شىء من الحقوق والاملاك التى تكون لرعايا الفريق الآخر فى بلاده ولا يعرقل استثمارها أو أى نوع من أنواع التصرفات الشرعية فيها

المادة الخامسة عشرة : ـ يتعهد كل من الفريقين الساميين المتعاقدين بعدم المداخلة مع فريق ثالث سـواء كان فرداً أم هيئة أم حكومة أو الاتفاق معه على أى أمر يخل بمصلحة الفريق الآخر أو يضر ببلاده أو يكون من ورائه احداث المشكلات والصعوبات له أو يعرض منافعها ومصالحها أو كيانها للاخطار

المادة السادسة عشرة :ـ يعلن الفريقان الساميان المتعاقدان اللذان تجمعهما روابط الاخوة الاسلامية والعنصرية العربية ان أمتهما أمة واحدة وانهما لا يريدان باحد شراً وانهما يعملان جهدهما لاجل ترقية شؤون أمتهما فى ظل الطمأنينة والسكون وأن يبذلا وسعهما فى سائر المواقف لما فيه الخير لبلاديهما وأمتهما غير قاصدين بهذا أية عداوة على أية أمة

المادة السابعة عشرة : ـ فى حالة حصول اعتداء خارجى على بلاد أحد الفريقين الساميين المتعاقدين يتحتم على الفريق الآخر أن ينفذ التعهدات الاتية :

أولاً — الوقوف على الحياد التام سرا وعلنا

ثانياً — المعاونة الادبية والمعنوية الممكنة

ثالثاً — الشروع فى المذاكرة مع الفريق الاخر لمعرفة أنجع الطرق لضمان سلامة بلاد ذلك الفريق الآخر ومنع الضرر عنها والوقوف فى موقف لا يمكن تأويله بانه تعضيد للمعتدى الخارجى

المادة الثامنة عشرة : ـ فى حالة حصول فتن واعتداءات داخلية فى بلاد أحد الفريقين الساميين المتعاقدين يتعهد كل منهما تعهدا متقابلا بما يأتى :

أولا — اتخاذ التدابير الفعالة اللازمة لعدم تمكين المعتدين أو الثائرين من الاستفادة من أراضيه

ثانياً ـ منع التجاء اللاجئين الى بلاده وتسليمهم أو طردهم اذا لجأوا اليها كما هو موضح (فى المادة التاسعة والعاشرة أعلاه)

ثالثاً ـ منع رعاياه من الاشتراك مع المعتدين أو الثائرين وعدم تشجيعهم أو تموينهم .

رابعاً ـ منع الامدادات والأرزاق والمؤن والذخائر عن المعتدين أو الثائرين

المادة التاسعة عشرة : ـ يعلن الفريقان الساميان المتعاقدان رغبتهما فى عمل كل ممكن لتسهيل المواصلات البريدية والبرقية وتزييد الاتصال بين بلاديهما وتسهيل تبادل السلع والحاصلات الزراعية والتجارية بينهما . وفى اجراء مفاوضات تفصيلية من أجل عقد اتفاق جمركى يصون مصالح بلاديهما الاقتصادية بتوحيد الرسوم الجمركية فى عموم البلادين أو بنظام خاص بصورة كافلة لمصالح الطرفين وليس فى هذه المادة ما يقيد حرية أحد الفريقين الساميين المتعاقدين فى أى شيء حتى يتم عقد الاتفاق المشار اليه.

المادة العشرون :ـ يعلن كل من الفريقين الساميين المتعاقدين استعداده لأن

يأذن لممثليه ومندوبيه فى الخارج ان وجدوا بالنيابة عن الفريق الآخر متى أراد الفريق الآخر ذلك فى أى شىء وفى أى وقت ومن المفهوم أنه حينما يوجد فى ذلك العمل شخص من كل من الطرفين فى مكان واحد فانهما يتراجعان فيما بينهما لتوحيد خطتهما للعمل العائد لمصلحة البلادين التى هى كلمة واحدة ومن المفهوم أن هذه المادة لا تقيد حرية أحد الجانبين بأى صورة كانت فى أى حق له كما أنه لا يمكن أن تفسر بحجز حرية أحدهما أو اضطراره لسلوك هذه الطريقة

المادة الحادية والعشرون : ـ يلغى ما تضمنته الاتفاقية الموقع عليها فى ٥ شعبان سنة ١٣٥٠ على كل حال اعتباراً من تاريخ هذه المعاهدة

المادة الثانية والعشرون :ـ تبرم هذه المعاهدة وتصدق من قبل حضرة صاحبى الجلالة الملكين فى أقرب مدة ممكنة نظراً لمصلحة الطرفين فى ذلك وتصبح نافذة المفعول من تاريخ تبادل قرارات ابرامها مع استثناء مانص عليه فى المادة الأولى من انهاء حالة الحرب بمجرد التوقيع وتظل سارية المفعول مدة عشرين سنة قمرية تامة ويمكن تجديدها أو تعديلها خلال الستة الأشهر التى سبق تاريخ انتهاء مفعولها فان لم تجدد أو تعدل فى ذلك التاريخ تظل سارية المفعول الى ما بعد ستة أشهر من اعلان أحد الفريقين المتعاقدين الفريق الآخر رغبته فى التعديل

المادة الثالثة والعشرون : ـ تسمى هذه المعاهدة بمعاهدة الطائف وقد حررت من نسختين باللغة العربية الشريفة بيد كل من الفريقين الساميين المتعاقدين نسخة واشهاداً بالواقع وضع كل من المندوبين المفوضين توقيعه .

وكتب فى مدينة جدة فى اليوم السادس من شهر صفر سنة ثلاث وخمسين بعد المائة والالف

(التوقيع) عبد الله بن أحمد الوزير

(التوقيع) خالد بن عبد العزيز السعود

بسم الله الرحمن الرحيم

عهد التحكيم
بين مملكة اليمن
وبين المملكة العربية السعودية

بما أن حضرة صاحبي الجلالة الامامين الملك يحي ملك اليمن والملك عبد العزيز ملك المملكة العربية السعودية قد اتفقا بموجب المادة الثامنة من معاهدة الصلح والصداقة وحسن التفاهم المسماة بمعاهدة الطائف والموقع عليها فى السادس من شهر صفر سنة ثلاث وخمسين بعد الثلاثمائة والألف على أن يحيلا الى التحكيم أى نزاع أو اختلاف ينشأ عن العلاقات بينهما وبين حكومتيهما وبلاديهما متى عجزت سائر المراجعات الودية عن حله فان الفريقين الساميين المتعاقدين يتعهدان باجراء التحكيم على الصورة المبينة فى المواد الآتية :

المادة الأولى : ـ يتعهد كل من الفريقين الساميين المتعاقدين بأن يقبل باحالة القضية المتنازع عليها على التحكيم خلال شهر واحد من تاريخ استلام طلب اجراء التحكيم من الفريق الآخر اليه

المادة الثانية : ـ يجرى التحكيم من قبل هيئة مؤلفة من عدد متساو من المحكمين ينتخب كل فريق نصفهم ومن حكم وازع ينتخب باتفاق الفريقين الساميين المتعاقدين وان لم يتفقا على ذلك يرشح كل منهما شخصاً فان قبل أحد الفريقين المرشح الذى يقدمه الفريق الآخر فيصبح وازعا وان لم يمكن الاتفاق على ذلك تجرى القرعة على أيهما يكون وازعاً مع العلم بأن القرعة لا تجرى الا على الاشخاص المقبولين من الطرفين فمن وقعت القرعة عليه أصبح رئيساً لهيئة التحكيم ووازعاً للفصل فى القضية وان لم يحصل الاتفاق على الاشخاص المقبولين من الطرفين تجرى المراجعات فيما بعد الى أن يحصل الاتفاق على ذلك

المادة الثالثة : ـ يجب أن يتم اختيار هيئة التحكيم ورئيسها خلال شهر واحد

من بعد انقضاء الشهر المعين لاجابة الفريق المطلوب منه الموافقة على التحكيم لقبوله لطلب الفريق الآخر وتجتمع هيئة المحكمين فى المكان الذى يتم الاتفاق عليه فى مدة لاتزيد عن شهر واحد بعد انقضاء الشهرين المعينين فى أول المادة . وعلى هيئة المحكمين أن تعطى حكمها خلال مدة لايمكن بأى حال من الاحوال أن تزيد عن شهر واحد من بعد انقضاء المدة التى عينت للاجتماع كما هو مبين أعلاه . ويعطى حكم هيئة التحكيم بالأكثرية ويكون الحكم ملزماً للفريقين ويصبح تنفيذه واجباً بمجرد صدوره وتبليغه. ولكل من الفريقين الساميين المتعاقدين أن يعين الشخص أو الاشخاص الذين يريدهم للدفاع عن وجهة نظره أمام هيئة التحكيم وتقديم البيانات والحجج اللازمة لذلك

المادة الرابعة :ـ أجور محكمى كل فريق عليه وأجور رئيس هيئة التحكيم مناصفة بينهما وكذلك الحكم فى نفقات المحاكمة الأخرى

المادة الخامسة :ـ يعتبر هذا العهد جزءاً متمماً لمعاهدة الطائف الموقع عليها فى هذا اليوم السادس من شهر صفر سنة ثلاث وخمسين بعد الثلاثمائة والألف ويظل سارى المفعول مدة سريان المعاهدة المذكورة وقد حرر هذا من نسختين باللغة العربية يكون بيد كل من الفريقين الساميين المتعاقدين نسخة وقراراً بذلك جرى توقيعه فى اليوم السادس من شهر صفر سنة ثلاث وخمسين بعد الثلاثمائة والألف

(التوقيع)	عبد الله بن احمد الوزير
(التوقيع)	خالد بن عبد العزيز السعود

بسم الله الرحمن الرحيم

حرر فى ٦ صفر سنة ١٣٥٣

من خالد بن عبد العزيز السعود الى حضرة الأخ صاحب السيادة السيد عبد الله الوزير المندوب المفوض من قبل جلالة الامام يحيى حفظه الله

السلام عليكم ورحمة الله . أما بعد فانه بمناسبة توقيع معاهدة الطائف بيننا وبينكم نيابة عن جلالتى ملكى المملكة العربية السعودية والمملكة اليمانية أحب أن أثبت لكم

فى كتابى هذا انه لا يمكن اعتبار تلك المعاهدة وقبول انفاذ مقتضاها إلا فى اثبات ما يأتى:

١ ـ أن يجرى تسليم الأدارسة واخلاء جبالنا فى تهامة واطلاق رهائن أهلها حالاً

٢ ـ أن يظل مضمون هذه المعاهدة مكتوما ولا ينشره أحد الفريقين ولا سيما مايتعلق منها بمسئلة الحدود لما يحدث ذلك من التشويش فى تهامة خاصة وان انسحاب جند جلالة الملك عبد العزيز يكون بكامل الصيانة والشرف من ابتداء انسحابه الى آخره ، وكل حادث عدوانى عليه فى خلال تلك المدة يكون مضموناً من قبل جلالة الامام يحيى وتفضلوا بقبول فائق الاحترام ٪

(التوقيع)   خالد بن عبد العزيز السعود

بسم الله الرحمن الرحيم

حرر فى ٦ صفر سنة ١٣٥٣

من عبد الله الوزير الى حضرة صاحب السمو الملكى الامير خالد المفوض من قبل جلالة الملك عبد العزيز حفظه الله تعالى . السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد فقد تلقيت كتاب سموكم تاريخ ٦ صفر سنة ١٣٥٣ وقد أحطت علماً بما اشترطتموه سموكم لانفاذ معاهدة الطائف التى عقدت بين الفريقين من تسليم الادارسة واخلاء الجبال التى كانت محتلة من قبل جنود جلالة الامام يحيى من بلاد جلالة الملك عبد العزيز واطلاق رهائن أهلها وأن تظل هذه المعاهدة مكتومة وعلى الاخص مسئلة الحدود الى أن يتم ترتيب الاتفاق الذى اتفقنا عليه لانفاذه وان انسحاب جند جلالة الملك عبدالعزيز يكون بكامل الصيانة والشرف من ابتداء انسحابه الى آخره وان كل حادث عدوانى عليه فى خلال تلك المدة يكون مضموناً من قبل جلالة الامام يحيى لقد أحطت علماً بذلك ويسرنى أن أعلن سموكم بقبولنا وموافقتنا لاشتراطكم وانه سيكون مرعياً من جهتنا وتفضلوا بقبول فائق الاحترام ٪

بسم الله الرحمن الرحيم

تحريراً فى ٦ صفر سنة ١٣٥٣

من عبد الله الوزير الى حضرة صاحب السمو الملكى الامير خالد المفوض من

قبل جلالة الملك عبد العزيز حفظه الله السلام عليكم ورحمة الله . وبعد فأتشرف بأن أثبت هنا الحاقا بمعاهدة الطائف الموقع عليها من قبـل سموكم نيابـة عن جلالة الملك عبـد العزيز والموقعة من قبلى نيابة عن جلالة الملك الامام يحيى ، وأتعهد باسم جلالة الامام يحى بما هو آت :

١ ـ تسليم الادارسة لجلالة الملك عبـد العزيز وقد عملت الترتيبات اللازمة لتسليم السيد الحسن والسيد عبد العزيز بن محمد الادريسى وسيسلمون حالا لرجال سمو الامير فيصل فى تهامة ، أما السيد عبد الوهاب الادريسى فنظراً لانه لايزال الى الآن فى بلاد العبادل فقد اتخذت الوسائل والوسائط لاستدعائه من تلك الانحاء لتسليمه فان لم يطع الامر فاتعهد باسم جلالة الامام يحيي بشأنه بما يأتى

ا ـ أن تمتنع حكومة الامام يحيي عن كل مساعدة مادية أو معنوية له وان تمنع عنه من بلادها أى معاضدة أو معاونة .

ب ـ اذا ارادت حكومة جلالة الملك عبد العزيز القبض عليه فى الاراضى التى هو فيها فان حكومة الامام يحيي ستعمل من جهتها سائر انواع التضييقات العسكرية التى تستطيعها لمنع فراره الى اراضيها وتتعهد أن تلقى القبض عليه وعلى كل شخص اشترك معه فى حركته من أى جهة وقبيل من قبائل المملكة العربية السعودية وأن تسلمهم لحكومة جلالة الملك عبدالعزيز بغير شرط ولاقيد اذا دخلوا الى جهات المملكة اليمانية. وأن تمنع فراره أوفرار أى شخص من الذين اشتركوا معه فى عمله الى الخارج اذا دخلوا الى اراضى المملكة اليمانية .

٢ ـ أما من كان له تعلق بالادارسة وحركتهم من الاشراف أو غيرهم فاذا ارادوا اللحاق بالادريسى فلهم الامان من قبـل حكومة جـلالة الملك عبـد العزيز والصيانة والاحترام والاكرام اللائق بحقهم. واذا لم يشاءوا ذلك فانهم يخرجون من بلاد جلالة الامام يحيي ولا يسمح لهم بالبقاء فيهـا واذا عادوا اليهـا مرة أخرى فيطردون حالا وينذرون بانهم اذا عادوا اليهـا يسلمون الى حكومة جلالة الملك عبدالعزيز فان عادوا

بعد طردهم فاتعهد باسم جلالة الامام يحيي بتسليمهم الى حكومة جلالة الملك عبد العزيز بغير قيد ولا شرط .

فارجو أن تعتبروا هذا سموكم عهداً وثيقاً له منزلة المعاهدة المعقودة بيننا وبين سموكم بهذا اليوم وعلى هذا عهد الله وميثاقه وأرجو أن يكون هذا طبقاً للاتفاق الشفوى الذى اتفقنا عليه فى هذا الشأن وتفضلوا بقبول فائق الاحترام م؟

(التوقيع) عبد الله بن احمد الوزير

بسم الله الرحمن الرحيم

حرر فى ٦ صفر سنة ١٣٥٣

من خالد بن عبد العزيز الى حضرة صاحب السيادة الاخ السيد عبد الله بن احمد الوزير المندوب المفوض من قبل جلالة الملك الامام يحيي حفظه الله تعالى

السلام عليكم ورحمة الله وبعد فأتشرف بأن أعلمكم باستلامى كتاب سيادتكم بتاريخ اليوم بشأن ما تعهدتم به باسم جلالة الامام يحيي بشأن الأدارسة وأتباعهم وأنا على ثقة بأن ما تعهدتم به سيكون تنفيذه بمقتضى الامانة والوفاء المأمول فى جلالة الامام يحيي ونتمنى أن يكون تنفيذ ذلك بأسرع مدة ممكنة . وتفضلوا بقبول فائق الاحترام م؟

(التوقيع) خالد بن عبد العزيز السعود

بسم الله الرحمن الرحيم

حرر فى ٦ صفر سنة ١٣٥٣

من خالد بن عبد العزيز الى حضرة المكرم السيد عبد الله الوزير حفظه الله

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد فبمناسبة توقيع معاهدة الطائف بين مملكتنا ومملكة اليمن أثبت هنا ما اتفقنا عليه بشأن تنقلات المتنقلين من رعايا المملكة العربية السعودية ورعايا المملكة اليمانية فى البلادين ان التنقل فى الوقت الحاضر يظل على ما كان عليه فى السابق الى أن يوضع بين البلادين اتفاق خاص بشأن الطريقة التى ترى الحكومتان متفقا اتخاذها من أجل تنظيم الانتقال سواء للحج أو التجارة أو

غيرها من الأغراض والمنافع فأرجو أن أنال جوابكم بالموافقة على ما اتفقنا عليه بهذا الشأن وتفضلو بقبول فائق الاحترام.

(التوقيع) خالد بن عبد العزيز السعود

بسم الله الرحمن الرحيم

حرر فى ٦ صفرسنة ١٣٥٣

من عبد الله الوزير الى صاحب السمو الملكى الأمير خالد المفوض من قبل جلالة الملك عبد العزيز حفظه الله

السلام عليكم ورحمة الله وبعد فقد تلقيت كتاب سموكم تاريخ ٦ صفر بشأن تنقلات رعايا الفريقين بين البلادين واننى على اتفاق مع سموكم فى أن يكون الانتقال فى الوقت الحاضر طبقاً للطريقة التى كان السير عليها من قبل الى أن يوضع اتفاق خاص بشأن تنظيم الانتقال فى المستقبل وان ذلك سيكون مرعياً من جانب حكومتنا كما هو مرعى من جانب حكومتكم وتفضلو بقبول فائق الاحترام

(التوقيع) عبد الله بن احمد الوزير

فبعد أن اطلعنا على هذه المعاهدة السالفة الذكر وعلى عهد التحكيم والكتب التى الحقت بها وأمعنا النظر فيها صدقناها وقبلناها وأقررناها جملة فى مجموعها ومفردة فى كل مادة وفقرة منها كما أننا نصدقها ونبرمها ونتعهد ونعد وعداً ملوكياً صادقاً باننا سنقوم بحول الله بما ورد فيها ونلاحظه بكمال الأمانة والاخلاص وباننا لن نسمح بمشيئة الله بالاخلال بها بأى وجه كان طالما نحن قادرون على ذلك وزيادة فى تثبيت صحة كل ما ذكر فيها أمرنا بوضع خاتمنا على هذه الوثيقة ووقعناها بيدنا والله خير الشاهدين .

حرر فى اليوم السابع من شهر ربيع الأول من سنة ثلاث وخمسين بعد الثلاثمائة والألف وهذه أول اتفاقية ومعاهدة بيننا وبين حضرة أخينا جلالة الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن م؟

كتب هذا أمير المؤمنين يحي بن محمد حميد الدين سامحهما الله تعالى

المعاهدة اليمانية العراقية

بسم الله الرحمن الرحيم

رغبة فى تأسيس علاقات صداقة ودية بين مملكتى اليمن والعراق وتمهيداً لتنفيذ مسى وأمنية زعماء الأمة الاسلامية لتوحيد كلمة الأمة العربية. . قرر كل من صاحبي الجلالة ملك العراق فيصل الأول بن الملك الحسين وملك اليمن الامام يحيى بن محمد حميد الدين اجراء معاهدة عينا مفوضين عنهما لعقدها وهما :

عن صاحب الجلالة ملك العراق . . . صاحب السعادة طه باشا الهاشمى وعن صاحب الجلالة ملك اليمن . . . صاحب الفضيلة القاضى عبد الله العمرى اللذان بعد أن اتفقا على وثائق تفويضهما اتفقا على ما يأتى :

المادة الأولى : يعترف صاحب الجلالة ملك اليمن بالمملكة العراقية ويعترف صاحب الجلالة ملك العراق بالمملكة اليمنية

المادة الثانية : يسود سلم دائم وصداقة وطيدة بين المملكتين المتعاقدتين

المادة الثالثة : حررت هذه المعاهدة نسختين باللغة العربية وتصير نافذة من تاريخ تناولها بعد ابرامها من قبل الملكين المتعاقدين ويجرى التبادل فى المحل الذى يتفق عليه الفريقان

حررت فى صنعاء فى ٢٢ ذى الحجة سنة ١٣٤٩ تسع وأربعين بعد الثلثمائة وألف هجرية

طه باشا — عبدالله بن حسين العمرى

بسم الله الرحمن الرحيم

معاهدة صداقة

بين دولة اليمن ودولة هولانده

حضرة صاحب الجلالة ملك قطعة اليمن المستقلة وحا كمها المطلق الامام يحيى بن الامام محمد بن يحيى حميد الدين المعظم

وحضرة صاحبة الجلالة المعظمة ملكة بلاد هولانده المستقلة وحا كمتها المطلقة ويلهلمين المبجلة

رغبة منهما فى تأسيس روابط الصداقة بين الدولتين وتوثيق عراها على قاعدة القوانين الدولية العامة قد قررا عقد معاهدة صداقة ولهذا الغرض عين

من طرف جلالة ملك اليمن الامام يحيى حضرة الكاتب الاول لعرش الدولة اليمنية صاحب السعادة القاضى محمد راغب بن رفيق

ومن طرف جلالة ملكة هولانده حضرة مفوض جلالتها بجدة صاحب السعادة المسيو . ك ادريانه مندوبين مفوضين عنهما وقد اتفقا على المواد الآتية :

المادة الاولى :

يسود بين دولة اليمن ودولة هولانده وبين رعايا كلتا الدولتين سلام لايمس وصداقة خالصة مطلقة

المادة الثانية :

سيكون من كل من الفريقين الساميين المتعاهدين أثناء العلاقات السياسية والقنصلية بينهما فى الوقت الذى سيقرران تعيينه وعند ذلك يتمتع الممثلون السياسيون والقنصليون من كل منهما فى بلاد الدولة الأخرى بالمعاملة المقررة بمبادىء القانون الدولى العامة بشرط أن تكون هذه المعاملة متساوية

المادة الثالثة :

كل من رعايا الفريقين الساميين المتعاقدين الذين يقصدون التجارة فى بلاد الفريق الآخر يكونون تابعين للقوانين والاحكام المحلية ويتمتعون بنفس المعاملة التى يتمتع بها رعايا الدولة الأكثر رعاية من كل الوجوه . وكذلك تعامل سفن كل من الفريقين المتعاهدين وشحناتها فى موانى الفريق الآخر بنفس المعاملة التى تتمتع بها سفن الدولة الأكثر رعاية وشحناتها من كل الوجوه

المادة الرابعة:

حاصلات أرض كل من الفريقين المتعاهدين ومصنوعاتها تعامل فى دخولها الى

بلاد الفريق الآخر فيما يتعلق بتعيين مقادير الرسوم والضرايب الكمركية وأخذها بنفس المعاملة التى تعامل بها حاصلات ومصنوعات الدولة الاكثر رعاية وكذلك تأكيداً لهذا تعامل حاصلات الارض والمصنوعات التى تخرج من بلاد أحد الفريقين الى بلاد الفريق الآخر فيما يتعلق بتعيين مقادير الرسوم والضرايب الكمركية وأخذها بنفس المعاملة التى تعامل بها حاصلات الارض والمصنوعات التى تخرج الى بلاد الدولة الاكثر رعاية

المادة الخامسة :

قد دونت هذه المعاهدة فى نسختين أصليتين متساويتين باللغة العربية واللغة الهولاندية واذا نشأت شكوك فى تفسير مادة من المواد أو فى تفسير قسم من أى مادة كانت فالطرفان يعتمدان النص العربى ومن حيث انها كانت فى ملحقات مملكة هولانده فى خارج أوروبا بعض قوانين وأحكام مخالفة لقوانين وأحكام بلاد هولانده فى أوروبا قد اتفق الفريقان الساميان المتعاقدان على أن تطبيق هذه المعاهدة فيما يخص دولة هولانده سيكون مقتصرا على بلاد مملكة هولانده الأوروباوية وسيكون ابرامها وتبادل الوثائق بأقرب وقت وتصير نافذة المفعول بمجرد تبادل الوثائق المبرمة . وقد اتفق الفريقان المتعاهدان على عقد هذه المعاهدة لمدة خمس سنوات اعتبارا من تاريخ تبادل الوثائق المبرمة على انه اذا أراد أحد الفريقين المتعاهدين الغاء هذه المعاهدة بعد انقضاء مدتها يجب أن يشعر الفريق الآخر بمراده قبل انتهاء المدة بستة أشهر والا استمرت هذه المعاهدة ولا تلغى الا بعد مضى ستة أشهر من حين اشعار أحد الفريقين للآخر بارادته الغاءها وتبينا لهذا قد صار توقيع هذه المعاهدة من حضرتى مفوضى الفريقين المشار اليهما ووضعا أختامهما عليها حرر بصنعاء اليمن لتاريخه ١٥ ذى القعدة سنة ١٣٥١ الموافق ١٢ مارت سنة ١٩٣٣

مندوب مفوض عن جلالة ملكة هولانده

محمد راغب بن رفيق　　　　كورنليس ادريانه

المعاهدة الانكليزية اليمنية

معاهدة الصداقة والتعاون المتبادل

المقـــدمة

بما أن لجلالة ملك بريطانيا العظمى وايرلندا والممالك البريطانية خلف البحار وقيصر الهند من جهة ولجلالة ملك اليمن حضرة الامام من الجهة الاخرى

رغبة فى الوصول الى معاهـدة على أساس الصداقة والتعـاون لمنفعة الفريقين قد قررا عقد هذه المعاهدة وعينا بصفة المندوبين المفوضين .

جلالة ملك بريطانيا العظمى وايرلندا والممالك البريطانية خلف البحار وقيصر الهند

عن بريطانيا العظمى وايرلندا الشمالية . حضرة صاحب السعادة اللفتينينت كولونل برنارد راودون رايلى س . ى . إ : و . ب . إ . المحترم

عن الهند كذلك حضرة صاحب السعادة اللفتينينت كولونل برناردراودون رايلى س . ى . إ . و . ب . إ . المحترم

جلالة ملك اليمن حضرة الامام . حضرة صاحب السعادة القاضى محمد راغب بن رفيق حفظه الله

اللذان بعد تبليغ أوراق تفويضهما وتحقيق صحتها على شكل حسن اتفقا على ما يأتى

المادة الاولى : ـ يعترف جلالة ملك بريطانيا العظمى وايرلندا والممالك البريطانية خلف البحار وقيصر الهند باستقلال جلالة ملك اليمن حضرة الامام ومملكته استقلالاً كاملاً مطلقاً فى جميع الامور مهما كان نوعها .

المادة الثانية ـ يسود السلم والصـداقة بين الفريقين المتعاهدين الساميين اللذين يتعهدان بالمحافظة على حسن العلائق بينهما من كل الوجوه .

المادة الثالثة :ـ يؤجل البت فى مسئلة الحدود الجنوبية اليمنية الى أن تتم مفاوضات تجرى بينهما قبل انتهاء مدة هذه المعاهدة بما يتراضى الفريقان المتعاهدان الساميان عليه بصورة ودية وباتفاق كامل بدون احداث أى منازعة أو مخالفة . والى أن تتم المفاوضات

المشار اليها فى الفقرة السالفة الذكر فالفريقان المتعاهدان الساميان يقبلان أن تبقى الحالة الحاضرة فيما يتعلق بالحدود فى تاريخ التوقيع على هذه المعاهدة ويتعهد الفريقان المتعاهدان الساميان أن يمنعا بكل ما لديهما من الوسائل أى تعد من قواتهما فى الحدود المذكورة وأى تداخل من أتباعهما أو من جانبهما فى تلك الحدود فى شؤون الأهالى القاطنين فى الجانب الآخر من الحدود المذكورة

المادة الرابعة — سيعقد الفريقان المتعاهدان الساميان بعد العمل بالمعاهدة الحاضرة ما يلزم من المعاهدات لتنظيم الأمور التجارية والاقتصادية على أساس المبادىء الدولية العامة مع التراضى والموافقة بينهما

المادة الخامسة : (١) رعايا كل من الفريقين المتعاهدين الساميين الذين يقصدون التجارة فى بلاد الفريق الآخر يكونون تابعين للقوانين والاحكام المحلية ويتمتعون بنفس المعاملة التى يتمتع بها رعايا الدولة الاكثر رعاية . (٢) كذلك سفن كل من الفريقين المتعاهدين الساميين وشحناتها تتمتع فى موانى الفريق الآخر بنفس المعاملة التى تتمتع بها سفن الدولة الاكثر رعاية وشحناتها وتعامل ركاب تلك السفن فى موانى بلاد الفريق الآخر بنفس ما يعامل به من كان فى سفن الدولة الاكثر رعاية هنالك

(٣) « الغرض بهذه المادة يتعلق بجلالة ملك بريطانيا العظمى وايرلندا والممالك البريطانية خلف البحار وقيصر الهند » :

ا — لفظة (بلاد) ينبغى أن يعد معناها مملكة بريطانيا العظمى المتحدة وايرلندا الشمالية والهند وجميع مستعمرات جلالته والبلاد المحمية وجميع البلاد المنتدب عليها من قبل حكومة جلالته فى المملكة المتحدة

ب — لفظة (رعايا) ينبغى أن يعد معناها جميع رعايا جلالته أينما سكنوا وجميع أهالى البلاد التى تحت حماية جلالته وكذلك جميع الشركات المؤسسة فى أى بلد من بلاد جلالته تعتبر من رعايا جلالته

ج ـ لفظة (سفن) ينبغى أن يعد معناها جميع السفن التجارية المسجلة فى أى بلد من بلاد اتحاد الشعوب البريطانية

المادة السادسة ـ هذه المعاهدة تكون أساساً لكل ما يكون الاتفاق عليه من المعاهدات المتتابعة بين الفريقين المتعاهدين الساميين حالاً واستقبالا فى معنى تقوية الوداد والصداقة ويتعهد الفريقان المتعاهدان الساميان بعدم اعطاء المساعدة والمسامحة لأى حركة ضد الوداد والاتفاق القائم الصميم بينهما

المادة السابعة ـ يصادق على هذه المعاهدة بأسرع وقت ممكن بعد التوقيع وتبادل حجج التصديق فى صنعاء ويعمل بها من تاريخ تبادل حجج التصديق وفيما بعد تبقى معمولا بها لمدة أربعين سنة وتقريراً لذلك وقع المندوبان المفوضان المشار اليهما امضاءهما على المعاهدة الحاضرة ووضعا ختومهما عليها وقد نظمت هذه المعاهدة نسختين باللغتين الانكليزية والعربية واذا نشأت شكوك فى تفسير شىء من هذه المواد فالفريقان المتعاهدان الساميان يعتمدان النص العربى وحررت فى صنعاء اليمن فى اليوم ٢٦ من شهر شوال سنة ١٣٥٢ للهجرة يقابله يوم ١١ فبراير سنة ١٩٣٤ للميلاد

(محمد راغب بن رفيق) — (برنارد راودون رايلى)

ايطاليا تبيع اليمن اسلحة عتيقة

لم تف ايطاليا بما جاء فى نص المعاهدة التى عقدتها مع جلالة الامام وهـذا دائماً شأن تعاقد الضعيف مع القوى ومثالا على ذلك أن جـلالة الامام يحيى طلب منها بنيـة سليمة صافيـة شراء بعض الطيارات الحديثـة والمدافع الضخمـة والرشاشات والبنادق الى غير ذلك من المعدات الحربية والعتاد الحربى فما كان من الحليفة الغيورة على مصالح حليفها الا أن جلبت له طيارات قديمة وغير قابلة للاستعمال ولما طار بها أحد الطيارين فى صنعاء يصحبه واحد من السادة رجال الامام سقطت هذه الطيارة فوراً وقتل السيد والسائق وكان لهذه الحادثة أسوأ وقع فى نفوس اليمانيين وجعلتهم يتخوفون من الطيران والطائرات فلا يقدمون على المجازفة بجلب طيارات ،

ومنع جلالة الامام بعثة الطلبة اليمانيين التى ذهبت الى ايطاليا لدرس فن الطيران والتى عادت الى اليمن أثناء العطلة المدرسية من العودة الى ايطاليا ثانية ويغلب على ظنى أن الطليان تعمدوا بيع طائرات قديمة الى اليمن أولا حتى لاتستفيد حكومة اليمن منها شيئاً وثانياً حتى لاتجازف هذه الحكومة الفتية فى المستقبل بشراء الطائرات إذ من البديهى أن ايطاليا الطامعة فى هذا الجزء من البلاد العربية لاترغب أن توجد فيه حكومة قوية لديها معدات حربية صالحة للنزال والقتال كما وان البنادق التى باعها الطليان لليمن قديمة من نوع « شتير » وقد غنمت حكومة ايطاليا هذه



حمود الطائفى احد رجال حكومة صنعاء

البنادق من النمسا أثناء الحرب العالمية وهى غير صالحة للاستعمال فنياً وكان من الواجب اتلافها وقد فحصت بنفسى عدة بنادق منها كان يحملها الجنود وأطلقت بها طلقات عديدة فوجدتها عديمة النفع لا تصيب الهدف لأنها مستعملة كثيراً وقد أضاع داخلها شكله الحلزونى لكثرة الاستعمال وفوهتها توسعت من هذا الاستعمال وهى فى حد ذاتها من الأنواع الرديئة ولو كانت جديدة . وقد باعت ايطاليا أيضاً معملاً ميكانيكياً (اتلبير) قديماً كانت جلبته الى مصوع حين احتلالها لها الى جلالة الامام بثمن باهظ جداً ونقل الى صنعاء وركبه مهندسون ايطاليون وأخذوا يعملون فيه على حساب جلالة الامام وانفقوا على تصليحه وترميمه عشرات الالوف من الريالات ذهبت جميعها جزافاً فلا حول ولا قوة الا بالله .

وقد أرسل الايطاليون عملاً بهذه المعاهدة بعثة من الأخصائيين الفنيين الميكانيكيين والمهندسين الى اليمن ولدى استعلامى عن أعضاء هذه البعثة من الكثيرين شكوا الىَّ منهم شكوى مريرة وقالوا انهم لا يعرفون شيئاً وانهم يسيئون معاملة الوطنيين وقد شاهدت بعضهم وضعوا مضخة ميكانيكية على غيل بالقرب من صنعاء ليرفعوا ماء هذا الغيل من نبعه الى مجراه الذى يعلو عن النبع أيام القيظ لقلة الماء ولشدة جهلهم رفعوا الماء الى علو خمسة أمتار ثم حدروه الى مجرى الماء أربعة أمتار وكان بوسعهم أن يرفعوه متراً واحداً ويصبوه فى مجرى الماء وبذلك يوفرون عملاً ووقوداً ، وقد لفتُّ نظر واحد من اليمانيين القائمين على سير هذا العمل الى هذا الأمر فأجابنى ان الحق بيدك وقد لفت نظر المهندس الطليانى غير واحد منا الى هذه العملية الخاسرة فكان نصيبنا التوبيخ

رد الزيارة الى القاضى محمد راغب

قمت فى أحد أيام الجمعة مبكراً وقصدت الى دار القاضي محمد راغب وزير خارجية الامام رداً لزيارته والتحدث اليه عن بعض الأمور واخترت يوم الجمعة لان حكومة اليمن تعطل جميع دوائرها فى هذا اليوم ويقطن حضرة القاضى محمد راغب فى أحد

دور حى بئر العزب الذى سبق لى أن وصفته وصفاً مطولا فاستقبلنى حضرته أستقبالا جميلا ورحب بى بلطفه التركى المشهور وأدبه الجم وأدخلنى الى صالة استقباله وهى فى الدور الثانى . وداره جميلة ونظيفة ومرتبة ترتيباً حسناً على طراز دور دمشق القديمة فيها صالون فسيح والى جانبه عدة غرف كبيرة وصغيرة . وقدم لى قهوة تركية حلوة مصنوعة من لب البن لا من قشره كما هى العادة فى اليمن فوجدت فيها لذة عظيمة ورأيت فى زاوية من زوايا صالون الاستقبال عودا فقلت الحمد لله ياحضرة الوزير هذا أول عود لا بل أول آلة موسيقية اشاهدها فى اليمن فقال نعم لا يوجد باليمن آلات موسيقية غير موسيقى الجيش لان جلالة الامام قد منع ذلك وهو يحذو فى عمله هذا حذو السلف الصالح ويكره جميع انواع الآلات الموسيقية خلا الموسيقى العسكرية فهو ولوع بها كثيرا لانها تنشط الجند وتخلق فيهم روح النظام والحماس والشجاعة ولذلك فقد سمح جلالته بها دون غيرها من أنواع الموسيقات، قلت يوجد لدىَّ حا كى أى « فونوغراف » وكنت أرغب أن أسمع جلالة الامام مارش الجزائر ومارش جلالة الملك فؤاد ملك مصر فقال لا تطلب ذلك من الامام لأنه سيرفض اجابة طلبك بدون شك وهذ العود الذى تراه عندى هو عود قديم كان جلبه ابنى معه من الخارج وعندما يعزف عليه يسجن نفسه فى غرفة بعيدة عن الطريق ويغلق الأبواب والنوافذ حتى لا يسمعه أحد .

تباحثت مع فضيلة القاضى محمد راغب ابحاثاً كثيرة وسألته أسئلة كثيرة وخاصة عن تجارة اليمن مع البلاد العربية المجاورة كنجدوالحجاز وحضرموت . فقال حضرته ان التجارة فى الماضى مع هذه البلاد كانت أوسع مما هى عليه اليوم وكانت القوافل تروح وتغدو بصورة منتظمة . فقلت وهل يوجد طرقات تسير عليها هذه القوافل وهل هى أمينة من السلب والنهب فأجاب بأن الأمن مستتب تماماً فى اليمن وهو كذلك بالحجاز ونجد والقوافل أمينة على حياتها وبضائعها وأما الطرقات فليست معبدة ولكنها صالحة للسير . فقلت اذ كروا لى طريق نجد فقال : من صنعاء الى العمشية صعدة ـ نجران ـ رياض ـ القصيم ـ نجد فالكويت . فقلت وطريق الحجاز فقال ان

طريق الحجاز هوطريق الحج وهذا معروف منذ القديم وكان ولايزال الحج يسير عليه وهو : صنعاء ـ عمشية ـ صعدهقحطان ـ ابها ـ زهوان ـ غامد ـطائف مكة .فقلت وطريق حضرموت فقال : صنعاء وعلان ـ معبر ـ زمار ـ يريم ـ منزل سمارة ـ مخادر ـ اب ـ ماوية ـ دريجة ـ لحج ـ حضرموت أو عدن

وقد ذكر لى القاضى محمد راغب انه كان أيام الحرب العظمى فى زمن الدولة العثمانية متصرفا على تعز فمنع ارسال الحبوب والغلال والخضر الى عدن فكادت تقع فيها مجاعة وارتفعت أثمان الحاجيات ارتفاعا باهظا وهدد الانكليز فى عدن انهم اذا تجاوزوا على حدود اليمن فانه سيحول مجرى الماء الذى يأتى من الحجرية فى اليمن ويذهب الى لحج (احدى المحميات التسع) فالشيخ عثمان عن مجراه الاصلى الى البحر ولقاء هذا التهديد لم يتجاز الانكليز حدود عدن بل بالعكس هاجم الترك المحميات التسع وكادوا يحتلون عدن لولا وجود عدة مدرعات حربية أصلتهم بنارها الحامية فأكرهتهم على التقهقر عن عدن . وهذاماحدا بالبريطانيين أن يوسعوا حدود محمياتهم ويستميلوا أمراء هذه المحميات بالمال والعطايا

مقتل الحجاج اليمانيين

سنة ١٣٤٠ هجرية

وحدثنى القاضى محمد راغب عن مقتل الحجاج اليمانيين فى سنة ١٣٤٠ هجرية فى مكان يقال له التنومة واقع قبل الطائف بين زهران وغامد . وحدثنى أيضاً عن هذه الفاجعة كثير من أهل اليمن بينهم بعض أقارب الحجاج الذين قتلوا فى هذه المجزرة وكان الجميع متفقين فى رواية القصة ولكنهم كانوا مختلفين من جهة عدد الذين قتلوا وعدد الذين سلموا وجميعهم كانوا يسردونها علىّ وعلامات التأثر العميق والحقد الشديد ظاهرة على أسارير وجوههم والبعض كانوا يزعمون أن عدد الحجاج اليمانيين من نساء ورجال كان نحو ثمانية آلاف عدا عن ألفى حضرمى وغيرهم من البلاد القريبة من اليمن وبعضهم زعم أن الجميع كانوا ستة آلاف وغيرهم قال لا بل كانوا خمسة آلاف وأما الذين

سلموا فقد قيل انهم سبعة أوخمسة أشخاص فقط والله أعلم وهـذه الحادثة تتلخص فيما يلى :

كانت نار الحرب فى سنة ١٣٤٠ هجرية متقدة بين المغفور لهجلالة الملك حسين ملك الحجاز وجلالة الملك عبد العزيز ملك نجد وصادف فى تلك السنة حسب العادة ذهاب الحجاج اليمانيين عن طريق البر لتأدية هذه الفريضـة الدينية وكان الحجاج فى جميع الروايات التى سمعتها عزلا من السلاح الحربى وهم آمنون لايفكرون فى اعتـداء أحد عليهم ولا يرغبون فى قتال أحد ولما وصـلوا الى التنومة اعترضهم كمين من الاخوان أصحاب الملك ابن سعود وأصـلوهم نارا حامية فلم يسلم منهم الا سبعة أو خمسة أشخاص كانوا متأخرين قليـلا عن رفقائهم وسلب الاخوان جميـع أمتعة هؤلاء الناس وتركوهم ممددين على الثرى وعادوا بغنائمهم فائزين وبانتصارهم فرحين



بعض رجال حكومة صنعاء ويرى فى الوسط السيد حسين عبد القادر عامل صنعاء والى يمينه القاضى حسين المطهر وحمود الطائفى وعبـد الوهاب نعمان والقاضى لطف الزبيرى ومحمـد الطائفى وعبد القادر بن عبد الله عبد القادر وشرف الدين عبد القادر وغيرهم

ولدى بحثى الدقيق فى اليمن والحجاز ونجد ومصر مع أناس مسؤولين أى موظفين فى هذه الحكومات وواقفين على بواطن الأمور واناس غير مسؤولين ولكنهم يتتبعون حوادث البلاد العربية باهتمام كثير عن الأسباب الحقيقية التى حدت بالاخوان الوهابيين لاغتيال هذا العدد العظيم من الناس وهم ذاهبون الى بيت الله الحرام تحققت أن لبعض الأجانب ضلعاً فى هذه المؤامرة وقد كانوا يتوخون منها اثارة الفتنة بين الملك عبدالعزيز والامام يحيى وامتداد نار الحرب من الحجاز الى اليمن . وقالوا لجلالة الملك عبد العزيز بأساليب شتى وعن طرق عديدة وبواسطة أناس كثيرين بأن جلالة الملك حسين رحمه الله استنجد بالامام يحيى ليقاتل معه فاعتذر الامام عن الدخول فى الحرب بصورة رسمية علنية ولكنه أوفد هذه الخمسة آلاف أو السبعة آلاف نسمة بصورة حجاج لكى يتطوعوا فى الجيش الحجازى ويقاتلوا ابن السعود تحت راية الحسين . ويظهر أن جلالة الملك عبدالعزيز قد أخذ بهذه الدعاية الباطلة وأمر جنده من الاخوان بأن يبيدوا هؤلاء الناس عن بكرة أبيهم وانى على مثل اليقين أن جلالة الملك عبد العزيز حفظه الله ما كان ليقدم على هذا الامر لولا خديعة أعداء الاسلام والمسلمين له فلا حول ولا قوة الا بالله

وكان من نتائج مقتل هؤلاء الحجاج أن توترت العلاقات بين صنعاء والرياض وامتنع اليمانيون من تأدية فريضة الحج وحصل أخذ ورد بين جلالة الملك عبد العزيز وجلالة الامام يحيى وذهبت الوفود السعودية الى صنعاء وزارت الوفود اليمانية الرياض ومكة لحل هذه المشكلة وغيرها من المشاكل كتسوية بعض الحدود فى جهات عسير ونجران ووافق جلاله الملك عبد العزيز على دفع دية الحجاج المقتولين وبقيت هذه الأمور معلقة الى أن انفجرت الحرب المعلومة بين العاهلين العظيمين وكادت لولا تدخل المسلمين فى جميع أقطار المعمورة بينهما وتوسلهم اليهما أن يكفوا عن الحرب تمتد الى جميع أطراف البلاد اليمانية والحجازية النجدية ولا شك أنها كانت تطول جدا ولا يحصد منها الفريقان المتنازعان سوى اراقة الدماء فكلاهما قوي وكلاهما مستعد للحرب ولكننا نحمد الله سبحانه وتعالى الذى أنزل التسامح على قلبى هذين الجبارين المسلمين اللذين أسسا ملكهما بجدهما وكدهما ونرجو من الله أن

يطيل فى بقائهما ليتمما الرسالة التى تحملاها ويقوما بخدمة شعبيهما الكريمين اللذين هما أمانة فى عنقهما وعليهما وحدهما تتوقف ترقية شعبيهما ونجاح العرب ولا شك أن المعاهدة التى عقدت بينهما هى قذى فى أعين الخصوم والطامعين .

وانى أذكر للتاريخ - وللتاريخ فقط - بأن جميع ما أشاعته الجرائد من انكسار جيوش جلالة الامام هو عارى عن الصحة وبالعكس فقد انتصرت جنود جلالته تحت قيادة ولى عهده صاحب السمو احمد سيف الاسلام على جيوش صاحب السمو الامير سعود فى معركة جبل باقم المشهورة فى حدود نجران وكانت هذه المعركة السبب الحقيقى فى توقف القتال وعقد الهدنة ثم المعاهدة وانى لا أرغب فى الدخول فى تفصيلات وافية فى الحرب النجدية اليمنيه لأن ذلك ليس فى مصلحة أحد وأنا من أحرص الناس على تقريب وجهتى نظر العاهلين العظيمين لما فى ذلك من الخير لجميع المسلمين

قنصل أميركا

اجتمعت بالمستر جايمس لودربارك قنصل اميركا فى عدن عند مازار اليمن ليطلع على احوالها وليقابل جلالة الامام وانجاله وسألته ماذا تم فى المعاهدة اليمانية الاميركية فقال انه لم يتم شىء بعد وهذه المعاهدة هى التى كان قد اقترح عقدها المستر شارلس كرين الاميركى المعروف وتتلخص فى عدة مواد اهمها المواد الآتية :

(١) تعترف حكومة الجماهير المتفقة الاميركية المعظمة بالاستقلال الكامل المطلق لجلالة ملك اليمن الامام يحيي ولحكومته فلا يكون لحكومة الجماهير الاميركية المشار اليها أى تدخل فى الامور الادارية والسياسية فى مملكة الامام

(٢) بعقد هذه المعاهدة تؤسس المناسبات الودادية ويحصل تسهيل المعاملات التجارية بين المملكتين

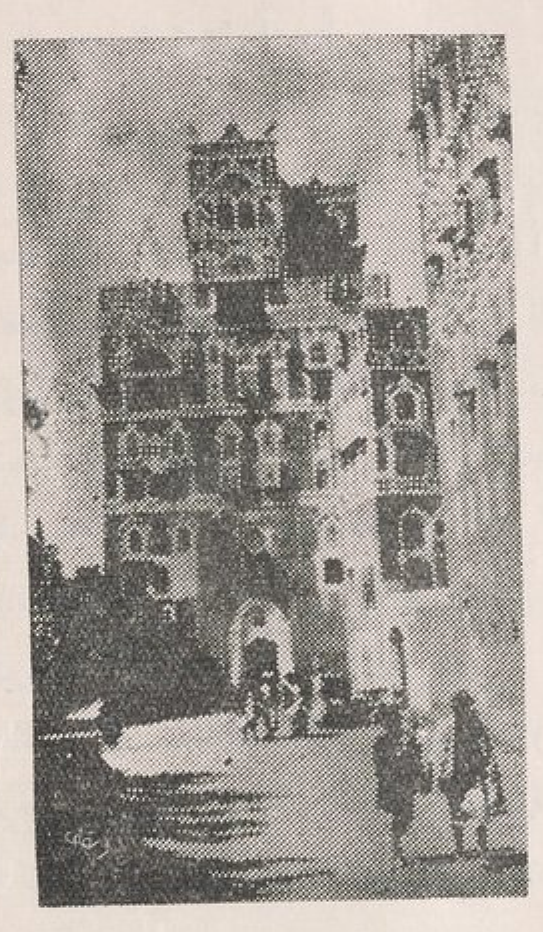
(٣) تعتبر هذه المعاهدة من تاريخ امضائها من جانب الحكومتين فبعد امضائها وتعاطيها يكون كل من تبعة الحكومتين مأذونا بالسير والسفر والتجارة فى المملكتين على أن يكون تابعا فى كل الامور والخصوصات للاصول والمعاملات والنظامات المرعية فى المملكة التى يكون فيها

(٤) هذه المعاهدة تعتبر لمدة عشر سنين على أن تكون قابلة للتجديد والتوسيع بتراضي الطرفين وقد حررت فى نسختين عربية وانكليزية وعند اللزوم والاحتياج تكون حكومة جلالة الامام مسؤولة بما فى اللغة العربية فقط .

وعلمت فيما بعد أن الحكومة الاميركية لم توافق على عقد هذه المعاهدة لان تجارة اميركا فى اليمن محدودة جدا وليس لها مصالح اقتصادية أو سواها لتهتم بعقد هذه المعاهدة ولذلك رفضت عقدها بصورة نهائية وبلغت ذلك الى قنصلها فى عدن .

ويظهر فى بنود هذه المعاهدة وفى بنود المعاهدة الايطالية اليمانية وغيرهما من المعاهدات حرص جلالة الامام على عدم منح الاجانب الذين يأتون اليمن امتيازاً ما ومعاملتهم طبقا لاحكام اليمن وقوانينه وعلى اعتبار الحكومتين المتعاهدتين متساويتين فى الحقوق .

وقد علمت بصورة خاصة ان جلالة الامام ما كان ليعقد معاهدة مع ايطاليا لولا



منزل فى صنعاء نوافذه من المرمر

حرصه الشديد على جلب سلاح وعتاد من ايطاليا ولم توافق ايطاليا بادئ الامر على أن تجلب له مايطلبه من السلاح الا اذا عقد معها معاهدة ولذلك اضطر جلالته الى عقد المعاهدة المار ذكرها وعلاوة على ذلك منح الحكومة الايطالية امتيازا باحتكار بيع زيت الكاز فى اليمن لمدة خمس سنوات ولكن لما مضت الخمس سنوات ابى جلالته ان يمدد مدة هذه الاتفاقية واصبحت ملغاة وعادت تجارة الكاز فصارت حرة وارتفع عنها الحصر واراد الكثيرون من انكليز والمان وروس ان يحصلوا على اتفاقية جديدة لحصر الكاز فرفض جلالة الامام جميع طلباتهم لانه شعر بضرر الاحتكار وضرر الاجانب

وعلى ذكر الاجانب أقول انه لايوجد باليمن اجانب متوطنون ولكن يوجد بعض الاجانب كوكلاء لشركات تجارية أو كاطباء وعمال ميكانيكيين مستخدمين بموجب اتفاقيات خاصة مع حكومة جلالة الامام ولا يتمتع هؤلاء الاجانب بحقوق أو امتيازات خاصة بل جميعهم يخضعون لقانون البلاد واذا ارتكب احدهم جرما يخل بالنظام فانه يحاكم كغيره من أهل سكان البلاد الأصليين أمام المحاكم الوطنية أى الشرعية ولا يوجد قناصل ولا ممثلون سياسيون للدول الأجنبية. وصادف مرة أن ضرب أحد الرعايا الطليان فى صنعاء غلاما صغيراً فألقى القبض عليه وسيق الى المحكمة الشرعية فحكمت عليه بالسجن ثمانية أيام وبالطرد من البلاد كما انها حكمت على أحد معاونى الدكتور الطليانى فى صنعاء ؛ الحبشى الأصل ؛ والايطالى التابعية ؛ بالجلد والطرد من البلاد لأنه شوهد فى حالة السكر الشديد وهو مسلم ! ورست مؤخرا الباخرة اليونانية (يوبنداس ولمان) فى مياه الحديدة تنقل كازا لبعض التجار اليمانيين وبينما كانت المراكب الشراعية تنقل الكاز منها للحديدة غرق ثلاثة من البحارة الوطنيين لاشتداد العاصفة يومئذ وبينما كان العمال ينقلون هذه المشحونات سقط صندوق على أحدهم فمات لفوره وجرح أربعة غيره فأمر عامل الحديدة بتوقيف العمل ومنع المراكب الشراعية من الدنو من الباخرة وباشر التحقيق عن هذه الفاجعة ولما ثبت لديه ان التبعة تقع على عاتق قبطان الباخرة لاهماله حكم على الباخرة بتأدية غرامة الف ومائة ريال دية القتيل وتعويض للجرحى ونفذ الحكم حالا وتسلم أهل القتيل والجرحى نصيبهم من المال شاكرين عدل العامل وسرعة تنفيذ الحكم

حديث مع وزير داخلية اليمن

مهمة وفد الملك ابن السعود فى صنعاء

زارنا ذات يوم القاضي عبد الله العمرى وزير داخلية اليمن ورئيس ديوان جلالة الامام وهو نحيف البنية متوسط الطول أبيض اللون جميل الصورة وكان يلبس قنبازا حريريا من صنع بلادنا ويتمنطق بجنبية يمانية مذهبة ، وقد طلبت اليـه أن يسمح لى بأخذ صورته فرفض وقال انه يكره أن يرتسم ولم يسمح لأحد بأخذ صورته وليس ذلك بعجيب فهو يحذو حذو امامه ومليكه فى كل شىء ويعول جلالة الامام عليـه كثيرا ويأخذ رأيه فى جميع شؤون الدولة وعندما يريد جلالته أن يدفع الأجانب الذين يزورون اليمن بطلبات مختلفة بالتى هى أحسن يرسل اليهم القاضى عبد الله العمرى فيتخلص من طلباتهم بأسلوب مرن لطيف دون أن يدعهم يشعرون برد الامام لطلباتهم وقد دار بيننا وبينه حديث بسيط عن جو اليمن وأشجاره وزراعته وعادات أهـله وأخلاقهم وطبائعهم ، ثم تـكلمنا عن السياسة الخارجية وأحوال الممالك المعظمة وكان حضرته متحفظا كثيرا فى حديثه لأنه كان يجهلنا ويجهل الدافع الحقيقى الذى حدا بنا الى زيارة اليمن فلم نلمه على تحفظاته معنا بل بالعكس أكبرناه وأجللناه وأنزلناه منزلا رفيعا فى نفوسنا . وللقاضى عبد الله حساد كثيرون فى اليمن وذلك لاعتماد جلالة الامام عليـه ولتقريبه اياه وهو عالم فاضل شاعر ناثر أديب فقيه يتحلى بجميع صفات الرجولة ومن أبرز هذه الصفات فيه الـكرم والتسامح والاقدام والشجاعة

بعد مضى عدة أيام على هذه الزيارة زرته بدورى فى داره ردا لزيارته فوجدته جالساً فى مكتبه الخاص مع القاضى احمد الآنسى فرحب بى حضرته أجمل ترحيب وأشار الى القاضى أحمـد الآنسى اشارة خفيفة معنوية فاستأذن القاضى احمـد الآنسى بالانصراف وودعنا وانصرف فخلوت به خـلوة طويلة تحادثنا فيها أحاديث مطولة عن شؤون كثيرة تذكر ولا تـكتب فزاد احترامنا له واجلالنا اياه لما وجدناه عليـه

من طيب الاخلاق وحسن النية وبعد النظر ومن البديهى أنه بعد زيارته لنا بحث كثيراً عنا بوسائط عديدة فاطمأن الينا وكشف لنا الغطاء عن أمور كنا نجهلها فأكبرنا فيه الاخلاص لمليكه وبلاده وأمته ولمسنا بأيدينا وشعرنا بجميع حواسنا بحديثنا مع هذا الرجل الفذ بأن الذكاء الطبيعى يفوق العلم والسياسة، وبالرغم من أن هذا الرجل لم يخرج خارج اليمن ولا درس فى مدارس راقية عالية فن السياسة وغيرها من الفنون والعلوم الاجتماعية فانه يضارع أعظم رجالات السياسة فى الشرق فى هذا المضمار وله جولات فى السياسة وفى العلوم الاجتماعية لم نشاهدها الا فى عدد يسير من رجالات الشرق البارزين

سألته عن الامام وعن كيفية الحكم فى اليمن فقال ان الامام يحذو فى جميع أعماله حذو الأئمة السابقين والخلفاء الراشدين وحكمه اسلامى بحت يستمد قوته ونظامه من القرآن الكريم والحديث الشريف فسألته عن الامامة وشروطها فقال: ان الامامة انتخابية وشروطها كثيرة أهمها أن يكون الامام سيداً علويا مجتهداً كريما سليم العقل صحيح الجسم شجاعاً مقداما الخ . الخ وسألته عن وفد جلالة الملك ابن سعود الذى كان حينئذ فى صنعاء وعن مهمته فقال ان هذا الوفد جاء للمخابرة والمفاوضة فى الأمور المعلقة بين العاهلين ولم يتم شىء نهائى بينه وبين حكومة الامام فلا يزال الجميع يدرسون هذه الامور بعين التساهل والتسامح وقال انه يرجو أن يعود هذا الوفد الى الرياض حاملا بشرى الاتفاق على الأمور المختلف عليها، وسألته عن المعاهدات التى عقدت مع الدول الاجنبية وجلالة الامام، فقال ان جلالة الامام يرغب رغبة أكيدة بأن تكون علاقاته مع الدول الأجنبية علاقات ود وصداقة وكثير من هذه الدول ترسل رسلا ووفودا خاصة الى اليمن لتعقد مع جلالة الامام معاهدات تجارية ومن البديهى والطبيعى أن يقبل الامام المفاوضة مع هذه الوفود، واذا تم الاتفاق بينه وبينها حسب رغبته ومشيئته عقد هذه المعاهدات والعكس بالعكس

ودعت القاضي عبد الله بعد هذا الحديث وخرجت من مكتبه فوجدت الى جانب

مكتبه مكتباً خاصاً بالكتبة والموظفين وقد جلسوا الى الأرض وكان أمامهم أوراق كثيرة ومخابرات عديدة أخالها تتعلق بوزارة الداخلية لأن القاضى عبد الله هو وزير الداخلية كما ذكرت آنفاً وقد أوجد لنفسه مكتباً خاصاً فى داره لادارة هذه الوزارة وهذا المكتب مرتب أحسن ترتيب وأعماله منظمة كل الانتظام



الى اليمين سيف الاسلام عبد الله والى الشمال سيف الاسلام القاسم ويشغل سيف الاسلام عبد الله الآن وزارة المعارف والزراعة ، ويشغل سيف الاسلام القاسم وزارة البرق والبريد والمواصلات

ساعة مع سيوف الاسلام

اولاد الامام

زارنى ذات يوم المدعو على بن حسين العجمى وهو مربى اولاد الامام وبعد التحية والاستفسار عن صحتنا واحوالنا الى غير ذلك من الأمور المألوفة عند التعارف قال: ان أولاد الامام يريدون أن يقابلونى فقلت له على الرحب والسعة فليتفضلوا لمقابلتى فى أى وقت يريدون ، فقال كلا هذا ليس بامكانهم لانه لايسمح لهم أن يخرجوا من المكتب

(أى المدرسة) الا فى أوقات خاصة وظروف خاصة فقلت اذاً كيف السبيل الى مقابلتهم ؟ قال اذا شئت أن تتفضل معى فانا اقودك اليهم . فقلت أليس من الواجب ان احصل على اذن من جلالة الامام قبل هذه المقابلة؟ فقال : كلا لا بأس من المقابلة فانت لست غريبا عنا بل أنت عربى مثلنا ومن ديننا ويسمح لك أن تقابل جميع الناس وان تطلع على كل شىء فقلت هيا بنا فلنذهب الى مقابلة اولاد الامام ! فسار امامى وقادنى الى المدرسة العلمية المتوكلية وصعدت واياه الى غرفة فى الدور الثانى خصصت لاولاد الامام فوجدتهم جلوسا على الارض وحولهم كتب خطية كثيره فحييتهم بقولى السلام عليكم فاجابونى وعليكم السلام تفضلوا واجلسوا فجلست بينهم على الارض وأخذوا يتحدثون الى أحاديث مختلفة ويسألوننى اسئلة كثيرة بعضها يتعلق بمصر والازهر وبعضها يتعلق بسورية وثورتها وسبب فشلها وبعضها عن تركيا ومصطفى كمال الى غير ذلك من الأسئلة والشؤون وكانوا يتكلمون معى بلغة عربية فصيحة فكان التفاهم بيننا سهلا بخلاف التفاهم مع عامة الشعب وسألنى أحدهم عن الآبار والزراعة والقطن وأنواعه وأهم البلاد التى تهتم بزراعته خلاف مصر . وجميع أسئلتهم كانت تدل على معرفتهم لامور كثيرة واطلاعهم على سير الحوادث فى هذا العالم واهتمامهم بها كل الاهتمام وسألنى أحدهم عن التصوير وكيفية أخذ الصور واخراجها وطبعها وأرانى آلة من صنع شركة كوداك وأخالها الآلة الوحيدة الموجودة فى اليمن لان اليمانيين لا يهتمون بمثل هذه الشؤون التى يعدونها من الكماليات المكروهة ، وسألونى غير ذلك أسئلة كثيرة فكنت أجيبهم عليها أجوبة مقتضبة فلا يكتفوا بها بل كانوا يستزيدوننى فى الايضاحات فسررت جدا من هذه المقابلة ومن التعرف الى أولاد الامام ومشاهدتهم فى مكتبهم وعندما ودعتهم وانصرفت سألت مربيهم على العجمى عن كيفية معيشتهم فقال لى ان جلالة الامام قد وضعهم فى المدرسة العلمية المتوكلية لكى يختلطوا مع أولاد الشعب ويتربوا تربية شعبية أى ديموقراطية كما نقول نحن وبديهى ان فوائد التربية الشعبية عظيمة جدا لأناس ستكون مقدرات خمسة ملايين من البشر فى أيديهم فضرورى والحالة هذه أن يقفوا على عادات بلادهم وشعبهم ويختلطوا

مع أبناء الشعب ليقفوا على عقليته وميوله فأجبته لا شك ان الامام مصيب فى هـذا العمل وسألته بدورى أسئلة كثيرة عنهم هذه أهمها .

س — كم عدد أولاد الامام ؟

ج — للامام خمسة عشر ولدا

س — ماهى أسماؤهم ؟

ج — ولى العهد احمد ثم محمد رحمه الله فالحسن والحسين وعلى والقاسم وعبد الله والمطهر وعباس واسماعيل وابراهيم ويحيي ومحسن وشرف الدين ويوسف

س — على من يطلق لقب سيف الاسلام ؟

ج — يقال لجميع أولاد الامام سيوف الاسلام لا فرق بين الواحد والآخر

س — هل يسمح لهم بالخروج من المكتب والاختلاط بالناس ؟

ج — نعم يسمح لهم فى أوقات الفراغ أن يذهبوا حيث أرادوا ويختلطوا بالشعب ولبعضهم ولع فى ركوب الخيل فاذا ما وجدوا فرصة سانحة فانهم يخرجون على خيولهم ويذهبون الى متنزهات صنعاء كالروضة والوادى وغيرهما من الامكنة الجميلة ولبعضهم ولع بركوب العجلات أى البسكليتات العادية والنارية ففى وقت فراغهم يخرجون عليها . ولبعضم ولع بركوب الطيـارات وقد طاروا مراراً مع الطيـارين الالمان فوق صنعاء وجوارها .

س — هل زار ولى العهد البلاد الأجنبية ؟

ج — كلا ولى العهد لم يخرج خارج اليمن ولا زار البلاد الأجنبية ولـكن سيف الاسـلام محمد (رحمـه الله) النجل الثانى للامام ذهب الى مصر وايطاليا وغـيرهما من البلاد الاوروبية وقد اصطحب معه وفداً كبيراً مؤلفاً من بعض السادة وزاروا روما وقابلوا جلالة ملك ايطاليا وزعيمها الـكبير السنيور موسولينى وعادوا مدهوشين من هذه الزيارة ومما شاهدوه من المعامل والفبارك وخاصة معامل الطيارات والمطارات وقد بذل محمد سيف الاسـلام جهده عقيب عودته من ايطاليا باقنـاع والده بوجوب ارسال بعثة من التلامذة اليمانيين لتعلم الطيران فى ايطاليا فوافق صاحب الجلالة على

هذه الفكرة وأرسل بعثة مؤلفة من بضعة عشر طالباً الى روما ولا تزال هناك الى هذا اليوم اى الى اليوم الذي جرى هذا الحديث فيه بيني وبين علي العجمي . وجلب جلالة الامام عدة طيارات من ايطاليا والمانيا ولكن مع الأسف الشديد فان الطيارات الايطالية جابت الى الحديدة مشحونة فى صناديق خشبية ومفككة أجزاؤها بعضها عن بعض وعوضاً من أن يركبوها فى الحديدة ويطيروا بها رأساً الى صنعاء حملوها على الحيوانات وأعناق الرجال وقطعوا بها المراحل الوعرة بين الحديدة وصنعاء على هذه الصورة فتحطم معظمها ولا يزال بعضها الى يومنا هذا موجود فى مطار صنعاء ولكنها غير قابلة الاستعمال وأما الالمان فقد جلبوا طائرتين وهما جيدتان للغاية وقد طار بهما الطيارون الالمان مراراً بين الحديدة وصنعاء وهم دوماً يطيرون فوق صنعاء وحواليها ويركبون معهم أولاد الامام وغيرهم من الناس .

عدت من زيارة أولاد الامام وأنا مدهوش من منظرهم وجلوسهم على الأرض وانكبابهم على الكتب الخطية يطالعون مافى بطونها من علوم وفنون وقلت فى نفسى ان ارسال جلالة الامام أولاده سيوف الاسلام الى المدرسة المتوكلية جميل جدا ولكنه ليس كافياً . فهذا العصر أصبح عصر مزاحمة شديدة وباتت الدنيا الواسعة أمام فتح الطيران كرة صغيرة كالكرة التى يلهو بها الاطفال ، وأصبح الجنس البشرى مرتبطا بعضه ببعض ارتباطا وثيقاً فالأزمة الاقتصادية فى أميركا مثلا تؤثر فى الحالة الاقتصادية بفرنسا وبريطانيا وايطاليا وألمانيا والعكس بالعكس ولذلك صار من الواجب على ملوك العرب وأمرائهم أن يفكروا فى هذه الأمور وأن يديروا وجوههم شطر الغرب فيرسلوا بعثات من أولادهم ورعاياهم الى البلاد الغربية ليدرسوا فيها العلوم والفنون الضرورية لترقية بلادهم وتقدمها . فهم بحاجة الى زراع ومهندسين وأطباء وصيادلة وعسكريين وغيرهم فلا ضير عليهم مادام لا يوجد عندهم مدارس تخرج هؤلاء الاخصائيين أن يرسلوا بعثات من فلذات أكبادهم الى ديار الغرب ليتعلموا فى مدارسها ومعاملها هذه الفنون والعلوم واذا كانوا لا يرغبون فى ارسال أولادهم الى الغرب فليستعينوا بمصر والشام لتقدما لهم الأطباء والصيادلة والمهندسين والعسكريين والطيارين الخ .



الثالث من اليمين سيف الاسلام عبد الله والى يمينه سيف الاسلام القاسم فالسيد عبد الله بن حسين الديلمى عامل ريمه والسيد محمد بن محمدابراهيم حاكم آنس والى يساره وصفى بك زكريا المندس الزراعى والقاضى احمدبن احمد الحراقى عامل بلاد البستان وقد خرجوا جميعهم فى رحلة زراعية

ان نظرية العزلة التى لايزال أمراؤنا وملوكنا محافظين عليها ظناً منهم انها تبعدهم عن الخطر وتحمى بلادهم من التعديات أصبحت فى هذا العصر عصر الكهرباء والطيران نظرية بالية لانسمن ولاتغنى من جوع ومتى دقت ساعة الحرب الرهيبة فالجزيرة العربية بأجمعها عرضة لطمع الطامعين وفتح الفاتحين وبديهى ان هذه الجزيرة بما فيها شامها وحجازها ويمنها وعسيرها ونجدها وعراقها هى ضعيفة جدا بالنسبة الى الامم النصف راقية وبديهى أنها مطموع فيها من قبل الاجانب والدول المعظمة ولكن من حسن حظها أن هذه الدول المعظمة مختلفة فى الرأى وغير متفقة على ابتلاع الاجزاء المستقلة من هذه الجزيرة ، ولولا اختلافها لكانت هذه الأجزاء المستقلة ترزح تحت النير الأجنبى كبقية الأجزاء المحتلة وليعلم سادتنا الامراء والملوك بأن وسائط الدفاع الاولية التى يملكونها لاتصد غارة الفاتحين عن بلادهم ولا ترد هجمات الطائرات

والغازات السامة والميكروبات الفتاكة فلا يفل الحديد الا الحديد فعليهم أن يعدوا للامر عدته لأن العالم على قاب قوسين أو أدنى من حرب عالمية لا يعلم مداها ولا ميدانها الا الله.

حبنا للعرب وتفانينا في خدمتهم وغيرتنا عليهم حملتنا على توجيه هذا الكلام لملوكهم وأمرائهم، واننا نرجو من هؤلاء الملوك والامراء أن يطرحوا التنابذ والشقاق ويسدلوا حجاباً على الماضي بما فيه من سيئات وذكريات أليمة ويدفنوا الضغائن والحزازات الشخصية ويبذلوا جهودا جديدة صادقة في التفاهم والاتحاد وعقد معاهدات هجومية دفاعية استعداداً للطوارئ والا فسوف يندمون ولات ساعة مندم.

وبعد مقابلتي الاولى لاولاد الامام سنة ١٩٢٧ عدت فقابلت بعضهم في رحلتي الأخيرة سنة ١٩٣٦ فوجدتهم قد بلغوا سن الرشد وتقلدوا بعض المناصب الوزارية وغيرها فقاموا بها خير قيام مثالا على ذلك ان سيف الاسلام عبدالله تولى وزارة المعارف والزراعة فعنى بها عناية شديدة واستقدم مهندساً زراعياً من دمشق الشام يدعى وصفى بك زكريا واستقدم أساتذة للمعارف وصار يطوف بنفسه في البلاد برفقة المهندس ويدرس الأراضي والمزروعات عن كثب ويصدر أوامره للعمال بلزوم اتباع وصايا المهندس وتعليماته وقد طبع عدة كراريس زراعية وزعها على الفلاحين مجاناً وقد بذل جهده أيضاً في تعميم التعليم ونشره في جميع أطراف البلاد وذلك بافتتاح مدارس كثيرة في جميع الجهات، وأرسل عدة بعثات من الطلبة الى العراق

وتولى سيف الإسلام القاسم إدارة البرق والبريد والمواصلات فأدار شؤونها على أحسن حال واهتم بتعبيد الطرقات وتم في عهده دخول اليمن في البريد الدولي واشتراكه في (الكابلو) أي التلغراف الدولي أيضاً فصار بالامكان أن يخابر المرء جميع أطراف العالم من اليمن بعد ما كان ذلك متعذراً لاستئثار شركة ماركوني بالمخابرات وحدها

ويتولى سيف الاسلام الحسن والحسين وغيرهما من اخوتهما إدارة بعض المقاطعات بصفة عمال من قبل حضرة صاحب الجلالة والدهم المعظم وقد أظهروا جميعهم مقدرة زائدة وإدارة حسنة وجميع الأهلين يثنون عليهم أعطر الثناء لذلك يسرني أن أسجل لهم هذا الاعتراف تقديراً لجهودهم وأعمالهم

بعثة الطيران

وقد صادف مرة اثناء عودتى من صنعاء الى الحديدة أن وصلتها بعثة الطلبة الطيارين اليمانيين التى نوهت عنها عائدة من ايطاليا وكانوا جميعهم يلبسون ألبسة الطيران ويضعون على اكتافهم ورؤوسهم شارات الطيارين وكان منظرهم (بيدلاتهم) العسكرية جميلا جدا وقد تحدثت الى بعضهم فوجدتهم مدهوشين من ايطاليا وعظمتها وبناياتها الضخمة ومدنها الكبيرة ومدنيتها العظيمة فسألتهم اذا كانوا قد تعلموا هذا الفن (أى فن الطيران) فاجابونى بانهم قد مارسوه كثيرا وانهم طاروا مرارا وصار فى امكانهم أن يطيروا بانفسهم من دون أن يرافقهم أحد من الطيارين الطليان وبعضهم اتقن فن الميكانيك فى الطائرات وبوسعه أن يركب الطيارة بدون مساعدة أحد. سررت جدا من هذا الفوز العظيم الذى احرزه هؤلاء الطلاب النجباء فى برهة وجيزة ولكن ويا للاسف لم يتموا دروسهم لسقوط أحدى الطائرات فى صنعاء كما قلت سابقا ولكننى بالرغم من هذه الحادثة لفت نظر جلالة الامام الى وجوب استعمال سلاح الطيران فى جيشه المنصور لأن سلاح الطيران لا يرد اعتداء الطامعين فى البلاد فقط بل يمكن استعماله فى تأمين الامن فى أطراف البلاد النائية وخاصة بين القبائل التى لا تزال الى اليوم شبه مستقلة وغير طائعة تماما لحكم الامام

القاضى حسين المطهر
والزراعة فى اليمن

اجتمعت فى أحد الايام - بينما كنت أتجول فى أسواق صنعاء - بالقاضى حسين مطهر فدعانى إلى زيارته فى داره ببئر العزب والقاضى المطهر هو أحد الكتاب فى المخيم المنصور ومن المقربين لجلالة الامام فلبيت دعوته مسرورا فقادنى إلى غرفة استقباله أمام الشادروان أى (النوافير) فجلسنا نتجاذب أطراف الحديث وظهر لى من حديث حضرته انه عالم بالشؤون الزراعية ورأيت عنده كمية من القطن (السكلاريدس) الذى لا ينمو الا فى مصر وأميركا فسألته من أين جلب هذا القطن، فقال: انه من زرع

اليمن فقد اهتم جلالة الامام بزراعة القطن وجلب أنواعاً متعددة من البذور (ويقولون للبذور فى اليمن الصيب) من مصر وأميركا فنجح قطن السكلاريدس نجاحاً باهرا فى الوديان الواطئة كالحيمة الخارجية والروضة والجوف وغيرها من الأماكن ولذلك أعطى



القاضى حسين المطهر

الامام كمية وافرة من البذر للمزارعين والفلاحين لكى يعمموا زراعة القطن وقد جلب لهم محلجاً خاصاً لحلج القطن و(حزمه) بالالآت ، وأوصى أحد التجار الاميركيين فى عدن المدعو المستر (هولبرج) ليجلب له محالج فنية حديثة من أميركا . ولا شك فى

ان زراعة القطن تزدهر ازدهارا عظيما فى اليمن وتعود على أهله بالخيرات الوفيرة اذا عممت فى جميع المناطق لان اقليم اليمن وهواءه وحرارته ومياهه وأرضه هذا كله يساعد على نجاح القطن كل المساعدة فجدير بأهل الحل والعقد أن لا يصرفوا نظرهم عن هذا المورد الزراعى العظيم

وقد حضر فى أثناء زيارتى للقاضى حسين مطهر أحد شرفاء بلاد الجوف وصاحب الغيل (أى النهر) المعروف بغيل مراد ويدعى الشريف فيصل بن على جار الله فقدمه لى القاضى حسين فسألته عن بلاده وأحواله فقال : اننا ولله الحمد على أحسن حال ولكن بلادنا فقيرة ونحن فقراء وجهال ولا نعرف كيف نستفيد من أرضنا فقلت له علمت من القاضى المطهر بان أرضكم تصلح لزراعة القطن ومن المعلوم ان زراعة القطن زراعة رابحة فلماذا لا تكثرون من زراعته؟ فأعاد قوله باننا فقراء ولا نملك من الوسائل الزراعية ما يساعدنا على تنمية زراعة القطن وغيره من المزروعات ؛ ولما سألت القاضى المطهر عن حقيقة هذا الرجل على انفراد وهل هو فقير كما يدعى؟ فأجابنى كلا ليس هذا الرجل بالفقير فهو يملك أرضاً واسعة وعنده الخدم والحشم والجوارى والخيل والإبل ولكنه كغيره من شيوخ القبائل كسول وكسول جداً ويفضل أن ينام على الطوى على أن يبذل جهوداً فى الكد والعمل المنتج وأظن ان القاضى المطهر على حق فى شكواه من أمراء البدو وشيوخهم لانى شاهدت فى طوافى البلاد اليمانية فى رحلاتى الثلاث أراضى جيدة جداً وقابلة لزراعة كل شىء ولكنها مع الأسف خالية من المزروعات لخمول أصحابها البدو

وحباً فى منفعة اليمن وأهله اورد ههنا بعض الملاحظات الزراعية على سبيل المثال عسى أن يهتم بها أولو الحل والعقد فأقول :

ان بلاد تهامة وهى السهل المعروف الممتد من ساحل البحر الاحمر حتى الجبال تصلح لغرس جميع أنواع النخل ويوجد فيها الماء بكثرة تحت الأرض على أبعاد مختلفة ويمكن استخراجه ورفعه الى سطح الأرض بواسطة المضخات الهوائية أو الموتورات الميكانيكية وتصلح أيضاً لزرع جميع أنواع الذرة والسمسم وسفح الجبال القريبة من

تهامة والممتدة من الشمال الى الجنوب على مئات الكيلو مترات تصلح بكل تأكيد لغرس البرتقال والليمون الحامض والحلو والكباد والنارنج وجميع أنواع الحمض وقد شاهدت فى بعض الأماكن شيئاً من هذه الأشجار ينمو دون اعتناء أحد به والجبال والوديان المرتفعة تصلح لغرس (المنكو) والموز وجميع أنواع أشجار الأحراج كالسنديان وغيره هذا عدا البن الذى يغرس ههنا ولكن بالامكان زيادة غرسه كثيرا ويصلح فى السهول والمرتفعات (بلاتو) الواقعة فوق الجبال المحيطة بتهامة والتى تؤلف سطح اليمن الحقيقى غرس جميع أنواع الأشجار المثمرة والقطن والكتان والقنب؛ وقد أخذت معى مرة شيئاً من بذر القنب جلبته من دمشق وغرسته فى أراضى الصافية بالقرب من صنعاء فنماموا عجيباً ولكن بعض الناس قال لجلالة الامام بان الحشيش يصنع من القنب فأمر جلالته بعدم زرعه ، وقد غرسنا أيضاً أنواعاً مختلفة من بزر الكتان فى أرض الصافية فنجحت نجاحاً عظيما ولكن جاء الجراد بكثرة فى تلك السنة فاكلها بأجمعها ومن الغريب فى اليمن أن الناس لا يجزعون ولا يستاءون من قدوم الجراد



احد افراد بعثة الطلبة التى سافرت الى العراق يلقى خطابا فى صنعاء بحضور وزير المعارف سيف الاسلام عبد الله يوم سفر البعثة

وقد شاهدتهم ذات يوم يخرجون الى مسافات بعيدة عن صنعاء حيث كان الجراد يهاجم بعض المزروعات ويجمعونه بكثرة زائدة وينقلونه الى صنعاء بفرح وسرور . ولما رأيتهم على هذه الحال قلت أأنتم مسرورون والجراد يأكل مزروعاتكم ؟ فقالوا نعم نحن مسرورون به فهو يأكل مزروعاتنا ونحن نأكله ونخزنه فى دورنا من السنة الى السنة

وتصلح زراعة الأرز فى سهل جهران الذى يبعد عن صنعاء نحو ٣٠ كيلو مترا كما تصلح زراعة الأرز فى أراضى الجوف وغيرها من الأراضى الكثيرة المياه ولكن ويا للاسف لم يهتم اليمانيون برغم جهود امامهم وحكومتهم لترقية الزراعة الاهتمام الكافى الذى قد يعود عليهم بالأرباح الطائلة لأن بلاد اليمن من أخصب بلاد العالم ولا ينقصها سوى العلم والاجتهاد ، وجلالة الامام يبذل جهودا حسنة فى ترقية الزراعة ولكن من الواجب على الشعب أيضاً أن يؤازر امامه وحكومته لتحصل الفائدة المطلوبة ، وتصلح زراعة التتن والتنباك فى معظم أصقاع اليمن وقدشاهدت بعض الأنواع الرديئة من التتن والتنباك مغروسة فى بعض الجهات ولكن يمكن تعميمها بصورة واسعة فتعود على البلاد بفائدة عظيمة لأن اليمانيين يستعملون هذين الصنفين استعمالا عظيما ويجلبون منها كميات كبيرة جدا فلو كانوا يجلبون بذورا من العجم وتركيا ويعممون هذه الزراعة لأصبحوا عما قريب مصدرين للتتن والتنباك لا المستوردين وبذلك يخدمون أنفسهم وبلادهم خدمة جليلة ويستغنون عن الغير كما هى الحال فى جميع بلاد العالم

المعادن والثروة العامة

من المعلوم لدى الخاص والعام ان منبعى الثروة العامة فى هذه الدنيا هما الزراعة والمعادن وقد حدثت القارىء الكريم عن زراعة اليمن وبينت له امكان تنميتها وتوسيعها كثيرا والآن احدثه عن النبع الثانى وهو المعادن فاقول :

يدعى اليمانيون انجميع انواع المعادن موجودة فى اليمن كالذهب والفضة والرصاص

والطلق والنحاس والفحم الحجرى والملح الخ الخ . وقد حدثنى أحد امراء العرب فى سبأ ومارب عن المعادن قال : يوجد عندنا بالقرب من قصر بلقيس جبل عظيم فيه ذهب ويوجد فى شعب ذخر (اسم مكان فى مارب) الرصاص والكبريت وكلما أردنا شيئاً منهما لاستعمالنا الخاص نحمل رزماً كبيرة من الحطب الى الأماكن الموجودة فيها هذه المعادن ونضرم النار فى الحطب فيسيل من تحت النار الرصاص أو الكبريت فنرش السائل بالماء حتى يبرد ويشكل قطعا كبيرة أو صغيرة من الرصاص والكبريت الصافى ، وتوجد فى بعض الاودية التى كانت تجرى فيها سيول عظيمة فى سالف الايام ، رمال ناعمة وكثيرا ما نأخذ هذه الرمال ونغسلها بالماء ونغربلها بغرابيل ناعمة مملوءة بالماء ونستحصل منها على كميات جزئية من الذهب

ولاشك أن الامير المأربى صادق فى روايته وهذه الطرائق التى يستعملونها لاخراج الكبريت والرصاص والذهب لا يزال معمولا بها الى هذا اليوم ومستعملة فى اخراج هذه المعادن بصورة موضعية جزئية ومن البديهى انها لا تعود بالارباح الطائلة فلو أن الامام اهتم بهذه المعادن وجلب مهندسين فنيين معدنيين لاستفاد فائدة عظيمة

وقد حدثنا المرحوم محمد سيف الاسلام عن المعادن فى اليمن فقال : يوجد فى جبل مسوار فى بنى العرى (توتية) وأهل البلاد هنالك يذيبونها بطرقهم البسيطة ويستعملونها فى صناعة الآنية وغيرها . ويوجد فى اطراف جبال الغراس مما يلى الروضة (اللمنيوم) ويوجد فى جبال خولان وكحلان وعفان وهوبة من جبال بلاد حجة الطلق ويسميه اليمانيون ايضاً دراهم الجن ويقول له الانكليز (ذهب المجانين) ويوجد ايضاً فى هذه الجبال النحاس . وهو معدن من معادن الحديد

ويوجد فى أسفل جبال الظفير الرصاص والكحل وهو ملح من املاح الرصاص ايضا ويجلبه البدو ويبيعونه فى الاسواق التجارية بصنعاء وغيرها من المدن . ويوجد الكحل ايضاً بالسودة وجبال بنى حبيش والشاهل . ويوجد فى جبال مسور وفى الاعروش من بلاد خولان السملوخ ويستعمله الاهلون لقطع الزجاج ويوجد فى عروق السملوخ الذهب ويقال للسملوخ بالانكليزية (كورتز) ويوجد الحديد بكثرة فى بلاد صعده وفى

ريحا وفى الجوف ويوجد النحاس بالقرب من ميدى . وقد حدثنا أناس كثيرون عن المعادن وأماكنها ووجودها بكثرة فى جميع جبال اليمن ولكن أحاديثهم كان مبالغاً فيها كثيراً لانهم لايعرفون حقيقة المعادن ومن البديهى أن معرفة المعادن معرفة صحيحة تحتاج الى فنيين واخصائيين درسوا هذا العلم درسا طويلا ومارسوه ممارسة عملية فعلية لا نظرية . وقد ذكر بعض الكتاب عن معادن اليمن فصولا طويلة فى كتبهم انقل للقارئ الكريم بعضها ليقف عليها . عقد الشيخ عبد الواسع بن يحيي الواسعى اليمانى فصلا عن المعادن جاء فيه قوله « معدن (نحب) فى ديار بنى كلاب ومعدن بيشا ومعدن (قضاعة) وذهب خولان الوارد ذكره فى التوراة باسم حويلة وكثير من المعادن غيره (كالحفير) بناحية عماية وهو معدن ذهب غزير ومعدن (الضبيب) عن يسار هضلت القليب ومعدن (الثنية) ثنية بن عاصم الباهلى ومعدن (العوسجة) ثم معدن الفضة ومعدن (نياس) ومعدن (العقيق)ومعدن (الحجة) ومعدن (العمق) فى افيعة ومعدن (الهجيرة) ومعدن بنى سليم ومعدن الذهب فى الرضراض ومعدن الفضة بالحمة ومعدن النحاس قرب سوق الاثنين تجد الجبل ا كثره يلمع صفرة وترابه أصفر براق ويوجد فى اليمن الفحم الحجرى والبترول .

«ويوجد العقيق بأنواعه وألوانه بآنس وبالحدب ناحية مخلان فى بلاد البستان وفى جبل بلاد الروس أو سنحان وبجبل فى سعوان وبشهارة وفى عبشان بحاشد جنب الاهنوم ويوجد باليمن البلور والاحجار النفيسة التى يعمل منها نصل السيوف والسكاكين وبجبل نقم بضم النون والقاف جبل مشرف على صنعاء فيه عدة معادن من الحديد والطلق وحجر أبيض لماع يشبه حجر الماس وقل ان تجد بينهما فرقاً وبجبل نقم الموميا وأهل اليمن يقولون ميميا يقطر فى كهف وله منافع جمة أطنب الشيخ داود فى وصفه بمنع سيلان الجرح وبجبر الكسر وبحبس الدم» يتبين للقارئ الكريم من هذا البحث صحة نظريتى بعدم فهم عامة الناس للمعادن وادرا كهم حقيقتها وكما قلت سابقاً ان معرفة المعادن تحتاج الى اخصائيين. وتتميما للفائدة أقول ان المستر شارلس كرين الاميركى المشهور والصديق المخلص للعرب زار اليمن وسر من اجتماعه بجلالة الامام وتكريم

الامام له تكريماً عديم النظر فشاء أن يقابل الحسنة بالحسنة فأوفد لجلالة الامام بعض المهندسين على نفقته الخاصة ليساعدوه فى تخطيط الطرق وفى البحث عن المعادن ولما وصلوا الى صنعاء أمر جلالة الامام عماله فى جميع أطراف اليمن أن يجلبوا نماذج من المعادن الموجودة فى مناطقهم فجلبوا منها شيئاً كثيراً أعطاه جلالته الى المهندسين ، وبعد أن درسها المهندسون درساً علمياً فنياً قدم أحدهم المدعو المستر تونشل تقريراً مطولا عنها

تقرير المستر تونشل عن المعادن

حضرة صاحب الجلالة الامام يحيى حميد الدين ملك اليمن المعظم

لى الشرف أن أعرض لجلالتكم مايأتى :

انى أعجبت كثيراً بالأحجار المعدنية التى أرسلت لنا للمرة الأولى صباح يوم الاثنين وأعجبت أيضاً بالتى أرسلت لنا هذا اليوم ويتضح لى منها أن أوامركم وبياناتكم إلى عمالكم الكرام كانت طبق المرام لانهم أحسنوا انتخاب جميع ماأرسلوه وقد تبين لى من فحص هذه الحجارة ان الامل قوى جدا فى الاستفادة من خمسة أنواع منها وربما تصلح هذه المعادن الخمسة لفتح مناجم خاصة بها . وما وجودها الا دليل أكيد على وجود غيرها بجوارها ، والمعادن الخمسة الجيدة هى: (١) كرافيت (٢) موليبدينيت (٣) هماتيت (٤) نتراهدريت (٥) ميكا أى طلق ويستعمل الكرافيت فى صناعة أقلام الرصاص ويستعمل الموليبدينيت فى صناعة أجود أنواع الفولاذ القاسى ويستعمل الهماتيت لاستخراج الحديد . ويحتوى النتراهدريت على النحاس والكبريت والانتيمون وبعض الاحيان توجد معه الفضة ومتى حللنا هذا المعدن تحليلا كيماويا يتبين لنا موجوداته وأما قطعة الميكا اى الطلق التى أرسلت لنا فصغيرة وعديمة الفائدة لصغرها ولكنها متى كانت كبيرة الحجم فتجد أسواقا متعددة لبيعها وربما نتمكن اذا حفرنا بالقرب من المكان الذى وجدت فيه هذه القطعة أن نجد قطعاً كبيرة وعلى كل الأحوال يتبين لنا من وجود هذه القطعة الصغيرة وجود كميات كثيرة منها ولا يمكن

للناظر الى هذه القطع من المعادن أن يعرف حقيقة ثمنها كما انه لايمكن للناظر الى بعض شعرات مسلوخة عن ذيل جواد كريم أن يقدر منها قيمة ذلك الجواد . ولكنها على كل الاحوال تعتبر دليلا على وجود المعادن . والمعادن تحتاج الى كشفها لاعين خبيرة مفتوحة تفرق بين الغث والسمين وهذا يتطلب مشاهدتنا هذه الأماكن عن كثب وعندئذ يمكننى أن أقول لجلالتكم ماذا يجب عمله للاستفادة من هذه المعادن . وربما احتاج فى فحص هذه الأماكن الى القيام بحفريات فى بعض المواقع مدة أسبوع أو أكثر . ومن البديهى أن كثيرا من المعادن توجد بكميات قليلة وهذه لاتقوم بنفقات استخراجها وانى سأكون سعيداً جداً اذا شاهدت هذه الاماكن بنفسى حتى أتمكن من تقديم تقرير شاف لجلالتكم عنها

وقد أرسل لنا أيضاً كيس صغير فيه مادة ترابية ناعمة براقة تبدو للعيان كالذهب الوهاج ولكنها مع الأسف ليست بذهب بل هى نوع من أنواع الميكا (طلق) وليست ذات قيمة صناعية أو تجارية أصلا وقد جلب لى كثير من الغربيين المتعلمين فى اوربا نفس هذه المادة الترابية متوهمين أنها ذهب . وقد جلبوا لنا اليوم أيضاً نوعاً أملس ناعما من الصخر يقال له (شلز) وفى بعض الأحيان يوجد زيت الكاز فى هذه الطبقة الصخرية وأما الأحجار التى جلبت لنا فلايوجد فيهازيت ولكنها تدل على امكان وجود الكاز فيها . وقد وصلنى الى يوم أمس من جلالتكم كيس صغير فيه أربعة أنواع من الأحجار المعدنية ويوجد فى واحدة منها قشرة كبريتية واذ وجد وقود رخيص بقربها أى (حطب) فبوسعى أن أطلعكم على طريقة عملية سهلة يمكنكم بواسطتها أن تحصلوا على زهر الكبريت ويستعمل زهر الكبريت كما لا يخفى عليكم فى صناعة البارود وفى قتل الحشرات المضرة التى تلحق بالكروم واذا سمحتم لى أن أشاهد المكان الذى جلبت منه هذه الأحجار ففى امكانى أن أخبركم اذا كان يوجد حوله أفضل منه أم لا وفى امكانى أيضاً أن أعلمكم اذا كانت الكمية الموجودة جديرة بالاهتمام أم لا .

والقطعة الحجرية المعدنية الثانية التى ارسلت مع القطعة المار ذكرها يقال لها « الجيريت » وهى ذات ذرات ناعمة ومسلوخة عن عرق كبير ويوجد فيها النحاس

و « الكروميوم » أحد معادن الحديد . وانى اقدم لجلالتكم قطعة من هذا المعدن وكيساً صغيراً راجيا أن تأمروا من يلزم بملء هذا الكيس والاستفهام عن المكان الذى جلبت منه هذه القطعة وعن عرضه وطوله وارتفاعه فاذا كانت الكمية الموجودة منه وافرة فيمكن أن يباع هذا المعدن فى خارج اليمن من أجل نحاسه وحديده .

واما القطعة الثالثة فهى معدن من معادن الحديد يقال له « بيريت » ويوجد مع الحديد قليل من النحاس وانى مقدم لجلالتكم كيساً صغيراً راجياً أن تأمروا من يلزم كى يملأه من نفس المكان الذى جلبت منه هذه القطعة مع بيان طوله وعرضه وارتفاعه . ويستعمل هذا المعدن أى « بيريت الحديد » فى صناعة حامض الكبريت الذى اذا خلط مع ماء النار وكليسربن الف نوعاً من أنواع المفرقعات (ديناميت) القوية . ولكن قبل كل شىء يجب أن نشاهد المكان لنتحقق من الكمية الموجودة فيه لنعلم اذا كانت جديرة بالاستخراج أم لا اذ من البديهى أن المعادن لا تكون جديرة بالاستخراج مالم يتوفر فيها أولا جودة النوع وثانياً كميته . وانى أرى من الضرورى البحث فى جوار هذا المكان الموجود فيه الحديد والتحرى عن غيره من المعادن لأنه فى كثير من الأحيان يوجد فى ناحية واحدة أكثر من نوع واحد من المعادن . ويظهر لى من جميع هذه النماذج المعدنية التى جلبت لى من أطراف البلاد ان اليمن غنية بمعادنها ويمكن الاستفادة من هذه المعادن الى مدى بعيد ولكن يجب فى بادىء الأمر البحث فى جميع الجهات والتفتيش عن الأماكن التى توجد فيها المعادن بكثرة . فاذا شاء جلالة الامام أن يسمح لى بأن أقوم بهذا التفتيش بنفسى فانى رهن اشارته

بعد أن قدم المستر توتشل هذا التقرير إلى جلالة الامام ورأى جلالته أن هذا المهندس خبير بالمعادن أمره بالذهاب الى الصليف ودرس المملحة الكبيرة الموجودة هناك والصليف اسم لمكان على شاطىء البحر الاحمر يبعد عن الحديدة نحو سبعين كيلو مترا الى الشمال وفيه مملحة عظيمة كان الترك أيام الدولة العثمانية يستخرجون منها الملح بصورة مكبرة ويبيعونه فى داخل اليمن وخارجه وأما اليوم فقد أهمل شأن هذه المملحة وصار الأهلون يأتونها ويأخذون حاجتهم منها ويستعملونها استعمالاً موضعياً

ذهب المستر توتشل بصحبة أحد المصريين من أصدقاء المرحوم محمد سيف الاسلام الذين يتقنون الانكليزية الى الصليف ودرس المكان درساً علمياً فنياً وقدم لجلالة الامام تقريراضافياً عنه يقع فى عشرين صفحة ومن أهم ما جاء فيه أن هذه الملحة عظيمة وعميقه جدا وملحها من أجود أنواع الملح فى العالم ويوجد بالقرب من هذه الملحة طبقات جيولجية من أحجار « الشلز » وهذه تشير فى بعض الأحيان الى وجود البترول ولدى البحث والدرس وجد المستر توتشل أنه ربما يوجد بترول فى هذه الطبقات ثم عاد حضرته الى بلاده وسعي مع بعض الشركات الأميركية على مساعدته فى الحصول على امتياز لاستخراج الملح والمعادن فى اليمن وقد لبت احدى الشركات طلبه وأوفدته الى اليمن ليعقد مع جلالة الامام اتفاقية لاستخراج معادن اليمن فعاد الى اليمن مسرعاً وقدم الى جلالة الامام مشروع اتفاقية هذا نصها :

اتفاقية لاستخراج المعادن

واستثمار مملحة الصليف

١ - نحن الامام يحيي ملك اليمن وحكومتنا نتفق مع المستر توتشل ونقابته بأن نؤجره شبه جزيرة الصليف بمافيها رأس عرب لمدة تسع وتسعين سنة ويدخل فى هذا الايجار كل شيء فوق سطح الأرض وتحت سطحها وقيمة هذا الايجار ألف ريال امامى سنويا أو مايعادل هذه القيمة ويدفع هذا الايجار كل سنة ويعتبر ابتداؤه من اليوم الذى يتم فيه التوقيع على هذه الاتفاقية

٢ - يكون الامام وذريته شركاء بهذه الشركة فيمنح لهم عشر رأس مالها أى بالمائة عشرة من مجموعه ، ويمكن للامام أن يتصرف بهذا الرأسمال كما يشاء فاذا شاء احتفظ به واذا شاء بيعه باعه فلا يعارضه أحد بذلك بل له الخيار أن يتصرف به حسب ارادته فلا مانع يمنعه من رهنه لعقد بعض القروض وإذا احتفظ به فله الحق باستيفاء الارباح

٣ - تدفع الشركة ضريبة جمركية على جميع ماتصدره إلى الخارج وقدرها ثلاثة

فى المائة وتدفع هذه الضريبة إلى حكومة اليمن أو إلى من يمثلها فى مدة لا تزيد على سنة واحدة من تاريخ شحن الصادرات

٤ ـ لا تضع حكومة اليمن ضريبة جمركية ولا غيرها من الضرائب على جميع المعدات اللازمة فى الصليف ولا تضع أيضاً ضرائب على جميع الأشياء التى تستأجرها أو تستعملها هذه الشركة ولا تضع ضرائب على الأشياء التى يستوردها الاميركيون المستخدمون فى الصليف وعلى كل أمتعتهم وحاجياتهم

٥ ـ تساعد الشركة الحكومة اليمانية فى انشاء حديقتين من حدائق التجارب الزراعية التى تقيمها الحكومة اليمانية ومتى أخذت الشركة تربح من منجمها فى الصليف تقوم هى نفسها لغرس حقل للتجارب الزراعيه خاص بها

٦ ـ تهتم الشركة بالبحث عن المعادن بالاشتراك مع الحكومة المحلية فاذا عثرت على منجم مناسب فتستخرج منه المعدن بنفس الشروط التى تشترطها بالصليف

٧ ـ لا يستخدم فى الوظائف الادارية وفى الوظائف الفنية أحد من غير الامركيين والعرب

٨ ـ تعتبر هذه الاتفاقية جارية على الدوام الا انه إذا مضى سنة واحدة بعد توقيعها من الطرفين ولم تباشر الشركة فى العمل فتكون ملغية

٩ ـ يكون صاحب الجلالة الامام يحيى ملك اليمن أو من يعتمده جلالته نائباً عنه عضواً عاملا فى هيأة الشركة الادارية «وانى أتمنى لو يكون صاحب السمو محمد سيف الإسلام نائباً عن صاحب الجلالة والده الامام»

١٠ ـ نحن الموقعين أدناه نوافق على الشروط المبينة أعلاه بدون أقل تحفظ كما هى مكتوبة فى اللغة العربية المترجمة الى الانكليزية

ويبدو لجلالتكم مما تقدم فى هذه الاتفاقية أنه بوجود هذه الشركة الاميركية تربحون ، جلالتكم ، أرباحا لا يستهان بها دون أن تنفقوا درهماً واحداً وسيخصكم من الربح عشرة بالمائة وسيخص حكومتكم ثلاثة بالمئة ضريبة جمركية ، واذا وجدنا بعض المعادن الاخرى وتمكنا من استخراجها فتزداد عائدات الحكومة بنسبة زيادتها واننا نوجه نظر جلالتكم مرة ثانية الى ان هذا العمل لا يكلف جلالتكم ولا حكومتكم

شيئاً من النفقات ولا من التعب والعناء بل يعود عليكم بالفائدة ويفتح بابا للعمل واسعا لليمانيين وغيرهم من رجالات العرب واذا تم توقيع جلالتكم على هذه الاتفاقية فانى مستعد أن أباشر العمل بالصليف فوراً وبعد مباشرة العمل أذهب الى الهند لأجد سوقا لبيع الملح وأعقد هنالك مع التجار بعض عقود البيع ثم أعود الى أميركا فابتاع جميع الادوات اللازمة لمباشرة العمل وأجلب معى بعض الرجال الاميركيين الفنيين

انى لا أرى فى اقتراحاتى هذه على جلالتكم غير الفائدة المجسمة الاكيدة لكم ولشعبكم ولا أعتقد أنه توجد نقابة ما تعرف أحوال اليمن فتقدم على مساعدته وترقيته كما نحن قادمون ولا أظن أمة من الامم تخلو من الاغراض ولا تكون خطرة على البلاد كالامة الاميركية كما انى لا أظن انه توجد هيأة أميركية ترغب فى الاشتغال باليمن دون الاستعانة بى والاستفادة بمعلوماتى وخبرتى ولذلك رجائى اليكم أن تعقدوا هذه الاتفاقية بأسرع ما يمكن لان السرعة فى عقدها تعود على الجميع بالسرعة فى الارباح والتأخير فى عقدها يضيع علينا وعليكم هذه الأرباح

وزبدة القول وخلاصته أن هذه الاتفاقية فيها منافع سريعة وأكيدة أذكر لجلالتكم بعضها على سبيل التمثيل :

١ - ايجاد عمل لثلاثين رجلا اليوم ولثلاث مائة رجل حين وصول آلات المنجم وأدواته الى اليمن

٢ - تقديم تقرير من قبلى ومن قبل شركتى الى حكومة الولايات المتحدة واعلامها خبر تأسيس هذه الشركة والطلب اليها بأن تعقد معاهدة تجارية مع جلالتكم

٣ - نشر الدعايات الصحيحة فى الجرائد الاميركية والعربية لليمن

٤ - تعبيد طريق من الحديدة الى الصليف يمكن للسيارات أن تسير عليها بسهولة

٥ - تخطيط الطريق من الحديدة الى رأس الكثيب

٦ - ملاحظة الحدائق الزراعية للتجارب الفنية فى الحديدة وصنعاء

٧ - تقديم المساعدة الفنية لتعبيد الطرق ما بين الحديدة وصنعاء عن طريق معبر

٨ - زيادة نفوذ اليمن فى العالم السياسى وضمانة هذا النفوذ بوجود بعض المصالح الاميركية واكتساب صداقة الحكومة الاميركية وودها

امام اليمن يحذر أساليب المستعمرين

قدم المستر توتشل صورة هذه الاتفاقية الى جلالة الامام مصحوبة بمذكرة خاصة جاء فيها ذكر المنافع التى أوردتها للقارئ الكريم ويظهر أن المستر توتشل كان يريد أن يشوق الامام لعقد هذه الاتفاقية بالمشروعات الزراعية والعمرانية والاقتصادية ظناً منه أن هذه المشروعات ستغريه بالموافقة على هذه الاتفاقية ولكن جلالة الامام حفظه الله ادرك بذكائه العجيب ما كان يجول فى خاطر المهندس الأميركى ورفض الموافقة على عقد هذه الاتفاقية وفى حديث خاص جرى بينى وبين جلالته عن الاتفاقيات الاجنبية بصورة عامة صرح لى بانه يخشى كثيراً أن يعقد أى اتفاقية مع الأجانب لان هذه الاتفاقيات ستكون يوما ما فى جملة الأسباب التى تحدو بالاجانب الى التدخل فى شؤون اليمن وانى أعتقد كل الاعتقاد بأن جلالة الامام على حق فيما يقول ومثل الشعوب الضعيفة مع الشعوب القوية هو كمثل الحمل مع الذئب فبوسع الذئب أن يقول للحمل فى كل لحظة أنت عكرت علىّ الماء وقد شاهدنا نحن المحكومين من الأجانب قبل دخولهم الى بلادنا أنهم كانوا دوماً يقولون بأن لهم منافع وأنهم مربوطون بهذه البلاد بتقاليد خاصة وبمصالح اقتصادية ولذلك فهم مضطرون بحكم الضرورة والمصلحة الى التدخل بشؤونها للمحافظة على مصالحهم وعلى أرواح رعاياهم .

وقد قلت لجلالة الامام ما دمتم لا ترغبون فى منح أحد من الأجانب امتيازاً فالواجب يقضى عليكم بان لا تهملوا هذه الثروة العظيمة التى منّ الله بها عليكم فبوسعكم أن تجلبوا مهندسين معدنيين من الاجانب وتعقدوا معهم عقوداً وتخصصوا لهم معاشات ونفقات وتستخرجوا معادنكم بانفسكم وتستثمروا مملحة الصليف على نفقتكم فقال نعم يمكننا أن نفعل ذلك ان شاء الله ولم يمض وقت طويل على حديثى هذا مع جلالته حتى أمر جلالته نجله محمد سيف الاسلام عامل الحديدة بالاهتمام بمملحة

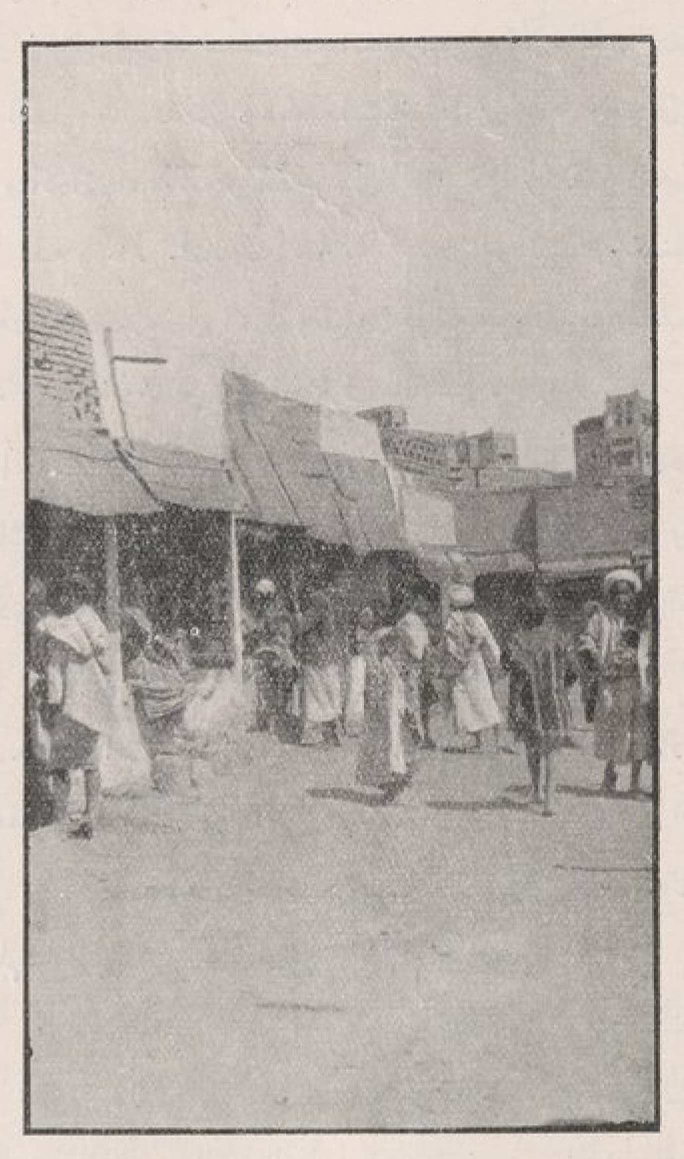
الصليف وبالحال جلب محمد سيف الاسلام رحمه الله نماذج من ملح الصليف وأرسلها الى عدن والهند وغيرهما من البلاد ليبحث عن أسواق الملح المهمة وكان فى نيته أن يوسع العمل بالصليف توسيعاً كبيراً ولكن الأجل المحتوم وافاه قبل أن يحقق هذه الامنية .

احمد سيف الاسلام

أتانى مساء أحد الأيام عقيب وصولى الى صنعاء قائد الروضى مأمور الاعاشة وكانت علامات الفرح والسرور بادية على محياه فقلت أهلا بالروضي ان شاء الله تحمل لنا بشرى جميلة فأجاب نعم بشرى جميلة وجميلة جدا فاستعدوا للغد فقلت خيرا ان شاء الله فقال غداً سيصل الى صنعاء ولى العهد سيدى احمد سيف الاسلام وجميع الناس فرحون مسرورون لأنه مضى على سيدى احمد عدة سنوات لم يأت خلالها الى صنعاء . فقلت هل تحب سيف الاسلام ؟ فأجاب اى والله انى أحبه لأنه كريم وشجاع ومحسن للناس . فقلت ومتى يصل ؟ فأجاب الظهر أو قبل الظهر ولكن يجب عليكم ان كنتم ترغبون فى مشاهدته حين وصوله أن تخرجوا مع الناس خارج صنعاء مبكرين لئلا يحضر مبكراً ولا تروه فقلت انى أشكرك ياقائد على هذه البشرى وانى سأكون سعيداً بمشاهدة سيف الاسلام ولى عهد الامام وسأخرج مع الناس غداً صباحاً ان شاء الله وانى أرغب أن اصور سيف الاسلام واصور مواكب المستقبلين فأجاب لا اخال سيف الاسلام يسمح لك أن تصوره لأنه كوالده الامام لا يحب التصوير ولكن لا بأس بتصوير الجنود والمواكب . وودعنى بعد هذا الحديث وانصرف وهو يقول لى الى اللقاء غداً خارج صنعاء فقلت الى اللقاء !

وفى صباح اليوم الثانى الأربعاء الواقع فى ٦ كانون الثانى سنة ١٩٢٧ خرجنا فى عربة يجرها حصان واحد أرسلها لنا جلالة الامام فركبناها باسم الله الى خارج صنعاء الى مسافة ساعة واحدة عنها تقريباً لنشاهد استقبال صاحب السمو احمد سيف الاسلام ولى عهد اليمن . وقد رأينا فى طريقنا أفواج الأهالى على اختلاف طبقاتهم الفوج

تلو الفوج يتسابقون الى مكان الاستقبال والبشر والسرور باديان على وجوههم كأنهم في يوم عيد عظيم وكان الجيش المتوكلي في عدته وعدده ويبلغ عدده نحو الفي جندي يسير مع امرائه وضباطه في طليعة القوم وكان يسير خلفه طلبة المدارس الحربية والعلمية



احد الاسواق في صنعاء

المتوكلية ودار الأيتام وجاء خلف تلامذة المدارس أولاد الامام سيوف الاسلام يتبعهم خلق كثير من العلماء والسادات والقضاة والحاشية. سار هذا الجمع الحاشد الى مسافة ساعة عن صنعاء ثم توقف في سهل فسيح كأنه البحر سطحه الماء وموجه الناس

يتسابقون ذات اليمين وذات اليسار . وبعد انتظارنا فى هذا السهل نحو ثلاث ساعات أقبل سيف الاسلام ولى عهد الامام بموكبه العظيم يمشي فى ركابه جمع غفير من السادة والعلماء وشيوخ عشائر التهامة كقبائل الواعضات وعبس وبنى نشر وجحود وبنى قيس وبنى مروان وغيرهم وقد سألت عن أسماء بعض هؤلاء الشيوخ فذكروا لى اسم محمد بن حيدر النعمى والسيد عبده هيج والشيخ محمد بن طاهر رضوان والشيخ على بن محمد الخميسى وما كادت أعين الناس تبصر ولى العهد حتى تراكضوا اليه وأخذوا يقبلون يديه ويسلمون عليه وأخذ الجند أيضاً سلامه ثم سار الموكب نحو صنعاء يتقدم الجموع موكب سيف الاسلام ولى العهد ويتبعه اخوانه سيوف الاسلام أولاد الامام ويتبعهم العلماء والسادة والناس على اختلاف طبقاتهم .

وقد ألقى أحد الأفاضل قصيدة عامرة بين يدى صاحب السمو جاء فيها :

نشدتك ياذكا البشرى أعيدى　　　حديث سنا الهناء لنا وزيدى
وجودى باللطائف من أمانى　　　قلوب من رجاها أن تجودى
وهبي كالنسيم على ضلوع　　　براها للقا شوق العميد
ويا فكرى وأنت رفيق نفسى　　　وما حق الرفيق سوى الأكيد
أقم حفلات أنسك واغتنمها　　　مسرات تعز على الوجود
وأسمع ما عليها صوت مدح　　　يلين للطفه قلب الكنود
وأرسلها بيوتاً عامرات　　　لها فى السمع رنات النقود
وفاء فالوفاء أجل شيء　　　يدين به فتى الرأى السديد
بحق قدوم ملك أى ملك　　　يلوح بوجهه سعد السعود
وتنتسب المعالى والعوالى　　　اليه نسبة الملك الوحيد
وتهواه المناقب ساعيات　　　اليه سعى ذى العطش الشديد
وتفتخر المواكب إذ تراه　　　تميس عليه خافقة البنود
وتخدمه الفتوح وترتضيه　　　لها مولى وهن من العبيد
وتلثم كفه الافلاك علما　　　بما فى اللثم من شرف عتيد

الى ماشئت من أوصاف مجد بجيد الدهر كالعقد الفريد
حواها شخصها العالى وضاقت بها الارجاء من عظم مشيد
ولاحت فى فم الدنيا ابتساما وحليا فوق لبات وجيد
وحاولت الكواكب فى سماها فحازت دونها سبق الصعود
وقال البدر ما ان من سبيل الى هذا العلو المستزيد
وما سيف الخلافة سيف عمرو ولكن سيف ذى العرش المجيد
فما السيف الصقيل أشد منه مضاء فى التهائم والنجود
ولا أسد الشرى تحكيه بأساً وأدنى بأسه مغنى الاسود
ولم تكن القوافى والمعانى وان نظمت صفوفا كالجنود
وسيقت زمرة بأجل مما به ظفرت عيون عن شهود
من الكف الندى الى مزايا براها الله من كرم وجود
مزايا لو ذكرن على مريض لأدرك روح عافية السعيد
ولو كسيت بها سود الليالى لعادت وهى بيضاء البرود
وهاك حديث أحمد عن سجايا معاليه عن المسعى الحميد
فمسند أحمد فينا صحيح ومروى الجدود مع الحفيد
معارف كالغطمطم زاخرات وأخلاق من الروض المجود
وقلب بالمكارم ذو ولوع وبالانصاف فى جهد جهيد
تبارك من براه من المعالى وجاء به على هذا الوجود
وأودع ذاته سراً خفياً بديع الصنع محمود الورود
واتحفنا بمقدمه المفدى على وفق الفخامة والمزيد
ولو انا وصفنا منه جزءاً لا نفد كل مقدور المجيد
ومن طابت أرومته بطه وطالت بالائمة والجدود
وكان أبوه أى امام حق فقدر علاه فوق ثنا القصيد
امام الحق ياغوث البرايا وعصمة ربنا المبدى المعيد

ومن دانت لهيبتـه معد وقحطـان على وفر العديد
أعدد فى بنيك الغر صيداً تذوب بيأسهم زبر الحديد
ولا سيما الأمير أبو العطايا صفى الدين غطريف الجنود
فـكم فتحت به أقفال قطر ومد بعزمه منصوب طود

الى أن يقول :

ولا زالت مناقبكم عقوداً على الأيام كالدر النضيد
وأيد ملكـكم ما اخضر دوح ودام زمانـكم أيام عيد

ولشدة ازدحام الناس حول ولى العهد يوم استقباله لم أتمـكن من الوصول اليه حتى ولا من رؤيته جيـداً ، ولمـا عدت الى صنعاء وقابلت وزير الخارجية القاضى محمد راغب وطلبت اليه أن يستأذن لى من سمو ولى العهد ويعرب له عن رغبتى فى مقابلته ، ولما طلب ذلك اليه القاضى لم يبخل علىّ سموه بالمقابلة وحدد موعدها صباحا نحو الساعة التاسعة وفى الوقت المعين ذهبت الى غرفة القاضى محمد راغب فى المخيم المنصور فقادنى حضرته الى غرفة فى ردهة المخيم أعدت خصيصاً لسيف الاسلام وضيوفه وزواره فى أثناء اقامته بصنعاء ، ولم يكد يستقر بنا المقام طويلا فى هذه الغرفة حتى جاءنا أحد الحجاب وقال المولى سيف الاسلام قادم فنهضنا وقوفاً حين سماعنا هذه العبارة واذا بولى عهد اليمن يدخل علينا ويحيينا بقوله السلام عليـكم فرددنا وعليكم السلام والرحمة والا كرام ، وصافحناه مصافحة ودية قلبية صميمية وشعرت حينما وضعت يدى بيده كأنى لمست تياراً كهربائياً ونظرت بعينيه فاذا بهما تفيضان مغنطيساً وشجاعة ولا أذكر انى قابلت رجلا فى حياتى ولمست الشجاعة فيه لمساً كما لمستها فى ولى عهد اليمن أحمد سيف الاسلام فان كل شىء فيه يدل على النبل والبسالة وقد لوحت الشمس وجهه الـكريم فزادته جمالا على جمال وكسته لوناً جذابا وهو قوى البنية عصبى المزاج ربع القامة ليس فيـه شىء من السمنة يرتدى ثوبا حريريا مصنوعا من صايات بـلادنا ويتمنطق بجنبية يمانية فاخرة ويحمل سيفاً صقيلا مذهباً من صنع اليمن ويتعمم بعمامـة بديعة ، وما كاد سموه يجلس حتى أذن لنا بالجلوس ، فقلت اننى سعيد جـداً يا صاحب السمو

بهذه المقابلة التى تكرمتم بها علينا وانى أحمد الله على وصولكم بالسلامة وأتوسل اليه أن يبقيكم ذخراً وسنداً للشعب اليمانى وللامة العربية . فأجاب أشكركم على هذه العواطف وأطلب من الله أن يحفظكم ويعز الاسلام والمسلمين ، فقلت ان الاسلام والمسلمين يذوقون أنواع العذاب فى جميع أقطار المعمور وما ذلك الا لتركهم دينهم وتمسكهم بدنياهم، فقال لاحول ولا قوة الا بالله ، وأنتم كيف حالكم . ومن أين أتيتم؟ وأين بلادكم، فقلت انى أتيت من مصر وبلادى الشام وحالها كحالى بالويل والثبور ، فقال والقدس كيف هى الآن ؟ فقلت تسير من سيء الى أسوأ ويبتاعها اليهود من أصحابها المسلمين شيئاً فشيئاً ، وسوف لا يمضى زمن طويل الا وتخرج جميع اراضى فلسطين من يد أهلها وتدخل فى حوزة اليهود، فقال ولماذا يبيع المسلمون أرضهم ؟ وهل يضغط عليهم أحد فى بيعها ؟ فقلت كلالا يضغط على المسلمين أحد فى بيع أرضهم ولكن الطمع والمال يقذفان بالناس الى أحضان اليهود فيبيعونهم ترات الآباء والاجداد بحطام بخس من حطام هذه الدنيا

وهنا بدت على محيا الأمير العظيم أمارات الغضب وقال (انا لله وانااليه راجعون ولا حول ولا قوة الا بالله .) ثم أردف قائلا وكيف وجدتم اليمن ؟ وهل تتضايقون من البرد ؟ فقلت أما البرد فانى لا أتضايق منه لأنى ألفته منذ نعومة أظفارى وبلدى دمشق الشام هى أبرد من صنعاء وأمااليمن فانى أغبط أهله على نعمة الحرية والاستقلال التى ينعمون بها وهم لا يشعرون والحرية والاستقلال لا يعرف قيمتهما الا من فقدهما كالصحة والعافية لا يقدرهما المرء الا متى دب المرض الى جسمه . وأما مناخ اليمن وجباله ووديانه وأنهاره وأطياره فكلها جميلة وكلها يثير الاعجاب وقبل أن أزور اليمن كنت أسمع عنها أشياء كثيرة لاتتفق مع الحقيقة فى شيء مثلا كان يقال لنا ان البيضة اذا وضعت فى الشمس (تشوى) حالا واذا خرج المرء من داره فلا يأمن على حياته الى غير ذلك من الأقوال غير الصحيحة وهذا الهراء فى القول ناتج عن عدم قيام الدولة العثمانية واليمانيين بدعاية صحيحة عن اليمن ، وياحبذا لو كنتم سموكم الآن تهتمون بهذا الشأن . فقال لايوجد عندى من الوقت متسع للقيام بدعايات لا اخالها

تفيدنا فى قليل أو كثير . فقلت كلا يامولاى ان للدعاية تأثيراً قويا وخاصة عن بلاد يجهلها العالم جهلا تاما كاليمن ولايعرف ماذا يجرى فيها وكنا أيام الدولة العثمانية لانعرف عن اليمن الا أنها مقبرة للجنود العثمانيين وهنا تبسم سمو الأمير ابتسامة النصر وقال نعم لقد كان اليمن مقبرة لجنود الدولة لأن هذه الدولة استبدت بنا وبشعبنا وداست على حقوقنا وتجاوزت الشريعة الاسلامية وأقامت فى اليمن حكما فرديا استبداديا لذلك حاربناها حتى أجليناها عن اليمن بقوة السلاح وهاأنت ترى البلاد بعد جلائها تتمتع بامن لانظير له وببحبوحة من العيش لا مثال لها ونحن الى اليوم لم نشعر ولله الحمد بالأزمة الاقتصادية المستحوذة على العالم بأسره والتى لا تخلو جريدة من الشكوى منها شكوى مريرة . ولما ذكر سمو الأمير السلاح برقت عيناه وتصلبت عضلات وجهه وكأنى به يقول وان هذا السلاح لا يزال بأيدينا واننا دواما مستعدون أن ندافع عن بلادنا وكياننا بنفوسنا ودمائنا، وهنا رأيت أن زمن المقابلة طال كثيرا فقدمت لسمو الأمير كتاب « قول الحق فى تاريخ سورية وفلسطين والعراق » كهدية ، فقال ماهذا الكتاب ؟ وما هى بحوثه فقلت ان هذا الكتاب هو تاريخ سورية وفلسطين والعراق منذ ابتداء نهوضها ومطالبتها بالاستقلال والحرية الى عهدنا هذا وقد ألفه رجل بريطانى يدعى المستر لودر كان موظفا فى وزارة الخارجية البريطانية وفى جمعية الأمم وهو واقف كل الوقوف على حوادث بلادنا وعلى الاتفاقات التى عقدت بين الدول المعظمة بشأنها. ومن مطالعته سوف ترون كيف خدع الانكليز الملك حسين والعرب وكيف كانوا يفاوضون الحسين رحمه الله لاستقلال الجزيرة العربية وفى نفس الوقت كانوا يتقاسمونها مع حلفائهم الى غير ذلك من البحوث المهمة التى تتعلق بنا وبقضيتنا . وقد نقلته الى العربية على نفقتى الخاصة حبا فى تنوير أذهان قومى وبيان الحقيقة لهم فقال بارك الله فيك سأطالع هذا الكتاب بامعان ان شاء الله وهنا ودعته وانصرفت وأنا معجب بذكائه وبما يبدو عليه من النبل والشجاعة

عدت بعد اجتماعى بولى العهد أحمد سيف الاسلام الى الدار وأنا أفكر بهذه الشخصية الكريمة الممزوجة بالشجاعة واللطف والعلم والتواضع والكرم وكان يرافقنى

أحد الجنود فقلت له هل خدمت بمعية أحمد سيف الاسلام فقال كلا لم أحصل على هذا الشرف وأنا وغيرى من الجنود نتمنى لو كنا ننقل الى جيش سيف الاسلام فقلت ولماذا ذلك . فقال لأن سيف الاسلام أيده الله يعتنى بجنوده كثيرا ويعاملهم معاملة حسنة ولى ابن عم يخدم بجيش سيف الاسلام فاذا كنت «تبغى» أى تريدفانى «ابنه لك» أى أناديه فتسمع منه الشيء الكثير فقلت انى أكون مسرورا جدا لو أحضرت لى ابن عمك . وان هى الا هنيهة حتى غادرنى الجندى بالطريق وذهب نحو صنعاء وأما أنا فذهبت الى الدار وبعد هنيهة عاد صديقى الجندى يصحبه ابن عمه وقال السلام عليكم فقلت وعليكم السلام . هل أنت من جيش سيف الاسلام فأجاب نعم حصل لى الشرف وخدمت فى جيش سيدى أحمد مدة طويلة ، فقلت وهل تحب سيف الاسلام فقال اى والله نحبه لأنه كريم ويعامل العسكر معاملة ناهية جدا (أى جيدة جدا) قلت وهل حضرت معه معارك حربية فقال نعم حضرت معه عدة معارك ونحن نحارب القبائل العاصية وكان سيدى أحمد حفظه الله يتقدم على الجميع وينقل سلاحه كأنه أحد الجنود وهو يحسن الرماية جيداً ولا يخطئ بنيشانه الهدف أبدا وفى الليل لا ينام الا قليلا ويتفقد الحراس والكركونات والمراقبين ثلاث أو أربع مرات ليلا ويأكل حفظه الله من طعام الجنود ويلبس كلباسهم ويكاد المرء لا يفرق بينه وبينهم الا بكثرة العتاد الذى ينقله فقلت له وهل أنت معه الآن ؟ فقال كلا صار لى نحو سنة بصنعاء وقد نقلت اليها مع طابورى وبالرغم من أن صنعاء بلدى وأنا هنا بين أهلى فوالله ثم والله كنت أفضل أن أبقى مع سيدى أحمد سيف الاسلام فى الحرب ولا أعود الى صنعاء ، قلت هل أنت وحدك تحبه هذا الحب لأنه كان يعاملك معاملة ناهية فأجاب كلا لست أنا وحدى أحبه بل جميع الجيش لا بل جميع أهل اليمن يحبونه لكرمه وشجاعته وأنسه وعطفه على الجيش وعلى جميع الناس فاكتفيت بهذا الحديث مع الجندى وشكرته على هذه المعلومات وصرفته الى (عقفته) أى الى (فصيلته) وصعدت الى غرفتى لارتاح قليلا .



صاحب هذه الرحلة فى منزل عبد الله عصدة و يظهر عبد الله يدخن مداعته

ساعة مع رئيس الدلالين فى عاصمة اليمن

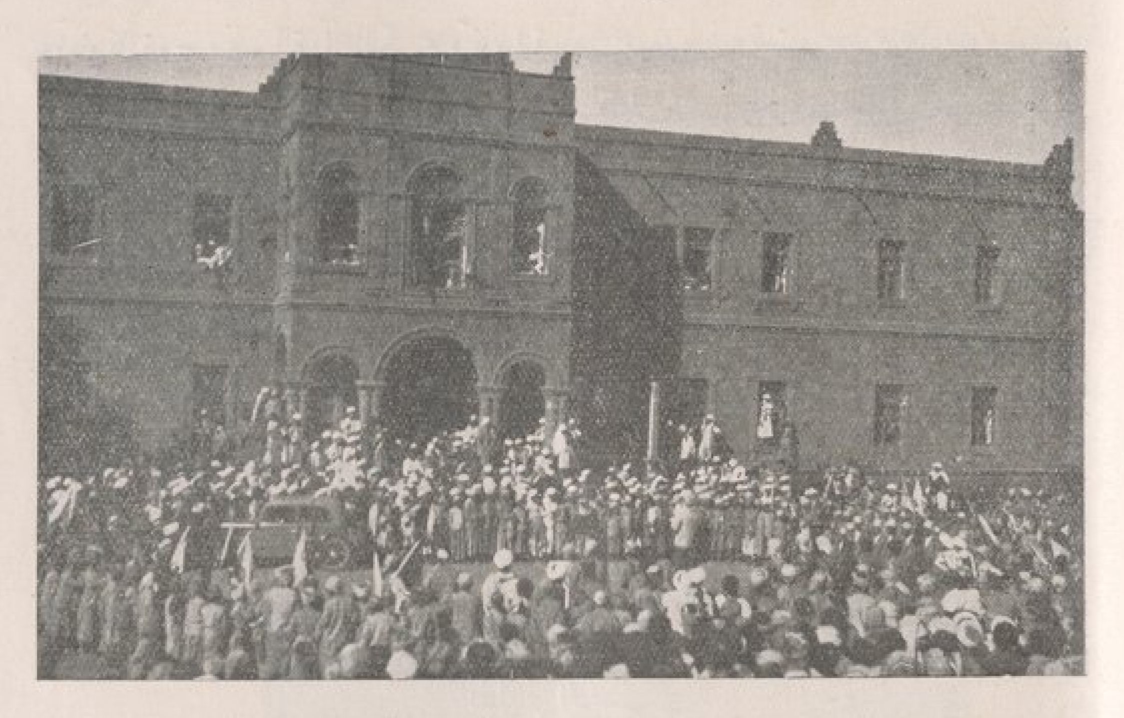
ولم تطل استراحتى فى الغرفة كثيراً اذ أتانى الخادم وقال التاجر احمد عبد الله عصدة يريد مقابلتك . فسألته وأين هو الآن فقال أدخلناه صالون الاستقبال فالبست ثيابى ونزلت للحال فوجدت احمد عبد الله عصدة جالساً أمام الشادروان فى صالون الاستقبال واحمد عبد الله هو أحد التجار المعروفين فى صنعاء ورئيس الدلالين وقد

تعرفت اليه اثر وصولى الى صنعاء وتمكنت بينى وبينه عرى الصداقة وعند ما رأيتـه رحبت به وجلست أتحدث معه . فقال انى أتيت لأدعوك لزيارتى وقد سبق لك أن وعدتنى مرارا بأنك ستزورنى والحر اذا وعد وفى فقلت هلا تعفينى من الزيارة اليـوم وتتركها الى يوم آخر ، فقال كلا أتيت خصيصا لأذهب معك الى دكانى ودارى فقلت حسناً هيا بنا . وسرت معـه من دارنا فى حى بئر العزب الى الأحياء الوطنية فى صنعاء ومررنا ببعض الاسواق والشوارع ورأيت دكانا فى أحد الشوارع يصنعون فيه الغلايين (البيبة) من القصب والخشب وصناعة الغلايين صناعة لا يستهان بهـا فى صنعاء لأن الطلب على الغلايين عظيم جدا فأكثر رجال القبائل يدخنون الغلايين وهذه الغلايين تشبه الغلايين الانكليزية والفرنجية من حيث الصناعة والهيئة ولكنها تختلف عنها بطولها فهى أطول منها كثيرا وقد شاهدت بعضها يزيد طولها على الذراع

وصلت الى دكان أحمد عبـد الله فجلست على كرسى خشبى وأجلت بصرى فيما حولى فرأيت دكانه مملوءة بالسجاجيد العجمية والنحاس القديم والحـديث وعقود الـكهرمان الأصفر الذى تتحلى به معظم نساء اليمن فيضعنه فى أعناقهن وهو من صنع ألمانيا ورأيت أيضاً أكداساً من الصايات الحريرية وصايات الديما من شـغل بلادنا وأرانى حضرته بعض السجاجيد القديمة وهى فى الحقيقة جميلة جـداً أعجبتنى منها واحدة فأردت ابتياعها ولـكن ثمنها الفاحش حال دون تحقيق أمنيتى . جلست نحو نصف ساعة فى الدكان وأنا أراقب المارة وأكثرهم من القرويين ورجال القبائل يأتون عادة الى صنعاء كل يوم ويجلبون معهم حاصـلات قراهم وبلادهم كالحنطة والشعير والزبيب والتمر والجوز والحيوانات فيبيعونها فى صـنعاء ويعودون أدراجهم بعد أن يبتاعوا حاجياتهم من صنعاء . وقد قدم لى أحمد عبد الله نوعا من الحلوى « كراحة الحلقوم » عندنا فسألته من أين تجلبون هذه الحلوى فقال من قاع اليهود وهى من صنعهم فقلت وهل تصنعون الملبس والنوقة والشوكلاتا فلم يفهم منى حضرته ماهى النوقة والشوكلاتا وأما الملبس فقال نعم يصنع اليهود عندنا ملبساً وجاب لى منه للحال وهو لا يختلف عن ملبسنا بل يشابهه كل الشبه

بعد قضاء وقت قصير فى الدكان ذهبت مع أحمد عبد الله الى داره وهى لا تبعد عن دكانه كثيراً فطرق الباب ففتحوه له من الداخل بواسطة حبل طويل مربوط فيه فصعد أمامى فى درج عريض لولبى الى الطابق الثالث وأدخلنى غرفة فسيحة مفروشة بالطنافس والسجاد العجمى والفرش الوثيرة الممدودة الى الارض فاقتعدت واحدة منها وشاهدت فوق رأسى وحولى الى الجدران رفوفا عديدة وضع على بعضها صحون نحاسية قديمة وآنية من الصينى والخزف ووضع فى منتصف الغرفة صدر كبير من النحاس الاصفر وحوله عدة أراكيل من مشغل صنعاء بعضها نحاسية وبعضها خشبية ، وما كاد يستقر بنا المجلس حتى جلبوا لنا الشاى فشربناه وتبادلنا أطراف الحديث قليلا ثم دعانى حضرته الى الصعود (للمنظرة) أى الغرفة العالية فوق البيت فصعدت واياه فوجدنا والده جالسا فيها يتناول طعامه فقال تفضلوا وكلوا معنا فقلت شكرا ياسيدى سبقنا كم بالطعام قبل وقت يسير فقال لا بل يجب أن (تمالحونا) أى تأكلوا من خبزنا وملحنا فقلت حسنا وجلست الى الارض بجانبه وأخذت قطعة من الخبز وأكلت منها شيئاً مما كان يأكله وما كدت أمضغ اللقمة فى فمى حتى شعرت كأن النار تلتهب فى فمى فبلعت اللقمة بلعا واكتفيت بها وسألت والد عبد الله ما هذا الطعام فقال بذر حلبه مطبوخ مع اللحم فقلت لاشك انه شهى جدا ولكنه حار للغاية فقال نعم انه حار لأننا نضع معه كثيرا من الفليفلة الحمراء . خرجت من المنظرة مع أحمد عبد الله وصعدنا الى سطح الدار فرأينا صنعاء تبدو تحتنا بمآذنها العجيبة وهى على غاية الجمال فسألته كم تظن يبلغ عدد الدور فى صنعاء؟ فقال على وجه التقريب ١٥٠٠٠ دار فقلت وكم عدد نفوسها فقال نحو ٧٠٠٠٠ رجل مقاتل فقلت ألا يوجد دائرة نفوس عندكم ؟ وهل أحصت هذه الدائرة عدد النفوس ؟ فقال لا أعلم ذلك ولكن جميع أهل صنعاء يقولون ان صنعاء تجند عند الحاجة سبعين ألف مقاتل فقلت حسنا هيا بنا ننزل . فنزل أمامى وأراد أن يدخلنى الى غرفة الاستقبال مرة ثانية فاعتذرت وأردت الانصراف فقال تفضل قبل أن تذهب وشاهد بعض السجاجيد فقلت حسنا ودخلت واياه الى غرفة كبيرة

يستعملها حضرته كمستودع (دبو) للسجاد فرأيت فيها شيئاً كثيرا من السجاد العجمى القديم والجديد ولكنى لم أسأله عن الثمن لانى أدركت مقدما انه فاحش جدا وما كدنا نخرج من المستودع حتى ودعته وانصرفت فاراد حضرته أن يرافقنى الى الدار فشكرته على هذا اللطف وقلت لا بل اسمح لى أن أذهب بمفردى لاننى سأعرج فى طريق على مدرسة الايتام وغيرها من الاماكن



المدرسة الحربية وقد وقف امامها تلميذ صغير من اعضاء البعثة التى سافرت الى العراق يلقى خطابا بين يدى وزير المعارف سيف الاسلام عبد الله

سرت بمفردى الى مدرسة الايتام فاستقبلنى مديرها وهو أسمر اللون ونحيف البنية ومن أصل حبشى وكان حضرته مستخدما أيام الدولة العثمانية فى (معيـة) الوالى وهو يتقن التركية فسألتـه متى تأسست هذه المدرسة ومن أسسها فاجاب بأنها تأسست هذه السنة فى آب سنة ١٩٢٧ وأسسها جلالة الامام يحيي فقلت وكم عدد طلبتها فقال ستمائة طالب فقلت وهل هم ليليون أم نهاريون فقال أربعمائة ليليـون ومائتان نهاريون فقلت هل هم من صنعاء ؟ فقـال بعضهم من صنعاء وبعضهم من خارجها فقلت ماذا

تدرسون للاولاد؟ فقال القراءة والكتابة والاملاء والصرف والنحو والقرآن . فقلت وكم صفاً عندكم ؟ فأجاب ثلاثة صفوف ومتى أتم التلميذ الصف الثالث يدخل المدرسة الرشدية أو المدرسة العلمية المتوكلية ، فقلت وهل تقدم الحكومة طعاما ولباسا للطلبة فأجاب بالايجاب فقلت : وكم عدد المعلمين فقال كثيرون وبينهم أستاذ تركي الأصل . وأدخلني الى أحد الصفوف فرأيت الطلبة جالسين الى مقاعد خشبية أزواجا أزواجا وأمام كل زوج منهم القرآن الكريم وكانوا يقرأون جميعهم في وقت واحد ويكاد صوتهم يبلغ عنان السماء . فقلت للمدير لماذا لا تدعون كل طالب يقرأ بمفرده ؟ فقال أحيانا يقرأ الطالب بمفرده أمام ستاذه وأحيانا يقرأ جميع الطلبة جميعاً على سبيل التمرين ورأيت أحد أساتذة الطلبة من مشايخ صنعاء وكان جالسا أمام تلامذته وبعد أن وقفت هنيهة خرجت من غرفة الدرس وتجولت في سائر غرف التدريس والطعام وساحة اللعب فوجدت كل شيء على ما يرام وسررت جداً لعناية جلالة الامام بتربية الاطفال الايتام وقلت يا حبذا لو كان يفتح مدارس للايتام في جميع أنحاء اليمن ولا يكتفي بمدرسة صنعاء فقط ثم مررت بالمدرسة الحربية ودخلت اليها فوجدتها بناية عظيمة قديمة قد بناها الترك ايام احتلالهم لليمن

الجامع الكبير

خرجت من المدرسة ويممت شطر الجامع الكبير وهو جامع قديم يصلي فيه الامام أيام الجمعة وهو كناية عن فسحة كبيرة حولها أربعة أروقة مفروشة بالسجاد والحصر ويجلس في أحد هذه الأروقة شيخ عالم جليل طاعن في السن يقال له السيد اسماعيل الديمي وهو امام هذا الجامع ومدرس فيه وقد رأيته جالسا يحتاط به جمع غفير من التلامذة صغارا وكبارا وهو يلقي عليهم بعض الدروس الدينية وقيل لي انه يوجد عدة مدرسين خلافه في هذا الجامع وهو ليس مسجدا فقط بل مدرسة أيضا وفيه مكتبة قيمة جدا تحتوي على أنواع الكتب الخطية القديمة والحديثة وخاصة المصاحف القديمة المشهورة وقد استرعى نظري محراب هذا المسجد فهو بسيط جدا

ومكتوب فوقه بعض الآيات القرآنية بحروف كبيرة نافرة لم أشهد مثلها من ذى قبل

وقد أخبرنى البعض أن جميع مساجد اليمن تستعمل كمدارس أيضا ويوجد فى كل مسجد عدة مدرسين يعلمون الطلبة القراءة والكتابة والدين والاملاء والانشاء والصرف والنحو . ولا يوجد مدارس بالمعنى المفهوم عندنا الا فى صنعاء والحديدة وبعض المدن الكبيرة ولكن المساجد تقوم مقام المدارس فى أغلب القرى والنواحى الصغيرة ولذلك كانت نسبة المتعلمين الى الأميين نسبة كبيرة جدا خرجت من الجامع وسرت نحو الدار من باب عدن فى طريق خلف سور المدينة ومررت ببعض الجبانات فوجدتها دارسة وخلتها لأول وهلة قديمة جدا فسألت أحد عابرى السبيل هل هذه الجبانات قديمة ؟ فقال نعم هى قديمة وجديدة فى آن واحد .فقلت هل يدفنون الموتى فيها الى الآن ؟ فأجاب نعم. فقلت ولكن أرى جميع القبور أى القديمة والحديثة متشابهة وكلها دارسة فقال نعم وخير القبور الدوارس ونحن هنا لا نبنى قبورنا ولا نكتب عليها ولا نقيم قباباً أو ما أشبه فوقها فقلت حسناً ونعم ماتفعلون وسرت الى الدار منهوكا من التعب .



السيارة التى اقلتنا ذات يوم الى الروضة والروض أى قرية القابل

الروضة وقرية القابل

ذهبت فى أحد الايام الى الروضة وقرية القابل وهما قريتان تبعد الاولى منهما عن

صنعاء بضعة كيلو مترات والثانية أبعد قليلا وهما تشبهان دمر والجديدة عندنا ويقصدهما الناس للتسلية والنزهة. ويمتد الطريق الى الروضة والقابل فى سهل واسع أرضه خصبة جدا وتحيط به عدة جبال وآكام وقد رأيت بعض هذه الآكام مغروسا تينا بعلا وبعضها مغروسا حنطة وشعيراً بعلا أيضاً ومررنا فى أول الطريق بغيل المهدى وغيل مصطفى وهذان الغيلان أو النهران ينبعان فى سهل صنعاء الواسع ويجريان تحت الأرض على عمق مترين أو ثلاثة ومجراهما قديم جدا يشبه مجارى أقنية الماء الرومانية الموجودة عندنا فى الشام . بعد مضى برهة من الزمن وصلنا الى قرية الروضة وهى تشبه صنعاء من حيث البناء والحدائق الغناء ودخلنا الى حديقة فسيحة فيها دار واسعة تخص جلالة الامام ويمر منها غيل يقال له غيل البلبلى وقد رأيت فى هذه الحديقة روضة من شجر القات وفيها أيضا بضع شجيرات من الزيتون وشيء كثير من المشمش والرمان والفلفل والليمون الحامض والكرمة الى غير ذلك من الاشجار المثمرة الكثيرة دخلت الدار فوجدت الدور الأول مخصصاً حسب العادة للحيوانات ولا نوافذ له والدور الثانى مخصصاً للحبوب والمونة والدورين الثالث والرابع مخصصين للسكن وهما مبنيان على نسق دور صنعاء وفيهما النوافذ ذات الزجاج الملون والمرمر . وبعد ما طفنا القرية وشاهدنا مسجدها الجميل ومأذنته البديعة أتممنا السير الى قرية القابل ومررنا بقرية صغيرة تدعى (علما) وبعد مسير ثلاثين دقيقة وصلنا الى قرية القابل وهى قرية صغيرة جميلة تشبه حدائقها وبساتينها حدائق الغوطة عندنا ولما تغلغلت فى هذه الحدائق مرت ببالى ذكريات جميلة ولذيذة وخلت نفسى فى غوطة الشام

قادنا السيد هاشم الذى أوفده معنا جلالة الامام كرفيق يهدينا الى الطريق ويضمن لنا راحتنا فى الحل والترحال الى دار جميلة فى حديقة واسعة لم يتم بناؤها بعد ، وقد رأينا العملة منهمكين فى البناء وكان بعضهم يبنى سوراً حول الدار ويشبه هذا السور (الدكوك) التى نقيمها حول حدائقنا فى جهة الصالحية وكان البعض يهتمون باتمام بناء الدار . طفنا حديقة هذه الدار وبعض الحدائق التى تحيط بها فشاهدنا فيها تيناً ورمانا وعنبا وسفرجلا وتفاحا ونارنجا وليمونا وكبادا الى غير ذلك من الاشجار المثمرة

ولكنها ويا للاسف مهملة لا يعتنى أصحابها بها بل يتركونها للطبيعة وقدتدلت أغصانها الى الارض وتشبكت بعضها ببعض فصارت (كالاحراج) الطبيعية البرية . وبعد الطواف فى هذه الحدائق الغناء صعدت الى الطابق العلوى فى الدار فرأيت أمامنا قصراً عظيما تداعت أطرافه وهو مبنى على رابية عالية ويمكن المقيم فيه أن يسيطر من الوجهة (الدفاعية) على الجهات الأربع ، فسألت لمن هذا القصر ؟ فقيل لى كان هذا القصر يخص أحد الائمة المتقدمين وقد تداعى بناؤه ولم يشيده أحد وشاهدت أيضا من الدار قرية القابل وبعض دورها مبنية من الحجر وبعضها مبنى من الآجر وجميعها قائمة فى منتصف واد فسيح يقال له وادى ظهر ويحيطبها من الشمال والغرب سلسلة من الجبال غير البركانية (سيد منترى) وتمتد هذه الجبال الى غرب صنعاء ، وفيها طبقة عظيمة من الحديد الجيد ؛ ويجدر بالذكر هنا أن نقول ان طبقات الأرض الجيولوجية تتغير عند ما يسير الانسان من صنعاء شمالا وفى بادىء الأمر تختلط الجبال البركانية بالجبال غير البركانية (سيدمنترى) ثم تصبح جميع هذه الجبال فى جهات وادى ظهرغير بركانية ويكثر فيها وجود العروق الصخرية الصلبة المسماة (كورتز) طفنا فى وادى ظهر وشاهدنا حدائقه ومياهه الغزيرة اللذيذة وصعدنا الى قرية حقيرة مبنية على تل كبير وتبعد قليلا عن قرية القابل ويوجد حولها مغاور كبيرة وصغيرة محفورة حفراً فى الجبال وقد قيل لنا انها من عهد حمير وان الحميريين كانوا يستعملونها دوراً لسكناهم وأما أنا فاظن خلاف ذلك وأعتقد بانها ليست دوراً بل جبانات للموتى . عدنا بعد طوافنا هذا الى الدار فوجدنا طباخ جلالة الامام الذى جاء معنا قد أعد لنا أنواعاً كثيرة من الطعام ووجدنا السيد احمدهاشم فى انتظارنا لأنه لم يرافقنا فى طوافنا لشدة تعبه فجلسنا وإياه الى سماط أعد لنا على الأرض وتناولنا الطعام (بالخمسة والكف) بشهية زائدة وبعد تناول الطعام جلسنا نتبادل أطراف الحديث مع السيد المشار اليه وجلس حضرته يمضغ قاته ويدخن مداعته (أركيلته) وقال لنا انه مسرور جدا بهذه الرحلة لان القات هنا جيد جدا وكان حضرته يتكلم وفمه محشو بالقات فقلنا « كل هنيئاً وامضغ مريئاً » وقد طالت جلسة القات نحو ساعتين ونصف ساعة تقريباً ،

وبعد فراغ السيد أحمد من « تخزين » قاته ركبنـا سيارتنا وعدنا الى صنعـاء ونحن مسرورون جداً من هذه الرحلة اللطيفة الجميلة . وقد بنى جلالة الامام فى هذه القرية مسجداً جميلا صلينا فيه مرارا عند ما زرنا القابل بمعية جلالته



المسجد الذى بناه جلالة الامام اخيرا فى قرية الروض و يظهر فى الصورة حضرة عامل صنعاء والقاضى حسين المطهر وغيرهما من السادة والقضاة

بعد ما قضيت فى صنعاء اكثر من شهر من الزمن عولت على العودة الى مصرولما كنت اكره سفر البحر كثيراً لاننى أصاب بالدوار وخاصة فى السفن الصغيرة التى تروح وتغدو بين الحديدة وعدن فكرت بالعودة الى عدن عن طريق البر أولا لأتخلص من البحر ودواره وثانيا لكى أتمتع بمشاهده اليمن اكثر فاكثر وبمـا ان السفر عن طريق البر يحتاج الى اذن خاص من جلالة الامام صممت على طلب هذا الأذن عنـد وداع جلالته فقمت ذات يوم مبكرا وسرت نحو سراى جلالته وأخذت لجلالته معى بعض الصحف المصرية وقد جاءت فيها أخبار كثيرة عن اليمن

وصلت الى السراى قبـل خروج جلالة الامام وجلوسـه فى الناس تحت شجرة

الفلفل ليقضى بينهم فانتظرت قليلا فى ساحة السراى وأخبرت رئيس الحراس بانى أرغب مقابلة الامام فأجابنى حضرته بانه سينب (أى سيخبر) الامام بقدومى ولم يمض بضع دقائق حتى أتانى الأذن بالمثول بين يدى جلالته داخل حديقة قصره فدخلت عليه وكان جلالته جالساً على كرسى خشبى عال وأمامه كرسى خشبى واطئ فحييته بقولى أسعد الله صباح جلالة أمير المؤمنين وهممت بتقبيل يده فدفعها لى ولما لمستها سحبها بلطف زائد وأجاب صبحك الله بالخير والعافية كيف حالك وهل من حاجة تروم قضاءها ؟ فقلت نعم يامولاى انى أرغب بالعودة الى مصر عن طريق عدن برا وأرجو جلالتكم أن تسمحوا لى بذلك فقال ان طريق البر بعيدة ووعرة وستلاقى فيها مشقة لا يستهان بها فقلت انى أفضل سفر البر على سفر البحر ياصاحب الجلالة لانى أصاب فى البحر بالدوار أولا وأرغب فى مشاهدة اليمن ثانياً فقال جلالته ما دام الامر كذلك فانى أسمح لك بالسفر عن هذه الطريق وسآمر بلزوم اعطائك جندا وبغالا لهذه السفرة فقلت شكرا والف شكر لكم يامولاى فقال ولكن لماذا هذه السرعة هل مللت من السكنى باليمن ؟ فقلت كلا يا مولاى لم أمل السكنى ولكنى مرضت قليلا وأرغب فى العودة الى مصر لكى أتعالج فقال ما دام الامر كذلك سر على بركة الله فقلت سأسافر غدا صباحا ان شاء الله فقال حسناً

اطلعت عندئذ جلالته على جريدة الاخبار المصرية وقد جاء فيها ان أنيس باشا الطيار المصرى المعرف سينشئ بالوكالة عن سمو الخديوى عباس بنكا فى اليمن وسيشرع فى تعبيد الطرق ومد السكك الحديدية وجلب الطيارات الى غير ذلك من الاخبار والمشروعات. فقلت هل هذا صحيح ياصاحب الجلالة ؟ فقال كلا هذا غير صحيح ولكن ماقولك يا نزيه فى الاستعانة بالخديوى عباس لتأسيس بنك فى اليمن ؟ وهل للخديوى عباس علاقة بالدول الاجنبية ؟ فقلت علمكم أوسع يامولاى وأما هذا العاجز فلايرى بأساً من الاستعانة بصاحب السمو الخديوى عباس ولا أعتقد ان لسموه علاقات سياسية مع الدول الاجنبية وهو رجل مثر عظيم يمكن الاستعانة به دون خوف أو وجل

ثم قرأت له فى جريدة ثانيـة أخبارا عن عسير وعن تأسيس الأدريسى تلغرافاً لاسلكيا فى جيزان وعن تعدياته على اليمانيين وتجاوزه على أراضيهم فكذب جلالته أمر هذه التـعديات وأقر نبـأ تأسيس التلغراف اللاسلكى فقلت ألا يرى صاحب الجلالة لزوما لتكذيب هذه الاشاعات فقال أنا لا أعول على أخبار الجرائد ولا اكذب شيئا ولا أهتم بما ينشر عنى أبدا فلو أردت ان اكذب كل خبر غير صحيح ينشر عنى وعن اليمن فى الجرائد التى يبلغ عددها ألوفا كثيرة لأضعت جميع أوقاتى فى هذه القشور وضيعت اللباب فقلت ولكن يا مولاى ان للجرائد تأثـيرا لا يستهان به فى الدعايات والنشريات فقال جلالتـه أيوجد فى البلاد العربية بلد فيها جرائد اكثر من مصر ؟ فقلت كلا يا مولاى ان مصر تفوق جميع البلاد العربية حتى وبعض البلاد الأوربية فى عدد صحفها واتقان هذه الصحف نشر الاخبار والقيام بالدعايات فقال وهل حققت هذه الجرائد الكثيرة المتقنة لمصر استقلالها ؟ فقلت كلا ولكنها أنارت الرأى العام فى أوربا بأن هنالك قضية مصرية وان هذه القضيـة لم تحل بعد ولا تزال موضوع مشادة عنيفة بين مصر والانكليز فقال حسنا حسنا ونهض واقفا فنهضت للحال فخرج جلالته من باب الحديقة ودخل الى فسحة السراى الكبيرة وجلس تحت شجرة الفلفل ودعانى للجلوس بجانبه فامتثلت الامر طائعا وجلست أراقب حركاته وسكناته وكان جلالتـه يقبل وقتـئذ شكاوى الناس ويقرأ عرائضهم ويحولها الى مراجعها الايجابية بخط يده الـكريمة . وبينما نحن على هذه الحال واذا بغلام صغير ينادى بأعلى صوته وامتوكلاه وامتوكلاه وكانت نبراته تدل على الفزع والرعب . نهض جلالة الامام واقفا عند سماعه هذه الاستغاثة ونادى بالحجاب على بالغلام وبرقت عيناه بريقا مخيفا وتقلصت عضلات وجهه وفارقته الابتسامة اللطيفة وحل محلها عبوس شديد وتقطيب مخيف. فوقفت الى جانبه وحبست أنفاسى وأخذت أراقبه وأراقب الجنود وإذ هى الالحظة حتى أتى الحاجب بغلام يافع طرح نفسه على اقدام الامام واخذ يقبلها ويقول مظلوم يا أمير المؤمنين مظلوم ويحولون دون وصولى اليك ورفـع له عريضة كان يحملها فى يده . رفع جلالة الامام الغلام من فوق الارض بيده الكريمة وأجلسه أمامه وقرأ عريضته وحولها الى مرجعها

الايجابي . ونادى بالحاجب احضروا الحارس الذى منع هذا الغلام من الوصول الى
فأحضروه للحال فأمر جلالته بجلده أمام رفاقه وسجنه فجلد فورا وسيق الى السجن
فى الحال . وهذا الحارس هو نسيب للغلام وأراد أن يحول دون وصوله الى الامام لان
شكواه تضر بمصلحته الخاصة فكان جزاؤه الجلد والسجن وقد ذكرتنى هذه الحادثة
بقول السيد المسيح « دعوا الصغار يأتون الى ولا تمنعوهم لان لمثل هؤلاء ملكوت الله »

وكان جلالة الامام يلبس هذا النهار على رأسه عمامة بيضاء كبيرة ويرتدى ثوبا حريريا
رقيقا وفوقه قنباز حريرى مصنوع من صايات الشام ويتشح بوشاح ثمين وجميل
ويتمنطق بجنبية يمانية وحزام يمانى وقد علق فى جنبيته سبحة كارباء صفراء اللون
وعدد حباتها مائة حبة وحبة ويحمل حساما يمانيا خفيفا نصفه مذهب ونصفه مفضض.
وبعد ماهدأ روع الامام وخف غضبه استأذنته بالانصراف قائلا اذا كان لجلالة الامام
خدمة خارج اليمن يرغب قضاءها فانى رهن اشارته وطوع أمره فقال ليس لى من
حاجة انما لاتنسانا ياولدى وا كتب لنا أينما كنت وكيفما توجهت فقلت سمعا وطاعة
ياصاحب الجلالة وبالفعل قمت بهذه الوصية حق القيام ولا أزال الى هذا التاريخ
ا كتب لجلالته بين حين وآخر . وفى نهاية هذا الحديث قبلت يده وانصرفت وأنا
أفكر فيه وفى عدله ولطفه ولينه وشدته معاً

حديث مع عامل صنعاء السيد حسين عبد القادر

زارنى صباح ذات يوم فى رحلتى الاخيرة سنة ١٩٣٦ على حين غرة عامل صنعاء
السيد حسين عبد القادر دون أن يرسل جنديا أمامه ليخبرنى بوصوله كما هى العادة
المتبعة عند السادة و كبار رجال الدولة والسيد حسين عبد القادر من الرجال الذين يشار
اليهم بالبنان وهو ضخم الجثة جميل الوجه كبير الرأس طويل القامة متناسب الاعضاء
خفيف اللحية يضع على رأسه عمامة بيضاء ويتمنطق بجنبية قديمة ويلبس أثوابا
حريرية من شغل الشام وقد كان حضرته أيام الترك قائمقاماً باليمن ثم انتخب مبعوثا
(أى نائبا) عن اليمن فى مجلس المبعوثان العثمانى وذهب الى اسطانبول وفى أول حكم



عامل صنعاء والسيد حسين عبد القادر

جلالة الامام واحتلاله للحديدة عينه جلالته عاملا على الحديدة وتهامـة وبقى هنالك عدة سنوات وفى أول رحلاتى الى اليمن قابلت سيادته فى الحديدة وأعجبت بلطفـه ومقدرته وتمـكنت بيننا الصداقة ولما كان سيادته من الذين يحافظون على المودة فقد تلطف بهذه الزيارة الفجائية غير المنتظرة لأن حضرات السادة فى اليمن قلما يزورون أحدا من ضيوف اليمن قبل أن يزورهم وخصـوصاً اذا كانوا من العمال والحـكام . وما كاد يستقر به المقام حتى قال الحمد لله على العافية كيف أنتم وكيف حال أهلـكم وبلادكم فقلت أما نحن فاننا لله الحمد بخير فقال الحمد لله على العافيـة وهيا سامحوا على قصورنا لأننا لم نأت لزيارتـكم قبل اليوم حيث اننا لم نعلم بوصولـكم الا هذا النهار

من صديقكم وصديقنا السيد محمد زبارة وقد كنا أبصرنا كم فى الطريق عن بعد ولم نعرفكم، فقلت على كل حال أشكركم على هذه الزيارة فقال لاشكر على واجب وهذا بيتنا قريب منكم وهو بيتكم فمروا بما شئتم فقلت جعله الله عامراً وأطال عمركم وأ كثر من أمثالكم . فقال متى خرجتم من دمشق فقلت قبل أربعين يوماً تقريباً فقال وكيف حال بلادكم فقلت انها تسير من سيء الى أسوأ فى ظل الانتداب واننا نغبطكم أنتم معاشر اليمانيين على الاستقلال المتمتعين به والذى لايعرف قيمته بعض رجالكم وفى الحق ان الاستقلال كالصحة لايعرف قيمتها الا المريض والاستقلال لايعرف قيمته الا المستعبد فقال صحيح صحيح لاحول ولا قوة الا بالله وما هى أخباركم الاخيرة عن حالة الدنيا ؟ فقلت كما تسمعون وتقرأون فى الجرائد الدنيا قائمة وقاعدة بسبب حرب ايطاليا والحبشة وبريطانيا تناصر الحبشة فى جمعية الأمم، فقال نعم هذا صحيح ولكنها بدون شك لاتفعل ذلك حبا فى جمال عيون الحبشة وانما تفعله حبا فى مصلحتها الخاصة اذ هنالك منابع النيل وطريق الامبراطورية الى الهند واستراليا فقلت لاريب فى ذلك فلو أن بريطانيا كانت حقيقة تحافظ على عهد جمعية الامم كما تزعم لوقفت هذا الموقف ضد اليابان عندما ابتلعت منشوريا لقمة سائغة فقال نعم كان من الواجب أن تفعل ذلك لأن بلاد منشوريا بلاد عظيمة وسكانها يعادلون عدد سكان اليابان تقريباً . فقلت وهل تظنون أن لنا فائدة من هذه الحرب ؟ فقال ويا للاسف ان العرب متفسخون ومقسومون بعضهم على بعض فتجد كل قطر يعادى القطر الآخر وسكان نفس القطر الواحد غير متفقين فيما بينهم فلو كنا كلمة واحدة وشددنا أزر بعضنا بعضا لاستفدنا فائدة عظيمة وخشيتنا الدول الطامعة فينا فلو اتفق اليمن والحجاز ونجد والعراق مثلا وصاروا يقولون قولا واحدا ويتبعون سياسة خارجية واحدة فلا شك انهم يستفيدون فائدة عظيمة وقد تعم هذه الاستفادة أيضاً المناطق المشمولة بالانتداب والحماية الأجنبية وعلى كل حال يجب أن لايغرب عن بالكم انه من الواجب علينا أن نستعد للطوارىء وذلك بأن نجهز أنفسنا بكل شيء يدفع عنا طمع الطامعين ومما يسترعى نظرى فى هذا العصر الذى يقولون عنه عصر العلم والفن والرحمة والشفقة والنظام والقانون الخ . والذى

يستهجن فيه معاصرونا من الفرنجة عادات العرب القديمة ويؤاخذونهم عليها كوأد البنات [١] مثلا ولا يؤاخذون أنفسهم على وأد الرجال والنساء والاطفال والشيوخ والعجزة بقنابل مدافعهم وقذائف طائراتهم وهم عوضا من أن يعترفوا بفظاعة هذا العمل المشين يقولون عنه كما هى الحال فى الحبشة الآن انه عملية تطهير وتمدين الخ الخ . ولذلك فانى أرى من الواجب علينا معاشر العرب أن لا نؤخذ بأقوال الغربيين المعسولة ووعودهم المزخرفة المطاطة بل يجب أن نستعد كما قلت سابقا للطوارئ كل الاستعداد وقد جاء فى الامثال اليمانية عندنا قولهم : ياعنز يارابضة كل المكامن عليه (أى ياعنز ياجالسه كل الانظار متجهة اليك) فقلت لاشك انكم محقون فى هذه الشكوى المريرة من تخاذل العرب وأرى من واجبنا جميعا أن نسعى بالقول والعمل لتقوية الروابط العربية بكل الوسائل وأرى أن العنز الرابضة هى اليمن وان بعض الدول الأجنبية طامعة فيه وهى تظهر لكم الصداقة وتضمر خلافها فقال صحيح صحيح الله يحفظ الامام انه عالم بكل شىء فلا يخفى ذلك عليه

وبعد مضى بضعة أيام رددت الزيارة للسيد حسين عبد القادر فى داره فأدخلنى أحد الجنود عليه الى غرفة استقباله الكائنة فى الدور الثانى وكان سيادته جالسا فوق فرش وثيرة غطوها بالسجاجيد العجمية وقد صفت الفرش فى جنبات الغرفة ووضعت فوقها الوسائد الكثيرة ليتكئ عليها الجالسون ورأيت فى الغرفة أكثر من عشرة رجال من وجهاء صنعاء وساداتها وقضاتها جالسين فوق هذه الفرش يخزنون القات فبادرتهم بقولى : السلام عليكم فأجاب الجميع وعليكم السلام ونهض العامل مسرعاً نحوى الى الباب وقادنى بيده الى حيث كان جالساً وقال تفضلوا واجلسوا وبعد قليل قدم لى سيجارة فقلت أشكركم أنا لا ادخن فقال مداعة فقلت لم استعملها فى حياتى فقال عجيب عجيب ووافق على قوله الجمهور بان أبدوا تعجبهم وقال أحدهم ان فى التتن والتنباك راحة للانسان فقلت قد يكون ذلك حقاً مع بعض الناس ولكن لا شك

---

(١) هذامع العلم بأن اليونان - وهم أساتذة الفلسفة والاخلاق - كانوا يئدون الصغار الضعاف من الصبية والبنات على السواء

ان كثرته مضرة ولكن سيجارة واحدة بعد الطعام تسهل الهضم وتسكن الرأس فأجاب آخر ان الاكثار من كل شيء مضر فلو شربنا كثيرا من الماء لضرنا ثم انتقلنا الى الحديث عن القات فقال العامل ان فيه سلوى وراحة ولم أشأ أن ادخل فى جدال بمضار القات لذلك وجهت اليهم هذا السؤال هل تعلمون من أين أصل القات؟ فأجاب العامل يقول بعض الناس ان أصله من اليمن ويقول آخرون لا بل ان أصله من الحبشة فقلت وكيف صار استعماله عادة ؟ فقال يزعمون ان أحد الرعاة كان يجد كل يوم قسما من معزه يأكل من شجر القات فينام ويستريح بخلاف القسم الآخر الذى لا يأكل فلا ينام ولا يستريح فأخذ الراعى ذات يوم شيئا منه وأكله فاستراح فدل الناس عليه فصار عادة بينهم ولا شك انه يوجد بالقات مادة مثل الكينا ويظهر هذا من طعمه وتأثيره فى الجسم فهو يقاوم الملاريا ويفيد فى الوقاية من الحميات وهذا ثابت بالتجربة وقد صادق جميع الحاضرين على حديث العامل فلم أرغب أن أدخل فى جدال لا فائدة منه معهم فغيرنا حديثنا الى موضوعات مختلفة تناولنا فيها حروب اليمن مع الترك وقيام جلالة الامام بنهضته وتخليصه البلاد من النير التركى وتحضيرها وتجنيد الجند . ثم سألنى أحد الجلوس عن رأيى فى الحرب الايطالية الحبشية فقلت انها حرب استعمارية فايطاليا زاد عدد سكانها وقد ضاقت أرضهم فخرجوا يبحثون عن منفذ لهم فلم يجدوا أفضل من الحبشة لاتساعها وغناها وضعفها، فقال وهل تسمح لهم المعاهدات الدولية والاتفاقات العالمية بهذا الفتح؟ فقلت ياصاحبي ان المعاهدات الدولية أصبحت قصاصات ورق لا قيمة لها ولا فائدة وكل معاهدة لا تدعمها قوة المدفع والطائرة فهى معاهدة هوائية، ولا شك أنكم تذكرون انه يوجد معاهدة صداقة ووداد بين ايطاليا والحبشة وتعلمون أن ايطاليا هى التى أدخلت الحبشة فى جمعية الامم ولكن لا المعاهدة ولا جمعية الامم أفادت الحبشة فى غزو الطليان لها لأن الحقوق الدولية لا تؤيدها الا القوة المادية وفى مناسبات كثيرة تبين لنا أن الاعتماد على جميعة الامم لا يفيدنا لان هذه الجمعية ليست سوى اداة للقوى يستعملها فى تنفيذ مطامعه مع الضعيف ولكن لا يمكن استعمالها فى الوقوف بوجه ما مع القوى ضد القوى ، فقال الجميع صحيح صحيح

وأظهروا تخوفهم من الجشع الايطالى فقلت لهم لا شك أنكم محقون فى هذا الخوف فقال أحدهم ألا تظن أن الطليان سيجندون الاحباش فى المستقبل ؟ فقلت أنا على مثل اليقين بأنهم سيفعلون ذلك ويغزون بالاحباش غيرهم من الامم المجاورة لهم فأطرق الجميع الى الأرض كأن على رؤوسهم الطير فبدلنا هذا الحديث بغيره من الأحاديث المحلية، ثم استأذنت العامل فى الانصراف وودعت القوم وعدت من حيث أتيت .

وداعا يا صنعاء

وفى صباح اليوم الثانى الموافق ٢ كانون الاول سنة ١٩٢٧ أتانا بعض الجنود الى الدار يقودون عدة بغال وقالوا أتينا من المقام الشريف لنسافر بمعيتكم الى ماوية، فقلت حسناً حملوا هذه الأشياء والصناديق فحملوها وركبنا على أحد البغال وخرجنا من الدار بعد أن ودعنا بعض الأصدقاء الذين أتوا خصيصاً لوداعنا، وشعرت فى ساعة الوداع بانقباض ووحشة رهيبتين فى نفسى وخلتنى افارق بلدى وأهلى . سار موكبنا من حى بئر العزب وخرجنا من باب خزيمة ووجهتنا قرية حزيز وما كدنا نسير بضع دقائق حتى لحق بنا أحد السادة ممتطياً بغلا وقال السلام عليكم فقلنا وعليكم السلام والرحمة والاكرام الى أين أنتم ذاهبون؟ فأجاب الى حزيز وأنا عامل الامام عليها فقلت أنعم وأكرم بكم يسرنا جداً أن نترافق وإياكم فى الطريق فقال لا نكتفى برفقة الطريق فقط بل نرغب لو قضيتم عندنا يوماً أو أكثر فقلت أشكركم جدا على هذا اللطف . وسارت طريقنا فى مرتفع من الأرض نحو ثلاث ساعات كان يحدثنا فيها العامل السيد محمد عبد الله الطايفى أحاديث جميلة ولذيذة فلم نشعر بمرور الوقت . وصلنا حزيز نحو الظهر وقادنا العامل الى داره ولم يسمح لنا بالسفر الا بعد تناول الطعام على مائدته وبينما كانوا يعدون لنا الطعام خرجت الى القرية ودخلت مسجدها وهو مسجد صغير وجميل وفيه بئر ماء يبلغ عمقها ٧٠ قدماً . ويوجد فى الجهة الشرقية من هذه القرية جبل مرتفع يقال له جبل المحاجرى وفيه بعض المعادن ويوجد الى جانبه جبل آخر أعظم منه وأعلى منه ويقال له جبل الخصفة وفيه شىء كثير من الآثار الحميرية . وبعد

طوافنا فى القرية ومشاهدة منازلها المبنية من الحجر والخلب (أى الطين) عدنا الى دار العامل فوجدنا الطعام جاهزاً وهو مؤلف من بزر حلبة مدقوقة ومطبوخة باللحم وبيض مقلى بالسمن وخبز مقلى بالسمن أيضاً . تناولنا طعامنا بلذة زائدة . وكان حديث العامل ولطفه يزيدان فى لذة الطعام . وبعد أن استرحنا قليلاً استأذنا العامل فى السفر فأذن لنا وخرج لوداعنا حتى آخر القرية حيث امتطينا بغالنا ووجهتنا وعلان وسارت بنا الطريق فى تصعيد خفيف وتصلح هذه الطريق لسير السيارات وكان الطقس جميلا والهواء عليلا مما أهاب بأحد جنودنا أن ينشد قصيدة عامية (قرادية) بنغم جميل وصوت عذب أنسانا الطريق والسفر وكل شىء غير المغنى الجميل - ولدى طلبى له - واسمه حمادة بن احمد ذهبان - أن يسمعنى قصيدته أنشد يقول :

ألا وابدأ نشيدى بالمنور [1] ... ويا ريتن قلبى زايرنه
ألا وادريس نزعها بالتكبر ... غرب نجمه ولا شىء يصح منه
ألا بالله سائلك تنصر المام [2] ... وتقضى حاجة المطلوب منه
وكم ولد مات فى تهامه ... مثل الكلب ماحد قابرنه
عزمنا للجهاد فى فطر أول [3] ... والأخ الضيا [4] كان غافلنه [5]
وثالث يوم ندخل عند مولاى [6] ... يعد القوم ويدى الصرف منه
فعدنا خمس أيام لا زيادة ... وقد أمر الامام مستعجلنه
قيام يا ولاد عسكر لا توانوا ... كما أمر الامام لا بد منه
وكم ذا الصبر فينا يا جماعة ... على أمر الامام مستنظرنه
ألا قم يارسولى شد واعزم ... وصل أرض اليمن واتخبرنه
تخبر بكيل [7] كم من هلالى [8] ... وكم من ولد قلبى فاقدنه
وأجمع القوم لقاع ابن جمعان [9] ... على الحجز [10] الذى جاء البدع منه
تقسمنا العنو [11] فى ساع أربع ... وشلينا [12] الجبل والقاع كله

(١) النبي محمد(ص) (٢) الامام (٣) عيد الفطر (٤) أخوه الذى يشبه القمر (٥) غالب (٦) الامام (٧) اسم قبيلة كبيرة (٨) شب كالهلال (٩) اسم شخص (١٠) اسم قبيلة خانت وغدرت بجنود الامام (١١) المكان المطلوب مهاجمته (١٢) احتلينا السهل والجبل فى أربع ساعات

ألا واختم نشيدى بالمنـور ويا ريت قلـبى زايرنه

عند ماأتم الجندى على القاء قصيدته هذه سألته من نظمها ؟فقال انه نظمها لما دعى الى الجندية لمحاربة ابن جمهان الذى كان عاصياً على الامام فسألته وهل تجندت بالقـوة الاجبارية أم تطوعت من تلقاء نفسك؟ فقال: تطوعت من تلقاء نفسى كما تطوع غيرى من الناس لمحاربة أعداء الامام فقلت وهل تحب الامام الى حد يسهل معه عليـك أن تتطوع فى الجيش وتموت ؟ فأجاب : روحى ومالى وأهلى فـداء للامام أنا وجميع سكان اليمن من الزيود رهن اشارة الامام وقد حاربنا معه أعداءه الترك وانتصرنا على الجيوش التركية بالرغم من كثرتها وقلتنـا وليس هذا بعجيب وقـد قال والد مولانا الامام ان هذا الولد (أى الامام يحيى) سيأتى بالعجب ويدوخ العـرب حتى والعجم وكان يسمع هذا الحديث جندى آخر يقال له السيد احمد مرسل فأثنى هو أيضاً على الامام ثناء عاطرا ولـكنه غمز فى قناة بعض الذين حوله قائلا انهم غير مخلصين لامامهم وأمتهم بالرغم من تظاهرهم بالاخلاص وقال أيضاً ان بيت مال المسلمين غنى وغنى جدا والحبوب مدفونة بالأرض فى أماكن مختلفة وفى سنين المحل يعطى الامام الزراع بدار ولـكنه يستوفيه منهم أيام البيدر .

بعد مسير نحو أربع ساعات فى طريق حسنه تصلح لسير السيارات ، وصلت الى قرية (وعلان) وهى قرية صغيرة حقيرة مبنية على طرف واد ضيق لايتجاوز عرضـه ثلاث مائة متر ، تحيط بها الجبال من الشرق والغرب والجنوب ، وبوجد على مسافة كيلو مترين منها بعض البساتين والحدائق المشجرة وفيهـا المشمش والرمان والتفاح والسفرجل والـكرمة وغيرها من الاشجار المثمرة . وتعلو وعلان عن صنعاء نحو ٥٠٠ قدم فصنعاء على علو ٧٦٠٠ قدم ووعلان ارتفاعها ٨١٠٠ قدم وبيوتها مبنية من الطين والحجارة ويوجد فى وعلان يهود بكثرة ويقطنون فى حى خاص بهم ويشتغل معظمهم بالتجارة والاشـغال اليدوية ويشتغل بعضهم بحراثة الأرض كعملة عند المسلمين لا كملاك . ويوجـد فى وعـلان مسجد صغير مال عليـه الدهر بكلـكله فخربه ويظهر انه بنى قديماً على طريق الحج وخصص لاستراحة الحجاج .

قضينا ليلتنا فى وعلان فى احدى المقاهى لأنه لا يوجـد فى وعلان عامل ولا دار للحكومة ولما نهضت فى الصباح وسألت صاحب المقهاية عن حسابه فقال نأخذ منامة عن كل شخص (بقجتين) أى نحو ثلاثة غروش سورية . فنفحناه حسابه وقلنا بارك الله فى هذه البلاد السعيدة التى ينام الانسان فى مقاهيها بثلاثة غروش فقط لاغير وكان قد جلب لنا أيضاً بيضاً وحليباً ولبنا ودجاجا وخبزاً لاطعام ستة أشخاص فسألناه عن الحساب فقال ثلاثة أرباع الريال أى نحو ثلاثين غرشا سوريا . لم نستغرب هذا الحساب اليسير لأن كل شىء فى العربية السعيدة رخيص جداً ماخلا القات

فى الطريق الى معبر

سرنا فى صباح السبت الموافق ٣ كانون أول سنة ١٩٢٧ من وعلان نقصد قرية معبر وهى المرحلة الثانية من صنعاء الى عدن . وكان البرد شديدا فشعرت بقشعريرة تسرى فى جسمى سريان الـكهرباء فنزلت من ظهر البغل وسرت على الأقدام فى واد يقال له وادى خدار وكان الطريق جيدا يصلح لسير السيارات وبقينا نصعد على هـذا الطريق بين الجبال والوديان الى أن وصلنا الى قرية خدار التى تعلو على سطح البحر ٨٤٠٠ قدم وبالقرب من خدار يتسع الوادى فيبلغ عرضه نحو ٥٠٠ متر ويوجد حول خدار عـدة آبار وماؤها لا يبعد عن سطح الأرض سوى سبعة أمتار ويشتغل فى هـذه الآبار الانسان بدلا من الحيوان وقد رأيت على كل بئر أربعة أو خمسة رجال ربطوا أنفسهم الى الحبال وأخذوا يسحبون دلاء الماء كما يسحبها الحيوان ورأيت حول هذه الآبار حقولا كثيرة من (الفصة) ويقولون لها فى اليمن (قضب) ويغرسون حول هذه الآبار أيضا ذرة وشعيرا وحنطة ولـكن لا أثر للاشجار المثمرة وغير المثمرة ههنا وقد جلسنا بالقرب من أحد هذه الآبار طلبا للاستراحـة فأتى نحونا شيخ طاعن فى السن ولـكنه جليل الطلعة على وجهه هيبة ووقار فسألنا الى أين أنتم ذاهبون؟ فقلنا الى عدن فقال كان الله بعونـكم ان سفرتـكم طويلة وشاقة فقلت ولـكنها على كل حال ليست أشق من العمل على البئر، فقهقه ضاحكا وأدرك النـكتة وقال : ولـكن هؤلاء الشقاة

(أى العمال) قد ألفوا الشغل على البئر وصحتهم جيدة وأجسامهم قوية وأما أنتم فيبدولى انكم نحيفو البنية وضعيفو الجسم فقلت لاعبرة بالسمنة فالعصبي المزاج يبقى طول حياته نحيفا فقال أى نعم فسألته بدورى كم ساعة يعمل الشقاة على البئر؟ فقال من الصباح حتى ينضب ماء البئر فقلت ومتى ينضب الماء؟ فقال نحو العصر فقلت ولماذا ينضب؟ فقال لأن نبعه من التراب لامن الصخر ، فقلت ولماذا لاتعمقون البئر حتى الصخر؟ فقال لأننا لسنا بحاجة الى شيء كثير من الماء ولا نريد أن نعمق البئر حتى لا يصعب العمل ،فقلت وكم تدفعون للعامل مياومة؟فقال أربعة (بقش) أى نحو سبعة قروش سورية

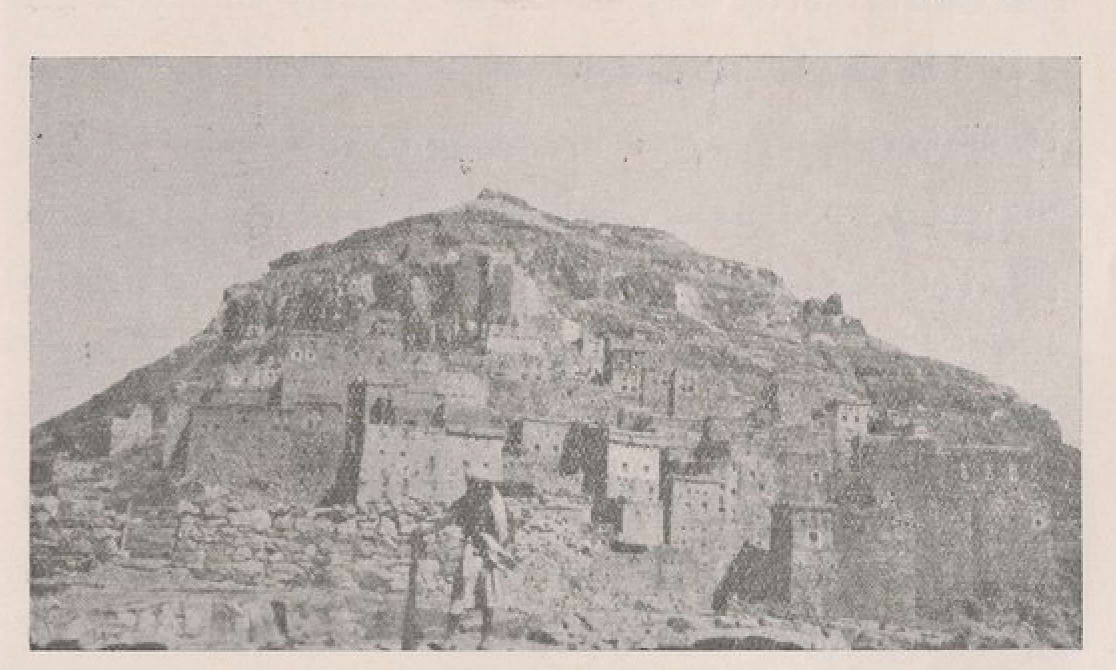
بعد الاستراحة قليلاودعنا الاختيار وامتطينا البغال وسرنا باسم الله وكانت طريقنا تسير فى تصعيد مستمر إلى أن وصلنا رأس نقيل يسلح نحو الظهر ويعلو هذا النقيل عن سطح البحر ٩٢٠٠ قدم ومنه يرى الانسان قاع أو سهل جهران وهو سهل متسع يمتد من أسفل نقيل يسلح وينتهى بقرية الرصابة وهو أعلى من صنعاء بخمسمائة قدم وطوله نحو ٢٥ كيلو متراً وعرضه يختلف من خمسة الى تسعة كيلو مترات وكان هذا السهل الواسع يتراءى لنا عن بعد كأنه بحر واسع تكسوه ألوان متعددة فالأرض المفلوحة كانت تبدو حمراء صافية والأرض المحصودة كانت تظهر بيضاء لامعة والأرض المغروسة ذرة وغيرها من النباتات كانت تظهر خضراء يانعة.سررنا بهذا المنظر الفتان ووقفنا فى رأس النقيل برهة من الزمان نسبح باسم الرحيم الرحمن ونشكره على نعمه الكثيرة التى أنعم بها على بنى الانسان

هبطنا من أعلى النقيل الى أسفله نحو ستمائة قدم وكانت طريقنا تسير بين الجبال فى شكل لولبى وهى تصلح لسير سيارة واحدة لقلة عرضها وكثرة دورانها وشاهدت فى أثناء هبوطها ذئباً ضاريا اختطف شاة وأخذ يركض بها نحو رأس الجبل وكان الرعاة يركضون خلفه ويصيحون عليه ويطلقون عليه الرصاص من مسافات بعيدة فلا يصيبونه وكان هذا الذئب أول وحش كاسر رأيته فى اليمن، فسألت الرفاق هل يوجد وحوش ضارية فى اليمن؟فأجابوا نعم توجد الذئاب والضباع بكثرة وتوجد النمور والفهود

والسباع فى المخاليف الشرقية بجهة سبأ ومارب وأما القردة والنسانيس فتوجد فى جميع الجهات، وقد شهدت ذات مرة موقعة حربية دموية وقعت بين قبيلتين من القردة ودامت نحو ساعة من الزمان، ويظهر أن القردة تعيش أسرابا وقبائل ولكل سرب أو قبيلة أرض ومضارب ووطن تستقل به فاذا تجاوزت قبيلة ما وطن قبيلة ثانية تدافع هذه القبيلة عن وطنها دفاع المستميت. وقد رأيت احدى القبائل المعتدى عليها تهاجم المعتدين بشدة زائدة وقد اشتبك الجميع فى القتال بأيديهم وأرجلهم واسنانهم وكان صراخهم يدرك عنان السماء وتم الظفر نهائياً للقبيلة المعتدى عليها فطردت المعتدين بعد أن قتلت منهم نفراً ليس بقليل وقد مثلت بالقتلى شر تمثيل وبعد انتهاء المعركة اطلقت بعض العيارات النارية ارهابا للمنتصرين ففروا من امامى وصعدت الى مكان المعركة فوجدت القتلى قد مزقت أجسامهم وبقرت بطونهم وقلعت عيونهم وسلخ جزء من جلودهم، فقلت: الله اكبر الله اكبر حتى القردة تمثل بأعدائها بعد قتلهم وفكرت فى نفسى قائلا هل تعلم الانسان التمثيل بالقتلى من القرد أو تعلم القرد هذا الفن من الانسان ؟ سؤال نتركه لساسة الحيوان الناطق فهم أدرى به منا

استرحنا قليلا فى مقهاية فى أسفل النقيل ويطلقون هنا على المقهاية اسم «سمسرة» وبعد الاستراحة أتممنا طريقنا فى قاع جهران، وأول قرية مررنا بها بعد النقيل هى قرية ظاف ودورها مبنية من الحجر والطين وفيها بئر واحدة يستعملها الأهلون للشرب فقط، ويبلغ عمقها ١٨٠ قدما وينشل الماء عليه النساء والرجال . وشاهدنا على جانبى هذا السهل الواسع عدة قرى كالواسطة والخربة وبيت الدعى وهذه قرية صغيرة جميع سكانها من اليهود . ورأينا أيضاً آبارا كثيرة فى هذا السهل وماؤها قريب من سطح الأرض ويستعمله الأهلون فى زراعهم وقد لاحظت ههنا أن الهواء لا ينقطع لا ليلا ولا نهاراً وبوسع المزارعين لو أدركوا هذا الامر أن يستعملوا المضخات الهوائية فى استخراج مائهم كما هى الحال عندنا فى القنيطرة ولكن -ويا للاسف- المزارعين لا يدركون صالحهم كما انه لا يوجد فى اليمن وزارة زراعة تهتم بهذه الشؤون، وخليق بجلالة الامام أن ينظر الى هذه المسألة بعين عنايته لان استعمال المضخات الهوائية ممكن فى معظم أطراف اليمن

كان يقابلنا فى طريقنا كثير من النسوة القرويات وهن يختلفن عن نساء صنعاء ونساء تهامة كثيراً . فنساءصنعاء وغيرها من المدن يحتجبن من اخمص أقدامهن حتى أعلى رؤوسهن ولا يميز المرء بين وجه المرأة وظهرها اذا كانت ماشية الا من حركتها لأن حجابها يغطيها غطاء تاما. وأما فى تهامة فالنساء شبه عاريات تقريباً. وأما فى هذه الجبال فالنساء سافرات وعاريات الزنود ويلبسن فى اكثر الأحيان ثوبا ويضعن فى زنودهن وفى أذرعهن أساور زجاجية ضخمة ونساء تهامة وصنعاء يملن الى الألبسة الملونة وخاصة الحمراء والصفراء والزرقاء وأما هؤلاء فلا يوجد لديهن سوى الثياب المنيلة



قرية الكميم الواقعة على طريق السيارات بالقرب من معبر
وهى انموذج لقرى اليمن الجبلية

وصلنا الى معبر نحو العصر فوجدنا جمعا من الناس محتشدا فى مدخل القرية وهو خليط من النساء والرجال والاولاد قد أتوا ليشاهدوا عن كثب موكب الغرباء . ولما سألنا عن العامل السيد يحيي الوريت قيل لنا انه مأذون فى صنعاء فذهبنا الى (سمسرة) كبيرة قيل لنا أنها نظيفة وفسيحة : دخلناها بأمان فرحين فوجدناها كغيرها

من منازل اليمن الدور الأول للحيوانات والثانى والثالث للمسافرين . احتللنا الدور الثانى وهو مؤلف من أربع غرف صغيرة ومطبخ وبيت للراحة ، وأبواب جميع هذه الغرف صغيرة الى حد يكاد المرء لايتمكن من دخولها الا اذا حنى ظهره . وبعد ما استقر بنا المقام قليلا أتتنا صاحبة السمسرة وقالت انها على استعداد أن تطبخ لنا أكلا تركيا جيدا فقلت أنى لك ذلك فقالت انها كانت أيام الدولة العثمانية زوج المتصرف حسنى بك وانها تعلمت الطبخ التركى من ذويه فقلت حسناً أعدى لنا ماتشائين ولكن الرجاء أن تسرعى بالعمل لأن معدتنا خاوية خالية . ماغابت هذه السيدة عنا سوى ساعة من الزمان حتى عادت الينا وهى تحمل أطباقا مملوءة بالأرز واللحم المطبوخ (روستو مع بطاطا) والخضر المطبوخة باللحم ونوعاً من الحلوى مصنوعة من العجين مثل العوامة (لقمة القاضى) عندنا . تناولنا طعامنا بلذة عظيمة وشربنا قهوة معمولة على الطريقة التركية وشكرنا هذه السيدة الأنيقة فى الطبخ كل الشكر

وبعد تناول العشاء صعدت الى سطح السمسرة أراقب القمر والنجوم فأتانى بعض نزلاء السمسرة وجلسوا الى جانبى وأخذوا يسألوننى عن صنعاء وكيف وجدتها وعن الامام والقاضى العمرى الى غير ذلك من الاسئلة فأجبتهم أجوبة لحمتها الثناء وسداها المديح على جلالة الامام ورجاله وبلاده ولاحظت أن أسارير وجوههم برقت وانسروا كل السرور عندما سمعوا هذا الثناء والمديح ثم سألتهم أنا بدورى اذا كان يوجد معادن بالقرب من معبر فأجابنى أحدهم نعم يوجد بالحدى قرية قريبة من معبر ميكا ويوجد فيها أيضاً جبل بركانى يخرج من فوهته غاز كبريتى ويوجد فى قرية المحوى فحم حجرى ثم سألتهم اذا كان يوجد آثار حميرية بالقرب من معبر فأجابوا نعم يوجد جبل يبعد عن معبر نحو ساعتين ويقال له الجبل الأحمر وفيه آثار حميرية ونهر كبير نشف بعدما اندثرت المدينة الحميرية ولا يزال مجراه باديا للعيان الى هذا التاريخ . ويوجد بالقرب منه حمام على بعض الآثار القديمة وحمام على قرية صغيرة تقع الى الجنوب الغربى من معبر وفيها عدة ينابيع معدنية كبريتية حارة يأتيها الناس للاستشفاء فى فصل الشتاء من جميع أطراف اليمن وقد مررت بهذه القرية فى احدى رحلاتى فوجدت

ماءها يشبه ماء الحمة فى فلسطين ومنازلها مبنية من الحجر والطين وهى ذات دور واحد يقطنه الناس وبعضها ذات دورين وهواؤها ناشف جدا وطقسها حار لأنها واقعة فى واد عميق

قضيت ليلتى فى معبر على أحسن حال ونمت نوما هادئاً مريحاً وفى الصباح نهضت مبكراً فتناولت قليلا من الحليب والقهوة وقلت للجنود ان يستعدوا للسفر وبينما كانوا يحملون أمتعتنا نزلت الى القرية وطفت حولها فوجدت الى جنوبها وعلى مسافة يسيرة منها انقاض مدينة حميرية قديمة ولا تزال بئرها ظاهرة للعيان كأنها من صنع بضع سنوات بالرغم من مرور ألوف السنين عليها وهى متقنة الصنع وجدرانها مبنية من الحجر بخلاف جدران الآبار الحديثة المتروكة ترابا على طبيعتها ويوجد الى جانب هذه البئر أنقاض جامع قديم يقال له جامع المؤيد وقد بناه الامام المهدى وفيه قبر لسبعين شهيداً قيل انهم قتلوا فى احدى معارك معبر المشهورة أيام حربها مع الدولة العثمانية ، ويوجد فوق هذا القبر حجر مكتوب عليه بالعربية وفيه تاريخ استشهاد هؤلاء الشهداء ولكنى لم أتمكن من قراءته لأن الايام قد محت الكتابة الى حد بعيد ولكن لا يزال ظاهراً منها آية الكرسى المنقوشة فى الحجر نقشاً عميقاً ومذهباً

فى الطريق الى ذمار

بعد هذا الطواف القليل عدت الى السمسرة فوجدت الرفاق قد حملوا البغال فركبت بغلى وسرت فى المقدمة وكانت مرحلتنا اليوم الى ذمار وطريقنا جيدة فى سهل جهران ويمكن للسيارات أن تسير عليها بسهولة تامة ولكن ويا للاسف لا يوجد سيارات ههنا أبداً وقد سألت البعض اذا كانوا شاهدوا السيارات تأتى من صنعاء فقالوا نادراً لأن الناس لا يملكون سيارات بل يوجد عند جلالة الامام بضع سيارات جلبها جلالته من عدن الى صنعاء مفككة ومحمولة على الاكتاف فى الجبال وعلى البغال فى السهول . دامت طريقنا فى هذا السهل جيدة عدة ساعات وقد مررنا بعدة قرى كبيت راشد وعثم والحوقرى وفيها آثار حميرية والرصابة وغيرها ويوجد بالقرب من

الرصابة عدة ينابيع ماء تسيل الى جهات مختلفة منها غيل قراب وغيل تشليل يجري الى بلاد آنس وغيل السربة يجرى الى مدينة العبيد، وقرية الرصابة قرية كبيرة سكانها مزيج من المسلمين واليهود وللقرية سور كسور صنعاء ويوجد فيها مغاور كمغاور صيدنايا عندنا كانت تستعمل كزرائب للماعز فتراكمت فيها كميات كبيرة من (السماد) والآن يخرج اليهود هذا (السماد) ويستخرجون منه نترات البوتاس (ملح البارود) ويصنعون منه كميات وافرة من البارود الاسود (الواطى) ثم مررنا فى طريقنا بقرية يقال لها (الضيق) وهى آخر حدود قاع جهران من الجهة القبلية ويوجد حول هذه القرية عدة آبار ماؤها قريب من سطح الارض يعمل عليها الانسان بدل الحيوان وبعد أن بعدنا مسافة يسيرة عن هذه القرية أخذ السهل يضيق كثيراً وأخذت الطريق تتوعر وتسير صعوداً وقلت الحقول المفلوحة وغابت الآبار وتغيرت طبيعة الارض . سرنا على هذا الحال نحو ساعتين فوصلنا الى قرية الدرب وهى واقعة على ربوة صخرية وفيها بئر واحدة للماء عمقها نحو ١٥ متراً . اجتزنا هذه القرية فى واد وعر ضيق وأخذت طريقنا تنحدر شيئا فشيئاً الى أن وصلنا الى ذمار. وقد رافقنا فى هذه الطريق أحد أبناء السبيل وقد أبدى لى شكاوى كثيرة من الحالة الحاضره فى اليمن ولما كان فى سن العسكرية سألته: هل خدمت فى الجندية ؟ فأجاب كلا، لم أخدم فى الجندية ولا أريد أن أخدم بها لان الجندية جور ولها قوانين وتعليم ونحن وحشيون أى متوحشون لا نعرف القانون ولا نحب التعليم. فقلت: ألا يأخذونك جبراً ان أنت لم تتجند طوع ارادتك؟ فقال: كلا الجندية عندنا بين القبائل ليست اجبارية بل اختيارية يتطوع فيها من يريد لقاء معاش من بيت مال المسلمين ولو كانت اجبارية لفررت من أول يوم يجندوني فيه . أين بلادك ؟ بلادى الى شرق اب وتبعد عنها نحو يومين . كيف يحصلون الضرائب عندكم ؟ يحصل الضرائب عندنا المخمنون ، وبعضهم قليلو الذمة يأخذون ثلثى محصولنا ويعطوننا الثلث كم يجب أن يأخذوا لو أنصفوا ؟ يجب أن يأخذوا العشر فقط أى يجب أن يأخذوا من كل عشرة كيلات كيلة حسب مرضاة الله وسنة رسول الله ولكن بعض هؤلاء المخمنين لا يخافون الله ويخمنون البيادر

أكثر من حقيقتها ويأخذون العشر حسب تخمينهم الكاذب . والله سيذهبون الى جهنم زمرا . فقلت : هل يعلم جلالة الامام بأعمالهم ؟ فقال : الله يحفظ الامام هو لا يعلم باعمالهم ويأمرهم دائماً بأن لا يظلموا أحدا وأن ينصفوا ويعدلوا بين الناس ولكن لا يخافون من الله ولا من يوم الله. فقلت : مادام الامام لا يريد ظلمكم فلماذا لا تذهبون وترفعون له شكواكم ؟ فقال : لقد ذهب بعضنا وشكوا أمرهم له فجاء المخمنون وأقسموا الايمان المغلظة امامه انهم لم يظلموا أحدا . فقلت : وهل تحبون الامام ؟ فقال : نعم نحبه كثيرا لانه امامنا وخليفتنا . فقلت : واذا دعاكم للحرب هل تلبون دعوته ؟ تبسم عند سماعه هذا السؤال وأجاب : الله يحفظ الامام نحن ومالنا وعيالنا فداء الامام واذا دعانا للحرب والجهاد فاننا نفديه بأرواحنا وأموالنا ونجاهد فى سبيل الله الى أن نموت لان الجهاد فرض واجب على كل مسلم

فى ذمار

وصلنا الى ذمار مساء وحللنا فى ضيافة الحكومة حيث أعدوا لنا مكاناً لنزولنا فجاء بعض الموظفين والقضاة وأمير الجيش ورتبته قائد لزيارتنا والسلام علينا وصادف حين دخولهم علينا انى كنت أقرأ فى رحلة الريحانى الى اليمن فسألنى أحدهم ماهذا الكتاب فقلت هو رحلة الريحانى الى اليمن فقال لقد اطلعنا عليه فوجدنا فيه أشياء كثيرة بعيدة عن الصحة وأخرى مبالغاً فيها والله يسامح الأمين على هذا العمل لأنه لم ينصف اليمن

جلس الضيوف فى زيارتنا زمناً طويلا سألونا عن رحلتنا فى اليمن وعن معاملة العمال لنا فى الطريق وعن بلادنا وعن تركيا وعن مصطفى كمال وحقيقة قيامه ضد الدين الاسلامى ورفعه حجاب النساء والسماح لهن بأن يختلطن بالرجال . ولما قلنا لهم ان تركيا الحديثة أصبحت دولة لادينية وتنصلت من شرقيتها وحذت حذو الدول الغربية فى جميع شؤونها واستعاضت عن الأحرف العربية بالأحرف اللاتينية وحذفت جميع الكلمات العربية من قاموسها استاءوا استياء عظيما وحوقلوا كثيرا وقالوا الله يحفظ

الامام ويعز به الاسلام . ثم ودعوناوانصرفوا فقضينا ليلتنا في دار الضيافة . وفي الصباح قمنا مبكرين وطفنا المدينة فوجدناها أصغر من مدينة صنعاء ولكنها أكبر من الحديدة ومن أي بلد ثانية رأيناها حتى هذا التاريخ ودورها مبنيـة من الحجر على نمط دور صنعاء وهي مؤلفة من عدة أدوار وفيها الزجاج الملون ونوافذ المرمر . وقد رأيت فيها عدة مساجد وأهمها مسجد حسن دادا باشا وقد بناه الباشا المشار اليه حين قدومه الى اليمن مهاجرا قبل دخول الدولة العثمانية الى اليمن أي منذ أكثر من ٥٠٠ سـنة وهو مسجد جميل وفسيح ومبني بالحجارة المنحوتة وفيـه حديقة صغيرة مغروسة سروا . وشاهدت جامعاً آخر كبيرا قيـل انه كان كنيسة لليهود ورأيت في جـدران هذا الجامع أحجارا ضخمة مكتوباً عليها عبارات حميرية . وزرت كنيساً لليهود ورأيت فيـه توراة مكتوبة على رق غزال قيل لي ان اليهـود جلبوها معهم عندما هاجروا من القدس بعد خراب الهيكل أي منذ نحو ٣٠٠٠ سنة وقد لفوها لفاً محكما بالأقمشة الحريرية. واجتمعت بالحاخام الأكبر فدعاني لمنزله فلبيت دعوته وهو رجل طاعن في السن يقال له يحيي سعيد جريدي فسألته عدة أسئلة واليك أهمها

(س) متى جاء اليهود الى اليمن ؟

(ج) أتى بعضهم قبل خراب الهيكل بعامين وأتى البعض بعد خراب الهيكل ؟

(س) أين نزلوا عندما قدموا للمرة الأولى ؟

(ج) نزلوا في مكان يقال له برش واقع شرقي جبل نقم . ونقم هو الجبل المحيط بصنعاء من الشرق ؟

(س) من بنى صنعاء ومن أين اشتق هذا الاسم ؟

(ج) ان اليهود هم الذين بنوا صنعاء واسمها مشتق من اسم سام بن نوح عليه السلام ؟

(س) هل بنى اليهود مدنا أخرى غير صنعاء ؟

(ج) نعم بنوا مدينتين صعدة وذمار وأطلقوا عليهما اسمي ولدى سام بن نوح

(س) هل كان يوجد يهود باليمن قبل الهجرة من اورشليم ؟

(ج) كلا جميع يهود اليمن هاجروا من أورشليم كما ذكرت لك . وليس اليهود من السكان الأصليين

(س) هل لكم علاقة بالعالم الخارجى ؟

(ج) نعم لنا علاقات مع مصر وفلسطين ويوجد يهود يمانيون كثيرون فى فلسطين

(س) هل تعرفون شيئاً عن الحركة الصهيونية ؟

(ج) نعم يأتينا بعض الأحيان جرائد صهيونية ويكتب لنا اليهود اليمانيون المهاجرون شيئاً كثيرا عن الهجرة الصهيونية ويحببونها لنا

(س) أين آخر بلد يقطنها اليهود فى اليمن ؟

(ج) ان آخر بلد هى بيحان وتقع الى شرقى ذمار وتبعد عنها مسافة ثمانية أيام

(س) هل لكم اتصال مع يهود أميركا وأوربا ؟

(ج) كلا لا نعرف أحداً فى تلك البلاد

(س) كيف حالكم مع المسلمين ؟ وهل يعاملكم العمال معاملة حسنة ؟

(ج) نحن مع المسلمون فى عزلة تامة وحينا بعيد عن حيهم وهم يحتقروننا ولكن العمال يمنعون التعدى علينا ويجازون كل من تساوره نفسه بأن يمسنا بسوء

ودعت الحاخام الأكبر وطفت قليلا فى حى اليهود فتبعنى خلق كثير من الرجال والألاد والنساء وحى اليهود حقير بالنسبة الى الأحياء الاسلامية ولكنه نظيف ومرتب ترتيباً حسناً وبعد الطواف فى الأحياء الاسلامية ومشاهدة الاسواق التى لا تختلف كثيراً عن أسواق صنعاء بحجمها . زرت العامل السيد محمد بن احمد الوزير فوجدته رجلا أديباً لطيف المعشر طلق اللسان استقبلنى واقفاً على الاقدام وقال حى الله من قد جاء ، لعل من أمر يمكننى أن انفذه لكم وهل انتم مرتاحون فى سفرتكم ؟ اننى أكون سعيداً اذا تمكنت من القيام بخدمة لكم . فشكرته جداً على هذا اللطف وقلت اننا ولله الحمد على أحسن حال ولا يلزمنا شىء أبداً ونرجو من الله أن يحفظ جلالة الامام ويبارك فى رجاله العظام . وبعد أن تناولت القهوة والشاى ودعته وعدت أدراجى الى دار الضيافة .

فى الطريق الى يريم

وجدت الجند على استعداد للمسير ؛ فركبت بغلتى وسرت أمامهم ووجهتنا يريم ولم نبعد عن البلد الامسافة يسيرة حتى رأينا بعض الآبار تستعمل لرى النباتات وماؤها يبعد عن سطح الأرض نحو عشرة أمتار ويغرسون حولها فصة وشعيراً ويوجد بين ذمار ويريم طريقان أحدهما للسيارات والثانى للحيوانات . وطريق السيارات تسير فى واد متسع وطريق الحيوانات تسير بين آكام ووديان وعرة ولكنها أقصر من طريق السيارات. وقد شاهدت فى بعض هذه الجبال طبقات من الحديد (هماتيت) وشاهدت حقولا من الحنطة والشعير بعضها ناضج وبعضها يغرس غرساً جديداً. ومررنا بالقرب من الحقول الجميلة اليانعة بقرية دجذب ووقفنا قليلا على نبع ماء يجرى قربها شمالا وماؤه بارد وعذب . واتسع الوادى ههنا اتساعا لا يستهان به وكثرت المزروعات ولكننا لم نشاهد أثرا للاشجار لعدم اعتناء الناس بها . وبعد ما سرنا نحو ساعة فى هذا الوادى الواسع عرجت طريقنا بين الجبال والآكام ثانية ، وقد شاهدت فى هذه الجبال طبقات جيدة من الحديد . ومن ثم هبطنا الى قاع رباط مسافة طويلة ؛ وقاع رباط سهل صغير جميل تغرس فيه جميع أنواع الحبوب ، سرنا فيه نحو نصف ساعة ثم أخذت طريقنا تصعد بنا الى نجد الاسلاف فى جبال وعرة ومسالك صعبة الى أن وصلنا الى قرية الاسلاف وهى مبنية على أكمة يعسر الصعود اليها كثيرا وهى فى الحقيقة تشبه القلاع أكثر مما تشبه القرى. ومن هنا هبطنا هبوطاً مستمراً بين وديان مغروسة بالحبوب ولكن لا أثر للاشجار فيها وشعرت بين هذه الوديان ببرد شديد يتسرب الى جسمى فتركت البغل وأخذت أسير على الاقدام الى أن وصلنا الى يريم نحو الساعة الثالثة فقصدت الى سمسرة أى مقهاية يقال لها سمسرة صالح علوان ، وبعد ما استرحت قليلا خرجت من السمسرة وطفت فى البلد فوجدته أصغر من ذمار وأكبر من سائر القرى التى مررنا بها ولكن أزقته قذرة ومجارى الأوساخ تسيل على جانب المنازل . طفت فى بعض الأسواق التجارية فرأيت جميع أنواع الخردوات

الفرنجية المجلوبة من الخارج عن طريق عدن . ورأيت محاصيل البلاد الزراعية تملأ الأسواق وأبصرت بعض معاصر الخردل تديرها الجمال ، وهذه أول مرة سمعت فيها بالخردل فى اليمن وقيل لى انه يغرس فى يريم وأطرافها بكثرة ويغرس فى اليمن الأخضر ويستعمله الناس للحرق بدل زيت الكاز .

وللبلد سور خارجى يحيط به من جميع أطرافه ويوجد خارج هـذا السور آبار متعددة ماؤها يبعد عن سطح الأرض نحو مترين . ومنازل البلد مبنية من الحجر وهى ذات عدة أدوار ولـكن نوافذها أوسع من نوافذ معبر ووعلان وذمار . وأما الأبواب فلا تختلف عن رفيقاتها . وتحيط الجبال بيريم من جميع جهاتها ، ويكاد الآتى اليها من الشمال يصل اليها قبل أن يراها ويوجد فى هذه الجبال طبقات حديدية كثيرة .

وقد شاهدت فى أثناء طوافى نحو عشرة مساجد مختلفة الحجم وتستعمل جميعها كمدارس للاولاد وفيها مدرسون خصوصيون يتناولون رواتب شهرية من الحكومة وقد اجتمعت بأحد هؤلاء المدرسين وسألته كم عدد سكان مدينتكم فقال سبعة آلاف فقلت له هل هى قديمة كصنعاء وذمار ؟ فقال كلا ، ليست هـذه البلد قديمة واخالها بنيت قبل أربعمائة سنة . وأما البلد الأصلية القديمة فهى بهذه الجبال التى أمامنا ويقال لها « مريمة » وفيها آثار حميرية الى هذا التاريخ . فقلت وهل يوجد عندكم أشغال وصناعات يدوية؟ فأجاب صناعتنا قليلة لأن بلادنازراعية ومعظم أهلها يشتغلون بالزراعة فقلت رأيت يهوداً فى الطريق فهل هم كثيرون عنـدكم ؟ فقال كلا ليسوا بكثيرين . فقلت وماذا يتعاطون من الأشغال ؟ فقال جميع الأشغال اليـدوية كالنجارة والحدادة والخياطة والترقيع الخ . فقلت وهل يوجد لهم كنائس ومدارس ؟ فأجاب لهم مدرسة واحدة و كنيسة واحدة . فقلت وهل للمسلمين مدارس خاصـة غير المساجد ؟ فقال نعم ، يوجد عندنا مدرسة واحدة للحكومة يدرس فيها التلاميذ ثلاث سنوات ثم يذهبون الى ذمار أو صنعاء لاتمام دروسهم فى مدارسهما العالية .

واجتمعت فى يريم أثناء طوافى بأحـد الجنود الذين تعرفوا إلى بصنعاء ورافقونى مدة فيها واسمه محسن السيانى ولما رآنى ركض نحوى مسلماً وقال هل تغادر اليمن ؟

فقلت نعم انى فى طريقى الى مصر الآن· فقال لماذا لم تبق عندنا فى اليمن؟ ان اليمن جميلة ورخيصة . فقلت لى بعض الأشغال أروم قضاءها . وأنت يا محسن الى أين ذاهب؟ فقال انى ذاهب بمعية الشيخ محمد حميد باشا الى بلاده ؟ فقلت ومن هو هذا الباشا ؟ فقال هو شيخ كبير كان رهينة عند جلالة الامام بالقصر بصنعاء وقد توفى والده فأذن له جلالة الامام أن يذهب الى بلاده ويقوم مقام أبيه . وما كاد محسن يلفظ هذه الجملة حتى رأيت شابا نحيل القوام والجسم أصفر اللون آتيا نحونا ، ولما رآه محسن أشار لى بشفته اشارة معنوية فأدركت للحال ان هذا الشاب هو محمد حميد باشا فامتنعت عن الكلام الى أن مر بنا الباشا وحيانا وعلامات التأثر العميق بادية على وجهه ، فرددنا تحيته بأطيب منها وعزيناه فى أبيه بالألفاظ المألوفة فتمتم ببعض الكلمات ونادى بمحسن هيا بنا فودعنى محسن وانصرف وأنا أفكر فى أمر هذا الشاب وبحلم جلالة الامام ورأفته وكيفية تركه الرهائن عند حلول الشدائد . بعدما أتممت طوافى فى البلد عدت الى الدار أى السمسرة التى حللنا بها وتناولت ماتيسر من الطعام ونمت حتى الصباح ولكنى استيقظت مرارا بالليل لمهاجمة البق لى مهاجمة عنيفة وما كاد يطلع نور النهار حتى هببت من الفراش وناديت صاحبة الدار وطلبت اليها أن تصنع لنا طعاماً فصنعت لنا شاياً وقهوة وجلبت لنا حليباً ولبناً وقشطة وسمنا وعسلا فأكلنا هنيئا وشربنا مريئا ثم حملنا بغالنا وخرجنا من السمسرة وما كدنا نسير بضع خطوات حتى رأينا الماء القذر بشوارع البلدة قد تجلد فصار ينكسر تحت أقدامنا وأقدام بغالنا ودام الجليد فى طريقنا الى أن طلعت الشمس فأخذ يذوب أمام حرارتها الشديدة ذوبانا سريعا ومرت حرارة الشمس بسرعة الى أجسادنا فشعرنا بالسخونة بعد البرودة وبحركة الدم العنيفة بعد الخفيفة

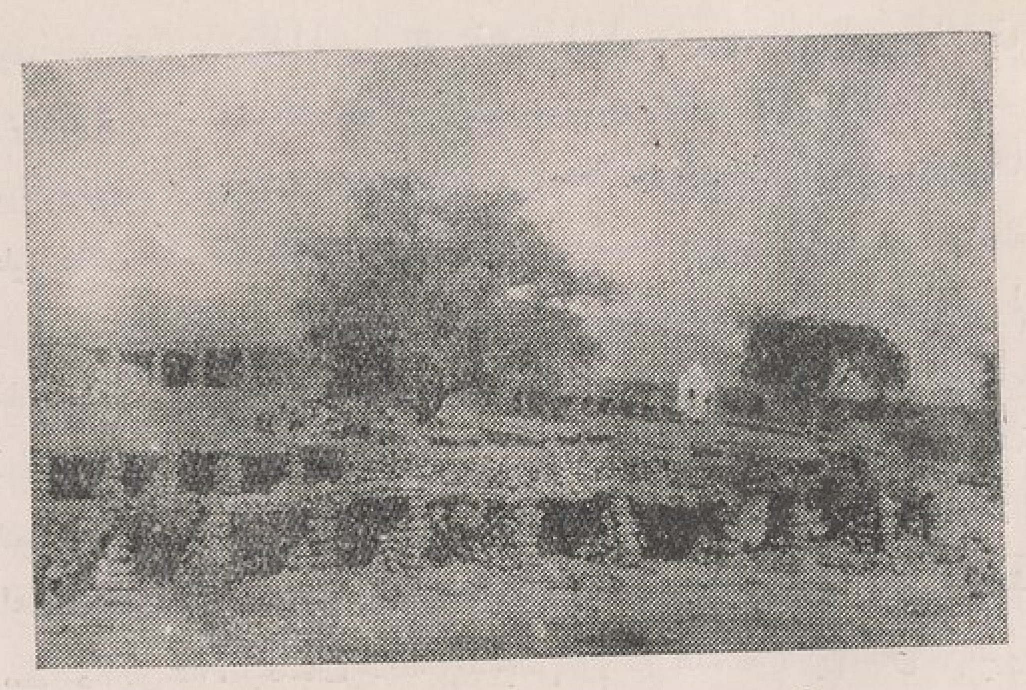
المخادر

كانت وجهتنا اليوم قرية المخادر وسارت طريقنا فى البدء فى واد ضيق أخذ يتسع شيئا فشيئا كلما سرنا الى الجهة القبلية حتى أصبح سهلا واسعا بعد مسير بضعة كيلو مترات وقد رأيت بعض الجداول الصغيرة فى هذا الوادى وقد غرس الأهلون حولها

حنطة وشعيرا وفصة وينتهى هذا الوادى الذى يقال له قاع الحقل بنقيل الضربة وهنا تبدأ الطريق بالصعود فى جبال وعرة وهى غير معبدة ولا تصلح لسير السيارات وقد شاهدت فى واد متسع بين هذه الجبال نهرا كبيرا ينساب انسياب الأفعى ويوجد الى جانبيه حقول كثيرة من الذرة والحنطة والشعير . وبعدما اجتزنا نقيل الضربة مررنا بواد متسع ثم صعدنا بنقيل آخر عظيم يقال له نقيل سماره ويبلغ علوه عن سطح البحر ١٠١٠٠ قدم وقد حول الأهلون جنبات الجبال القائمة حول هذا النقيل العظيم الى حقول غناء زرعوها بنا وقاتا ويوجد فى هذا الجبل قرية سماره وقرية بيت هديان وقرية منزل سمارة ، أما قرية بيت هديان فهى آخر قرى الزيود وقرية منزل سمارة الواقعة بين بيت هديان وسمارة فسكانها خليط من الزيود والشوافع وأما قرية سمارة فهى أول بلاد الشوافع وقد شاهدت فيها أشجارا مثمرة كالتالوك والدراق والمشمش والخروب والجوز والموز وغير مثمرة كالطنب والسنديان والبلوط والعنب وغيرها ويصلح شجر العنب للخشب وأما الطنب والسنديان والبلوط فلا تصلح الا للحطب وقد رأيت بعد اجتيازنا لقرية سمارة مياها كثيرة وحقولا متسعة مغروسة تتنا وتنباكا وحنطة وشعيراً وذرة صفراء وبيضاء وغيرها من النباتات الصيفية والشتوية وتنمو جميعها بعضها الى جانب بعض فى فصل واحد وفى آن واحد وليس هذا بغريب فى البلاد العربية السعيدة لقربها من خط الاستواء

منذ اجتزنا قرية سمارة ابتدأنا نرى اختلافا فى أزياء الناس نساء ورجالا فالنساء هنا يلبسن البرانيط المصنوعة من القش فوق حجبهن ويتركن سواعدهن عارية ويلبسن أثواباً ملونة من الاقمشة القطنية أكثرها من صنع المانيا واليابان وأما الرجال فشبه عرايا الا من مآزر يشدونها الى وسطهم وعمائم بيضاء يلبسونها فوق رؤوسهم ، وتختلف جنبياتهم عن جنبيات الزيود فجنبيات الزيود مستطيلة وأما جنبيات الشوافع فمحدودبة وكان أكثرهم يحملون شمسيات بيضاء وغلايين طويلة محشوة تنباكا . وصلنا الى المخادر بعد مسير ثمانى ساعات وقد أنهكنا التعب ولم نجد العامل فى انتظارنا بل قابلنا أحد الموظفين واعتذر عن العامل بقوله انه مشغول كثيرا وانه أوفده بالنيابة عنه ليرحب بنا فشكرناه على هذا الترحيب وقادنا الى دار قال انه أعدها خصيصاً لنزولنا وودعنا وانصرف .

دخلنا الدار فاذا بها تشبه الحصون القديمة درجها لولبي وفى جدرانها رمايات للمنجنيق وهي قذرة جدا . صعدنا الى الدور الثالث وهو الدور الأخير وأمرنا الخدم بتنظيف غرفه وفتح نوافذه ولما تمت هذه العملية غير الموفقة مددنا أسرتنا السفرية وانطرحنا عليها نطلب الراحة . وكانت هذه المرحلة التى قطعناها فى هذا النهار أصعب مرحلة فى طريقنا بين صنعاء وعدن ولكننا حمدنا الله فى نهايتها على وصولنا بالسلامة . ولم نخرج مساء للقرية بل بقينا فى الدار فتناولنا طعامنا ونمنا حتى الصباح . وفى الصباح نهضت حسب العادة مبكرا وهبطت الى القرية فرأيت مسجدا صغيرا قد أمه الطلبة لتلقى دروسهم على امامه فجلسوا حوله وكانوا يقرأون بصوت مرتفع دفعة واحدة . اجتزت هذ الجامع وتغلغلت بين بيوت القرية وأزقتها فوجدتها صغيرة حقيرة فيها بعض دكاكين مملوءة بحاجات مختلفة وقد جلس فى أكثر هذه الدكاكين اناس من اليهود وقيل لى انهم كثيرون فى هذه القرية وتحدثت الى أحدهم فشكا لى من الضرائب فقلت ولكن مالك وللضرائب وأنت رجل يهودى لا تدفع سوى الجزية وهى يسيرة جدا بالنسبة الى مجموع الضرائب التى يدفعها المكلف المسلم ، فقال أنا لا أتكلم عن الجزية لأنها فى الحقيقة يسيرة ولكن الضرائب التى يدفعها المسلمون فادحة . فقلت ماذا يدفعون ؟ فقال عشر جميع المحصولات ويدفعون رسما على الحيوانات فقلت فى جميع بلاد الناس وخاصة فى البلاد التى كانت تابعة للدولة العثمانية يدفع المكلف عشراً ورسما على الحيوانات وعلاوة على ذلك يدفع ضريبة على شخصه تسمى (دروبية) أو (حورانية) ويدفع رسوما على سكنه وجميع أملاكه كتمتع وويركو ورسوم اعلانات ونارية وغير ذلك من الضرائب . ولما سمع اليهودى هذا الحديث أخذ يصفر واستغرب جدا وصار يتحرك حركات غريبة بيده وفمه . فقلت الأفضل لك يا يهودا ولاصحابك المسلمين أن لا تستكثروا الضرائب عندكم لأنها يسيرة جدا بالنسبة الى الضرائب فى بلاد العالم وقد اجتمع علينا فى أثناء هذا الحديث خلق كثير من يهود ومسلمين وقد أخذهم العجب من هذا الحديث كل مأخذ وحمدوا الله فى نهايته على حالهم .



سوق الأحد قرب مدينة إب و يأتيها الناس من البلاد القريبة
كل يوم أحد للبيع والشراء والمقايضة

عدت الى الدار بعد اتمام طوافى فى البلد فوجدت الجند على أهبة المسير فسرنا باسم الله ووجهتنا مدينة إب وكانت طريقنا تسير هبوطا فى واد وعر لا تسلكها غير الحيوانات مدة من الزمان وقد رأيت فى الجبال حول الوادى عروقا كثيرة من (الكورتيز) أى الحجر الأبيض الصلب التى توجد بعض المعادن الثمينة فيه فى أكثر الأحيان . والجبال فى هذه الجهات مكسوة بالاشجار الكبيرة والصغيرة المثمرة وغير المثمرة . ثم عرجت طريقنا منها فى جوف وديان كثيرة خصبة ترابها رخو ناعم وتنمو فيها أنواع كثيرة من النباتات كالتتن والذرة والتنباك والحنطة والشعير وغيرها . وشاهدت على بعد ساعتين تقريبا من المخادر غيلا كبيرا يشبه أنهارنا ينساب بين الوديان انسيابا ثم يخرج الى سهل واسع بالقرب من سوق السبت حيث رأيت كثيرا من النساء يملأن ماء منه ويغلب فى كثير من نساء هذه البلاد الشبه بالزنوج وبعضهن زنوج تماما . قبل أن نصل الى إب بنحو ساعة من الزمن أخذت طريقنا تصعد فى نقيل

صعب المراس يقال له نقيل الذهوب والغريب فى هذا النقيل انه مرصوف بالحجارة رصفاً وقد ذكرنى رصفه بالازرق الواقع على طريق الحج بين الشام وعمان.



مدينة إب

وقد رأينا من رأس هذا النقيل مدينة إب العظيمة زاهية زاهرة تتيه عجباً ودلالا فوق رءوس الهضاب والتلال الراكعة تحت أقدامها . وقد ازدانت هذه التلال والهضاب الكثيرة بالنباتات والأشجار فرأيت فيها الجوز والموز والعنب والرمان والسفرجل والدراق والمشمش والاجاص والفجل والجزر والبقدونس الى غير ذلك من النباتات والأشجار الكثيرة . وقبل أن نصل الى البلد بكيلومتر واحد تقريباً وجدنا ابن عاملها على الطريق فى انتظارنا ولما أقبلنا عليه حيانا مرحباً ومهنئاً بسلامة الوصول بالنيابة عن والده اسماعيل بك باسلامه وبالاصالة عن نفسه فرددنا تحيته بأحسن منها فامتطى جواده وسار أمامنا الى أن وصلنا الى مدينة إب وقادنا حضرته الى دار الحكومة حيث اعدوا مكاناً لنزولنا وتقع دار الحكومة فى أول المدينة خلف السور وهى بناية ضخمة مبنية بالحجر الابيض المنحوت وبعد الاستراحة قليلا خرجت الى المدينة

فطفت أسواقها وعرجت على جوامعها الكثيرة الجميلة المستعملة كمساجد ومدارس في آن واحد ورأيت بنايات ضخمة قد تداعت أطرافها وهي من أيام حمير ومكتوب على كثير من حجارتها وأبوابها ومنافذها كتابات مطولة بالخط الحميري ومررت ببعض المدارس وكان التلاميذ يقرأون بالجملة كما هي عادتهم وطفت بالاسواق وهي ضيقة ولكنها مرتبة ونظيفة ومرشوشة ودكاكينها ملأى بالبضائع الأجنبية والمحصولات الوطنية وبعد الطواف في المدينة عدت الى الدار وما كاد يستقر بنا المقام حتى جاءنا العامل اسماعيل بك باسلامه يرفل بأثوابه الحريرية وعمته البيضاء وحسامه المذهب اليماني وسلم علينا قائلا : حى الله من قد جاء كيف أنتم وكيف رحلتكم ؟ عساكم لم تلاقوا أتعاباً في الطريق ، فشكرته على زيارته وقلت اننا مسرورون جداً من رحلتنا التي تنسي مناظرها أتعابها واننا سعداء جدا بمقابلته اذ سمعنا عن لطفه وأنسه شيئا كثيرا وها هو ذا يحقق لنا كل ماسمعناه وقرأناه عنه . وبعد هذه المجاملات المألوفة في مثل هذه الأحوال سألت حضرته كم عدد نفوس مدينة إب ؟ فقال نحو عشرين الفاً ، فقلت وكيف حال (الشوافع) والزيود ؟ وحضرته شافعي فقال على أحسن حال . فقلت اننا قرأنا في بعض الكتب والجرائد قبل أن زرنا اليمن بان الزيود يستبدون بالشوافع ويستأثرون بالوظائف دونهم ويعاملونهم معاملة سيئة فهل هذا صحيح ؟ فقال أنا رجل شافعي وأنا حر الارادة ومطلق التصرف في إب أولي من أشاء وانحي من أشاء من الموظفين ولا يتدخل جلالة مولانا الامام ولا حكومته البهية في هذه الشؤون الطفيفة وقد خولني السلطة اللازمة لان أحكم الناس حكماً اسلامياً شرعياً لا فرق عندي بين زيدي أو شافعي وكل ما سمعتم من الدعايات الخارجية انهي الا كذب وافتراء على اليمن وأهله . ولا شك ان لمروجيها غايات غير شريفة فقلت ألم يكن الحكم أيام الدولة العثمانية أفضل من حكم الامام وحكومته ؟

فقال . شتان بين الحكمين ان الحكام العثمانيين من ولاة ومتصرفين كانوا يحكمون البلاد حكماً كيفياً استبدادياً ولم يطبقوا الشريعة الاسلامية كل مدة وجودهم باليمن وأما الامام فمنذ استولى على الحكم الى هذا التاريخ فهو يحكم بالعدل ويتبع الشريعة

الاسلامية الغراء ولا يفرق بين واحد وواحد من رعيته ولو كان ذلك الواحد يهودياً فالعدل ناشر أعلامه فوق سطح اليمن من أقصاها الى أقصاها والامن مستتب فى كل الجهات ويمكن للمرء أن يسير أينما شاء وهو أمين على نفسه وماله . فقلت وهل يقول جميع الشوافع هذ القول ؟ فأجاب لاشك ان كل منصف من الشوافع وغيرهم من سكان اليمن يؤيد هذا القول ويثبته، وان سمعتم ببعض الشكاوى من بعض الناس فلا شك انهم يشكون لأسباب شخصية وحزازات نفسية وهذه امور لا تخلو منها بلد من بلدان العالم مهما رسخ كعبها فى الحكم والعدل . فقلت وهل الشوافع مسرورون وراضون عن حكم الزيود لهم؟ فقال: انمعظم حكام بلاد الشوافع وعمالها وموظفيها هم من الشوافع أنفسهم فاذا كان لهم ما يشكون منه فشكواهم ليست من الزيود بل من نفس اخوانهم الشوافع . فقلت ما هى أهم الصناعات عندكم ؟ فقال : انالزراعة هى أهم الصناعات عندنا ومعظم أهل هذه المدينة وما يتبعها من القرى والدساكر يشتغلون بالزراعة . فقلت وما هى أهم محصولاتكم ؟ قال : البن والقات والأثمار بانواعها والخضروات والحبوب كالذرة والشعير والحنطة والتتن والتنباك ، ثم سألته عن طريق القوافل بين حضرموت واليمن ، فقال ان طريق القوافل كانت قديما تمر من حضرموت الى البيضاء فردع فذمار فصنعاء . فقلت وهل يوجد بين صنعاء ولحج طريق غير الطريق التى نتبعها نحن فى رحلتنا ؟ فأجاب :نعم يوجد طريق تمر بصنعاء، ذمار ، يريم ، السدة ، قعطبة ، الضالع ، يافع ، لحج ، ويقال لهذه الطريق الشرقية وهى أسهل من الطريق التى تبعناها نحن فى هذه الرحلة ولكنها أطول منها ويمكن للجمال المحملة أن تسير عليها بسهولة . فقلت هل يوجد عندكم يهود ؟ فقال نعم يوجد عندنا يهود ولكنهم قليلون : فقلت وماذا يتعاطون من الاشغال ؟ فقال : الأشغال اليدوية كالنجارة والحدادة والبناء والترقيع والحياكة الخ . فقلت ارجوكم ان تسمحوا للحاخام انيأتى ويزورنى ليلا . فقال حباً وكرامة وودعنا وانصرف بعد أن طلب الى ان اعطيه عنوانى فىمصر فاعطيته اياه . وبعد ماانصرف من عندنا ذهب ليقوم بدورته اليومية فى المدينة لان حضرته ينسج على منوال جلالة الامام ويطوف يومياً فى المدينة

متفقداً شأن الاهلين ومتقبلا شكاويهم ومطالبهم ويقف فى اثناء جولته ويكلم كل انسان يريد مخاطبته، ولعمر الحق هذه عادة حميلة توارثها جلالة الامام واولاده وعماله عن السلف الصالح فصار بامكانهم بهذه الواسطة ان يصلوا الى صميم افراد الشعب ويدركوا مطالبهم وشكاويهم فلا يجسر موظف مهما كان شأنه أن يستبد بأمور الرعية لأن الشكوى ترفع اليه حالا

حديث مع الحاخام حسن جمل

فى الليل أتانا حاخام اليهود واسمه حسن جمل والغريب فى أسماء اليهود باليمن انها تشابه اسماء المسلمين (فاسم حسن مثلا اسم اسلامى بحت ولكن اليهود يستعملونه ولا يرون فى استعماله غضاضة)

وقد جرى بينى وبين هذا الحاخام حديث طويل ألخص بعضه للقارئ الكريم لأنه يختلف عن أحاديث غيره من الحاخامين الذين قابلتهم قبله بغرابته وصراحته :

(س) كم عدد اليهود فى هذه المدينة ؟

(ج) يبلغ عددهم نحو مائتين وخمسين شخصاً

(س) ماذا يتعاطون من المهن ؟

(ج) المهن اليدوية كالغزل والحياكة والنجارة والترقيع والحدادة والبناء الى غير ذلك

(س) متى جاء اليهود الى اليمن ؟

(ج) جاءوا الى اليمن بعد خراب الهيكل فى أورشليم أى منذ ٢٢٢٥ سنة

(س) ألم يوجد فى اليمن يهود قبل مجيئهم من القدس ؟

(ج) كلا ان أصل يهود اليمن من أورشليم وليسوا من سكان اليمن الأصليين

(س) كيف حالكم مع المسلمين الشوافع ؟

(ج) ان حالتنا معهم سيئة جداً فهم يشتمونـنا ويتعدون علينا

(س) هل تسكنون واياهم فى حى واحد ؟

(ج) كلا نحن نسكن فى حى منفرد وبعيد عن احيائهم ولا نختلط بهم الا عند مسيس الحاجة

(س) ألا تشكون منهم اذا اعتدوا عليكم ؟

(ج) نعم نشتكى منهم واذا أثبتنا اعتداءهم علينا فالعامل يجازى المعتدى بالسجن والجزاء النقدى ولكننا لا نرغب فى الشكاوى ولا فى الدخول مع أحد القبائل فى القال والقيل

(س) واذا اعتدى يهودى على يهودى فماذا يفعل المعتدى عليه ؟

(ج) يشكوأمره الى الحاخام

(س) لماذا لا يشكو أمره الى العامل ؟

(ج) لأننا لا نحب كما ذكرت لك القال والقيل مع المسلمين

(س) قابلت غيرك من الحاخامين فى بلاد الزيود كصنعاء وريم وذمار فلم أسمع منهم شكاوى من الزيود ؟

(ج) أنا لا أعرف صنعاء وغيرها من البلاد التى ذكرت ولا أعلم حقيقة موقف الزيود من اليهود ولكنى سمعت من بعض يهود تلك البلاد بان معاملة الزيود لهم هى معاملة ناهية (أى جيدة) ربما كانت أفضل من معاملة الشوافع لنا

(س) وكيف كانت معاملة الترك لكم ؟

(ج) لا تختلف عن معاملة المسلمين فبعض الحكام كانوا ينصفوننا وبعضهم كانوا يستبدون بنا

(س) هل هاجر منكم أحد الى فلسطين ؟

(ج) كلا لم يهاجر منا أحد الى فلسطين

(س) هل يوجد بينكم وبين الصهيونيين فى فلسطين علاقات ومخابرات ؟

(ج) نعم هم يكتبون لنا أحياناً وأحياناً يرسلون لنا جرائد ونشرات ولو أرسلوا لنا دراهم لرحل كثير منا الى هناك

(س) لماذا لا ترحلون من تلقاء أنفسكم ؟

(ج) أولا لأنه لا يوجد لدينا المال الكافى لترحيلنا وترحيل عيالنا وثانياً لان جلالة الامام قد منعنا من الهجرة الى فلسطين

(س) ولكن أخبرني بعض الحاخامين انه يوجد لهم أقارب في يافا والقدس فكيف سافر هؤلاء الناس ؟

(ج) انهم يفرون فراراً دون علم الامام وحكومته ويذهبون الى عدن عن طريق البر ومن هنالك يسافرون الى أرض الميعاد

(س) وماذا تعنون بأرض الميعاد ؟

(ج) ان أرض الميعاد هي فلسطين وسيأتي يوم يعود فيه جميع اليهود في العالم الى أرضهم ومكتوب عندنا في الكتاب بأن أرض الميعاد هي لليهود وان البريطانيين سيملكونها ويملكون جميع العالم بضع سنين ولكن في نهاية الأمر سيظهر المسيح الموعود وينتهي بظهوره كل حكم غير يهودي على هذه الأرض

(س) وهل يصبح جميع العالم عندئذ من اليهود ولليهود ؟

(ج) نعم هكذا جاء في الكتاب في ظهور المسيح الموعود سيتهود جميع العالم وتزول جميع السلطات والحكومات

وقد كان هذا اليهودي الهرم البالغ من العمر عتياً يحدثني هذا الحديث وهو واثق من صحته كل الوثوق وقد أبديت له شيئاً من التهكم في أثنائه فكان لا يلتفت الى تهكمي



أحد الجسور المبني من الاحجار المرصوفة بعضها فوق بعض بدون طين أو ما أشبهه وقد عبرنا فوقه في مرحلتنا الى السياني

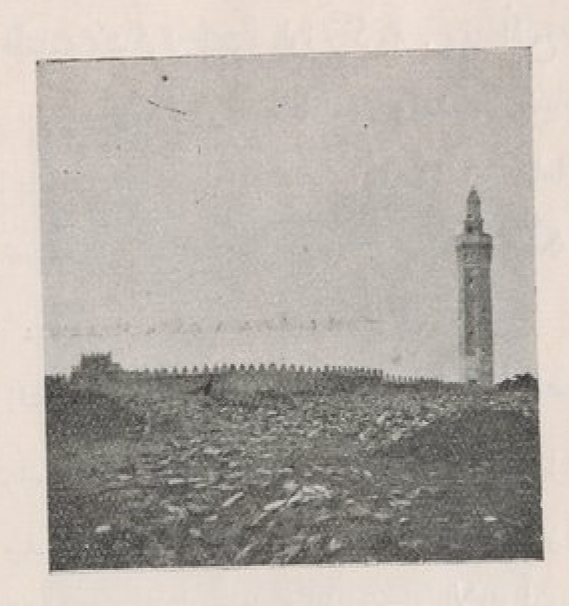
ويسترسل فى حديثه ويستعين بعبارات صوته وبيديه وقدميه لاثبات صحة هذه النبوءة الواردة فى كتابه القديم ، أجارنا الله منها ومن شرها

قضينا ليلتنا فى إب على أحسن حال وفى الصباح نهضنا مبكرين كالعادة وسرنا من إب الى مرحلتنا الاخيرة فى بلاد الامام وهى قرية ماوية وسارت بنا الطريق أولا فى واد متسع : فيه أشجار ونباتات ثم صعدت فى نقيل وعر لايمكن للسيارات أن تجتازه ويقال له نقيل المحمول وتكثر على هذه الطريق سبل الماء والمساجد الصغيرة وبعد أن صعدنا الى قمة نقيل المحمول هبطنا منه فى نقيل آخر يقال له نقيل المحرس ثم سرنا فى واد سهل الى أن وصلنا الى قرية السيانى وفى الطريق رأيت حقولا كبيرة من نبات غريب لم أشاهد مثله من قبل فسألت أحد الرفاق عن اسم هذا النبات فقال هذا هو الحلبة فأخذت شيئاً منه فلم أجد فيه رائحة الحلبة عندنا بالرغم من أنه ينتمى الى نفس الفصيلة . وفى قرية السيانى الواقعة على مفترق طريقى إب وتعز وجدنا أمير جيش تعز السيد على الوزير التابعة لحكمه هذه القرية قد أوفد مندوبا من قبله ليستقبلنا ويرحب بنا باسمه وقد أعد لنا هذا المندوب غرفة للاستراحة وجلب لنا معه شيئاً كثيراً من الطعام فأكلنا من طعامه وشكرنا للسيد الوزير كرمه . وقد أتيح لى فى رحلتى الاخيرة الى اليمن أن أجتمع بالسيد على الوزير اجتماعا طويلا وأقضى فى ضيافته عدة أيام فوجدته رجلا حازما مقداما نشيطا كريما عالما بالسياسة وأحوالها ومطلعا على الأحوال العالمية تمام الاطلاع وهو محبوب فى تعز حباً جماً للطفه وعدله وتمسكه بما أمر الله به ونهى عنه رسوله (ص)

الطيارات الانكليزية ترمى ماوية بالقذائف

وفى أثناء استراحتنا فى المنزل تقابلنا مع رجل تركى الأصل بقى فى اليمن بعد أن نزح الأتراك عنه ويدعى محمود مصطفى وروى لنا انه كان فى تعز وفى المنطقة التى ألقى عليها البريطانيون قنابلهم ، قال طلب البريطانيون من الامام أن يتخلى لهم عن الضالع وجليلة وقعطبة وألقوا بعض المناشير على تعز وذمار وماوية وإب يقولون فيها انهم سيلقون قنابلهم على هذه البلاد ان لم تخل جنود الامام الضالع وجليلة وقعطبة وحددوا

اليوم السابع من شهر رجب سنة ١٣٣٦ موعدا للضرب ومن البديهي ان جنود الامام ماأخلت هذه الاماكن لذلك جاءت في اليوم المذكور أسراب كثيرة من الطائرات وألقت قنابلها على جميع البلاد التي ذكرتها وألقت القنابل أيضا على قرية شهاب الواقعة بالقرب من ماوية فقتلت ولدين وضربت قرية عمر الصعدة فجرحت أربعة من الجنود وأما في تعزالمدينة الكبيرة الآهلة بالسكان فقدكانت الخسارة جسيمة جداً إذ بلغت نحو ٣٠٠ شخص بين قتيل وجريح ومعظمهم من الأولادوالنساء وفي يريم قتلت امرأتين ورجلين وفي قرية النادرة امرأتين . ومعظم هذه القرى التي ألقت الطائرات قنابلها عليها لم تكن داخلة في الانذاروعلاوة على القاءالقنابل كانت الطائرات تمطر الناس على الطرقات العامة وابلا من رصاص رشاشاتها وقد أحدث الرصاص ضرراً جسيما بأبناء السبيل كما هدمت القنابل كثيرا من المنازل والدور في البلاد التي أنذرت والتي لم تنذر . وذكر لنا محدثنا بأن أهالي اليمن من أقصاه الى أقصاه جزعوا جزعا عظيما من الطائرات وكانواحينما يرونها يعدون أمامها ذات اليمين وذات اليسار واستولى الخوف والذعر على قلوبهم ونفوسهم

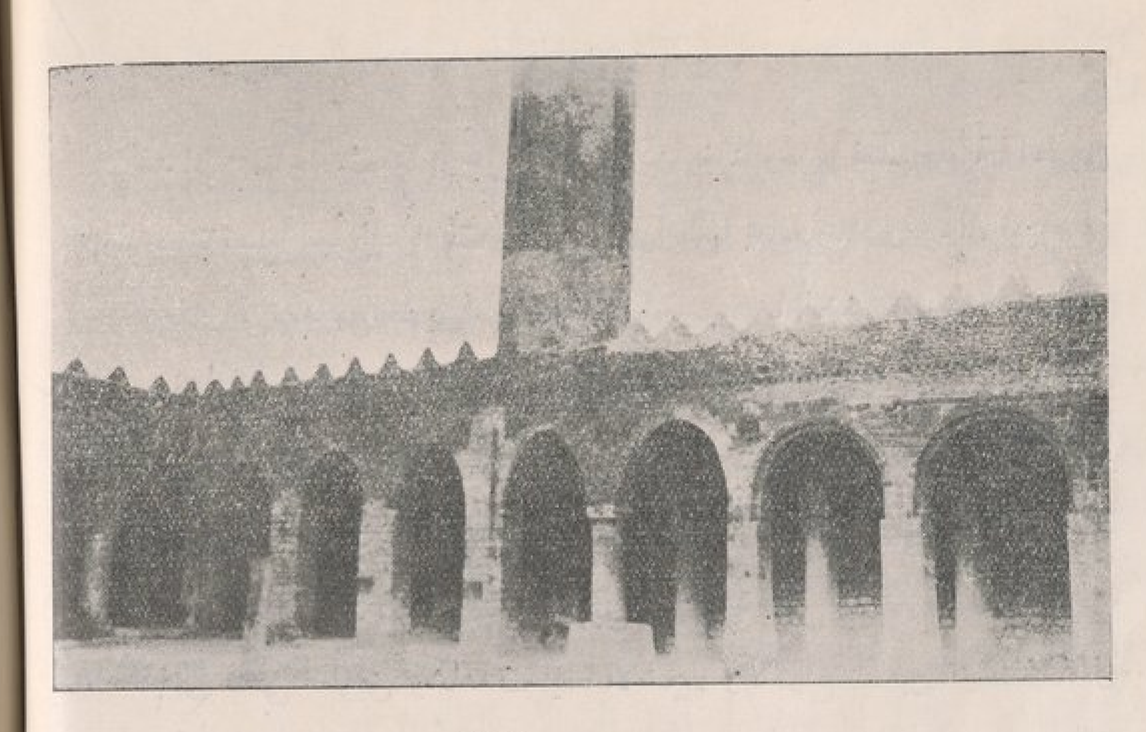


مسجد جند الذي بناه معاذ بن جبل أيام النبي صلى الله عليه وسلم

فى ماوية

بعد أن سمعنا حديث هذا الرجل بالسيانى ركبنا بغالنا وسرنا نطلب ماوية والطريق أمامنا جيدة تصلح لسير السيارات وقد مررنا فى أثنائها بجامع نخلان وهو جامع قديم مبنى فى قرية نخلان التى تبعد عن الطريق نحو كيلو متر واحد ومررنا أيضا بجامع الجند وهو أول جامع بنى فى اليمن بناه الصحابى المشهور معاذ بن جبل عندما ولى اليمن منذ أكثر من ١٣٠٠ سنة وهذان المسجدان يشبهان مساجد الحجاز وخاصة مسجد جند وهو كبير وجميل وله نوافذ كبيرة بادية للعيان ولكن أعداء الهواء والبرد سدوا هذه المنافذ طلبا للتدفئة فشوهوها كثيرا . وقد شاهدت فى الطريق الى ماوية بعض الطبقات الحديدية على الآكام الى جانبي الطريق وشاهدت أيضا الأشجار والادواح الكبيرة يتضاءل حجمها كلما سرنا جنوبا الى أن تغيب مرة واحدة ويظهر عوضا عنها هنا وهنالك نبات يشبه الصبر أو الصبير عندنا . ورأيت أيضا فى الطريق بعض الانهار والجداول وقد أقام عليها رجال الدولة العثمانية جسوراً حجرية فى عدة أماكن وتجرى مياه هذه الجداول والأنهار الى المسيمير وهى عاصمة احدى المحميات التسع

وصلنا مساء الى ماوية فوجدت وكيل العامل فى انتظارنا فاستقبلنا أحسن استقبال وأخذنا الى دار أعدت خصيصاً لنزولنا واعتذر عن عدم مجيء العامل لمقابلتنا بقوله انه مريض وطريح الفراش . فقلت عافى الله العامل وحفظه لكم ذخرا وعونا فقال هل من حاجة أو خدمة ترومون قضاءها فقلت لاحاجة بنا الى شيء وشكرته على حسن وفادته فقال استودعكم الله فقلت بأمان الله . وما كاد يغيب رسول العامل عنا حتى أتانا نجل العامل ومعه بعض الخدم يحملون لنا طعاما وشمعاً وفى هذه الليلة اضطررنا أن نسهر على نور الشمع اذ لم نجد كازا فى الدار التى حللنا بها وكان رفقائى فى هذه السهرة ابن العامل وأحد أقربائه ورجل ثالث من ماوية يقال له محمد حميد وقد ساح فى بلاد أوربا وقضى زمناً طويلا فى ربوعها ولما عاد الى اليمن كان يقص بعض مشاهداته عن بلاد الغرب ولكن الناس كانوا يهزأون منه ولا يصدقونه لذلك أخذ يقص على



مسجد جند من الداخل

جلسائنا الذين ازداد عـددهم شيئاً فشيئاً عن عظمـة دور أوروبا وبنائها وشوارعهـا وفنادقها وقطاراتها وسياراتها وعرباتها الخ وكان كلما استغرب القوم شيئا ذكره يستشهد بنا ويطلب منا أن نبين الحقيقة لهم فكنا نصادق على كلامه وكانت الدهشة والاستغراب يستوليان على هؤلاء الناس البسطاء الذين لا يعرفون شيئا عن المدنية الغربية وانى أغبطهم لعدم معرفتهم شيئا عن هذه المدنية فسماعك بالمعيدى خير من أن تراه . وقد وجه لى غير واحد من هؤلاء الناس أسئلة كثيرة عن الطيارات و كيفيـة اتقاء شرها وأبدى الجميع اهتماما زائدا بالمحاضرة الصغيرة التى ألقيتها عليهم بشأن كيفية مقاومة الطائرات وأما السبب فى سؤالهم اياى هذه الأسئلة فلأن الطيارات كانت قدهاجمتهم قبل مدة كما رويت سابقا وكانوا اليوم فى خطر لمهاجمتها لهم ثانيـة وفى الحق انى رأيتهم قلقين جدا و كثير منهم صرحوا لى بأنهم سيهجرون القرى ويأوون الى الاحراج والـكهوف اذا هددهم الانـكليز بالقاء القنابل مرة ثانية

الوسيلة الناجعة فى مكافحة الطيارات

وبعد أن ودعت القوم وانصرفوا رأيت من المناسب أن أكتب كتابا لجلالة الامام أولا أشكره فيه على العطف السامى الذى شملنى به كل مدة اقامتى باليمن وثانياً لأذكر له كيفية اتقاء شر الطائرات وبالفعل كتبت كتابا مطولا ذكرت فيه بعض الشروط الآتية لمقاومة الطائرات :—

(١) نصب مدافع فوق القرى المهددة بالضرب ومقابلة الطائرات حين ظهورها بضربها بالقنابل مهما كانت عالية .



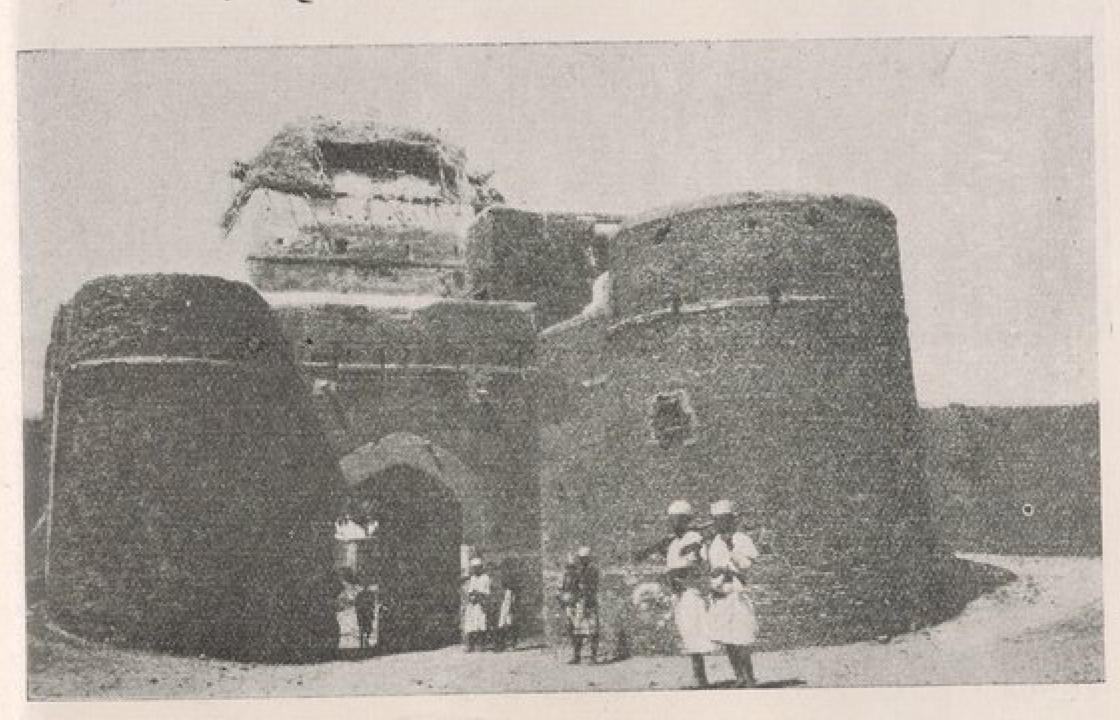
أحد الاسواق فى مدينة تعز

(٢) اعداد قوى كافية من الجند فى أمكنة مرتفعة ومقابلة هذه الطائرات برصاص الرشاشات والبنادق . وبديهى أن الطيارين عندما يشعرون بالقذائف والرصاص حولهم يضطرون أن يبقوا مرتفعين فى الفضاء وكلما زاد هذا الارتفاع أصبحت اصابتهم للاهداف التى يلقون عليها قذائفهم متعذرة لا بل مستحيلة .

(٣) عند ما يرى النـاس طائرة قادمة نحوهم يجب أن يجلسـوا الى الأرض فى أماكنهم ويجب أن لا يقوموا بأية حركة لأن الطيار لا يفرق بين الانسان والصخر والأشجار الا من حركة الانسان .

(٤) اذا كان الجيش ماشياً ورأى طيارة مرتفعة أكثر من الف متر فيجب عليه أن يقف بمكانه ولا يتحرك الا بعد أن تغيب عن أنظاره . واذا كانت الطيارة أدنى من الف متر فيجب على الجند أن تنبطح الى الأرض حالا . لأن الطيار لا يمكنه أن يحقق الهدف متى كان على علو ١٠٠٠ متر وأما اذا كان أدنى من الف متر فبامكانه أن يحقق الهدف أكثر فأكثر.

(٥) على الجند والاهلين فى المناطق المهددة بالضرب أن لا يلبسوا على رؤوسهم وأجسادهم ألبسة ملونة بالالوان الزاهية كالاحمـر والأصفر بل يجب أن يلبسوا البسة قريبة من لون أرضهم وأفضل الألبسة فى مثل هذه الاحوال هى ذات اللون (الـكاكى) التى يلبسها الجنود فى البلاد المتمدنة. ومن دواعى سرورى أنى علمت عندما زرت اليمن فى السنة التالية أن جلالة الامام اهتم بكتابي وعمم صورته على جميع القطع العسكرية والعمال



بوابة مدينة زبيد القريبة من تعز

في الصباح نهضت مبكرا ودفعت بكتابي الى جلالة الامام لأحد الجنـود وقلت له يجب أن تسلم هـذا الـكتاب من يدك الى يد مولانا الامـام فقال سمعـا وطاعة وودعني الجنود وعادوا أدراجهم الى صنعاء لأن ماوية هي آخر حـدود الامام ولا يجوز للجند أن تتخطاها الى حدود المحميات ولـكن يسمح للاهلين (السفيل) أن يروحوا ويغدوا بين اليمن والمحميات دون أن يعترضهم معترض . بعد ما ودعت الجند شعرت بوحشة شديدة فنزلت من الدار واخذت أطوف في القرية فاذا بها قرية صغيرة حقيرة وهي تابعة للواء تعز وعليها عامل من قبل أمير جيش تعز وفيها مركز للتلغراف ودار للجمرك ودار الجمرك كبيرة وفسيحة تتوقف فيها القوافل في ذهابها وايابها الى المحميات حيث تؤدي رسوم البضائع التي تجلبها من عدن .

زرت وكيل العامل في مقامه وطلبت اليه أن يستأجر لي بعض البغال لتنقلني الى لحج وفي الحال أمر حضرته من يلزم فجلبوا لي عدة بغال انتقيت منها ثلاثا واحـدا لركوبي واثنين لتحميل حوائجي وأخذتها وسرت الى الدار فحملنا الحوائج على اثنين وامتطيت الثالثة وسرت مع رفقائي الجدد وكانوا ثلاثة من شوافع ماوية في طريقنـا الى المسيمير .

في الطريق الى المسيمير

لم نـكد نخرج من ماوية حتى تبعنا أناس كثيرون كانوا يريدون السفر الى لحج أيضاً وكان بينهم شاب تدل ملامح وجهـه على كونه غير يماني فاختلطنا بهم وسرنا سوية فاقترب مني هذا الشاب وقال السلام عليـكم بلهجة تبدو فيها نغمة تركية فقلت وعليكم السلام . يظهر لي أنك ياحضرة الأخ لست يمانيا فقال كلا أنا تركي الأصل وقضيت زمنا طويلا في اليمن في الجيش العثماني وبعد ارتحال العثمانيين بقيت في اليمن واتخذت مدينة تعز موطناً لي وصرت أتعاطى التجارة والآن أنا ذاهب الى عدن لجلب بعض البضائع التجارية . فقلت أهلا وسهلا بك ان شاء الله ستكون لنا خير الرفيق على هـذه الطريق لأني أنا أيضاً سائر الى عدن . فاستأنس الرجل بكلامي وسار الى

جانبى وحدثنى كثيرا عن معادن اليمن وخاصة الفحم الحجرى فى منطقة قريبة من تعز يقال لها الحجرية قال ان الفحم والـكاز موجودان هنالك وان الأهلين يستعملونه للوقود وشكا لى من تأخر اليانيين وعدم ميلهم للاخذ بالمدنية الحديثة وتمسكهم بكل شىء قديم الى غير ذلك من الأمور . فسألت هذا الرجـل عن اسمه فقال انه يدعى حسين جاويش . سرنا مسافة ساعة ونصف ساعة فى وديان وتلال شاهدت فى بعضها طبقات من الحـديد وعروقاً من الـكورتز ويكثر فى هذه الطريق أنواع صغيرة من الشجر تصلح للوقود وهى غير مثمرة . وصلنا الى الدريجة بعد مسير ساعتين من ماوية والدريجة هى أول حدود سلطان المسيمير وقبل أن أصل اليها بمسافة وجيزة التفت الى الوراء نحو اليمن معقل النسور والأسود ونفسى ملأى بالذكريات الجميـلة اللذيذة التى تركتها بين جوانحى هـذه السياحة الطويلة فشعرت كأنى أغادر أهلى ووطنى وبيتى وأودع أمى وأبى وكأن لسان حالى يردد قول الشاعر العربى :

ودعته وبودى لو يودعنى　　طيب الحياة وانى لا أودعه

ولا أبالغ اذا قلت انى لم أشعر يوما من أيام حياتى بلذة لا تفوقها لذة الا فى الأيام التى قضيتها فى بلاد العربية السعيدة بالرغم من عدم وجود أى نوع من أنواع التسلية وبالرغم من وجودى بعيداً عن أهلى ووطنى ولو خيرت اليوم بالذهاب فى رحـلة الى أمريكا أو أوربا لفضلت الذهاب الى صنعاء على الجميع . فصنعاء فيها البساطة والصدق والأمانة والحرية والاستقلال وجوها مشبع بالتقى والطهر والعفاف والتمسك بشريعة الله والمحافظة على سنة الرسول ﷺ بخلاف أجواء أمريكا وأوربا الموبوءة بجميع أنواع الأوبئة القتالة من غش وكذب وزندقة وتجذيف وكفر و و .

وصلنا الى الدريجة بدون عناء لسهولة الطريق والدريجة قرية صغيرة حقيرة وهى أول قرى سلطان الحواشب احدى المحميات التسع ويدعى سلطانها محسن بن على بن مانع وجلسنا فى سمسرة صغيرة تناولنا فيها شيئاً من الشاى واسترحنا قليلا ثم تابعنا سيرنا الى المسيمير وهى عاصمة الحواشب ومررنا بطريقنا بقرية صغيرة تدعى الملحة فلم نقف بها بل تابعنا سيرنا وكان عددنا يأخذ بالازدياد شيئاً فشيئاً وفى هذه البلاد يشعر

المرء بالخوف من التشليح ولذلك تسير القوافل مجتمعة لتزداد قوة وتسير فى النهار فقط ولا يجسر أحد على السير فى الليل خشية التشليح وعند ما خرجنا من ماوية كنا نفراً نعد على الأصابع ولكن لما وصلنا الى المسيمير بلغنا اكثر من مائة شخص وقد تحدثت الى بعض الرفاق الجدد الذين انضموا الينا فى الطريق وكان بعضهم آتياً من بلاد المشرق كما يقولون أى من بلاد سبا ومارب وكانوا يحملون معهم كثيراً من العاديات والدراهم القديمة والتماثيل المصنوعة من المرمر فى أيام حميروهم يحملون هذه الاشياء الى عدن ليبيعوها فى أسواقها وياحبذا لو كان صاحب الجلالة الامام يحيى يهتم بهذه العاديات ويمنع اخراجها من اليمن بصورة قطعية ويؤسس معرضاً فى صنعاء يجمع فيه كل ما تصل اليه يده من هذه الأنتيكات التى لاتقدر بثمن لو حفظت وجمعت بعضها الى بعض فيتألف منها مجموعة نفيسة لامثيل لها فى العالم

حديث مع السلطان محسن بن على

نمشى مع الذى يملأ كفنا قروشاً ! !

قبل أن نصل الى المسيمير ببرهة وجيزة قابلنا السلطان محسن بن على بن مانع مع حاشيته المؤلفة من ابن عمه وهو شاب وعمه وهو رجل فى مقتبل الشباب تدل هيئته على أنه من أصل زنجى وبعض الرجال من أبناء عشيرته ولما رآنا السلطان ترجل عن « صهوة » فرسه وأقبل نحونا فترجلنا نحن أيضاً وسرنا نحوه وحييناه بقولنا السلام عليكم فأجاب وعليكم السلام والرحمة والاكرام ومد يده مصافحاً على الطريقة الغربية فصافحناه وقلنا له اننا مسرورون برؤيته فقال علمت أنكم آتون الينا من قافلة مرت بنا اليوم فجئت لاستقبالكم ، فأهلا وسهلا بكم ، فشكرناه على هذا اللطف وأبدينا أسفنا لتجشمه هذه المشقة فى سبيلنا فقال أنتم ضيوفنا واكرامكم فرض واجب علينا ، هيا تفضلوا امتطوا هذا الجواد واشار الى جواده فرفضت ذلك فأصر علىَّ كل الاصرار الى أن امتطيت الجواد وامتطى حضرته جواد أحد أتباعه وسرنا نحو المسيمير فى هذا الموكب السلطانى العظيم ! فاستقبلنا أهل المسيمير خارج القرية ثم

مشوا أمامنا الى أن وصلنا الى دار السلطان وهى دار متوسطة الحجم ومبنية من الحجر والطين كدور اليمن فدخلناها دخول الفاتحين وصعدنا فى سلم حجرى الى الدور الثانى حيث قدموا لنا الشاهى والقشر وما كدنا ننتهى من شرب القشر (أى قشر البن) حتى تركنا السلطان وانصرف قائلا ربما تريدون أن ترتاحوا قليلا الآن وسنعود اليكم بعد الاستراحة ان شاء الله شكرنا هذا السلطان الديمقراطى اللطيف على حسن وفادته وكرمه ولطفه وودعناه حتى أول الدرج فأصر علينا بالرجوع فرجعنا الى غرفتنا ونحن نفكر بدماثة أخلاق هذا الشاب الذى لم يتجاوز سنه السبعة عشر ربيعا والذى يطلق عليه اسم سلطان وهو عارى الجسد ماخلا مئزرا يستر به نفسه وعمامة ملونة يضعها فوق رأسه وهكذا كان حال عمه وحاشيته فجميعهم كانوا عراة الأجسام ماخلا المآزر وكان معظمهم يحملون البنادق اليونانية القديمة ويسميها العرب عندنا (بام اصبع) وأما صحة هؤلاء الناس وقوتهم فحدث عنها ولاحرج فهم بالرغم من الحرارة الشديدة وبالرغم من قربهم لخط الاستواء يتجولون تحت أشعة الشمس المحرقة ولا يصابون بضربة الشمس أو غيرها من الأمراض ، ولايوجد فى أية ناحية من النواحى التسع المحمية لادواء ولا طبيب ولامدرسة ولا مكتب ولاهم يحزنون. وفى الليل أتانا السلطان محسن وعقيب وصوله جلبوا لنا العشاء فأكلنا واياه وبعض خاصته الذين أتوا فى معيته وقضينا سهرتنا سوية وتحدثت الى السلطان الشاب بأحاديث كثيرة هذه خلاصتها :

(س) كم عدد سكان سلطنتكم ؟

(ج) لا أعلم لأننا لانحصى النفوس

(س) كم مقاتلا يمكنكم أن تجندوا ؟

(ج) جميع القبائل يمكن تجنيدها عند الحاجة

(س) وكم عدد رجال هذه القبائل الممكن تجنيدها ؟

(ج) عندنا نحو عشرة أو خمسة عشر ألف مقاتل

(س) هل يوجد عندكم جيش نظامى ؟

(ج) لا يوجد عندنا جيش نظامى بل كل الناس جيش وقت الحرب

(س) لماذا تسمحون لرعيتكم وأتباعكم أن يخلوا بالأمن ويسلبوا القوافل فى الطرقات ؟

(ج) نحن لا نسمح لهم ولكن بعض الأشقياء يقومون بهذه الأعمال ومتى عرفناهم نؤدبهم

(س) كيف أنتم والانكليز ؟

(ج) الانكليز أصحاب أبينا من قبلنا ونحن واياهم أصحاب وهم يدفعون لنا معاشاً كل شهر واذا ذهبنا الى عدن يطلقون المدافع حين وصولنا وذلك للترحيب بنا !

(س) كيف حالكم مع الامام ؟

(ج) حالنا حسنة لا أخذ ولا عطاء نحن فى أرضنا وعمال الامام فى أرضه فاذا تجاوزوا على حدودنا نحاربهم ، والله نحاربهم حتى نفنى جميعنا .

(س) هل يجوز لكم وأنتم مسلمون أن تحاربوا اخوانكم المسلمين ؟ ألا تخافون الله ومن يوم الله !

(ج) والله نخاف من الله ومن يومه ولكن عمال الامام قوم ظلام لا يخافون الله ونحن لا نريد أن نعاملهم بشىء ؟

(س) هل تعرفون الامام وهل زرتم صنعاء ؟

(ج) كلا لا نعرف صنعاء ولا زرنا الامام ولكننا سمعنا الشىء الكثير من أصدقاء الامام ومن اعدائه والكل مجمعون على انه رجل متدين وطيب القلب ويحب الرعية ولكن عماله ليسوا مثله فلو كان عماله مثله لكنا تفاهمنا نحن واياهم .

(س) الا تفضلون عمال الامام العرب المسلمين على الاجانب الانكليز ؟

(ج) نحن لا نفضل واحدا على واحد وقد عقد آباؤنا مع الانكليز اتفاقات وما دام الانكليز محافظين على هذه الاتفاقات فنحن معهم .

(س) واذا اتفق الامام معكم الا ترغبون أن تتفقوا معه وهو أفضل من الانكليز ؟

(ج) والله نتفق معه ونحارب الانكليز أيضاً لأننا لسنا قبيلة أحد وليس علينا سلطان فمن يملأ كفنا قروشا فهو سلطاننا الحقيقى .

(س) اذا دفع لكم الامام قروشا فهل تخضعون له !

(ج) نعم نخضع له ولكن بشرطين أولا ان لا يطلب منا رهينة وثانيا اذا اتينا لصنعاء يجب أن يطلقوا حين وصولنا مدافع

(س) هل تتقنون الكتابة والقراءة ؟

(ج) كلا ! لانكتب ولا نقرأ . .

(س) كم لكم من العمر ؟

(ج) لا نعلم !

(س) هل يوجد عندكم مدارس ؟

(ج) كلا لا يوجد

(س) هل يوجد فى المساجد أئمة تعلم الطلبة ؟

(ج) نعم يوجد فى كل مسجد امام يعلم « الجهال » أى الاطفال القراءة والكتابة



امام اليمن يقول

أفضل أن آ كل أنا وشعبي القصب

على أن أرى أجنبياً واحداً فى هذه البلاد !

سألنى السلطان أسئلة كثيرة عن الامام وعلاقاته بالانكليز فقلت له : ان الامام لا يعترف بسلطة الانكليز فى اليمن وفى المحميات (حتى عدن) ويعتبر عدن جزءا متمما لليمن اقتطعه الانكليز من اليمن بدون حق وهو يرقب الفرص لكى يستعيد عدن وجميع المحميات، فقال : ذلك صعب جدا ولا يمكن للامام أن يقاتل « الصاحب » أى الانكليز لان الصاحب عنده طيارات وقروش وجميع رجال القبائل تمشى معه من أجل قروشه وتقاتل الامام ورجاله . ثم سألنى من أى بلاد أتيت وما هو أصلى ؟ فرويت له قصتى وقصة بلادى باختصار فتعجب كثيرا وكاد لا يصدق ما يسمع . ثم قال : وهل تريد أن تبقى فى عدن ؟ فقلت : كلا سأقضى بضعة ايام الى أن أجد سفينة الى بورتوفيق فأسافر عليها . فقال : لا شك انك ستقابل « الصاحب » فى عدن أى حاكم عدن الانكليزى فقلت : ربما اقابله . فقال : سوف يسألك عنى بدون شك فالرجاء أن تحسن الشهادة بى . فقلت : ان شاء الله

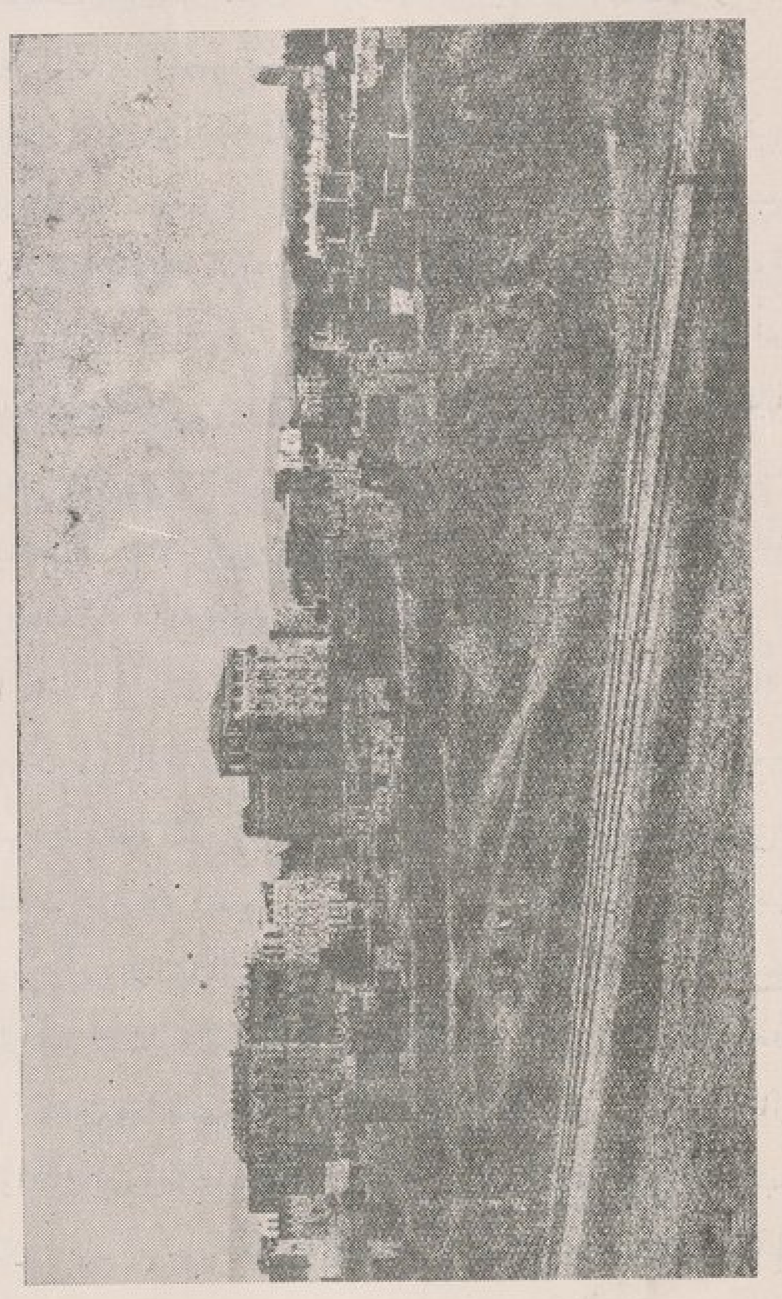
وبعد هذا الحديث تركنى السلطان بغرفتى وذهب الى دار الحريم فنهضت من مقعدى وذهبت الى الفراش لانام فلم أتمكن أولا من شدة الحر وثانياً لهجوم البق على هجوماً عنيفاً فحملت فراشي وصعدت الى السطح ووضعته هنالك وأردت أن أنام فلم أتمكن من النوم أيضاً لشدة الحر وصرت أفكر فى السلطان محسن وأضرابه من سلاطين المحميات وهم ليسوا فى الحقيقة الا شيوخ قبائل شقهم الانكليز بعضهم على بعض وصاروا يستعملونهم مطايا لتنفيذ ارادتهم وغاياتهم فخضعوا لهم لصغر نفوسهم وجهلهم وطمعهم فى المال . ومر فى ذهنى وقتئذ قول جلالة الامام لى مرة بينما كنت أتحدث واياه

عن الاجانب تأكد يا نزيه بانى لو حاول الاجانب دخول اليمن لقاتلتهم الى أن نفنى عن آخرنا وانى أفضل أن آكل وشعبى القصب (أى قصب الذرة) مدى الحياة على أن أرى أجنبياً واحداً فى هذه البلاد

قضيت ليلتى على أسوأ حال ولم يذق جفنى الكرى وكنت تارة أراقب الدب الاكبر وطورا أبحث عن الدب الاصغر والثريا والميزان فى السماء ولما بزغ الفجر نزلت الى الدار فوجدت الجميع نياما وأبواب الدار مغلقة فعدت أدراجى الى السطح وصرت أترقب قيام السلطان أو أحد من حاشيته ولكن السلطان حفظه الله تأخر فى النوم الى مابعد طلوع الشمس ولم يجسر أحد من الخدم أن ينهض من فراشه لئلا ينزعج السلطان وأخيرا سمعته ينادى بعض خدمه فانفرجت نفسى وراح الكرب عنى ونزلت فى الحال الى فناء الدار وطلبت الى أحدهم أن يفتح لى الباب ففتحه وخرجت الى القرية فاذابها قرية حقيرة لا تزيد منازلها على العشرين منزلا مبنية من الطين والحجر وبعضها دوران وبعضها ثلاثة ادوار ولها جامع صغير لا يسع اكثر من خمسين شخصاً . وبعد طواف قصير عدت الى الدار فوجدت السلطان فى انتظارى، وبعد التحية والسلام جلسنا على الأرض فجاب لنا بعض الخدم الطعام فأكلنا وشربنا واستأذنت السلطان أن يسمح لى بالسفر فأذن بذلك وأمر لى بسيارته الخاصة ان تنقلنى الى لحج فشكرته على هذا اللطف وعندما امتطيت السيارة مع بعض الرفاق كحسين جاويش وغيره ذكرنى السلطان بلزوم الثناء عليه فى حضرة حاكم عدن فوعدته خيراواشمأزت نفسى من هذا التكليف القبيح

سارت بنا السيارة من المسيمير تنهب الارض نهباً فخلت نفسى فى حلم اذ من البديهى أن يسر الانسان عند مايعود الى ركوب السيارات بعد سفرطويل شاق على البغال ولكن لم يطل - ويالاسف ! - سير سياراتنا بسرعة ، لأننا وصلنا الى نقيل وعر فوقفت سيارة السلطان فى النقيل واضطررنا الى أن ننزل منها وندفعها بأيدينا حتى وصلنا الى أعلى النقيل وبالرغم من قصر هذا النقيل فقد استغرقت عملية الدفع معنا نحو ساعة من الزمن ولما بلغنا قمة النقيل امتطينا السيارة ثانية فاندفعت بنا الى الامام بسرعة زائدة وكانت طريقنا فى البدء تسير فى الجبال ثم هبطنا الى الوديان

والسهول ومررنا بقريتى الخندق والدكيم وشاهدنا فى أثناء الطريق حقولا مغروسة ذرة ورأينا ينابيع صغيرة من الماء تنبع فى بعض الوديان وتسير مسافة قليلة ثم تغور فى جوف الأرض ثانية وفى الدكيم رأينا خطوطاً تلغرافية مدها الانكليز أيام حربهم مع الترك فسرنا الى جانبها الى أن وصلنا الى الشقعة ويوجد فى الشقعة معسكر للبريطانيين وشاهدت فى وادى الشقعة شيئا كثيرا من الموز والنخيل والذرة وبعض الاشجار المثمرة وغير المثمرة وجميعها يسقى من ماء يجرى اليها من المسيمير



بلدة لحج وبها قصر السلطان

وصلنا الى لحج فى ساعتين ونصف ساعة ولحج هى أكبر المحميات التسع وأعظمها واجتزنا جميع أراضيها فى ساعتين ونصف ساعة

ضحكت من هذه السلطنات أو المحميات التى يجتازها الانسان بالسيارة فى بضع ساعات وتذكرت فى نفس الوقت الدول المشمولة بالانتداب الفرنسوى فى سورية وقهقهت من الضحك لما مر هـذا الخاطر ببالى فسألنى الرفيق حسين جاويش ماذا أضحكك فقصصت عليه قصة الدول المشمولة بالانتداب الانكليزى والفرنساوى فكاد يغمى عليه هو أيضاً من كثرة الضحك

ذهب سائق سيارتنا فى لحج الى سراى السلطان وكان يحمل للسلطان كتابا من نسيبه سلطان المسيمير فطال غيابه كثيرا وأخيرا أتى وعلامات الغضب بادية على وجهه فقلت له ما أغضبك ياصاحبي فقال ان السلطان محسنا بعث بكتاب الى نسيبه سلطان لحج السلطان عبد الكريم آل فضل يطلب فيه منه أن يدفع لى (أى للسائق) مبلغ ١٥ ريالا لكى ابتاع بنزيناً لأجل عودتى الى المسيمير ولكن السلطان عبد الكريم رفض أن يدفع لى شيئاً . فقلت لا بأس ياصاحبي انت أوصلتنا الى هنا وصار من الواجب علينا أن نقوم نحن بشراء البنزين لك ونفحته فى الحال مبلغاً من المال لشراء البنزين وشراء هدية صغيرة للسلطان محسن وودعناه وانصرفنا

وضعنا حاجاتنا فى سمسرة كبيرة وطفنا قليلا فى البلاد ومررنا بسراى السلطان وهى جميلة وكبيرة وبناؤها متقن وطفنا فى الأسواق فوجدناها نظيفة ومرتبة وفيها بضائع أجنبية ومحصولات وطنية، ولحج هى أكبر المحميات التسع وتدعى عاصمتها الحوطة وعدد سكانها نحو ٣٥٠ الف نفس ومساحتها ثلاثة آلاف الى أربعة آلاف كيلو متر مربع وأهم بلدانها الحوطة والشقراء ولحج وأبين وأنصاب والمسيمير وحبان وأعظم قبائلها آل الفضل والعواقل واليوافع والعبادلة والحواشب والصبيحة وجميع سكانها من المسلمين ومعظمهم من الشوافع ، ويوجد أقليات ضئيلة من سائر المذاهب كالاحناف والجعفريين والاسماعيليين والزيود ، وأما حاصلات لحج فالحبوب بانواعها والجلود والبن ، ولكن حاصلاتها لا تقوم بنفقات حكومتها وسلاطينها ولذلك يتناول

سلاطين لحج وسلاطين جميع المحميات مشاهرات من البريطانيين وتبلغ مشاهرة سلطان لحج نحو ٣٥٠٠ روبية وهى أكبر مشاهرة يدفعها الانكليز للسلاطين وتبلغ أقل مشاهرة نحو اربعمائة روبية يتناولها سلطان الضالع . وأما بقية المحميات فهى الصبيحة والعوالق والواحدى والعوازل واليوافع والعلوى والقطيبى والحواشب .

ولهذه القبـائل والبلاد شيوخ كثيرون كل شيخ يعتبر نفسه سلطاناً ولا يخضع لنفوذ أكبر منه من المشايخ أو السلاطين بل يخضع رأساً لسلطان الجميع وهو حاكم عدن الانكليزى ويتناول منه مشاهرة فى رأس كل شهر وينفذ أوامره حسب مشيئته والا يكون عرضة للاسقاط وقطع الراتب وهذا مما جعل هؤلاء السـلاطين يضيعون عزة أنفسهم وشممهم وصـاروا عبيدا اذلاء للاجنبى يستعملهم لتنفيـذ غاياته ويسلط بعضهم على بعض ويدس بينهم الدسائس حتى لا تجتمع لهم كلمة ولا يطلبون متحدين أى طلب .

بعد أن أتممت طوافى فى مدينة لحج أخذت سيارة الى عدن فوصلت اليها فى نحو ساعتين من الزمن وذهبت توا الى فندق « كراند اوتيل » واضطررت أن انتظر فى عدن ثلاثة أيام حتى وجدت سفينة تنقلنى الى بور توفيق

ومنها عدت رأساً الى القاهرة براً عن طريق السيارات .

الخاتمة

نصح وتحـــذير

أرى من واجبي الوطني والديني - كرجل مسلم عربي - أن ألفت نظر حضرة صاحب الجلالة الامام يحيى حميد الدين ورجاله الافذاذ وشعبه الكريم الى المطامع الأجنبية في اليمن، فقد لاحظت في رحلاتي المتعددة في داخل اليمن وخارجه أن انظار بعض الدول الاستعمارية متجهة نحو هذا القطر السعيد أولا لمركزه الجغرافي الحاكم على البحر الأحمر وبوغاز باب المندب وعدن، وثانيا لثروته الزراعية والصناعية. وأظن أن معظم اهل اليمن يجهلون أساليب الاستعمار والمستعمرين لأنهم لم يشاهدوه ولا ابتلوا به - ولله الحمد - كما شاهدناه نحن الذين نشأنا وتربينا في مهده منذ نعومة أظفارنا. واني أذكر على سبيل التمثيل أن الدول الاستعمارية حينما تطمع في قطر من الأقطار تبدأ بارسال جنودها الكشافة لتمهيد الطريق باسم الانسانية والشفقة والرحمة والدين، أى أنها ترسل بعثات من الأطباء وتبنى مستشفيات حباً في المحافظة على الصحة العـامة!! الخ، ثم تبعث بالمبشرين والمعلمين فيبنون مدارس وكنائس ويبدأون بنشر سمومهم بين الناس على اختلاف طبقاتهم غيرة على الدين ونشر التعليم!! هذه هي أول فتوح الاستعمار وهؤلاء هم طلائعه، ومتى تأسست المدارس والكنائس والمستشفيات يصير للدولة صاحبة الشأن الحق في المحافظة عليها وعلى رعاياها فكلما بدرت بادرة في البلاد ترى هذه الدولة تتدخل في الامر تحت ستار المحافظة على أرواح رعاياها واموالهم ومؤسساتهم. وانا لا انكر أن اليمن في الوقت الحاضر خلو من هذه البعثات الا أنه ليس خلوا من بعض رجال الأجانب وأذنابهم المندسين في الحديدة وصنعاء تحت أسماء مختلفة وغايات متباينة. فالى هؤلاء الناس ألفت نظر حضرة صاحب الجلالة الامام لأنهم هم طلائع المستعمرين في بلاده.

هذه هي نصيحتي لحضرة صاحب الجلالة الامام. وأما نصيحتي الى كتاب العرب وصحافتهم فهي أن لا يؤخذوا بالدعايات والاخبار التي تنشر عن اليمن بين حين وآخر لأن معظمها لا بل كلها مستقاة من الأجانب وأذنابهم الذين يكيدون لهذه البلاد ويشوهون سمعتها لشيء في نفوسهم. ويعلم الله أني ما قصدت من تحرير هذه الرحلة الا الخدمة العامة والله من وراء القصد ؟

رحلة في بلاد العربية السعيدة
من صنعاء إلى مارب

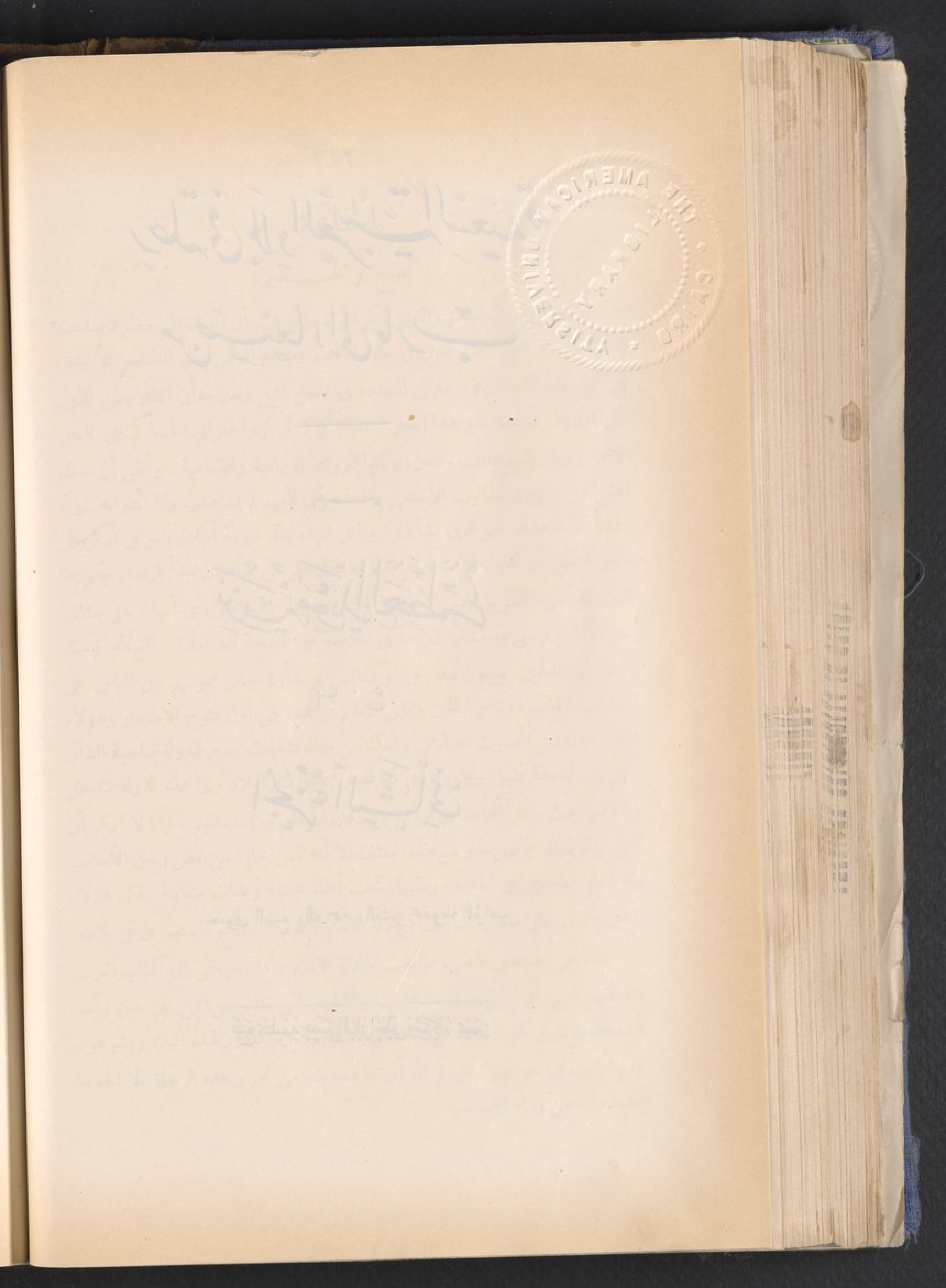
بقلم

نزيه مؤيد العظم

ب . ع

الجزء الثاني

طبع بمطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه بمصر



سبا والوجوه تعنو الى الله

للشاعر الخالد أبى الطيب محمد بدر الدين الخطيب

رجف النور فى غضون الكتاب   ومشى فى السطور ركب الصحاب
فى رواق من الضياء على الليـ   ـل يقود الركاب خلف الركاب
يتعالى الهباء فيه مشوباً   بظلال الأجيال تحت التراب
هات حدث نزيه عن دار بلقيـ   ـس وعن سورها الرهيب المجاب
هل رأيت الغمام فى فلق الصبـ   ـح ووهج الأنوار عند الغياب
وعليها جناح هدهد يزجى   بحديث الأصحاب والأحباب
وتهاوى الى فؤادك موج   من خلال الضحى وخلف الخراب
فترددت بالشجون وفى نفـ   ـسك صوت يضج خلف الحجاب
سبأ والوجوه تعنو الى اللـ   ـه وفى الظل سجدة الأحقاب
أين سوق تضج فيه النهارا   ت وأنوار ليله كالحباب
والصروح الممردات تراءى   غرفاً بينها خصىء وخابى
أين من ذلك الهياكل والكهان عند الشروق رأد الغياب
عبدوا الشمس سادرين وضجوا   من رؤى الشمس فى غضون السراب
أفعموا بالبخور والعزف قوماً   فى خياشيمهم مكان الصواب
الأهازيج والتمائم تزجى   مهمهات على فراغ القباب
والنفوس المشوقات الى الحق حيارى فى جسمها والاهاب
خانها العقل خانها العلم خانها الظلم فهانت لتمتمات كذاب
والذى يؤثر الفتون تغالبـ   ـه على سره وحسن المآب

***

هات حدث عن سد مارب والليـ ـل عباب على سواد العباب
وخرير المياه فيه حسيس من هدير يصم أذن الروابى
والبقايا من الفنون تراءت فى جدار مروّع مرتاب

***

هات حدث عن الامام أبى أحمد والجيش فى فسيح الرحاب
وزئير الجنود بالزامل الزجّـ ـاف بالنار والتماع الحراب
واسأل الله أن يعيد الليالى مشرقات على سواد اليباب
ويرد التاريخ بعد ارتياب ويرد الأحباب بعد غياب

***

هات حدث فى الحديث شجون وعجاب على حديث عجاب
ضقت ذرعاً فرحت تضرب بالأر ض هصوراً وتزدرى بالصعاب
رحت والوجد فى فؤادك يزجى بك فى كل مهمه غيّاب
فتمالت بك المراكب فى البحـ ـر ذهاباً ونهنهت فى الاياب
يا صديقى اليك منى التحيا ت وآى الثناء والاعجاب
آية العلم والجهاد بيمنا ك وظل السيوف حبر الكتاب

الاذن بالسفر الى مارب

قبل زيارتى اليمن للمرة الأولى فى اوائل سنة ١٩٢٧ كنت أطالع بعض ما كتبه الغربيون والشرقيون عن اليمن استعداداً لتلك الرحلة ولكنى ويا للاسف لم اجد ضالتى ولا ظفرت بالمعلومات الكافية عن هذا القطر العربى السعيد فعولت على ان ابحث بنفسى عن حال هذه البلاد عند ما اصل اليها وطبقت بالفعل هذه الفكرة منذ وطئت



نزيه بك وهو جالس فى مقبرة حميرية

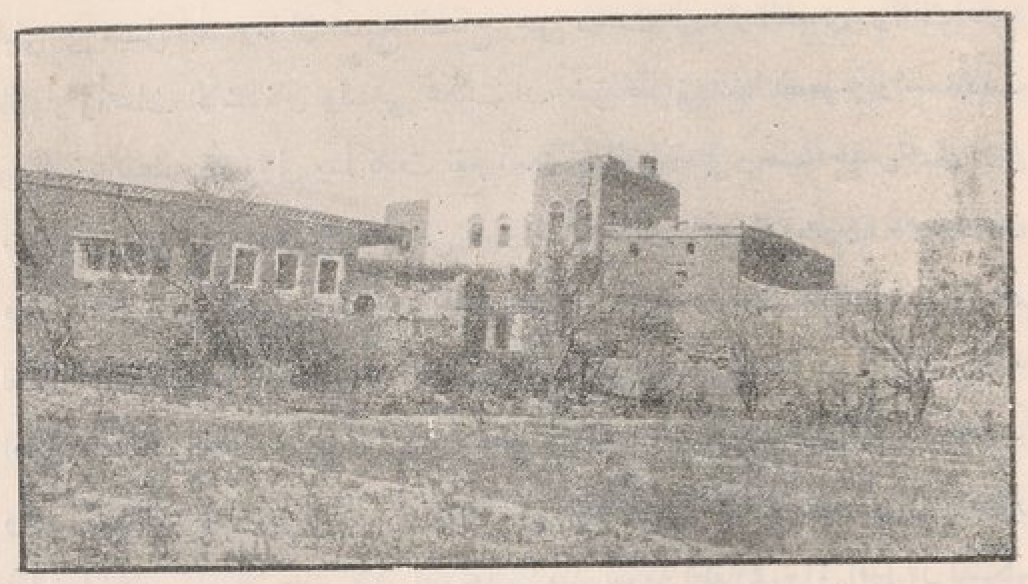
قدماى ميناء الحديدة الى ان غادرتها وكنت اسجل كل يوم مشاهداتى فى دفتر خاص وقد نشرت هذه الرحلة فى جريدة الجزيرة الغراء . وعند ما وصلت الى صنعاء فى تلك الرحلة قابلت واحداً من اشراف مارب وقص على قصصاً خيالية عن السد وعن مارب

وعن محرم بلقيس وجامع سليمان والكنوز المسحورة والجرف المسكون بالجن الخ الخ
وكنت قد طالعت فى تاريخ العرب قبل الاسلام للمرحوم جرجى زيدان شيئاً عن
هذه الاماكن فتحرك فىّ حب الاستطلاع والاستكشاف للمغامرة والسفر الى هناك
فطلبت من جلالة الامام ان يسمح لى بزيارة تلك البلاد بصحبة هذا الشريف فقال لى
جلالته هذا ليس بالامكان فسكتّ على مضض وزاد بى الشوق الى رؤية تلك البلاد
ولكن لم يتم لى ما اردت وغادرت صنعاء وفى نفسى غصة لعدم تمكنى من القيام بهذه
الزيارة

ثم سافرت الى اليمن فى السنة التالية وطلبت الى جلالة الامام ان يأذن لى بالقيام
برحلة الى مأرب فقال ليس هذا بالامكان لأن اهل تلك البلاد من القبائل البدوية غير
المتمدنة ولا يمكن لرجل غريب عن اليمن ان يذهب الى هناك فى الوقت الحاضر ومن
البديهى ان كلام الملوك ملك الكلام فلدى هذا الجواب الصريح لم انبس ببنت شفة
ولكنى لم اقتنع بهذا الجواب وكنت ارغب رغبة اكيدة ان اذهب على مسئوليتى ولو
ادى ذهابى لفقد حياتى ولكنى لم اجسر ان اصارح الامام بما كان يجول بنفسى
وانصرفت من بين يديه حزيناً كئيباً وغادرت اليمن فى نفس تلك السنة وانا على
هذه الحال

وفى السنة التالية زرت اليمن للمرة الثالثة واجتمعت بأحد العمال وكان مركزه
قريباً من مارب وقص على بعض القصص عن هذه البلاد مما احتدم بى الشوق الى
المغامرة والذهاب الى هناك مهما ادّى الأمر ففاتحت جلالة الامام بعزمى فرد طلبى
بلطف ، فقلت لجلالته إنى اذهب على مسؤوليتى وانى مستعد ان اكتب وثيقة بخط
يدى أرفع بها كل مسؤولية عن عاتق جلالته واذكر فيها انى هدرت دمى وأنى انا
الساعى الى حتفى بظلفى ولا يحق لأحد ان يطالب بدمى اذا قتلت او هلكت .
ولكن جلالة الامام رفض هذا الطلب ايضاً وافهمنى أنه لا يقبل بشكل من الأشكال
ان امس بسوء وانا فى ضيافته فأذعنت للامر مكرها وغادرت اليمن وفى نفسي شوق
لرؤية مارب

وغبت فى هذه المرة سبع سنوات ثم زرتها للمرة الأخيرة فى اواخر سنة ١٩٣٥ وعندما تشرفت بالمثول بين يدى جلالة الامام فى خلوة خاصة ابديت له رغبتى الشديدة بزيارة مأرب هذه المرة فتبسم جلالتـه ابتسامته المعروفـة اللطيفة واجاب مرحبا وعند سماعى هذه الـكلمة طارت نفسى شعاعا وحسبتنى فى حلم لا فى يقظـة وصرت اخلط بكلامى من شدة الفرح فادرك جلالته سرورى وقال لقد خضعت لنا جميع القبائل التى حول مارب وادت الرهائن ولـكن على كل الأحوال لا يركن كثيراً الى هذه القبائل فانها لا تزال على الفطرة الطبيعية ولـكن لا بأس من زيارتكم لمارب هذه المرة. وعندما سمعت هذا التأكيد تضاعف سرورى وبدت على وجهى عـلامات الارتياح الـكثير المقرون بالشكر الجزيل وأجبت جلالته ان لسانى قاصر عن التعبير بما يجول فى نفسى



فيلا وحديقتها ببئر العزب فى صنعاء مخصصة لضيوف الامام

وقلبى من الاعتراف بالجميل ، فقال جلالته اننا ادركنا هذا على وجهك ولا حاجة لك الى الافصاح اكثر من ذلك وهنا عدت فـكررت شكرى الجزيل واستأذنت جلالتـه فى الانصراف وخرجت من دار السعادة وانا اكاد اطـير فرحا

وكان ذلك اليـوم السابع عشر من شهر شعبان سـنة ١٣٥٥ وبعد بضـعة ايام ذهبت لزيارة جلالة الامام واستأذنته ان اذهب لمارب حالا حسب الوعد وقبل دخول

شهر رمضان فأجابني بلهجة غير طبيعية لا بأس تراجعوا مع العمرى، فانقبضت نفسى لهذا الجواب وادركت فى الحال ان فى الأمر سراً لأن جلالة الامام لا يحول مراجعات كهذه الى العمرى الا عند ما يريد ان يتخلص منها بلطف والعمرى هو رئيس ديوان جلالته ورئيس الوزراء والأمناء وبالاختصار هو كل شئ بعد الامام ويعول عليه جلالته فى جميع الأمور الصغيرة والكبيرة وهو فى الحقيقة رجل ذكى عالم فاضل محب لأمامه وبلاده ومخلص وامين له ولها كل الاخلاص

خرجت من المخيم المنصور وأنا منكمش النفس من هذه الاحالة ولكن لابد من الاذعان فى مثل هذه الأحوال وسرت الى الدار وأنا أفكر فى ما الذى طرأ على خاطر الامام حتى أراد أن يصرفنى عن هذه الرحلة ، فلم أتمكن من حل هذا اللغز وقضيت ليلتى على مثل الجمر وما ان أصبح الصباح حتى ذهبت الى دار العمرى وكانت غاصة بالزوار وأصحاب الأشغال ولكنى تمكنت أن أشق طريقى اليها بصعوبة واستأذنت فى الدخول عليه فأذنوا لى وما كادت تقع العين على العين حتى رحب حضرته بى اجمل ترحيب وهش وبش قائلا حيا الله من قد جاء كيف أنتم بخيرين ، طيبين ، مستريحين فقلت الحمد لله على احسن حال وأتمه فقال هل من حاجة ترومون قضاءها ، فقلت نعم لقد امر جلالة مولانا الامام ان أتحدث اليكم بشأن رحلتى الى مارب فقال نعم لقد امرونى بذلك ولكن لا يخفى عليكم ان هذه البلاد لم تدخل فى طاعة الامام الا حديثاً واهلها من البدو الرحل والسفر بينهم لأناس غرباء عن الديار لا يخلو من الأخطار فقلت انا لا تهمنى الأخطار لانى ابن بجدتها منذ نعومة اظفارى وانى اقدر ان اتكلم كالبدو وبوسعى ان ألبس لباسهم او لباس اهل اليمن فلا يدركون حقيقة امري . ولما رأى منى حضرته هذا الاصرار قال اذاً تذهبون برفقة العامل فقلت واى عامل هذا ؟ فقال عامل مارب فقدجاء منذ مدة الى هنا للتداوى لأنه مريض فقلت لا بأس وودعته وانصرفت شاكراً لطفه وحسن ضيافته

استعلمت من بعض الاصدقاء عن العامل فقيل لى انه كان مصابا بالملاريا وقدتداوى وشفى منها تماما وعند حصولى على هذه المعلومات اجتمعت بالقاضى عبد الله العمرى

مرة ثانية وقلت له ان العامل قد شفى من مرضه ولله الحمد فيا حبذا لو تأمرونه بلزوم الاسراع فى السفر قبل أن يدخل شهر رمضان فقال (مرحبا ناهى) أى جيد وغبت بضعة أيام ثم أعدت الكرة عليه وسألته إذا كان قد رأى العامل فأجاب بالسلب ولكنه وعدنى مرة ثانية بمقابلته فتركته وانصرفت وأنا مغتاظ جداً من هذا الامر ولكن وياللأسف ان مايغيظنا من ضياع الوقت لاقيمة له فى نظر أهل اليمن أبداً فهم لايقدرون الوقت حق قدره وعندهم الشهر واليوم (سع بعض) أى مثل بعضهما ولكن ما العمل وما الحيلة أنا فرد غريب بين أمة كبيرة ولا حول لى ولا طول فاضطررت مكرها أن اعتصم بالصبر وآخذ الأمور بالحكمة والتؤدة فدخل شهر رمضان وأنا لم أتحرك من مكانى ولكنى لم أيأس ولا قطعت الرجاء وبالرغم من اعتقادى انه لايوجد قوة فى العالم تخرج العامل من صنعا فى شهر رمضان عدت فذكرت جلالة الامام بوعده لى بالسفر إلى مارب فأجاب ألم تتموا شيئا مع العمرى فقلت كلا يامولاى . ان العمرى علق المسألة على العامل والعامل يقول انه مريض ولا يمكنه السفر فى الوقت الحاضر وأما أنا فأرى انه لالزوم لسفر العامل معى وفى استطاعتى أن أسافر وحدى أو برفقة جندى واحد . فضحك جلالة الامام من هذا الكلام وقال غير ممكن لابد أن نلزم العامل بالسفر معك لأن هذه الرحلة شاقة وأهالى تلك البلاد كما أخبرتك قبلا لايزالون على الفطرة الطبيعية ولم يروا غريبا فى ديارهم ولكن لابأس من عزمكم (أى سفركم) وكان العمرى حاضراً الحديث فأشار اليه جلالته بلزوم جلب العامل والاستفسار عن صحته . اطمأنيت قليلا عند سماعى هذا الأمر وشكرت جلالة الامام ودعوت له بطول العمر وخرجت من بين يديه مسروراً كأنى ظفرت بضالتى المنشودة وعشية ذلك اليوم لم تغمض لى عين وكنت أفكر فى نفسى وأنا أتقلب على سريرى من جنب الى جنب بين النائم والصاحى كأنى سليمان عليه السلام وكأنى سأحظى بلقاء بلقيس ملكة سبأ، ثم يمر بخاطرى تخوف جلالة الامام من هذه الرحلة وتردده فى اصدار أمر صريح بها كما هى عادته فى مثل هذه الأحوال فتساورنى الهواجس والمخاوف وأقول فى نفسى لابد أن جلالة الامام على حق فى تردده وأذكر ماقرأت فى بعض كتب التاريخ

عن الذين حاولوا الذهاب إلى مارب من الفرنجة أيام احتـــلال الترك لليمن فكان نصيبهم الموت بالامراض أو القتل من قبل أهل تلك البلاد ، فأستسلم لليأس وأحاول أن أصرف هذه الرغبة عن ذهني ولـكن قوة خفية داخلية تناجيني وتوحى إلى بأن لاأقطع الأمل وان ألح بالطلب فتعود الى همتى الاولى وبقيت كل شهر رمضان وأنا على هذه الحالة يوما أسر ويوما أحزن وتارة أيأس وطوراً أتشدد .فجاء العيد وانقضى بسـلام فراجعت العمرى وسألته ماذا تم بينه وبين العامـل فأجابنى انه اجتمع به فوجده قد شفى تماما من مرضه ولـكن يوجد له بعض الأشغال والحسابات لم يتمهامع بيت المال بعد فمتى أتمها يمكنـكم أن تسافروا على بركة الله

تـكدرت جـدا من هذه المفاجأة الجديدة وعولت على مغـادرة اليمن ولـكن خطر فى بالى فجأة أن أعرض هذه القضية على صديقى الـكريم القاضى محمـد راغب بك وزير خارجية اليمن وآخذ رأيه فيها لأنه أخبر منى بهذه البلاد وأهلها وقد قضى فيها عشرات السنين فذهبت اليه ذات يوم وكان مريضا فى فراشه فقصصت عليـه القصة من أولها الى آخـرها وأعربت له عن استيائى الشديد من هـذه الحالة فطيب خاطرى وهدأ روعى وقال لى ثق وتأكد أن جلالة الامام يحبك ويعزك كثيرا وقد سمعته مرارا يثنى عليك أعطر الثناء وهو بدون ريب خائف عليك من هذه الرحـلة ويعز عليه كثيرا أن تصاب بأذى لا سمح الله وأنت ضيفه وعزيزه فقلت له انى أهدر دمى وليكن جلالته فى حل من كل أذى يحصل لى وانى أشهدك على قولى هذا وأنت خير الشاهدين فقـال سأكتب لجلالته كتابا واعرض له فيـه القضية كما تريد فقلت أشـكرك جزيل الشكر فقال ولـكن هل تعلم أن كثيرين من الفرنجة والمستشرقين عزموا على السفر الى هنالك أيام الدولة العثمانية وكانوا يصطحبون معهم بعض الشرفاء من أهالى تلك البلاد وقد غمروهم بالعطايا والأموال ولـكنهم بالرغم من ذلك كله كانوا يقتلون من قبل بعض أفراد البدو ولم يعد أحد منهم سالما سوى غلاذر . قلت نعم اعلم ذلك كله ولا يهمنى ان عدت حيا أوميتا ، فلما رأى منى هذا الاصرار كتب لى رسالة الى جلالة الامام بهذا الخصوص .

فأرسلت هذه الرسالة لجلالة الامام وانتظرت جوابها عدة أيام فلم يردني ولا ورد الى القاضي راغب بك شيء بهذا الخصوص فاحترت في أمري وصرت أضرب أخماسا في اسداس فلم أتوفق الى حل هذا اللغز وكان قد انتشر خبر العزم على هذه الرحلة في أوساط صنعاء وكنت التقي بأناس كثيرين بعضهم يقولون انهم يرغبون الذهاب معي وبعضهم يسألونني متى أريد أن أسافر وهل عدلت عن هذا السفر فكنت أتميز غيظا لهذه الأسئلة ولا أعلم بماذا أجيب وأخيرا صممت تصميما شديدا أن أضع حدا لهذه المحاولات فزرت جلالة الامام والتمست منه أن يأمر بوجوب سفر العامل معي فورا وترك حساباته وشؤونه الخاصة مع بيت المال لبعد عودتنا وأعربت لجلالته انني مللت من الانتظار ومن القيل والقال ففكر جلالته هنيهة وبدت على وجهه امارات الاهتمام وقطب حاجبيه ثم حرك شفتيه وقال بحدة للعمري هيا عموا هذا الأمر وأجلبوا العامل وقولو له أن يوكل وكيلا ليرى حساباته ويعزم مع نزيه حالا.

طرت فرحاً لصدور هذا الأمر الصريح من جلالته ونهضت واقفا فقبلت يد جلالته وشكرته جزيل الشكر واستأذنت بالانصراف وأنا لا اكاد اصدق ماسمعت وما رأيت وما كدت أخرج من بين يديه وادخل غرفة القاضي العمري حتى أدركني حضرته وقال هيا استعدوا للسفر وبينما نحن بالكلام واذا بعامل مارب يدخل علينا فبلغه العمري أمر جلالة الامام وضرب موعدا للسفر يوم الاحد الموافق ٢٦ من كانون الثاني سنة ١٩٣٦ و٢ من ذي القعدة ١٣٥٤ . فاجاب العامل بالسمع والطاعة عند ما تلقى هذا الأمر وقال انه سيحضر عندي في البيت ليجهز الاشياء التي تلزمنا في هذه الرحلة فأجبت على الرحب والسعة اني بانتظاره في البيت من هذه الساعة وغادرته عند القاضي العمري وسرت الى الدار فرحا مستبشرا .

ولم يطل جلوسي في البيت كثيرا حتى جاءني العامل وهو كبسي الاصل نسبة الى مدينة الكبس واسمه السيد محمد بن حسين الكبسي المهجوة وبعد التحية جلس وامارات السرور بادية على وجهه فقلت له لقد أضعت وقتا طويلا بسبب مرضك وحساباتك فقال اني آسف جدا لهذا الامر ولكن ليس باليد حيلة فانا قد شفيت

ولله الحمد من الملاريا ولكن انظر الى يدى فهى لاتزال ملتهبة فنظرت الى يده فرأيتها مصابة بالاكزيما المزمنة فقلت ياصاحبى هذا مرض مزمن ولو شئت أن أنتظر لحينما تشفى منه فلا شك انى سأقضى بقية حياتى باليمن فضحك كثيرا لهذا الجواب وقال الخيرة بالواقع دعنا نستعد الآن وأخبرنى بالاشياء التى تريدها حتى نأخذها معنا من هنا .



باب الشقاديف قرب سراى الامام فى صنعاء

فقلت لا اريد شيئا سوى سلامتك انا عندى جميع حاجاتى فقال حسنا اذاً استعد الى بعد الغد صباحاً فسنعزم ان شاء الله مبكرين من هنا اكتسابا لبرودة الهواء فقلت أنا حاضر من هذه الساعة فقال حسنا وودعنى وانصرف وهو يبتسم لفرحى .

السفر الى مارب

وفى صباح الاحد الموافق ٢٦ كانون الثانى سنة ١٩٣٦ و ٢ ذى القعدة سنة ١٣٥٤ نهضت قبل الفجر وأقفلت حقائبى وجلست اتناول طعام الصباح وبينما انا كذلك واذا بالخادم يعلمنى أن جاويشا اى عريفاً من الجيش جاء يستأذن بالدخول فأذنت له فقال عينت بأمر من جلالة مولانا أمير المؤمنين أن ارافقكم الى مارب على رأس قوة كبيرة من الجند للمحافظة وها نحن تحت أمركم الآن والبغال حاضرة للحمل وللركوب فقلت لا أريد سوى بغلة واحدة لركوبى واخرى لحمل حقائبى وأشرت الى الحقائب فقال حسنا وفى الحال صاح بالجنود فدخل منهم ثلاثة حملوا الحقائب وشدوها على البغلة بسرعة زائدة وفى هذه الاثناء وصل العامل وقال أصبحتم (أى صبحكم الله بالخير) فاجبنا صبحكم الله بالخير والعافية فقال هل أنتم مستعدون للمشى فقلت على تمام الاستعداد وحوائجى أصبحت على ظهر البغلة فقال هيا باسم الله فخرجنا من الدار وسرنا فى الطريق يتبعنا الجند والبغال وفرس العامل وكثير من اصدقائنا المودعين وسار هذا الموكب معنا الى باب الشقاديف وهنا عاد المودعون أدراجهم فامتطينا بغالنا وسرنا باسم الله . والتفت حولى واذا أنا بين قوة كبيرة من الجند يبلغ عددها نحو أربعين رجلا بكامل عددهم فاستغربت من هذا الأمر وسألت العامل : لماذا كل هذه القوة هل نحن ذاهبون الى حرب؟ فقال لقد أمر جلالة الامام بخمسة عشر جنديا لمرافقتكم وأما الباقون فهم جنود من جنود مارب وضابطهم وقد كانوا هنا مأذونين وانقضت مأذونيتهم والآن يعودون الى مركز وظيفتهم بمارب فقلت حسنا وسرت فرحا مستبشراً وكانت طريقنا تسير الى جانب الجبال اى جبال نقم فبراش فالريد شرقا بشمال الى أن وصلنا الى أسفل واد يقال له وادى السر ومن هنا اتجهت شرقا

تماماً . ويقال للبلاد الواقعة بين صنعاء ووادى السر ّ بلاد بنى الحارث وبعد اجتيازها دخلنا فى بلاد حشيَش وجبالها بركانية سوداء وأما جبال وادى السر وما يليها من الجبال الى جهة الشمال فجبال كلسيه وبينها جبل مشهور جدا فى اليمن ويقال له الغراس يجلبون منه الاحجار الكلسية الى صنعاء فيحرقونها ويصنعون منها ما يسمونه القص اى الكلس ويجلبون منه ايضاً المرمر الذى ينشرونه الواحا دقيقة ويستعملونها عوضاً عن الزجاج وقد شاهدت فى أول وادى السر طبقات كثيرة من الحديد فى عرض الجبال فى كل مكان ولا شك أن الجبال المحيطة بهذا الوادى تحوى بعض المعادن .



بعض رجال الحرس الذى رافقنى الى مدينة مارب وعلى رأسهم يقف شقيق العامل السيد احمد الكبسي الهجوه

وبينما كنت أفحص بعض الطبقات الحديدية استلفت عملى نظر الجاويش الحاج يحيى المعدنى فسألنى ما هذا فقلت له هذه طبقة من الحديد ويمكن الاستفادة منها واستخراج حديدها فقال نعم نعم يوجد فى اليمن حديد ومعادن كثيرة ولكن أهله لا يهتمون بذلك إلا يسيراً وأردف قائلا انه رأى عند ما كان بصعدة فى قرية يقال لها

مجدْ جبلا عظيما من الحديد وأهل هذه القرية جميعهم حدادون يستخرجون الحديد من جبلهم هذا المدعو (خنفَـرْ) ويصنعون منه أدوات كثيرة أو يبيعونه كحديد فى البلاد القريبة منهم .

وفى الحقيقة هـذا أمر مؤسف جداً فبينما يوجد الحديد فى اليمن بكثرة تجـدهم يستوردونه من الخارج بكميات كبيرة وينفقون فى الحصول عليه أموالا طائلة . وليس الحديد فقط هو الموجود فى اليمن ، بل توجـد معادن كثيرة غيره ولـكن جلالة الامام مشغول بمهامه الخطيرة عن هذه التفاصيل وحين يوجه اليها اهتمامه العالى ستعود على البلاد بالخيرات الوفيرة

وادى السر وجبل مصنعة

وشاهدت فى الطريق قبل وصولنا إلى وادى السر شجراً بريا يشبه ورقه ورق الـكباد وزهره أحمر وقيل لى انهم يستعملونه فى صناعة فحم البارود ويستعملونه أيضاً عوضاً عن الـكىّ فى الالتهابات اذ يأخذون منه غصناً ويقطعونه اربا اربا فتخرج منه مادة بيضاء تشبه الحليب فيضعونها فوق المـكان الملتهب الذى يريدون كيه وبعد برهة من الزمان ينفتح وتخرج منه المواد القيحية .

بعد السير زمناً يسيراً فى وادى السر وصلنا إلى قرية القَـمْـمه ـ بالقاف المهملة ـ وهى آخر مرحلتنا فى اليوم الأول وهى مرحلة صغيرة نحو خمس ساعات ، وضفنا هنا الحاج ناصر بن على الشاويش وهو أمين صندوق مدينة مارب وقد أتى إلى بلدته مأذوناً فى العيد · وداره أنيقة وجميلة ذات ثلاثة طوابق مبنية من الحجر واللبن وسلمها ـ خلافا لأ كثر مبانى القرى واسع ـ ومتقن البناء وكل شىء فيها منظم ومرتب ، ودخلت أنا والعامل والضابط واثنان من (الجاويشية) إلى صالون الاستقبال وهو غرفة كبيرة مستطيلة طولها نحو ١٢ متراً وعرضها نحو ثلاثة أمتار وهى تشبه فى كثير من الأحوال مضافات قرى جبل الدروز فى الشام إلا أن نوافذها من المرمر عوضاً عن الزجاج

وما كاد يستقر بنا الجلوس حتى قدموا لنا طعام الغداء وكان صاحب الدار يخدمنا

بنفسه وهـذه عادة من عادات العرب الجميلة، أى أن المضيف لا يجلس مع ضيوفه على الطعام بل يقوم بواجب خدمتهم الى أن يتموا طعامهم وعندئذ يتناول طعامه مع من يفدون عليه من أهل قريته للسلام على الضيوف والاحتفاء بهم . وكان طعامنا كناية عن خبز مغطوط بالعسل والسمن ولحم مطبوخ بالفلافل والبهارات وحلبة وشعيرية مطبوخة مع البيض على طريقة طبخ المعكرونة وعند ما قدموا الشعيرية قال العامل تفضل كل من معكرونة اليمن، فأكلت منها فوجدتها جيدة كثيراً فقلت لا شك انها شهية كما أن جميع طعامكم فى اليمن شهى جداً ولـكنـكم مع الأسف تـكثرون من الفلافل والبهارات وهـذا ما لا نستسيغه نحن فقال عجيب عجيب . فقلت ما هو عجيب فلـكل امرئ من دهره ما تعودا فقال صحيح . صحيح

بعد الطعام جلس العامل ومن معنا من الرفقاء فى مجلس القات وأخذوا يخذنونه اى (يمضغونه) بكثرة ويدخنون المداعة إلى أن فسد هواء الغرفة من كثرة الدخان فاستأذنتهم فى الخروج الى خارج القرية والطواف بجبالها فقالوا تفضل اذهب حيثما أردت وأمروا بعض رجال القرية وبعض الجنود بمرافقتى فخرجنا جميعاً وطفنا الجبال القريبة للقرية للبحث عن المعادن فلم أجد شيئاً سوى الحديد وأكثره من نوع هماتيت ثم أشاروا لى الى جبل واقع شرقى القرية وقالوا توجد هنالك آثار حميرية فقلت هيا بنا نذهب ونشاهدها وسرنا مسافة عشرين دقيقة تقريباً عن القرية فوجدت بعرض أحد الجبال العالية ويقال له جبل المصنعة كهوفاً حميرية يظهر أنها كانت مقابر للحميريين ولـكن لا يوجد على أبوابها أو فى داخلها نقوش حميرية ويستعملها الأهلون الآن كملجأ لطروشهم أيام المطر ويوقدون فيها ناراً وصعدت من هذه الـكهوف الى رأس الجبل وهو مربع الشكل تبلغ مساحته نحو ربع كيلو متر مربع وتظهر فيه بعض الخرائب الحميرية (والمواجل) أى خزانات المياه ويبلغ طول الخزان من ثلاثة الى أربعة أمتار وعرضه نحو متر ونصف متر الى مترين وشاهدت فى هذه الخرائب القديمة بعض أحجار المطاحن المـكسرة ورأيت أيضاً أحجاراً من المرمر لا يوجد عليها كتابات بل نقوش وحفر وكأن بعضها كانت تستعمل فى بحيرات من الماء . وأبصرت كثيراً من الأحجار

الـكبيرة وقد كسرها أهل هذه البلاد استعداداً لنقلها لبناء دورهم .

عدنا من جبل المصنعة قرب غروب الشمس ورأيت فى طريق بعض كروم العنب وقد صنعوا لها عرائش من الحجارة لتمتد فوقها والكروم فى وادى السر كثيرة وعنبها جيد ويتأخر كثيراً حتى ينضج لأنه فى وديان باردة ورأيت ايضاً شيئاً من القضب اى الفصة والحنطة والشعير والذرة وبعض اشجار البلس اى التين والأثل وغيره من الأشجار غير المثمرة . ومعظم هذه النباتات والأشجار فى هذه الجهة تنمو عقراً اى بعلية فلا تشرب الامن ماء الأمطار

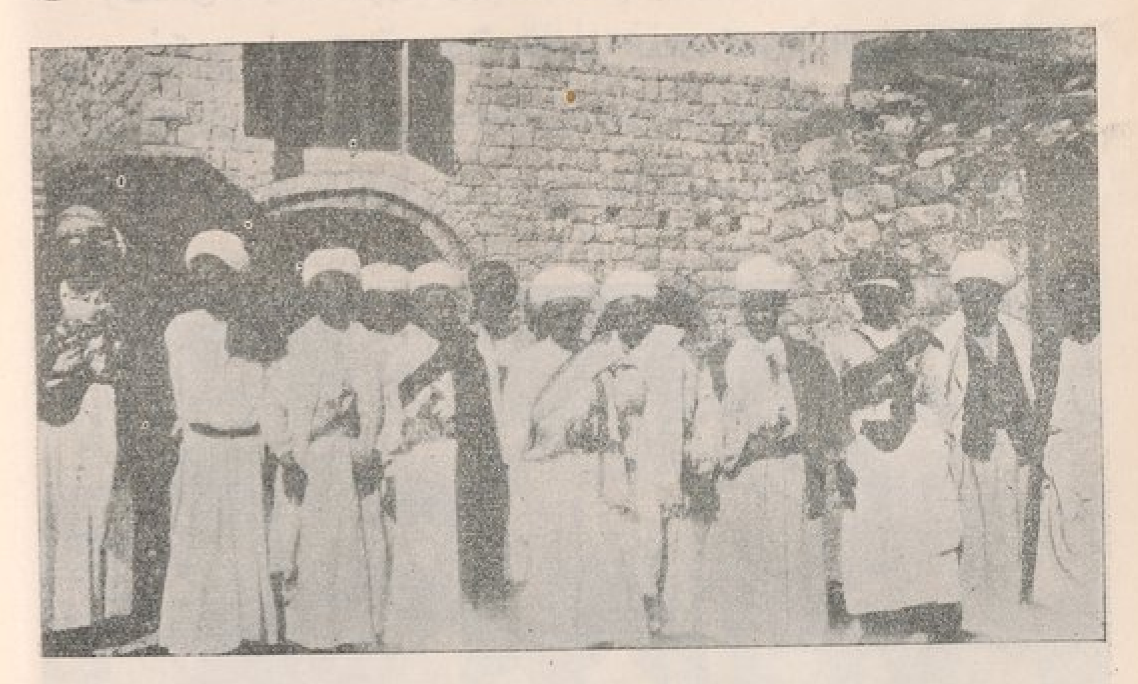
وصلنا الى الدار عند الغروب وذهبنا الى مسجد القرية للصلاة فوجدت بالقرب منه خزانا وبئراً فتوضأنا وصلينا . وبعد تأدية فريضة الصلاة عدنا الى البيت فتناولنا القشر (اى قشر البن المغلى) وجلسنا هنيهة نتحدث ثم جاءنا العشاء فلم اتمكن من الأكل الا قليلا وبعد العشاء سمرنا الى ساعة متأخرة من الليل ثم قمنا للنوم ولـكن لم تغمض لنا جفن اما



السيد عبد الله الوزير عامل الحديدة وفاتح بلاد سبأ والى يساره القاضى على العمرى فسليم بك الفاخورى أمير لواء جيش الحديدة

اصحابى فكان سبب امتناع النوم عنهم كثرة ما خزنوه من القات وا كلوه من الطعام واما انا فكنت افكر بمارب وبلقيس وسليمان عليه السلام ومضى قسم طويل من الليل وانا على هذا الحال ولم انم الا قبيل بزوغ الفجر مدة يسيرة

وبعدصلاة الصبح مشينا يوم الاثنين الموافق ٢٧ من كانون الثانى من قرية القمعة وهبطنا فى طريق ضيقـة وعرة الى قرية آل الوزير وقد بنى هؤلاء السادة ومنهم السيد على الوزير أمير جيش تعز والسيد عبد الله الوزير عامل التهامة والحديدة وغيرهما من آل الوزير بيوتا فخمة يصح ان يقال عنها انها سرايات على طراز بيوت صنعاء ولكنها اكبر منها وأجمل. وآل الوزير أسرة كريمة فى اليمن منيعة الجانب ورجالها محبوبون من الجميع



نجل السيد على الوزير أمير جيش لواء تعز بين لفيف من أصحابه

وتكثر فى هذه القرية الـكريمة وقدصنعوا لها عرائش من الحجارة الطويلة والتين والقات والأثل والقضب والبر والشعير وفى الحقيقة جميع وادى السر مغروس بهذه الأشجار والنباتات وقراه متصلة بعضها ببعض من أوله فى قرية القمعة الى قرب آخره فى قريـة قاع الصلاحى ويوجد بين هذه القرى الـكثيرة بعض القرى اليهودية ويصنع اليهودهنا الأدوات الفخارية ويتعاطون جميع الأشغال اليـدوية من بنـاء ونجارة وحدادة الخ

وهيأتهم تدل على أنهم من رجال القبائل وتكثر فى هذا الوادى الآبار كثرة عجيبة ويختلف عمقها من ١٢ الى ١٥ متراً وماؤها كثير وجيد

ويقع الى الجهة الشمالية من هذا الوادى جبل صِراع وهو فى أول بلادهم ويقع الى جنوب الوادى جبل اللوز من أعمال بلاد خولان وهو مشهور باللوز والبن والقات ويليه من جهة الشرق جبل عطية المشهور بكثرة المراعى ولا يسمح أهله لأحد ن يرعاه الا باذن منهم . وتقطن بالقرب منه قبيلة بنى عبس

وقبل أن نصل الى آخر هذا الوادى شاهدت قرية صغيرة جميع بيوتها مبنية من الطين بشكل يسترعى النظر لعدم دقته وبساطته فصورتها وبعد ما صورتها مشيت فتبعنى جم غفير من الاولاد وأخذوا يصيحون على العامل الذى كان ماشيا أمامى بأعلى صوتهم قف وعندما وقف شكونى له قائلين اننى صورت قريتهم ولا شك انها أعجبتنى وسوف ننقلها لمارب فقلت نعم ان قريتكم جميلة فما اسمها فقالوا جميعهم يقال لها عيال أقير فقلت أشكركم ان شاء الله متى نقلناها الى مارب ننقلكم أنتم أيضا معها فقالوا لا لا نريد نحن سنذهب الى صنعاء وأخذ أكبرهم سنا يقص على العامل مشاهداته عندما زار صنعاء قبل بضعة أسابيع وما زالوا ماشين معنا مسافة طويلة وهم يسألون العامل عن حقيقة نيتنا بشأن نقل قريتهم الى أن طمأنهم حضرته بأننا سوف لا ننقلها بل نتركها لهم فشكروه كثيرا واعادوا أدراجهم فرحين مسرورين

نقيل شجاع والظبيانى (١)

وبعد مسير ساعة من الزمان من قرية عيال أقير وصلنا الى رأس نقيل يقال له نقيل شجاع ويعلو عن سطح البحر ٢٥٠٠ متر أى انه أعلى من صنعاء بنحو ٥٠ متراً هبطنا فى هذا النقيل نحو ساعة من الزمان وكانت الطريق وعرة للغاية ولو لبية فاضطررنا أن ننزل عن البغال ونمشى على الأقدام . وجبل شجاع هذا جبل بركانى عظيم حجره اسود أصم وقد أخبرنى العامل ان الامام أحمد بن الحسن الملقب بسيل الليل هو الذى

---

(١) النقيل هو الطريق الوعر فى الجبل العالى

عبد هذا الطريق عندما غزا حضرموت قبل ثلاث مائة سنة . وعندماهبطنا النقيل ووصلنا الى آخره فى وادى، حريب سألنى العامل كم هبطنا من رأس النقيل الى أسفله فأخرجت من جيبى ميزان العلو ونظرت اليه وقلت أربعمائة متر وماكدت أتم عبارتى حتى ظهر أمامنا رجل رث الثياب كبير الهامة قبيح المنظر اسود اللون وصاح بنا ماهذا؟ ماذا تفعلون هنا ؟ وما شأن هذا الغريب بينكم . هذه بلادنا لانريد أن يدخلها غريب ولا أن تفعلوا هنا شيئا فأجابه العامل بهدوء وتؤدة أنا عامل مارب وهذا رجل مستخدم فى الجيش عند الامام ونحن ذاهبون الى مارب فى خدمة الامام . فحملق بى طويلا كأنه يريد أن يقرأ فى وجهى صحة هذه الأقوال وكانت نظراته رهيبة ومخيفة وبندقيته فى يده وكأنى به لم يعبأ بنا ولا بجميع الجنود التى معنا وقال لى هيا قل من أين أنت فأدركت حراجة الموقف، وبالنظر لسابق معرفتى بالبدو وأحوالهم وعلمى انهم لايرهبون غير القوة تجلدت وشددت عزائمى وقلت أنا من بلاد الله الواسعة وذاهب فى خدمة الامام فاذهب بطريقك ولاتتدخل فيما لايعنيك، وهنا خشى العامل من تفاقم الشر مع هذا الرجل فأتى اليه وقاده بيده وقال هيا سر فى طريقك باسم الله . فسكت عندما سمع حقيقة أمرنا وكان يسمع بشدة عاملنا وبأسه نخضع للأمر وسار مكرها وهو يلتفت الى الوراء ويتمتم كلاما لم أفهمه . وقد أدركت فى اللحظة التى كنت اكلم هذا الرجل سبب تخوف الامام من قيامى بهذه السياحة الخطرة وقدرت لو انه كان يوجد مع هذا الرجل بعض رجال من عشيرته أو قبيلته لما انتهى الحال بيننا بسلام وبعد ما ابتعدنا عنه سألت العامل من هو هذا الرجل ؟ فقد أعجبت به وقدرت رجوليته وشجاعته . فقال هذا من قبيلة بنى ظبيان المشهورة بسطوتها وبأسها وشجاعتها ولم تدخل فى طاعة الأمام الا منذ زمن يسير وقد أدخلها جلالته فى طاعته بالسياسة لا بالحرب لان عددها عظيم وبلادها وعرة ورجالها كما رأيت شجعان متوحشون، فقلت الله يحفظ الامام لاشك أنه يعرف من أين تؤكل الكتف وكيف يجب أن يعامل الناس والقبائل، ومشينا وقتاً طويلا والعامل يحدثنى عن بعض حروب بنى ظبيان مع جيرانهم من القبائل .

وادى حريب

وشاهدت فى هذا الوادى الذى هبطنا اليه وأخذنا نسير فيه من أسفل فقيل شجاع ويقال له وادى حَرِيْبْ كثيرا من النباتات الغريبة ذات الروائح الزكية ومنها نبات يقولون له الضَرُوْ له رائحته (أروماتيكية) تشبه رائحة زيت التربنتينا ويستعمله الأهلون فى أمراض الكبد والكلى وذلك بأخذ شىء من غصونه فيغلونها ويشربونها ومنها نبات يسمونه فُحِيّه وله رائحة اروماتيكية زكية ويطبخونه مع الحلبة أو يضيفونه الى اللبن الرايب كالنعناع ومنها نبات يقولون له شاه الترنج وله رائحة عطرية جميلة ورأيت شيئا كثيرا من الاشجار غير المثمرة ويقولون لها العِلْبْ والدَوْمْ والبشر والاثب ويصنعون منه الفتيل للبنادق العربية القديمة والسُمُر الى غير ذلك.

ووادى حريب يوجد فيه عدة قرى صغيره وبعيدة بعضها عن بعض وقد مررنا اثناء مسيرنا فيه بقرية البديع الاعلى والبديع الأسفل وغيرهما ويوجد حول هذه القرى شىء قليل من الاشجار المثمرة كالكرمة والبلس ويوجد من النباتات شىء يسير من القضب والشعير والحنطة وبالقرب من البديع الأعلى رأيت غيلاً صغيراً (أى نبعاً صغيرا) يقال له غيل البديع وقد شربنا منه وصلينا عنده واسترحنا قليلا بجانبه . وبعد مسير تسع ساعات تقريبا وصلنا الى آخر رحلتنا الثانية وحطينا رحالنا فى قرية اللكمة . وعند وصولنا الى القرية رأيت جمهوراً كبيراً من الرجال تجمعوا فى أولها وما كادت تقع عينهم على العامل حتى نادوا بأعلى صوتهم يامرحباً وساروا أمامنا الى أن وصلنا الى دار كبيرة فتقدم أحد الرجال من العامل وقال هيا انزلوا فحولنا عن بغالنا ودخلنا الدار خلفه وهى حسب العادة الدور الاول للحيوانات والدور الثانى للسكن وصعدنا الى الدور الثانى فى سلم لولبى مظلم ودخلنا غرفة مستطيلة فسيحة هى المضافة ولاحظت أن لها عدة نوافد ولكنها صغيرة فجلس العامل وأصحابى وأخذوا فى الحال يدخنون المداعة (النرجيلة) وأما أنا ففضلت النزول والطواف فى القرية وحولها وأبديت رغبتى هذه لصاحب الدار فأوفد معى واحداً من أهل القرية

فطفت فيها قليلا ودورها تزيد على العشر قائمة الى سفح جبل فوق ضفة الوادى ورأيت فى هذا الجبل عروقاً من (الكورتز) وشاهدت بعض الاحجار وفيها نوع براق من الحديد وهو مايسمونه بذهب المجانين . ورأيت حول القرية حقولاً جميلة غرسها اصحابها بنا وشعيراً وحنطة ويسقونها من ماء الآبار .



أحد المنازل بالطريق وليس فيه نوافذ بل كوات

عدت الى الدار من هذه الدورة كما يسمونها باليمن أو بالجولة كما نسميها نحن فوجدت العامل قد أخرج مصباح اللوكس الذى جلبه لنا معه ليشعله لان وقت الظلام قد دخل وحيث انه كان حديث العهد باستعماله كلفنى أن اشعله وأخذ جمهور الحاضرين من الرجال والاولاد الذين تجمعوا بالمضافة من أهل القرية لتحية الضيوف يراقبون حركاتى ويراقبون ماذا أفعل باللوكس ولما أشعلته ورأوه يضىء المكان فجأة خافوا كثيرا وبعضهم فرّ الى خارج المضافة وبعضهم ابتعد عنى بعيدا واخذوا يستعيذون من الشيطان الرجيم. وأما صاحب الدار المدعو الشيخ على الجحيزأ فقد سبق له ورأى اللوكس فى صنعاء لذلك أخذ يخفف روعهم ويدعوهم الى الدخول ثانية

ويفهمهم بانه ليس سوى مصباح كبير يولع بالكاز كغيره من المصابيح وبعد هنيهة عاد القوم الواحد بعد الآخر وهم ينظرون اليه نظرات ملؤها الخوف والعجب

وبعد هنيهة جلبوا لنا العشاء وكان حنطة مسلوقة ومدقوقة دقاً ناعماً (تشبه الكبيبة الشامية) ويدعونها الهريش ووضعوها فى وسط المضافة ودعانا رب البيت للقيام للطعام فقمنا وغسلنا ايدينا الواحد تلو الآخر داخل اناء أعد خصيصاً لهذه الغاية ثم جلسنا حول المائدة وهى بساط مدّ على الارض ووضعت فوقه الهريش وما كدنا ننتظم بالجلوس حتى جاء رب البيت ومعه بعض الغلمان يحملون مرق اللحم والسمن وقال بصوت عال يامرحباً حيّ الله من قد جاء وصبّ مرق اللحم فوق الهريش ثم صب فوقهما السمن فأخذت لقمة من هذا الطعام الذى لم يسبق لى أن أكلته وذقتها بفمى فوجدتها لذيذة للغاية ولا أعلم هل كانت حقيقة لذيذة الى هذا الحد ام أن الجوع هو الذى جعلنى أستطعم بها كذلك ولكن على كلا الحالين أكلت كما يقولون بالخمسة والكف لأننا ما أكلنا شيئا وقت الظهر رغبة منا فى عدم التوقف لان مرحلتنا كانت طويلة وبعيدة . وما كدنا ننتهى من أكل الهريش حتى دخل علينا رب البيت وخلفه بعض الغلمان يحملون عدداً من الذبائح المطبوخة وطرحها رب البيت أمامنا ثم أخذ يقطعها قطعاً قطعاً وعندما انتهى من عمليته مد العامل يده الى احد هذه الاطباق ورفع منه قطعتين كبيرتين واعطاهما الى رب البيت قائلا هذه حصة الطباخات أى النساء اللواتى طبخن الذبائح ، وهذه عادة شائعة عند العرب فى هذه البلاد فالذبيحة من حق الضيف وصاحب البيت يطبخها كاملة ولا ياخذ منها شيئا ولذلك يقدم الضيف نصيب النساء اللواتى طبخنها قبل أن يأكل منها أحد . ثم بعد انتهاء هذه المراسيم التى لابد منها صار صاحب البيت يوزع على الحاضرين اللحم الى أن وزعه جميعه وأخذ القوم وكان عددهم يزيد على الخمسين يلتهمون هذه اللحوم فمنهم من كان يقطعها باسنانه ومنهم من كان يبتلعها بلعاً ومنهم من كان يمص العظم مصاً ومنهم من كان يدقه دقاً على ركبتيه ليخرج المخيخ من داخله، ودام أكل اللحم على هذا الشكل نحو ربع ساعة من الزمن .

الجباة والمخاوف

بعد الانتهاء من حفلة أكل اللحم غادر المضافة بعض أهل القرية وأتى دور القشر فجلبوا لنا منه شيئاً كثيراً وأخذ جميع الحاضرين يتقشرون (أى يشربون القشر) ويسمرون إلى ساعة متأخرة من الليل ودار بينى وبين صاحب الدار حديث طويل عن الهواء ومنافعه والبرد ومضاره وكان السبب فى ذلك أنى جلست بجانب الكوة الصغيرة وفتحتها وأخذت أستنشق من الهواء الطلق الذى يدخل منها رأساً فاعترض رب البيت على عملى وقال هذا مضر جداً بالصحة ويجلب البرد ، والبرد الله يدّينا العافية (أى يعطينا) هو سبب سبعة وسبعين مرضاً فقلت لا . أظن ثمانية وسبعين فقال لا دين الله هكذا يقولون ، وقولهم صحيح فقلت له البرد لا يضرنى لأن بلادنا باردة فقال وأين بلادك فقلت الشام فقال وهل بردها أشد من بردنا فقلت نعم إن بردها أشد من برد صنعاء لا بردكم ويهبط عندنا الثلج مراراً أيام الشتاء وتتجمد المياه الساكنة فتعجب لذلك كثيراً وسكت. ولاحظت أن المضافة مملوءة بالكُتّان (أى البق) فأيقنت أنى سوف لا أنام هذه الليلة فقلت لصاحب البيت انى أرغب أن أنام فوق السطح فلم يفهم منى معنى السطح وبعد محاولة طويلة بشتى الأساليب أفهمته ما هو السطح وأفهمنى أنهم يقولون له الجباة فقلت حسناً انى أريد أن أنام فوق الجباة فقال لا هذا غير ممكن فالبرد شديد وهو مضر جداً وعاد إلى القاء محاضرة عن البرد فأعدت أقوالى بأنه لا يضرنى وانى لا أقدر أن أنام فى المضافة لكثرة الكتان ، فقال وأين كيسك لم لا تنام فى الكيس فقلت له لم أتعود على النوم بالأكياس فأخذ يفهمنى منافع النوم بالأكياس وأنها تقى الانسان من شر البرد ولا يدخلها الكتان ولا النامس (أى البعوض) ولا غيرهما من الحشرات وقدم لى كيساً من عنده فقلت لا يمكننى أن أنام فيه بل أفضل النوم على الجباة فتدخل العامل حفظه الله بالأمر وقال له ان البك معود على النوم فى الهواء والبرد وهما لا يضرانه فافرشوا له فوق الجباة كما يريد ولما سمع صاحب البيت كلام العامل وهو بمثابة الأمر أذعن له وصعد أمامى الى الجباة فصعدت خلفه وسررت كثيراً عند ما وجدت

أن للسطح سورا من الطين بنى فى الجهات الأربع الى علو متر ونصف تقريباً ووجدت فراشاً غليظاً قد مد الى الأرض فخشيت أن يكون مملوءاً بالكتان فقلت لرب البيت لالزوم للفراش واكتفيت بعباءتى (وبطانياتى) وجل ما كنت أتمناه هو أن يتركنى الناس لأتمتع بخلوة خاصة لنفسى فى ربوع الطبيعة الجميلة ولذلك تناومت عند مامد لى (البطانيات) فأدرك رب البيت ذلك وقال لاشك أنكم تعبتم من السفر وتريدون النوم والاستراحة وهو ذا نحن نستأذنكم وأشار الى بعض رجاله الذين رافقونا الى الجباة بالنزول فنزلوا وحمدت الله على نزولهم، فأطلقت لفكرى العنان هنيهة واذا بشقيق صاحب البيت المدعو محمد الجحيزأ يأتى لعندى وهو يسحب غلاماً من يده ويقول مساكم الله بالخير والعافية فقلت مكرهاً أسعد الله مساءكم فقال لابد أنكم تعرفون دواء لأخى الصغير هذا وأشار الى الغلام فقلت وماذا أصابه فقال انه يبرد ويسخن كل يوم وفى أكثر الأحيان يبدأ البرد معه نحو العصر ويسخن الى الليل ولا تذهب عنه السخونة الا بعد أن يعرق كثيراً فأدركت أن الولد مصاب بالملاريا فأخرجت بضع حبات من الكيناء وأعطيته اياها قائلا له فليشرب كل يوم ثلاث حبات منها فشكرنى كثيراً على ذلك وظننت لأول وهلة أنه سيفارقنى ويذهب فى سبيله ولكنه لم يفعل فقلت له لا شك أن البرد سيحضر بالغلام فخذه الى الدار فقال للغلام هيا اذهب فذهب الغلام وبقى هو جالساً عندى فاستعذت بالله من هذه الزيارة غير المرغوبة فى مثل هذا الوقت ولكنى تمسكت بالصبر فقال أتريدون الذهاب الى مارب فقلت نعم فقال وماذا تفعلون هناك فاحترت فى أمرى وماذا عسانى أن أجيب فقلت ذاهبين فى خدمة جلالة مولانا الامام فقال الله يحفظ الامام كانت هذه البلاد متوحشة وأهلها دائماً يقتتلون ويذبح بعضهم بعضاً ذبح النعاج ولكن منذ دخلها الامام صار الذئب والغنمة مع بعضهما أى مثل بعضهما الله يحفظ الامام فقلت آمين فقال ومارب كانت أيضاً حالتها أشر من حالة بلادنا ولكن منذ فتحها ابن السيد[١] أمن الناس على أنفسهم وعلى أموالهم ولكن بعد ما ذهب العامل سيدى محمد الذى

---

(١) يعنى عبدالله الوزير اذ يقولون لآل الوزير بيت السيد

معكم الى صنعاء تغيرت نفوس الأهلين لأنه وكل شقيقه احمد واحمد صغير ولا يعرف مداراة الناس ويشدد عليهم كثيراً ولذلك تجدهم الآن مستائين ولكن مادام سيدى محمد قدحضر فلاشك أنه سوف يحسن اليهم ويستعطفهم ويطيب نفوسهم. ماسررت كثيراً من هذه الأخبار التى تدل على احتمال وقوع ثورة لأنى لا أرغب أن تحصل ثورة وأنا هناك لا لأنى أخشى الثورات وأخاف من الاصطلاء بنيرانها بل لأنى أرغب أن أشاهد الآثار. تناومت أمام هذا الضيف الثقيل الذى نقل إلى أخباراً أزعجتنى وأبعدتنى عن أفكارى الأولى وخيالاتى وأحلامى فى هذه البلاد فشعر بذلك وقال اى هيا نستأذنكم صار وقت النوم فقلت بأمانة الله وحراسته والى اللقاء صباحاً ان شاء الله.

ذهب محمد فى سبيله وعدت أنا لخيالاتى وأول ما خطر لى هو عدم رغبة جلالة الامام للسماح لى بالقيام بهذه الرحلة وقلت فى نفسى لاشك أن جلالته كان على صواب فى تخوفه من دخولى هذه البلاد لأنى فى الحقيقة كنت ألاحظ أثناء الطريق أن جميع المارة من نساء ورجال وأولاد كانوا لا ينظرون الىّ بعين الرضى وها هو ذا محمد شقيق صاحب البيت يظهر لى ارتيابه من زيارتى ويفهمنى بأن البلاد ليست هادئة بل مضطربة وقد يحدث مالا تحمد عقباه. ظللت وقتاً طويلا تنتابنى أفكار مزعجة ومقلقة ولكنى قد الفت المغامرات والمخاطر منذ نعومة أظفارى لذلك كنت أطرد هذه المخاوف بقولى لنفسى مهما يحصل معى من الأخطار لا أظنه سيبلغ عشر معشار الأخطار التى اجتزتها بحياتى ولا بد من القيام بهذه الرحلة واتمامها مهما أدى الأمر.

وبعد قليل استسلمت الى سلطان الكرى ونمت نوما هادئا الى طلوع الفجر وقد أنهضنى من رقادى البرد لأنه فى مثل هذا الوقت المتأخر من الليل يشتد فى هذه البلاد الجبلية النائية ولكنى بقيت متمدداً فى مكانى أراقب النجوم والكواكب وأفكر فى الأدوار التى مرت على هذه البلاد فى عهد الحميريين وبعدهم وكم طوت من أناس وشعوب لا يعلم عددها الا الله وأفكر فى ذاتى فأقول من أنا ؟ ومن أين أتيت ؟ والى أين مصيرى ؟ ولدى هذه الأفكار والرموز التى حار فى حلها عقل الانسان رأيت نفسى صغيراً حقيراً لا أدرك من سر هذه الحياة لا قليلا ولا كثيراً ، فوحدت الله الواحد

القهار وحمدته على هداه إيانا بالدين الحنيف وشكرته لبعثة النبي محمد ﷺ ونهضت من الفراش فتوضأت وصليت الصبح بقلب مفعم ايماناً وشكراً .

الدهود بالسليط والسمن

وبعد صلاة الصبح نزلت الى المضافة فوجدت السيد محمد العامل جالساً يتقشر ويدخن مداعته (شيشته) فتقهويت معه وجلب لنا رب الدار ما تيسر من الطعام للصبوح (أي للترويقـة أو كسر الصفراء) فتناولناه بشهية زائدة وأردنا أن نستأذن ونمشي واذا برب البيت يأتي ويقول لي ايه هيا تفضلوا وتدهنوا فقلت وبماذا أتدهن فقال لي االعامل ان العادة في هذه البـلاد أنهم يكرمون الضيف العـزيز بشتى وسائل الا كرام وفي جملتها أنهم يدهنونهُ بالسليط والسمن ويكحلونه بالكحل ويزينون عمامته بالرياحين وغيرها من النباتات ذات الرائحة الطيبة . فقلت لرب البيت اني أشكرك جزيل الشكر على هذا الاكرام وحيث أني ما ألفته في حياتي أرجوك أن تعفيني منه واني أ كتفي بأخذ بعض الغصون من الريحان ، فقال لا هذا غير ممكن لقد جاريناك بعدم أكلك اللحم وسايرناك في النـوم بالجباة الخ فصار من الواجب عليك ان تطاوعنا وتدعنـا ندهنك بالسليط والسمن كما هي العادة عنـدنا . فاعتذرت ثانيـة ونظرت الى العامل مستنجداً فغمزني بطرف عينه فعلمت أن صاحب البيت يداعبني ويمازحني . ومن اللطيف عند اليمانيين عموماً أنهم يميلون للمزاح والطرب ويحبون النكتة كثيراً بما فيهم حضرة صاحب الجلالة الامام فقد سمعته مراراً يمزح مع بعض كبار رجاله وخواصه .

في الطريق الى صرواح

سرنا صباح الثـلاثاء الواقع في ٢٨ من كانون الثاني من قرية الـكمة ووجهتنا صرواح وقد رأيت في الطريق بعض اليهود فقلت للعامل : هل يوجد يهود في هذه الجهات ، أم هؤلاء مسافرون ؟ فقال : يوجد يهود ههنا وأشار الى قرية قريبة يقال لها الحرجة وهي آخر قراهم في المشرق . وتأملت هيأتهم فرأيتهم لا يفرقون على غيرهم من رجال القبائل بشيء ولولا طول فوديهم (أي سوالفهم) لما قدر الانسان أن يفرق

بينهم وبين البدو وهذا شيء طبيعي ، لأنه انقضى على وجودهم فى هـذه البلاد ألوف من السـنين وقريتهم الحرجة كغيرها من القرى فى هـذه البلاد مبنية أساساتها من الحجارة ودورها الأول والثانى والثالث من اللبن (الطين) ولـكنها أصغر قليـلا من بيوت المسلمين .



يهود يغزلون الصـوف

وكانت طريقنا تسير فى نفس الوادى الذى هبطنا اليـه فى أسفل نقيل شجاع ولـكنه أخذ يتسع هنا شيئاً فشيئاً ، وقد جرف السيل كثيرا من الأموال أى (الأراضى الزراعية) القائمة الى جانبيه وخرّب بعض حقول البن والحنطة والشعير التى تكثر فى أطرافه . وداومنا المسير شمالا بشرق فى هذا الوادى الى مسافة ساعة ونصف تقريباً وكنا نشاهد فى أطراف الجبال مما يعلو السائلة كثيرا من الأشجار غير المثمرة كالسمر والسدر ويقولون له علب° أيضاً ورأينا فى السائلة بعض النباتات ذات الروائح العطرية الجميلة ويقولون لها عِنصيف° وحرمل ، ورأينا أيضاً شيئاً كثيرا من العوسج الذى يحرقونه

ويصنعون منه الكحل ، وما زلنا نسير شمالاً بشرق الى أن وصلنا الى قرية بنى ربيح حيث قابلنا بالقرب منها شيخان من شيوخها وبعد تحيتهما للعامل وتقبيل يديه وركبتيه دعوه للضيافة عندهم هذا اليوم ولكنه اعتذر اليهم فساروا معنا مسافة طويلة وكانوا ينظرون الىّ شزراً ويتكلمون مع الجند عنى كلاماً لم أسمعه ولم يتنازلوا أن يحيونى أو يسلموا علىّ وبقوا سائرين معنا الى نقطة يتحول الطريق فيها الى الشرق تماماً . وهنا ودعوا العامل وانصرفوا بعد أن هدوه الى الطريق . وقد أدركت فى هذين اليومين فائدة وجود العامل معى واعترفت لنفسى بنفسى بأن جلالة الامام كان مصيباً فى إصراره علىّ بلزوم السفر برفقة العامل ، وبديهى أن رب البيت أدرى بالذى فيه فجلالة الامام منذ نعومة أظفاره وهو يحارب القبائل المتوحشة التى ما خضعت لبشر سواه منذ ألوف السنين فهو أدرى بها وبطبيعة حالها أكثر من كل انسان . وبعد ذهابهما سألت أحد الجنود الذى اشترك معهما فى الحديث ماذا كانا يقولان له ؟ فأجابنى أنهما ارتابا فى أمرى وتعجبا من مجيئى الى هذه البلاد ومن سماح جلالة الامام لى بالوصول اليها فى حين لم يسمح لأحد غيرى أن يدخلها.

سارت طريقنا الى الشرق تماماً عدة ساعات بين تلال بركانية منخفضة فيها سيول صغيرة شاهدنا فيها أشجارا ليست مثمرة لا تصلح الا للوقود وشاهدنا رجما (أى كوما) كبيرا من الحجارة معترضا فى الطريق وقال لى العامل هذا مكان فيه قتيل ويسميه البدو رزيم وعلى مسافة يسيرة منه رأيت مقبرة كبيرة فعجبت لأمرها لأنه لا يوجد بقربها مدينة أو قرية كبيرة وسألت أحد الرفاق ما السر فى وجود هذه المقبرة هنا ؟ فأجاب ان هذه المقبرة تخص قبيلة جهم التى تقطن فى بيوت من الشعر بهذه الجهة ، وينقلون الأموات اليها من مسافة يومين لأن أرضها رخية وجيدة (أى طرية أو رخوة) ولا يفنى فيها الميت حالا ، بل يبقى زمنا طويلا

وكنا بين حين وآخر ننزل عن ظهور البغال ونمشى على الاقدام تحريكا لأرجلنا وبينما كنا ماشين قلت للسيد محمد ان بلاد اليمن غريبة جدا فكأنى بها سلسلة واحدة من الجبال من أولها الى آخرها وانى اتعجب كثيرا لعدم وجود سهول

متسعة فيها ، فقال لاتعجب ياصديقى واسمع القصة الآتية، فقلت تفضل،فقال لما عجز الترك أيام الدولة العثمانية عن اخضاع اليمن استدعى أحد ولاتهم العقلاء بعض عظماء صنعاء وسادتها وقال لهم: ما بالكم تسيئون الى الدولة العلية فى حين تحسن هى اليكم وتمنحكم الوظائف وتبنى لكم المدارس والمستشفيات وتقدم لكم المعاشات الخ انى وايم الحق احترت فى أمركم هذا فهل لاحد منكم أن يبين لى هذا السر لعلى أتمكن من اصلاح الخطيئات. فاجابه أحدهم: لاتعجب من أمر أهل اليمن ولا تحتر واستمع الى ما أقوله لك بانتباه: ان أهل اليمن فى سابق الزمن قد حيروا الله سبحانه وتعالى فخلق لهم فى كل بقعة (أى مكان) جبلاً ليقهرهم والافضل لكم أن تسعوا للتفاهم معهم وان لا تأخذوهم بالقوة والعنف فانهم لن يطيعوكم مادام فيهم رمق من الحياة . وفى الحقيقة انى لاحظت أنا شخصيا هذه الحقائق ووجدت اليمانيين لا يمكن أن يخضعوا للقوة بل يقابلون القوة بالقوة ولو هلكوا . وبينما نحن نسير واذا بنا نسمع بوقاً من أمامنا فتعجبت من هذا البوق وسألت العامل ما الخبر؟ فقال انى أرسلت الى مارب كتاباً وعرفت وكيلى بأننا سنحضر فى هذا اليوم لكى يرسل لنا قوة من مارب ، فقلت ليس لنا حاجة الى قوة اضافية فجندنا يكفى لمقابلة جيش كبير . فقال ليس الغرض مقابلة جيش بل المقصود الاستقبال وجلب بعض الحاجات فأدركت أن فى الامر سراً وانه لا يريد أن يبوح به فسكت كأنى اقتنعت من هذا الجواب وداومنا على المسير الى أن وصلنا الى الجنود فوجدت نحو عشرين جنديا (وجاويشهم) وجميعهم قد نيلوا ثيابهم ونفشوا شعورهم وطلوها بالسليط والسمن وهيأتهم تدل على النشاط والقوة والبأس وبعد أن أدوا التحية العسكرية حسب الاصول تقدموا الى العامل فرداً فرداً وقبلوا يديه وركبتيه وكان راكباً على فرسه فكان يهش لهم ويسألهم عن صحتهم وأحوالهم، وداومنا السير على هذه الحالة عدة ساعات سائرين بين آكام وجبال منخفضة الى أن وصلنا الى سهل مدور تحيطه الجبال من جهاته الاربع فيظهر كانه بحيرة ويدعى قاع صرواح،وتبلغ مساحته نحوعشرين كيلومتراً مربعاً

ورأيت فيه بعض الاراضى مغروسة ذرة ودِجرَه وهو نبات يشبه الفاصوليا الحمراء وقبل أن نصل الى آخره شاهدنا خربة صرواح وهى مدينة حميرية قديمة يسكنها العرب القحطانيون وما كدنا نقبل عليها حتى رأيت جموعاً من الاهلين يخرجون منها مسرعين نحونا، ولما أقبلنا عليهم اصطفوا صفاً عسكرياً وحيونا باطلاق البنادق والصياح يا مرحباً ، ثم أخذوا ينشدون بعض الاناشيد الوطنية على ضرب الطبول ، ولما وقف العامل أقبلوا عليه واحداً بعد واحد فقبلوا يديه وركبتيه ثم ساروا أمامنا ينشدون



قصر من قصور صرواح يقف أمامه عامل مارب السيد محمد الهجوه الكبسى يحيط به بعض الجنود ورجال القبائل

ويرقصون بالبنادق والخناجر الى أن وصلنا الى القرية ، وفى الحقيقة تأثرت تأثيراً عظيما من هذا الاستقبال الوطنى العربى الصميم وحييت الاستقلال والحرية فى وجوه هؤلاء الناس البسطاء. وفضلت حالتهم الاولية هذه على حالتنا فى البلاد التى وقعت تحت الانتداب وقد تمكنت من الحصول على بعض أناشيدهم وكانت كما يلى وهى بطبيعة الحال موجهة الى السيد محمد الهجوة عامل مارب . وهى من نظم صالح بن عبد الله العيّال

سيدى حضر والله يغيب كل شر والجوهره والسعد فوقه والقبول

فان عقدت الشور فأنتم الخبر وأنها المحاضر ما يخليها تطول

غيره أيضاً من نظم صالح العيّال

يامرحباً حيا بسيدى ماشنّت[1] أمزان[2] السحابة

جده على ذى[3] هزّ مرحب بالسيف فى عهد الصحابة

أما طريقة القاء هذا النشيد فانها رهيبة جدا تستفز الشعور وتبعث الحماسة فى الرؤس اكثر من حدى الدروز وأهازيج العرب عندنا فى سورية ، وفى الحقيقة ان هيأة هؤلاء الناس عندما كانوا ينشدون نشيدهم أصبحت هيأة مرعبة تدل على أقصى درجات البسالة عند الانسان والذى كان يزيد فى رهبة منظرهم رؤوسهم المنفوشة الشعور وأجسادهم شبه العارية من اللباس خلا من مئزر فى الوسط أو ثوب مردّن وكانت تفوح منهم رائحة السليط والسمن مزجاة مع رائحة عرق أجسادهم فتشكل مزيجا يفوق الفلور دامور والاودى كولون برائحته الزكية !! ويشمها الانسان من مسافة عشرين متراً أو اكثر فيظن نفسه بمعصرة زيت. وبينما كنت أسير وسط هذا الجمع المتحمس كنت انقل نظرى من وجه رجل الى وجه آخر وأتأمل فى هذه الوجوه العربية الصافية الدم التى لم يدخلها دم أجنبى فكانت هيأتهم قريبة من بعضهم البعض لانهم جميعا عائلة واحدة ودمهم واحد ويقولون لأهل هذه الجهة عرب جهم وهم قحطانيو الاصل، وجوههم جميلة سمراء محروقة بالشمس ، واجسامهم معتدلة مفتولة، وقوامهم جميل لاسمنة فيه ولا نحولة، والبستهم جلود الغنم أو الاثواب الشيت المردنة ولكنها من تراكم السليط والغبار أصبحت سوداء لا بيضاء ونساؤهم أجمل من رجالهم وقوامهن نحيل كالسمهرى واجسامهن معتدلة وصورتهن لطيفة وبشرتهن نحاسية لامعة وآية الصحة والعافية بادية عليهن بأظهر معانيها والبستهن الأثواب المردنة السوداء والزرقاء المزينة بالازرار المعدنية البيضاء ، واكثرهن يتمنطقن بأحزمة من الصوف من شغلهن فتبرز نهودهن وتبدو أعضاؤهن بشكل يثير الاعجاب والتقدير سرنا فى وسط هذا الجمع من العرب الاقحاح فى اول مدينة من مدن بلقيس الخالدة

---

(١) هطلت (٢) جمع مزنة (٣) الذى



بعض العمدان فى مدينة صرواح وقد وقف أمامها عامل مارب
السيد محمد الكبسى الهجوة

نشاهد هنا وهنالك بعض بقايا القصور الحميرية العجيبة التى كانت مضرب الأمثال ومحط الرحال وكنت اشاهد العواميد الحجرية المربعة المنقوشة بالكتابة الحميرية بين هذه الآطلال فاخال نفسى فى هذا الموكب الخليط من الجنود ورجال القبائل المدججين بالسلاح أنى رسول سليمان عليه السلام الى صاحبة هـذه الديار وكانت تمر أمام مخيلتى باللحظة الواحدة ألوف من صور التاريخ القديم المدفون تحت سنابك خيولنا فاسبح الله الواحد القهار الذى قهر عباده بالموت وأحمده سبحانه وتعالى اذ أتاح لى أن أرى

بعيني رأسي ان هـذه الدنيا زوال وكل ما عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام .

مدينة صرواح

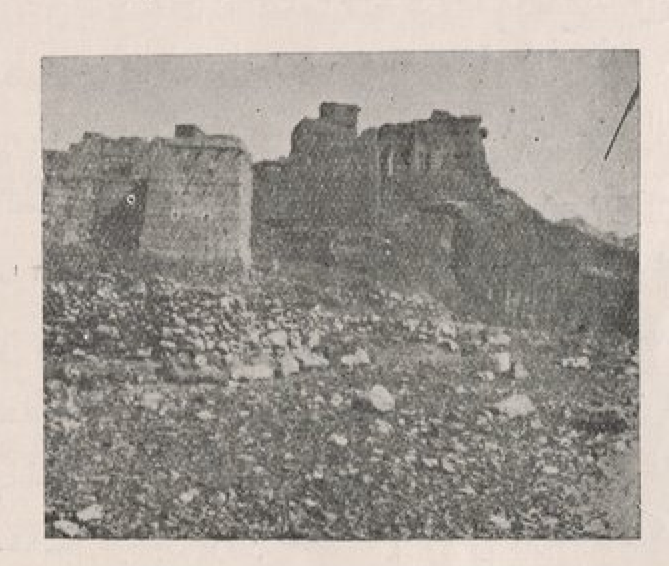
وصلنا في نهاية مسيرنا الى بقايا قصر عظيم من قصور حمير في الجهة الجنوبية من المدينة ودخلناه دخول الفاتحين بين الأناشيد وضرب الطبول وقد تأثرت تأثرا عظيما من جميع ما شاهدته وسمعته فنسيت تعب الطريق وعناءه وأخطاره . وقادنا رب هذا القصر ويدعى صالح ابن محمد الجهمى من آل دحيرج الى داخله فرأيت فسحة مربعة مساحتها نحو مائتى متر مربع ويحدها من جهاتها الأربع جدران عظيمة مبنية من الحجر البركانى المائل الى البياض ومنحوتة نحتا جميـلا ودقيقا ، وقد أقام البدو الى جانب هـذه الجدران غرفا صغيرة وكبيرة بعضها معدة لسكناهم وبعضها لبهائمهم . فأخترنا الفسحة الى الجهة الجنوبية وهنا دخلنا فى ممر ضيق من البناء الجديد وتسلقنا سلما لا يزيد عرض درجاته على الخمسة سنتيمترات وعددها ١٢ درجة الى الدور الثانى فى القصر وهو مؤلف من غرفة صغيرة واحدة طولها ثلاثة أمتار وعرضها متر ونصف متر ، وقد بناها محمد بن صالح الجهمى فوق جدار القصر القديم وجعل لهـا بابا علوه أربعون سنتيمترا وعرضه عشرون سنتيمترا وفتح فيها نافذة واحدة طولها عشرة سنتيمترات وعرضها خمسة . وبنى أقارب محمد هذا غرفا كثيرة على هذا الشكل فوق جدران القصر القديمة فشوهوها تشويها بشعا .

وضعنا حوائجنا فى هذه الغرفة الصغيرة أنا والعامل والضابط وجلسنا قليلا طلبا للراحـة واذا بجماهير الـكثان أى البق تهاجمنى من كل فج عميق وأخذ السيد محمد والضابط وبعض الرفاق يدخنون مداعتهم فى هذه الغرفة الضيقة فصعد الدخان كالضباب وكاد يحجبنا بعضنا عن بعض فرأيت أن الافضل لى أن أنسحب من هنا بأنتظام وحيث أن الغروب كان قريبا خرجت من القصر الى المسجد للوضوء والصلاة وأمر العامل جاويشا وخمسة من الجنود ان يرافقونى ففهمت من ارسال هذا الحرس معى ان

ساعة الخطر قد دنت ولكنى لم أعبأ بها ولا اهتممت لها وخرجت بين جموع البدو الذين كانوا لا يزالوا واقفين خارج القصر فشق لى الجند الطريق بينهم فكانوا ينظرون لى بأعين ملؤها الحذر والاحتراس وسرت الى المسجد وهو واقع على مسافة يسيرة الى جنوبى المدينة . وتبعنا واحد من أقارب رب القصر وجاب معه دلواً وحبلا طويلا فأخرج لنا ماء من بئر المسجد وهى بئر حميرية قديمة عمقها ٣٥ متراً وقد أكلت الحبال فى جدرانها عدة سنتيمترات، ولا يوجد غير هذه البئر فى هذه الأرض فيستقى منها سكان هذه المنطقة ويأتونها من مسافة ست ساعات . وبعد ما صلينا المغرب خرجنا من المسجد فتقدم منى رفيقنا البدوى وقال كيف وجدت هذا الماء فقلت انه مالح قليلا ولكنه جيد فقال هذا أفضل ماء فى هذه البلاد وهو مبارك وله حارس من قديم الزمان . فقلت وأين هو انى لا اراه هنا الآن ؟ فقال لا يمكنك أن تراه لأنه لا يخرج على الناس الا قليلا . فقلت وهل هو انسى أم جنى ؟ فقال لا بالله حنش كبير اسود سع (أى مثل) هذا العمود وأشار الى عمود ضخم قائم فى جانب المسجد . فقلت عجيب عجيب لو كان عندنا لقتلناه ، فقال الله الله لو قتله أحد ينشف البئر حالا . فضحكت من هذا المنطق الغريب ولكنى لم أبد اعتراضا وعدت الى القصر مع دخول الظلام وصعدت تواً الى غرفتنا فى الدور الثانى فوجدت الرفاق كما تركتهم يدخنون الشيشة ويخزنون القات وبعد التحية جلست بينهم بصعوبة واخذت استمع الى احاديثهم وقد بدأها صاحب القصر قائلا انه سمع عن ابيه عن جده أن صرواح مهجَّرة من قديم الزمان فقلت وما معنى مهجرة . قال أى محرمة ومؤمنة وكل من يدخلها يكون آمنا ولا يقع فيها قتل ولا سرقة ولا جريمة من الجرائم واذا ارتكب احد جرماً ما فلا يمسونه بسوء مادام بداخلها ولكنه متى خرج منها فيحق لأهلها أن يجازوه بنسبة جرمه . وضرب لنا مثلا على ذلك قال . ان واحداً من الناس سرق قليلا من الذرة فى حياة جدى فحكموا عليه بان يؤدى حصانا بدلا عن سرقته ولكنه كان فقيراً لا يملك حصانا فخرج من المدينة خلسة دون أن يؤدى الحصان فتبعه جد صالح وقتله شر قتلة . ويستنتج من هذه القصة أن هذه المدينة كانت حقيقة مهجرة أى مقدسة

لوجود هيكل من هياكل الآلهة التى كان يعبدها الحميريون كالشمس أو سواها فيها .
وآثار البنايات الضخمة والعظيمة موجـودة فيها بكثرة وقد يكون أحدها هيكلا أو
معبداً أو ما أشبه والله اعلم .

ثم سألت صاحب القصر كم عدد نفوسكم ؟ فقال نحن وولد عمنا نعد نحو مائتى
مقاتل . فقلت وأين هم ولد عمك؟ فقال بعضهم فى هذه الخربة الثانية الواقعة على مسافة
يسيرة الى الجنوب وبعضهم بالحصون القائمة فى هذا القاع اى السهل وبعضهم فى بيوت
من الشعر وهم موزعون بين الجبال والوهاد . فقلت وما هى مواردكم للحياة ؟ فقـال
عندنا الماء والغنم والجمال والبقر والخيل ونغرس قليـلا من الذرة والشعير والحنطة فى
قاع صروح أيام الامطار . فقلت هل تعرف القراءة والـكتابة ؟ فقال سامحك الله من
أين لى ذلك نحن ما كنا نعرف نصلى قبل دخول جلالة الامام لبلادنا . فقلت الا يوجد
بينكم من يقرأ ويكتب ؟ فقال يوجد واحـد أو اثنـان فقط . فقلت لاحظت ان
صاحبك الذى ذهب معى الى المسجد لم يصل . فقال نعم ان العرب عنـدنا يصلون
قليلا ولـكن شنطلب من جلالة الامام (أى سنطلب يستعملون للتسويف الشين بدلا
من السين) ان يرسل لنا مرشدا ومعلماً . فقلت لاشك أنكم تحسنون بذلك صنعاً فقال



قرية الحرجة وهى آخر قرية من قرى اليهود فى شرق اليمن
وتظهر فى أبنيتها النوافذ الصغيرة

العامل نعم لقد عرضت هذا لجلالة مولانا الامام ووافق جلالته على ارسال مرشد ومعلم ولا شك أنهما سيصلان قريباً . فقلت وكيف حال الامن عندكم ؟ فقال بظل جلالة الامام صرنا بأمان واطمئنان وأما قبل ذلك فما كنا نجسر أن نخرج من بيوتنا الا جماهير غفيرة خشية الغزو والقتل . وانظر الى دورنا اننا لا نجسر أن نفعل لها شبابيك كبيرة خشية رمى أعدائنا لنا بالرصاص من الخارج ولذلك نكتفى بكوة أو كوتين صغيرتين وباب صغير . وفى الحقيقة انى شاهدت فى هذه البلاد أن حجم الشبابيك اى النوافذ وعددها هما اشارتان لوجود الامن وعدمه وفى اثناء هذا الحديث دخل علينا رجل ذو لحية كثيفة وشعر طويل مسترسل على الاكتاف ومطلى بالزيت والسمن وقال السلام عليكم فأجبنا وعليكم السلام ورحمة الله فوجه خطابه الى العامل قائلا والله دالحين وصلت الى الخربة فعلمت بتشريفكم فأتيت أولا للسلام وثانياً للرجاء أن تضيفونا غداً اذ ليس من الحق ولا من اصول الضيافة أن تضيفوا ابن عمى ولا تضيفونى فنظر العامل الىّ ليأخذ رأيى فأشرت نفياً لانى اريد الوصول الى مارب سريعا فقال له لا يمكننا أن نقضى كل النهار عندكم ولكننا سنتناول طعام الغداء ونسير على بركة الله فقال الامر أمركم ولكن والله ظلمتمونا بهذا العمل ياسيدى فاجاب العامل لا كفى كفى فهيىء الغداء فقط عندكم غداً ان شاء الله فسكت الرجل واستأذن وانصرف وبعد خروجه قال لى العامل هذا هو من أبناء عم صاحبنا ومضيفنا صالح بن محمد الجهيمى ويدعى عبيد بن مسعود بن طعيمان ويرى انه من العار عليه أن لا نضيفه ونضيف ابن عمه فقط فقلت أمرنا لله نتناول الطعام كما اشرتم عنده ونسير باذن الله

كنت طيلة السهرة أقتل الكثان حولى وعلى يدى وأردت مراراً أن أترك القوم وأخرج للخارج ولكن رأيت أن هذا العمل يتنافى مع الذوق السليم فاحتملت لدغ الكثان فى سبيل المحافظة على الذوق وأخيراً نظرت الى ساعتى فرأيتها بلغت الثالثة عربية أى نحو التاسعة افرنجية فقال لى العامل لاشك أنك ناعس، فأتانى الفرج وقلت للحال نعم إنى ناعس وتعبٌ أيضاً وسوف أستأذنكم وأترك لكم هذه الغرفة وأنام فوق الجباة (أى السطح) كالأمس فقال الأمر أمرك إفعل ماتريد وللحال قلت للجندي

المختص بخدمتي واسمه حسين صالح البيحاني افرش لي هذه البطانيات ياحسين في الخارج وتبعته في الحال الى السطح وكان السطح بطبيعة الحال بنسبة الغرف ضيقاً للغاية ولكن يحيطه سور من الجهات الأربع ففضلته على الغرفة واستلقيت على ظهرى طلباً للنوم ولكن الكرى حرم على أجفاني في أول الليل لأن أعصابي كانت متهيجة جداً مما رأيت وسمعت في هذه البلاد العجيبة . فتارة كنت أفكر في غرابة عادات هؤلاء الناس وكرههم للغريب وطوراً كانت ترن كلمات القاضي راغب بك في أذني وأتذكر قوله انه لم يدخل أحد هذه البلاد ويخرج منها حياً وأحياناً يخطر في بالي مقتل المستشرق الألماني بركار ورفيقه المركيز ديبيوزى قنصل ايطاليا في المخا في وادى الدور بينما كانا يحاولان الذهاب الى مارب وأخيراً طردت جميع هذه الهواجس وفكرت في قول مضيفنا أن صرواح مهجّرة ولا يمكن للقوم أن يمسوا أحداً بسوء داخلها وأخذت أبحث بين النجوم عن نجمة القطب والدب الأكبر والدب الأصغر فلم أعثر عليها ولكن تحولت أفكارى من الأوهام الى الحقائق وصرت أفكر في العصور والأجيال الطويلة التى مرت على هذه الخرائب وأفكر في أصحابها الذين بنوها وما آلت اليه حالهم فأستعظم عمل الانسان والآثار التى يتركها بعده وهو ذلك المخلوق الضعيف الذى لا يملك من أمر نفسه شيئاً وقد سبحت مخيلتي في عالم الخيال والأبدية حائرة شاردة لا تستقر على حال ولا تحل لغزاً واحداً من ألغاز هذا الكون العظيم وتجاه هذا العجز الظاهر خررت الى الأرض ساجداً راكعاً مقراً بعزة الله وقدرته وحامداً إياه على العقل الذى وهبنا إياه لندرك الغث من السمين وها أنذا أسجل هذه المذكرات وقلبي مملوء إيماناً بعظمة الله وقدرته لا إله إلا هو يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير . قال تعالى « سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق » وبعد أن قضيت وقتاً طويلا في الهواجس بين صاح ونائم استولى علىَّ سلطان الكرى ونمت نوما هادئاً الى آخر الليل وعند ما صحوت من رقادى نحو الصبح وجدت العامل قد أمر بوقوف حرس يحرسني كل الليل فشكرته على هذه العناية وهذا الاحتياط في سرى وقلبي .

نهض العامل وسائر الرفاق فتوضأنا جميعاً وصلينا الصبح حاضراً ثم عاد كل منا

الى مكانه أما العامل والرفاق فقـد ناموا ثانية وأما أنا فبقيت جالساً الى أن سطع نور النهار فوقفت الى جانب سور السطح وسرحت بصرى فى قاع صرواح وما يحيط به من الجبال واستدعيت أحد رجال القرية وأخذت أسأله عن الجبال واحداً بعد واحد مبتدئاً من الشرق حيث استلفت نظرى جبلان عظيمان يبدوان عن بعد للناظر أحدهما أسود بركانى والآخر أبيض كلسى فسألت الرجل عن اسمهما فقال ان الجبل الأسود الممتد من الشرق الى الغرب والداخل فى الجبل الأبيض يقال له الأشقرى والجبـل الأبيض الممتد من الجنـوب الى الشمال يقال له هيـلان ويكثر فيه البلس والرمان والعنب والذرة والشعير والحنطة وجميع هذه الأشجار والنباتات تنموا (عقراً) أى بعلية وأما الجبال التى فى الجهة الغربيـة فيقال لها المِحجزَة . شكرت الرجـل على معلوماته هذه وصرفته وصرت أراقب أهل القصر وهم يخرجون الطروش من زرائبها ويسرحونها مع الأولاد الى القاع والجبال وشاهدت النساء منهمكات بعجن الدقيق وغلى القشر للضيوف وإعداد طعام الصبوح (أى الفطور) وبينما أنا منهمك بمراقبة هذه الأمور واذا بصبية حسناء تخرج من كنّها وتجلس على السطح القريب منى وتأخذ فى غزل الصوف بمغزل يدوى وقد أعجبنى منظرها فأخذت آلة التصوير أريد تصويرها وما كدت أفتح الآلة وأديرها نحوها لألتقط صـورتها حتى شعرت بى فى اللحظة الأخـيرة فشردت للحال صائحة مستغيثة فما كان منى إلا أنى وجهت آلة التصوير نحوها ونحو الذين خرجوا لنجدتها وأفهمتهم أن هذه آلة صماء لا يحصل منها ضرر لأحد فضحك الجمهور منها ولم يعبأوا بصراخها .

وبعد هنيهـة خرج العامل من غرفة النوم فتناولنا القشر والصبوح أى طعام الصباح ونزلنا من معقلنا فى الدور الثانى الى باحة القصر فجاء الناس زرافات زرافات يقبلون يدى العامل وركبتيه ويهنئونه بسلامة الوصول وأما أنا فانتهزت هذه الفرصة ودخلت فى كثير من غرف الدور الأرضى للقصر فوجدت فيها أحجارا كثيرة صغيرة وكبيرة عليها نقوش حميرية كثيرة فنقلت بعضها ثم خرجنا من القصر الى الخارج وأخذنا نفحص بقاياه القائمة الى اليوم فدهشت كثيرا من انتظام بنائها ومن الرسوم

والنقوش المختلفة المرسومة والمكتوبة حول جدرانه فى الجهات الأربع ولا شك عندى أن هذا القصر كان من القصور المشهورة فى اليمن وقد قرأت فى الاكليل بعض الأشعار التى يصف بها ناظمها حال هذا القصر كما وصلت الى مسامعه يوم وضع قصيدته وهى من نظم عامر بن احمد بن يزيد القشبي وهاهى بنصها :

والبهاليل من سلالة خولا ن أولو العزم والفعال الاديب
ملكوا الملك الف شهر ومدوا فوق صرواح بيت ريح الجنوب
فاذا دار دارت الريح فيه مستديراً بسمكه المنصوب
بتخاشيب ركبت فيه أزواج يتلألأ بأحسن التخشيب
فترى القصرى مستديرا لجنبيه رخام يدور بالتثقيب



قصر صرواح الجنوبى

لقد شاهدت هذا القصر قائما الى هذا التاريخ وبابه كما يذكر الشاعر فى الجنوب وعلى جدرانه الجنوبى والشرقى والشمالى يوجد نقوش حميرية وبناؤه الباقى الى هذا اليوم مستدير كما يذكر الشاعر وبناء جميع القصور الباقية فى صرواح مستدير ولكن الرخام المتقوب الذى يشير اليه الشاعر لا وجود له فى هذه الايام ولا شك ان البدو

قد كسروه وبنوا به بيوتهم كما هي عادتهم .

ويظهر من هذه الأبيات أن أهل صرواح كانوا يعتنون بتهوية بيوتهم وهم محقون فى ذلك لأن صرواح حارة وخصوصاً أيام الصيف فلا بد والحالة هذه من استعمال بعض الأساليب التى تخفف من حرارة الجو ويفهم من هذه الأبيات أنهم كانوا يحركون الريح فى قصورهم بتخاشيب ركبت فيها أزواجاً وأظن هذا الوصف يطابق كل المطابقة المروحة الكهربائية أو مايشابهها التى نستعملها نحن فى هذا العصر .

وجاء فى الاكليل فى الجزء الثامن عن صرواح ما يأتى :

من مآثر اليمن صرواح وهى ما بين مارب وصنعاء ولا يقاس بصرواح شيء من هذه المحافد (أى محافد اليمن وقصورها التى ذكرها واحداً بعد واحد) غير أن صوتها بعيد فى اشعار العرب وقد بقى منها شيء قايم وخولان تقول ان سعد بن خولان لما خرج من مارب تملك بها وقد ذكرها شعراؤهم . أنشدنى جعفر بن كافور المرانى لقيس بن ساعدة بن عمرو بن عدى بن مالك بن الدغاء بن النمر بن وايله بن الطهان ابن عوف مناد بن يقدم بن اقصى بن دعمى بن اياد بذكر ملوك اليمن ومواضعها شعراً

قد كنت أسمع بالزمان ولا أرى	أن الزمان يطيق نتف جناح
فأراه أسرع فىّ حتى أصبحت	بيضا متون عوارضى ومساحى
وأنا القريضة بيضة فى قومه	هيهات كم ناوحت من أرواح
صافحت ذا جدن وأدرك مولدى	عمرو بن هند تبتقى بالرّاح
والقيل ذى يزن رايت مكانه	قد كان حرم عنه شرب الراح
وسمعت بالملك بن قطرة قاعداً	بالحنو بين دكادك وبطاح
ورأيت بالحنوين حنواً منعجاً	حلف الندا شمّر أبا الصباح
والفارسي بذى الجنبية زرته	فى نعمة وغضارة وطاح
وجذيمة الوضاح خبرنى أبى	عنه فتى بجذيمة الوضاح
برك على انحا هاتك عرشه	وعلى أذينة سالب الأرواح
وعلى الذى كانت بعوكل داره	بعض الجياد وكل أجرد شاح

وعلى الملوك النازلين بمارب | من كل أبيض ماجد نفاح
وعلى الذى ملأ البلاد بخيله | شهران مثل شقيقه المصباح
وعلى الذى لبثت سلحين برهة | وعلى ابن عمر أخا صرواح
وملوك ناعط قد سمعت حديثهم | طرقوا بقاصمة الظهور رداح
واذا عددت معاشراً لم أحصهم | من حامل مقلا ومن جحجاح
أفبعد املاك فنوا من حمير | نرجوا الفلاح ولات حين فلاح

وقال علقمه

من يا من الحدثان بعـ | ـد ملوك صرواح ومارب

وقال عمرو بن النعمان أخو سعد بن سعد خولان

لبلقيس كان الملك فى أرض مارب | ووراثة أجداد كرام المعاطس
لقد أوتيت من كل شىء وأعطيت | من الملك مالم يعط عمرو بن خالس
فأورثه عمرو الندا ابن أذينة | وخولان فى أعلا رفيع المجالس
فمد على صرواح توتى مهابة | مما ورثها سعداً زمام الفوارس
أقام بها سبعين حولا محرّما | جباية خرج بين رطب ويابس
وأورثها سعد بنيه ولم يكن | كمثل بنيه عند طعن الحوالس
لنا الفخر فيها والصميمة فى العلا | وحسن جناب وطيب المغارس
أبونا الذى داخ العراق بخيله | ورابت له ما بين حمص وفارس

وقال سعد بن عمرو أخو بنى مالك بن زيد بن أسامة بن زيد بن الربيعة

فمن مثلنا فى الناس اذ بان سبقنا | دواوين فى صرواح تبنى وتنشر
أقمنا بها والناس عنها تفرقوا | فانجد قوم فى البلاد وأوغر
الينا جميع الناس تهوى وفودهم | وكان لنا فيها العزيز المجمهر
وصرواح كانت دار جدى ووالدى | وفى عش منا ملوك تجبّرُ

هذه هي النقوش الحميرية المكتوبة حول جدران هذا القصر وقد نقلتها بخط يدي نقلا كما وجدتها
وقد سقطت بعض الحجارة من مكانها الاصلي ولكنها لا تزال فوق الارض

خربة صرواح

نقش واحد على الجدار الشمالي للدار الجنوبية

[illegible]

[illegible] – ناقصة –

[illegible]

نقش واحد على الجدار الشرقي للدار الجنوبية
في خربة صرواح وحيث
يدل على بعض اثار من التكحيل

[illegible] حيث مفقودة [illegible]

[illegible] ثلاثة احرف مكسورة [illegible]

[illegible]

نقش واحد على الجدار الجنوبي قائم الى شرق الباب

[illegible]

الى جانب الباب من الجهة الغربية وجدت هذا النقش في حجر واحد
مقلوب راسا على عقب . والظاهر ان الاثار كانت قد سقطت واعادوا وضعها ثانية

[illegible]

وهذا النقش ايضا على حجر واحد مقلوب راسا على عقب وحوالي جانب الاثار فوقه

[illegible]

وهذا النقش ايضا حجر واحد قائم الى جانب النقشين الاولين ولكنه غير مقلوب

[illegible]

هذا النقش على حجر واحد في الجدار الغربي وهو قائم وحده
بذاته والجدار في هذه الجهة مخرب وليس على حالته
القديمة الاصلية

[illegible]

رسوم صرواح والبدو

طفنا حول هذا القصر ونقلت النقوش المكتوبة عليه ثم أخذنا نجول بين خرائب المدينة فاحصين مدققين فوجدنا أن القسم الاعظم منها مدفون تحت الانقاض ولكن يبدو منه أربعة أو خمسة قصور فخيمة بعضها بالشمال وبعضها بالغرب وهى مبنية بناء متقنا وقد أشار لنا البدو الى واحد منها فى الجهة الشمالية قائلين انه حكى لهم والله اعلم



بقايا أحد القصور أو سرايا لحكومة صرواح القديمة ويقال له قصر بلقيس

أن هذا القصر كان لبلقيس وكان فيه عرشها واسمه الى هذا اليوم قصر بلقيس ولكنى أرى أن هذه النظرية بعيدة عن الصحة لأسباب كثيرة أولها وأهمها أن عاصمة هذه البلاد كانت فى مارب وثانيها انه بالرغم من فخامة هذا البناء وضخامته وبقاء قسم كبير من جدرانه ومعالمه سليمة الى هذا الوقت فلم أجد فيه أو حوله نقوشاً حميرية فلو كان حقيقة للملكة وكان عرشها فيه لكتبوا عليه كتابات كثيرة كما هى العادة فى مثل هذه الظروف والاحوال وتأملت كثيراً فى بقاياه فوجدته مقسوماً الى قسمين شمالى

وجنوبى ويقوم بينهما ممر ضيق عرضه نحو متر وربع متر ورأيت فى الجهة الجنوبية انقاض سلم واسع مبنى من الحجر الكبير البركاني المائل الى البياض ويظهر أن الباب كان فى هذه الجهة وشاهدنا فى الخربة كثيراً من بقايا العمدان الحجرية الكبيرة بعضها قائم الى هذا اليوم وبعضها محطم وساقط الى الارض ويوجد على اكثرها نقوش حميرية متعددة ويتبادر لى انه كان يوجد بالقرب من هذه الاعمدة معبد للشمس وليست هذه الاعمدة الا بقايا الممرين التى توصل اليه كما هى الحالة فى هيكل بلقيس بمدينة مارب مما سيدركه القاريء بعد قليل.

ويوجد أيضاً فى الجهة الغربية بناء آخر عظيم يشبه بعض الشبه مايسمونه قصر بلقيس المار ذكره من حيث ضخامة البناء واتقانه ولم يبق منه غير الجدران الخارجية وقد بنى البدو فوقها عششاً صغيرة على نمط العشة التى مر ذكرها لسكناهم ولكنى شهدت فيه خزانا صغيراً للماء طوله نحو مترين ونصف متر وعرضه نحو متر واحد وبينما كنا نتجول فى هذا القصر جاء بعض شبان القرية وحيوا العامل ثم استأذنوا بان يرقصوا أمامنا فأذن لهم وصاروا يرقصون ازواجا أزواجاً على ضرب الطبل رقصاً رشيقا يشبه من بعض نواحيه رقص الفالس عند الفرنجة.

بعد اختتام حفلة الرقص سرنا من هذه الخربة مشياً على الاقدام الى الخربة الثانية لنتناول طعام الغداء على مائدة شيخها الذى دعانا فى الليل وسار أمامنا أهل الخربة الاولى يرقصون وينشدون اناشيد مختلفة وأثبت ههنا نشيدا منها لما فيه من الاشارة الى تصويرى لعرش بلقيس وفى الحق أن ذلك يدل على نباهة البدوى وذكائه ومقدرته على شق الاسماء لاشياء لا يعرفها ولم يرها من قبل :—

سيدى محمد بن حسين ادّى الحكم — تنقل تصاوير اليمن وأهل الهنود
قد صوروا بلقيس بالشنتة رسم — والارض باتفى وربى بالوجود

وبديهى أن البدوى الذى نظم هذين البيتين ما رأى فى حياته آلة التصوير ولا سمع باسمها ولكنه رآها فى يدى موضوعة داخل شنتتها فاطلق عليها اسم شنتة للحال ونظم ابياته فى ساعته . سرنا فى هذا الموكب الى منتصف الطريق بين الخربتين

وهنا وافتنا جموع الحربة الثانية ويقال لهم آل ضعيان وكان يتقدمهم شيخهم عبيد بن مسعود بن ضعيان فتقدموا من السيد محمد فردا فردا وقبلوا يديه وركبتيه ثم ساروا أمامنا ينشدون النشيد التالى من نظم الشيخ محمد بن محسن بن ضعيان.

حيـا بعاملنا ومـن جاء معـه ماحنحن الراعد وما شن السحاب

احنـا على رأيه ومملوكين له ونمضى أمـره فى غـواء وصواب

وعند ما سمع جنودنا هـذه الاناشيد أخذتهم الحماسة أيضا فأنشدوا زاملهم أى نشيدهم المعروف على ضرب البوق وهو :—

ياطـير ياعازم على أرض الله وبلـغ سـلام

بلغ سلامى للامام والسيف ذى (١) هزْ الجبال

وعندما سمعت هذه الاناشيد المثيرة للنفس شعرت أن كل شعرة من شعر رأسى وقفت على طرفها فكادت ترمى العقال والكوفية عنه وطرت بذا كرتى الى أيام الثوره السورية عندما كنا نلتهب بلظاها فحييت أشبال الشام واسـود بنى معروف وكادت الدموع تنهمل من عينى مدراراً وشعرت بهذه اللحظة بين دموع الفرح والسرور بلذة غريبة لاتدانيها لذة ألا وهي لذة الاستقلال والحرية ، ومن غريب المصادفات اننى لما كنت افكر فى هـذه السـاعة باهلى ووطنى وأبكى على حريتهم واستقـلالهم كانوا يتسابقون فى بلاد الشام من أقصاها الى أقصاها فى مدنها وعواصمها وسواحلها وقراها الى بذل نفوسهم رخيصة على مذابح الحرية والاستقلال فحيا الله أهل الشام صغـارهم وكبارهم شبانهم وشاباتهم وليثقوا أن أمة شعارها المفـاداة والتضحية لابد أن تنـال مناها رغم أنف المنافقين والخائنين والمستعمرين .

وصلنا الحربة على ضرب الطبول والابواق وانشاد الاناشيد ودخلنا الى دار عبيد ابن مسعود وهى دار من البناء الجديد وصعدنا الى غرفة اسمح لنفسى أن اسميها بالدور الثانى بالرغم من أنها هى الغرفة الوحيدة فى هذا الدور وبابها صغير ارتفاعه ٤٥ سنتمتراً واما النوافذ فلا أثر لها أبداً بل هناك كوة صغـيرة لايتجاوز قطرها ثلاثة سنتمترات

---

(١) أى الذى هز الجبال إشارة الى ولى العهد احمد سيف الاسلام

وأما سقف هذه الغرفة فمصنوعة من العيدان الرقيقة والنباتات وفى الحق انى خلت نفسى فى غرفة من غرف الاطفال الصغار التى يبنونها للتسلية فى أوقات فراغهم . وبعد أن جلسنا قليلا وشربنا القشر [1] حسب العادة خرجت الى السطح وتأملت هذه الخربة فوجدتها مبنية من الحجارة وا كثر أحجارها منقولة من البنايات القديمة الحميرية وعليها نقوش كثيرة ثم نزلت من السطح وخرجت خارج الدار يصحبنى نفر من الجند فطفت حقول الذرة وكانت يانعة مع أن الفصل فصل شتاء والبرد هنا على أشده ولكن شتاء هذه البلاد يعادل صيف سورية ، والغريب أن الذرة والحنطة والشعير تنموا عقراً من غير سقى ويكفيها أن تشرب مرة واحدة لتؤتى أكلها وقد رأيت سكة الحراثة وهى صغيرة جداً لا يزيد طولها على سبعة سنيمترات وروى لى البعض أن مزروعاتهم هنا تعطى أكلها إذا جاءتها الامطار مرتين فى الموسم الواحد عوضا عن المرة الواحدة .

عدت الى الدار بعد هذا الطواف اليسير وما كاد يستقر بى الجلوس حتى جاء الطعام وكان مؤلفاً من حلبة وهريش ولحم وقد جلبوا الحلبة والهريش أولا ثم جاء دور اللحم أخيراً فوزعه رب البيت على المجتمعين فأكلوا هنيئاً مريئاً ثم مسحوا زفرة أيديهم وبعد الفراغ من الطعام ردد القوم لصاحب الدار قولهم كثر خيرهم ويخلف عليهم . ثم جلسنا لنتقهوى وأخذ العامل وصحبه يدخنون المداعة وقال لى العامل أن هؤلاء العرب كرماء جداً ويحسبون حساب ضيوفهم قبل نفوسهم وتجد الواحد منهم مهما كان فقيراً يقدم لضيفه كل ما يستطيع تقديمه ويحرم نفسه من اللحم ويقدمه للضيف وفى سنوات المحل تجدهم يبيتون على الطوى ويخزنون الزاد والطعام لضيوفهم ولا يمسونه مهما كان الحال . فقلت انى آمنت بذلك أمس واليوم لأنى شهدت مضيفنا يوم أمس يذبح ثلاثة كباش واليوم عند ماخرجت الى الدار رأيت خمسة كباش مذبوحة وملقاة على الأرض وهذا شيء مشهور عن العرب فلا يقدر أن يجاريهم فيه أحد .

---

(١) من عادة أهل اليمن أن يشربوا قشر القهوة بعد غليه وهو لذيذ وفيه مادة عطرية وسكرية خاصة

وقد تضايقت من الجلوس فى الغرفة فخرجت ثانية وأخذت أطوف بين بيوت هـذه القرية فرأيت بعض النساء يغزلن شعر الماعز وصوف الغنم والى جانبهن بضعة رجال يحبكون الغزل على أنوال خشبية بسيطة شدوها الى الارض فيصنعون منـه ما يسمونه دُكَى وبجـاد وفراش أى شقـاق لبيوت الشعر وبسطا للجلوس ورأيت فى القرية بعض النساء يضعن على وجوههن نصف برقع اسـود مزين بالازرار البيضـاء ويضعن فى أعناقهن عقوداً من الودع والخرز الملون وفى معاصمهن أساور من المخاص أى الفضة وفى أرجلهن خلاخيل من المخلص الفضة أيضاً فسألت أحد الرجال أين يصيغون هذه الحلى من المخلص فأجابنى فى مارب وقد استلفتت نظرى بعض الاسـاور لأنى رأيت فى مصر وسورية بعض نساء الفرنج يلبسن مثلها تقريباً.

وبينما كنت عائداً الى الدار رأيت العامل قد خرج وخرج القوم خلفه وأخـذوا يقبلون يديه وركبتيه وهو يرد تحيتهم بلطف ووداعة وفى الحق هذه عادة غريبـة عند هؤلاء العرب الصناديد وأنا واثق أنهم لايقبلون يدى العامل تزلفاً اليه أو خوفاً منه لانهم قوم لا يفهمون معنى الزلفى ولا يهابون الموت أو يرهبون الردى وما دفعهم لهذه المظاهر سوى احترامهم لنسب هذا السيد الشريف الذى ينتمى لسيد البشر محمد بن عبدالله ﷺ ولـكنى الوم السادة ومن حذا حذوهم فى اعطاء يدهم لغيرهم لتقبيلهـا وأخص السادة باللوم لان سيد البشر جدهم الاعظم صلوات الله عليـه كان يكره هذه العـادة وينهى عنها وجدير بهم أن يحذوا حذوه .

المرحلة الاخيرة الى مارب

فى نحو الساعة السابعة أى الواحدة بعد الظهر فى يوم الاربعاء الموافق ٢٩ كانون الثانى ركبنا من خربة صرواح وهى آخـر مرحلة من مراحلنـا قاصدين مارب ودعا العامل شيخ جبل هيلان المدعو صالح بن سعيد الظاهْ ليرافقنـا فى الطريق لانه خبـير باراضى هذه البلاد واسمائها . وسرنا بأسم الله جنوبا بشرق مسافة يسيرة ثم تحولت طريقنا الى الشرق تماماً ورأيت الى جنوبنا سلاسل جبال بركانية عظيمة آخذة بعضها

برقاب بعض فسألت الشيخ صالحا عن اسمها ، فقال لى القريبة منا العجارم والتى تليها جبال بنى ظبيان ، ومياه السيول فى هذه الجبال تنضم الى مياه السيول التى تأتى من صرواح وتسيل جميعها فى سائلة واحدة يقال لها سائلة مَلح الى أن تصب فى السيل العام الذى يذهب الى مارب . وكأنى بالشيخ صالح ادرك ماهو القصد من رحلتى فكنت اذا سألته سؤالا مما له علاقة بالسيول والمياه والسد الخ كان يجيبنى عليه أجوبة مطولة مفيدة .

سارت طريقنا شرقا بواد فسيح بين جبال واطية بركانية مسافة ساعة ويقولون له قاع الحقيل وخرجنا من هذا القاع فدخلنا مكانا يقال له المحفى وهو فى الحقيقة تتمة للقاع ولكنهم فرقوه عنه وسموه المحفى لأن أرجل المخلوقات التى تمشى فيه تحفى أو تهرأ لكثرة ما فيه من أحجار وهذه الأحجار هى نتيجة موجة بركانية رقيقة طغت على هذا السهل ولما بردت تركت هذه الأحجار البركانية الصغيرة السوداء خلفها . وقد رأينا فى هذا القاع وما يحيط به من الجبال والوديان أعشابا كثيرة وطروشا عظيمة وأعطانى صالح بن سعيد عشبة يقال لها زقيقاء وهى ذات زهر جميل له رائحة عطرية ذكية . وفى الحق ان معظم الأعشاب هنا لها رائحة ذكية . ودامت الاراضى على هذا الشكل الى أن وصلنا الى قرب سائلة «ذنة» وقد رأيت بعض الكتاب الاقدمين والمجددين يكتبونها أذنه وهذا خطأ فأهل البلاد يقولون لها «ذنه» وليس أذنه ، ولهذه السائلة أهمية عظيمة لانها هى مجمع السيول لجزء كبير من سيول بلاد اليمن وتصب فيها جميع السيول التى تأتى من جهة الغرب أى من ذمار ويريم وجهران وبلاد الحدى وبلاد خولان وبلاد مراد وقيفه وتصب فيها أيضا السيول التى تأتى من الشمال من بلاد جهم ويقال لها سيل القطوطة وتصب فيها أيضا السيول التى تأتى من الجنوب ويقال لها سيل الجوبة وتجتمع جميع مياه هذه السيول فى شبه بحيرة كبيرة مساحتها عشرات الكيلو مترات تحيط بها الجبال والوديان من جميع الجهات وهى مرتفعة من جهة الشمال والغرب والجنوب ومنخفضة من جهة الشرق حيث تصب فى واد ضيق بين جبلين يقال لهما جبل بلق الايمن وبلق الايسر وهما فى الحقيقة جبل واحد ولكن السيول قد افتتحت

فيه واديا ضيقاً فقسمته الى جبلين. ويسمى فم هذا الوادى بباب الضيقة ، وكأنى بهم سموه ضيقة لضيقه اذ لا يبلغ عرضه أكثر من مائتى متر وهو أول مجرى من مجارى الماء لخزان سد مارب الحقيقى لانه يجوز لنا مجازا بأن ندعى أن شبه البحيرة الكبيرة التى تجتمع فيها السيول من الجهات الثلاث يسمى خزاناً أيضاً وقد خصصت فصلا خاصاً لبحث هذا الخزان والسد وسيأتى ذكره قريبا . وقد وصلنا الى باب الضيقة ليلا منهوكين من التعب فرأينا من الافضل لنا أن نقضى ليلتنا ههنا بالقرب من الماء بين شجر الأثل الجميل الذى يكثر بهذا الوادى فوضعنا أحمالنا ومدوا لنا وسائدنا فوق الرمال وأخذ الجند يجلبون من الحطب كميات وافرة استعداداً للاصطلاء بالليل ثم توضأنا وصلينا وجلسنا بعيدا عن النار التى أوقدها الجند ولكن العامل حفظه الله كان يبرد كثيراً وبالرغم من أنه كان يلبس عدة أثواب بعضها فوق بعض ويلبس فوقها جميعاً فروة من فراء اليمن ويسمونها (كركا) شكا من البرد وأمر باشعال نار بالقرب منا فقلت لا ، أبعدها عنى واجعلها بقربك فقط فقال حسناً . ومن الغريب فى أمر أهل اليمن انهم يخافون من البرد كثيراً . قضينا سهرتنا على نور القمر والنار ثم أخذ الرفاق يستعدون للنوم فخلعوا جميع ثيابهم ودخلوا فى أكياسهم وبعد برهة وجيزة صاروا يغطون فى النوم غطيطا . والنوم بالأكياس عادة منتشرة فى جميع اليمن من أقصاه الى أقصاه ، وقبل هذه الرحلة لم أدرك سرها وأما فى هذه الرحلة فأيقنت بفائدتها من وجهين على الأقل الوجه الأول انها تحول دون لذع البعوض والكتان الموجود فى كل مكان ، والوجه الثانى أنها تحصر حرارة جسم الانسان داخل الكيس فيبقى طول ليله دافئاً وأما ضررها من جهة التنفس فلا شك فيه ولكن يظهر أن القوم قد اعتادوا على هذه الحال .

على أبواب مارب وسدها العظيم

نام القوم طول ليلهم الا أنا فلم يغمض لى جفن الا قليلا فكيف أنام وأنا على باب سد مارب وعلى قاب قوسين أو أدنى من مدينة بلقيس العظيمة ؟ وما برحت منذ عشر سنوات أحلم بهذه الزيارة وتتشوق نفسى اليها وكنت كل الليل أتخيل تخيلات غريبة

وأرسم في ذهني صوراً عجيبة للسد ومجاريه ومارب وقصورها وبلقيس وعرشها والخ . وودت لو كان لى جناح الهدهد فأسبق الرفاق لمارب ، وما كاد ينبثق الفجر حتى أيقظت الرفاق من نومهم فأخذوا يخرجون من أكياسهم واحداً بعد واحد وكان منظرهم مضحكا للغاية ، وبعد هنيهة نهض العامل وأمر باشمال النيران فأشملوها فى الحال وأخذنا نستدفئ حولها . وقد شعرت فى هذه الساعة ببرد يسير يتسرب الى جسمى فأشرت الى الخادم حسين أن يصنع لى شاهياً فصنع فشربنا الشاهى واصطبحنا أى أكلنا الصبوح وصلينا وانبعثنا على بركة الله، وكانت طريقنا تسير فى نفس سائلة «ذنة» التى يزداد عرضها كلما سرنا الجهة الشرق إلى أن يبلغ فى منتصفها نحو ٥٠٠ متر وهى تشكل ههنا شبه دائرة ثم تعود فتأخذ فى الضيق إلى أن تصل إلى آخر الوادى بين الجبلين إلى نقطة قال لى دليلنا صالح سعيد ان اسمها مربط الدم (أى الهر) وهى المكان الذى بنوا فيه السد وقد أطلقوا عليها اسم مربط الدم على رواية صالح سعيد لأن أهل مارب عند ما شعروا بان السد سوف يخرب ويكون سبب خرابه الجرذان ربطوا عددا كبيرا من القطط إلى جانب السد ليحولوا دون ظهور الفئران ولذلك سموا المكان بمربط الدم . وقد طالعت فى كتب عربية كثيرة وفى بعض الكتب الفرنجية ان من جملة أسباب خراب السد هو ظهور الجرذان حوله وثقبها فيه ثقوبا كثيرة لسكناها، وانى أثبت ههنا قصة طريفة عن كيفية خرابه اطلعت عليها فى أحد الكتب القديمة ليرى القارئ صعوبة الحصول على معلومات صحيحة فى هذا الخصوص .

جاء فى الجزء الأول من حياة الحيوان للعلامة الشيخ كمال الدين الدميرى بحث مطول عن سد مارب فى الصفحة ٢٥٨ وقد لخصت منه ما يلي قال :

ذكر بعض المفسرين ان الخلد هو الذى خرب سد مارب وذلك أن قوم سبأ كانت لهم جنتان (بستانان) عن يمين من يأتيها وشماله . قال الله تعالى لهم « كلوا من رزق ربكم واشكروا له » أى على ما أنعم به عليكم، وكانت بلدتها طيبة لا يرى فيها برغوث ولا بعوض ولا عقرب ولا حية ولا ذباب وكان الركب يأتون وفى ثيابهم القمل وغيره فاذا وصلوا إلى بلادهم ماتت وكان الانسان يدخل البستان والمكتل على رأسه فيخرج

وقد امتلأ من أنواع الفواكه من غير أن يتناول منها شيئاً بيده فبعث الله لهم ثلاثة عشر نبياً فدعوهم الى الله وذكروهم نعمه عليهم وأنذروهم عقابه فأعرضوا وقالوا مانعرف لله علينا من نعمة، وكان لهم سد بنته بلقيس لما ملكتهم وبنت دونه بركة فيها اثنا عشر مخرجا على عدد أنهارهم فكان الماء يقسم بينهم على ذلك، فلما كان من شأنها مع سليمان عليه الصلاة والسلام ما كان مكثوا مدة بعدها ثم طغوا وبغوا وكفروا فسلط الله عليهم جرذا أعمى يقال له الخلد فنقب السد من أسفله فهلكت أشجارهم وخربت أرضهم. وكانوا يزعمون فى عملهم وكهانتهم أن سدهم ذلك تخربه فارة فلم يتركوا فرجة بين حجرين إلا ربطوا عندها هرة فلما جاء الوقت الذى أراد الله تعالى أقبلت فارة حمراء إلى هرة من تلك الهرار فساورتها حتى استأخرت عنها الهرة فدخلت فى الفرجة التى كانت عندها وحفرت فلما جاء السيل وجد خللاً فدخل فيه حتى قلع السد وفاض على أموالهم (أى أراضيهم) فأغرقها ودفن بيوتهم بالرمل

وروى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ووهب وغيرهما انهم قالوا : كان ذلك السد بنته بلقيس وذلك انهم كانوا يقتتلون على ماء أووديتهم فأمرت بواديهم فسد بالعرم وهو السد بلغة حمير فسدت بين الجبلين بالصخر والقار وجعلت له أبوابا ثلاثة بعضها فوق بعض وبنت من دونه بركة ضخمة وجعلت فيها اثنى عشر مخرجا على عدد أنهارهم يفتحونها اذا احتاجوا إلى الماء وإذا استغنوا عنه سدوها فاذا جاء المطر اجتمع اليه ماء أودية اليمن

ونقل الامام أبو الفرج بن الجوزى عن الضحاك ان الجرذ الذى خرب السد كان له مخالب وأنياب من حديد وأن أول من علم بذلك عمرو بن عامر الأزدى وكان سيدهم وقد رأى فى المنام كأنه انبثق عليه الردم فسال الوادى فانطلق نحو الردم فرأى الجرذ يحفر بمخالب من حديد ويقرض بانياب من حديد الخ

وفى العرم أقوال كثيرة قيل هو المسناة أى السد قاله قتادة، وقيل هو اسم الوادى قاله السهيلى، وقيل اسم الخلد الذى خرق السد، وقيل هو السيل الذى لا يطاق. وأمامارب فبسكون الهمزة اسم لقصر كان لهم وقيل هو اسم لكل ملك كان على سبأ كما أن تبعاً

اسم لكل من ولى اليمن والشحر وحضرموت قاله المسعودى. واسم سبأ عبدشمس بن يشجب بن يعرب بن قحطان ، قيل انه أول من سبى فسمى سبأ ، وقيل انه أول من تتوج من ملوك اليمن

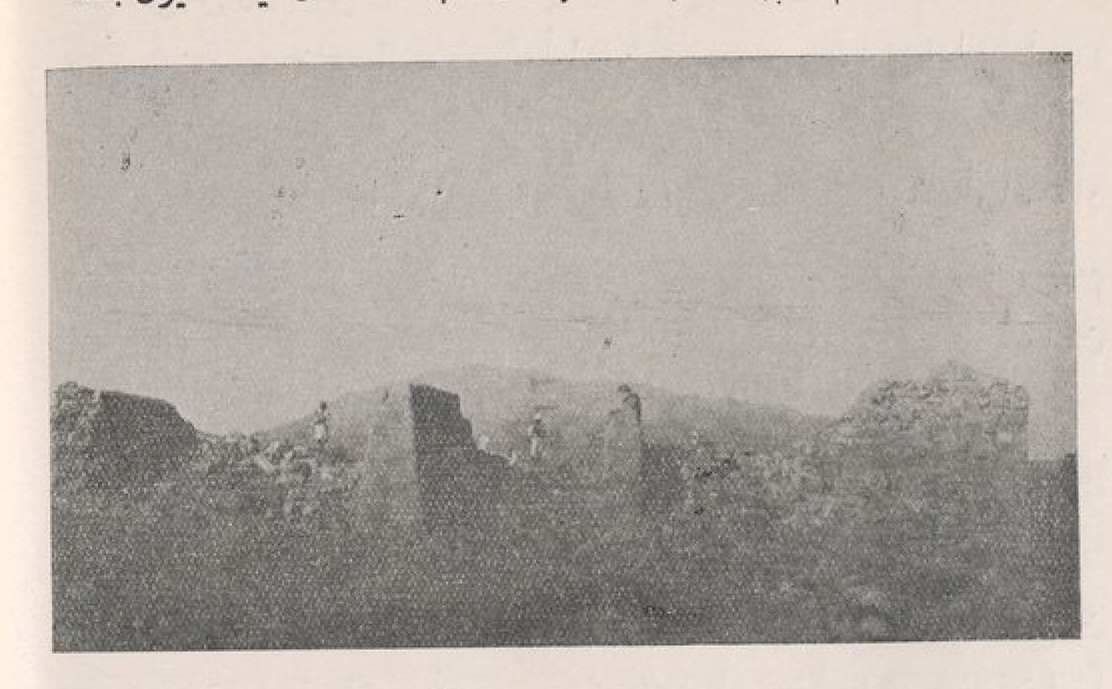
وفى الحديث « قال رجل يا رسول الله أخبرنى عن سبأ أ كان رجلا أو امرأة أو أرضاً فقال ﷺ كان رجلا من العرب وله عشرة أولاد تيامن منهم ستة وتشاءم أربعة فأما الذين تيامنوا فكندة والأشعريون والأزد ومذحج وانمار وحمير وأما الذين تشاءموا فلخم وجذام وعاملة وغسان » انتهى

أما أنا فأقول لاشك أن تفاسير هذه الأسماء كما ذكرها الكتاب الأقدمون تحتمل الصدق والكذب ولكن ستظهر الحقيقة ان شاء الله متى تمكنت أن أقف على قراءة الأسانيد الكثيرة التى نقلتها وجلبتها معى من تلك البلاد ، وقد نقلت الجميع من أماكن ثابتة معلومة ، لا من أحجار مبعثرة هنا وهنالك . فقد نقلت نحو ثلاثين نقشاً من السد وحده ، ولا شك انه يوجد بينها أسماء من بنوا هذا السد وعنوا بأمره ، لأنه فى ظنى ليس من عمل ملك واحد ، بل من عمل عدة ملوك .

ورأينا عند مربط الدم ، بعض الآثار الباقية من السد ، وهى كناية عن مخرج الماء من الجهة الجنوبية ، وسيأتى ذكرها بالتفصيل قريباً ، لأنى درست هذه الخرائب بالتدقيق درساً وافياً بعد وصولى الى مارب . وأما يوم مرورنا بها فا كتفيت بخطفة بصر فقط ، ورأيت على مسافة يسيرة الى شرقى السد آثار بناء مربع ضخم يظهر أنه كان مختصاً بحراس السد والماء .

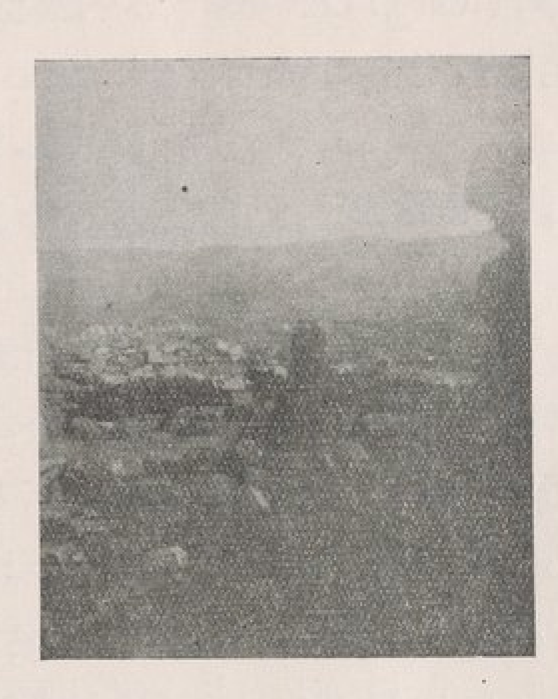
وتابعنا سيرنا فمررنا بما كانوا يسمونه قديماً الجنة الشمالية ، وشاهدنا فيها بقايا مجارى الأنهر القديمة التى كانت تسقيها وهى مبنية مما يسمونه بالقضاض أى الحجر والسمنت ، ومرتبة ترتيباً هندسياً بديعاً ، وشاهدنا بقايا البساتين ، ويختلف حجمها بعضها عن بعض ، فمنها الكبير ومنها الصغير ومنها الوسط ، وأما توزيع المياه عليها فعلى نمط واحد أى يجرى من الأنهر بقنوات صغيرة وفروع متعددة ، يختلف اتساعها بنسبة اتساع البستان الذى تسقيه . وأما نوع التربة فمن التراب الأحمر الدلفاتى السميك

وفى الوقت الحاضر لم أر بهــذه الجنان أشجاراً ولا نباتات ، لأن مياه السيول بعـد



بعض مقاييس المياه للجنة الشمالية ويظهر كيفية البناء فيها

خراب السد أصبحت أوطى منها فلا تصلها ، والأمطار هنا لا تهطل الا نادراً ، وان هطلت فرذاذاً ، لذلك يعول الزراع على الأراضى القريبة من سـائلة ذنه فيغرسونها .



بعض خرائب مارب واطلالها

وعند ما اقتربنا من مارب قابلنا جموع الأهلين آتين للسلام على العامل ، وكان سلامهم عليه باطلاق الرصاص ، ولعمر الحق انهذا أجمل سلام يدل على البأس وعزة النفس ، وكانت الجماهير تزداد كلما اقتربنا من المدينة ، وكانوا ينتظمون فى صف واحد ويسيرون أمامنا وينشدون بعض الأناشيد الوطنية ، وقد تمكنت من الحصول على بعضها ، والى القارىء الكريم خلاصتها .

يا مرحباً بالعامل المشهور   والأرض قد هى لك مطيعة
حيّا بعاملنا وذى [١] جانا معه   ياضاح [٢] وادينا فى العَدرَا الظلام
مارب رحب والحكومة رحبت   والأرض فوق الَجيدْ [٣] تضرب لك سلام
يامرحباً يا الكبسى أثناء عشر ماءة   يامَرْدمَ [٤] الوادى وقُفْله والسِراج
َيلعِد [٥] ذى مروى [٦] المشارق كلها   من سطوتك خلاّ [٧] المغازى بن عجاج

غيره

حيا بعاملنا وراعى الشام ذى جانا معه   متوكلة [٨] وادى سبأ بأمر الامام
الحمد لله قد سعدنا يوم جتنا الدُيويله   بجاه مولانا سعدنا يا كرام

ومن دواعى الاسف أن قراءة هذه الابيات ليست كسماعها ، فهى لا تحتوى على معان وبيان ، وأوزانها ليست مضبوطة ، ولكن اذا سمعها المرء تنشد من ذلك الجمع المخيف يطرب منها كل الطرب ، وتستولى على مشاعره وعواطفه ، وتستفز فيه الشجاعة والبطولة ، وتعروه رعدة حماسية حتى ولو كان رعديداً جباناً :

فى مدينة مارب

وصلنا الى مارب ، ودخلناها بين ضرب الطبول والاناشيد ، وقد مررنا بأطلال المدينة القديمة ، الا أنى لم أنتبه اليها كثيراً ، لانى كنت منصرفاً بكليتى الى مراقبة هذا الجمهور المتحمس لرؤية عامله ، وكنت أراقب الناس فرداً فرداً لأفهم هل هذه المظاهر

---

(١) الذى (٢) سراج (٣) الجبل (٤) زاوية أوسند (٥) يامن نعتد به ونعول عليه (٦) ساق (٧) جعل الرجل المشهور بالغزو يتركه (٨) نواب الامام وكلاؤه بناء على أمره .

مظاهر تقليدية فقط ، أم هى ناشئة عن شعور حقيقى ، فأدركت غايتى عندما ترجلنا عن بغالنا فى باب دار الحكومة اذ تزاحم النـاس تزاحماً على العامل منقطع النظير ، ووجوههم تطفح بشراً وفرحاً ، وألقوا بأنفسهم عليه ، وصاروا يقبلون يديه وركبتيه وما عاد منهم فرد واحد الا بعد ما قبل يده وركبته .



عامل مارب ورجال حكومته امام دار الحكومة

دخلنا دار الحكومة ، وهى واقعة الى جنوبى المدينة الحديثة وعلى مسافة خمسين متراً منها وبناؤها على طراز بناء دور صنعاء ، ومؤلفة من ثلاثة أدوار فصعدنا بادئ الامر الى الدور الثالث فى درج لولبى مظلم فيه عدة ثقوب صـغيرة تستعمل كرمايات عند الحاجة . وبعد أن غسلنا أيدينا ووجوهنا وتوضأنا وصلينا نزلنا الى الدور الاول وفيه صالون كبير قد اتخذه العامل مكتباً له ، وهو مبنى بناء لا بأس به ، وفيـه ولله الحمد نوافذ كبيرة متعددة يدخل منها النور والهواء بصورة كافيـة للتهوية ، دخلنا هذا المكتب وفتحنا نوافذه وجلسنا يهنئ بعضنا بعضاً بسلامة الوصول ، وفى الحال امتلأ المكان بالذباب الذى صار يهاجمنا مهاجمة عنيفة ، والذباب هنا كثير جداً على مافهمت ويكثر فى أيام البرد ويموت فى أيام الحر ، وهذا بعكس البلاد الباردة ، وقد انزعجت

فى الحقيقة منه كثيراً ، وأخرجت منديلى وصرت أطرده عن وجهى فما كان من شقيق العامل الا أن ألقى الىّ بمنشة كانت بين يديه فدهشت لما وجدتها ذنب ثور . وقد أخذ كل واحد من الحاضرين منشة من هذا النوع ، وأخذ يدفع بها عن نفسه الذباب .

وبعد جلوسنا ههنا نحو ساعة من الزمان جاءنا خادم العامل وقال : ان الغداء جاهز فتفضلوا ، وللحال تبعناه إلى الدور الثانى حيث مدوا سماطا على الأرض ووضعوا فوقه كثيراً من الصحون والاطباق ، فجلسنا حول السماط ، وأخذنا نلتهم الطعام التهاماً ، لانه كان جيداً ، ولاننا كنا جياعاً . وكان مؤلفاً من الحلبة والمكرونة والارز واللحم والحلوى المسماة بنت الصحن ، وهذه أكلة جيدة لم أذقها قبلا ، فسألت العامل عن تركيبها . فقال : هى مصنوعة من عجين الحنطة والبيض والسمن والعسل .

وبعد الطعام عدنا إلى مكتب الحكومة ، وقد اتخذناه صالوناً لجلوسنا ولاستقبالنا كل المدة التى أقمناها بمارب ، وأخذ العامل وأخوه وصحبه يدخنون المداعة ويخزنون القات ، ومع أن القات غير موجود هنا فهم يجلبونه من الجبال مع القوافل التى تأتى يومياً لابتياع الملح ؛ ولكنه فى كثير من الاحيان يصل يابسا لطول الوقت فلايمكنهم مضغه ، فيدقونه فى أجران خاصة ثم يمضغونه ، ولكن هذه المرة كان العامل قد جلب معه كمية كبيرة وبقيت محافظة على شىء من طراوتها لانهم حزموها جيداً ، وقد فرح الموظفون بها كثيراً ، وأخذوا يخزنون هذا اليوم بشهية زائدة . وأما أنا فوجدت أن أفضل طريقة لى هى الهرب ، فاستأذنت بالخروج ، وخرجت الى أطلال المدينة فألقيت عليها نظرة سطحية ، وأدركت من أطلالها انه كان لها سور محيط بها من الجهات الاربع ، وقد ألحق العامل بى بعد خروجى نحو عشرة جنود للمحافظة ، وفى الحق ان هؤلاء الجنود كانوا يزعجوننى ويفسدون علىّ تأملاتى بأسئلتهم الكثيرة التى تشبه أسئلة الاولاد الصغار ، ومن العجيب فى اليمن انه كلما جاءهم رجل غريب يعتقدون أنه مهندس أو حكيم . وقد دعيت بهذا الاسم ، وانتشر خبر مجيئى الى مارب بعد وصولنا فوراً ، وصار الناس يتساءلون لماذا جاء هذا المهندس ؟ فبعضهم قال ان



جزء من اطلال مارب

جلالة الامام أرسلني لكي أفتش على الكنوز والآثار المدفونة . وبعضهم قال لا ، بل هو مهندس بناء جاء لكي يهندس داراً للحكومة ، وبعضهم قال : لا . بل هو مهندس طرقات جاء لينظر الطريق ما بين صنعاء ومارب ، وبعضهم قال : لا. بل هو يعرف أين توجد المعادن وخاصة الذهب وفى استطاعته أن يشم الارض فيعرف منها أين الذهب موجود ، وقد قص عليَّ هذه الاخبار والروايات التى شاعت عنى عقيب وصولنا دليلنا الذى جلبناه معنا من صرواح ، وقد اتخذته عينا لى لاعرف ماذا يقال عنى وماذا يبيت لى فى الخفاء لاكون على بينة من الامر . بقيت أتجول برهة بين هذه الاطلال فرآنا جمهور من الاهلين وأخذوا يراقبون حركاتنا عن بعد لعلهم يقفون على حقيقة أمرنا .

عدنا الى دار الحكومة وكان المساء قد أمسى فتوضأنا وصلينا وتعشينا ودخلنا الى المكتب فعاد القوم الى التدخين والتخزين وعدت الى التفكير فى مارأيت وما سمعت فى ذلك النهار وأخذت أدون هذه المذكرات . فقال لى العامل غداً سنخرج ان شاء الله الى مايسمونه محرم بلقيس فقلت وما هو هذا المحرم فقال : يحكون والله أعلم ان بلقيس كانت تخرج الى خارج المدينة كلما فاجأها الحيض فتقضى مدته فى هذا



بعض شيوخ البدو ورجال القبائل بمارب فوق أطلال مدينتهم
وقد أتوا للسلام علينا

المحرم ثم تغتسل وتعود الى المدينة . فقلت لا بأس من الخروج الى هناك غداً أما الآن فانى أستودعكم الله سأذهب الى النوم ، وصعدت حالا الى الغرفة التى خصصت لنومى فى الدور الثالث وكانت الساعة نحو الثالثة عربية أى التاسعة زوالية وما كدت أستلق على ظهرى فى الفراش حتى أخذت أسمع قرع الطبول فى الدور الأول وعقبه مارش الامام ، وفى جميع أنحاء اليمن يقيم الجند فى معسكراتهم وثكناتهم فى الساعة الثالثة حفلة تدوم نحو ربع ساعة يقرعون الطبول ويختمونها بنشيد الامام وهو كما يلى :

عند الشروع أقم نصره ياقايم النصر يا الله

يالله عليك بالجماله ياجميل العوايد قايم النصر ياالله

وما كاد الجند ينتهون من نشيدهم حتى استسلمت للكرى ونمت نوما عميقا ولا أظننى تقلبت فى تلك الليلة لايمنة ولايسرة لأنى كنت تعباً من السفر ولم أنم فى الليلة الماضية الا يسيراً وعند الصبح صحوت من رقادى على قرع الطبول وعلى ذكر الجند التسابيح التالية :

يا الله رضاك يا الله رضاك وأرض علينا بالرضا يا الله رضاك يا الله رضاك يا الله رضاك
والعفو والرضا منك يا الله رضاك

واحنا طلبنا عظيم الشأن كريمان يافاتح أبوابه
يا الله المطلوب وافتح لنا بابك
يا الله المطلوب وافتح لنا بابك
يا الذى ماتمشى أقدامنا الابك
يا الذى ماتمشى أقدامنا الا بك
سهل النيات ياعدل يا والى

وهذه أيضاً عادة جميلة فى الجيش اليمانى فأينما كان الجنود ينهضون عند الصبح وينشدون التسبيحة المارة الذكر ولكنى بينما كانوا يسبحون مافهمت كلمة واحدة منها انما سألت أحدهم صباحا ماذا كنتم تقولون عند الصبح فأعادها على مسامعى فدونتها لفورى بمذكراتى

وبعد تأدية فرض صلاة الصبح وتناول الصبوح نزلت من غرفة النوم الى المكتب فجاءنى صالح سعيد وأخبرنى أن أشراف المدينة فى هرج ومرج يتكلمون عنى كثيراً ولا يرغبون أن أخرج الى خراباتهم وفى نيتهم أن يحادثوا العامل بهذا الموضوع ، فقلت له ومن هم هؤلاء الأشراف؟ فقال هم سادة من نسل الحسن رضى الله عنه وينتسبون الى آل سعود . فقلت وهل تعنى جلالة الملك عبد العزيز ابن سعود؟ فقال كلا ليس لهم صلة أو نسب بالنجدى بل هم كما قلت لك سادة أشراف . فقلت وهل هم كثيرون؟ فقال كلا ولكنهم يملكون معظم هذه الأراضي والخرائب ولهم أبناء عم كثيرون فى الجوف ، فقلت حسنا فانصرف الصديق وبقيت فى المكتب لوحدى أفكر فى أمر هؤلاء الشرفاء واذا بالعامل يدخل وبعد التحية جلس قائلا كيف همتكم اليوم الا نعزم أى نذهب الى محرم بلقيس ؟ فقلت نعم لا بأس من عزمنا فأمر باعداد البغال ودخل عليه أحد الحجاب فهمس فى اذنه كلمات لم أسمعها فقال العامل لا بالله فليدخلوا ، فدخل ثلاثة رجال لابسين أثوابا نظيفة بالنسبة الى أثواب غيرهم ، ومتمنطقين

بالجنبيات وبعد التحية وتقبيل الأيادى مع الركب همس أحدهم حديثاً باذن العامل فنهض العامل وخرج معهم الى باحة الدار وبعد عشر دقائق عاد إلى وهو يبتسم فأيقنت أن الحديث كان بشأنى وأن هؤلاء الأشخاص من الاشراف، فقلت لاشك أن هؤلاء الرجال أتوا موفدين اليك من قبل الأشراف ليحتجوا على مجيئى الى هنا، فقال وكيف عرفت ذلك؟ فقلت بلغنى أمرهم هذا الصباح فأجاب أن هؤلاء الناس بسطاء وعلى الفطرة ولم يروا كل مدة حياتهم رجلا غريباً يدخل بلادهم وقد استهجنوا أمرك وجاءوا مستعلمين عن مهمتك ومحتجين على تجول صالح سعيد معك بصورة دليل،وقد توهموا انك جئت لتعين الحدود بينهم وبين جيرانهم من قبيلة صالح سعيد فأفهمتهم انه لاعلاقة لك بتحديد الحدود وانك رجل مسلم من أعيان الشام، وصديق عزيز على الامام، وموظف من موظفيه ، أوفدك جلالته لتشاهد هذه البلاد وتأخذ بعض رسومها ليراها جلالته، فلم يعترضوا على ذلك بل قالوا انهم يريدون أن تأخذ معك فى تجولاتك أحدهم بصفة دليل وسموا لنا الشريف عبد الله وتستغنى عن صالح سعيد، فقلت حسناً . فقال وقد وعدونى انهم سيحضرون بعد ظهر هذا اليوم مع وفد من شيوخ قبيلة عبيدة ورجالها الأشداء للسلام علينا والتحدث الينا فبوسعك أن تتحدث اليهم بعد الظهر لتطمئن نفوسهم، فقلت هذا حسن جداً انه لنعم الرأى، والأفضل أن لانخرج هذا الصباح الى المحرم بل ننتظر الى الغد، ولكنه حفظه الله رأى أن فى عدم خروجنا ــ وخاصة بعد أن أمر باحضار بغالنا ــ مظهراً من مظاهر الضعف فقال لا بالله نخرج ولكن لانأخذ صالح سعيد الظاهر معنا بل نأخذ معنا الشريف عبد الله، فقلت الرأى رأيكم .

وبعد هنيهة خرجت برفقة العامل وأخيه وأحد أبناء عمه الموظف عنده اسمه أحمد بن على الكبسى وهو شاب فى مقتبل العمر خفيف الروح للغاية ولا تفارق النكتة شفتيه، وكان كل مدة اقامتى بمارب يضحكنا كثيراً بنكاته المستحبة .ورافقنا حرس كثير من الجند والضباط ، وخلت نفسى كأنى سائر الى ساحة حرب لاالى نزهة

ومشاهدة الآثار ، وماكدنا نبتعد عن دار الحكومة يسيراً حتى اعترضتنا سائلة ذنة ويبلغ



وادى ذنه بالقرب من مدينة مارب وسدها

عرضها أمام القرية نحو ٣٢٠ متراً ويختلف هذا العرض ببعض الأماكن عن بعض. ويمكن القول على وجه التقريب انها لاتقل عن ٣٠٠ متر ولا تزيد على ٣٥٠ متراً. وينمو فيها الاثل بكثرة عظيمة ، ويوجد الى جانبه فى بعض الأماكن قليل من السدر. وقدجاء فى القرآن الكريم فى سورة سبأ مايؤيدذلك «لقد كان لسبأ فى مسكنهم آية جنتان عن يمين وشمال كلوا من رزق ربكم واشكروا له بلدة طيبة ورب غفور . فأعرضوا فأرسلنا عليهم سيل العرم و بدلنهم بجنتيهم جنتين ذواتى أكل خمط وأثل وشىء من سدر قليل ذلك جزيناهم بما كفروا وهل نجازى الا الكفور . وجعلنا بينهم وبين القرى التى باركنا فيها قرى ظاهرة وقدرنا فيها السير سيروا فيها ليالى وأياماً آمنين . فقالوا ربنا باعد بين أسفارنا وظلموا أنفسهم فجعلناهم أحاديث ومزقناهم كل ممزق إن فى ذلك لآيات لكل صبار شكور »

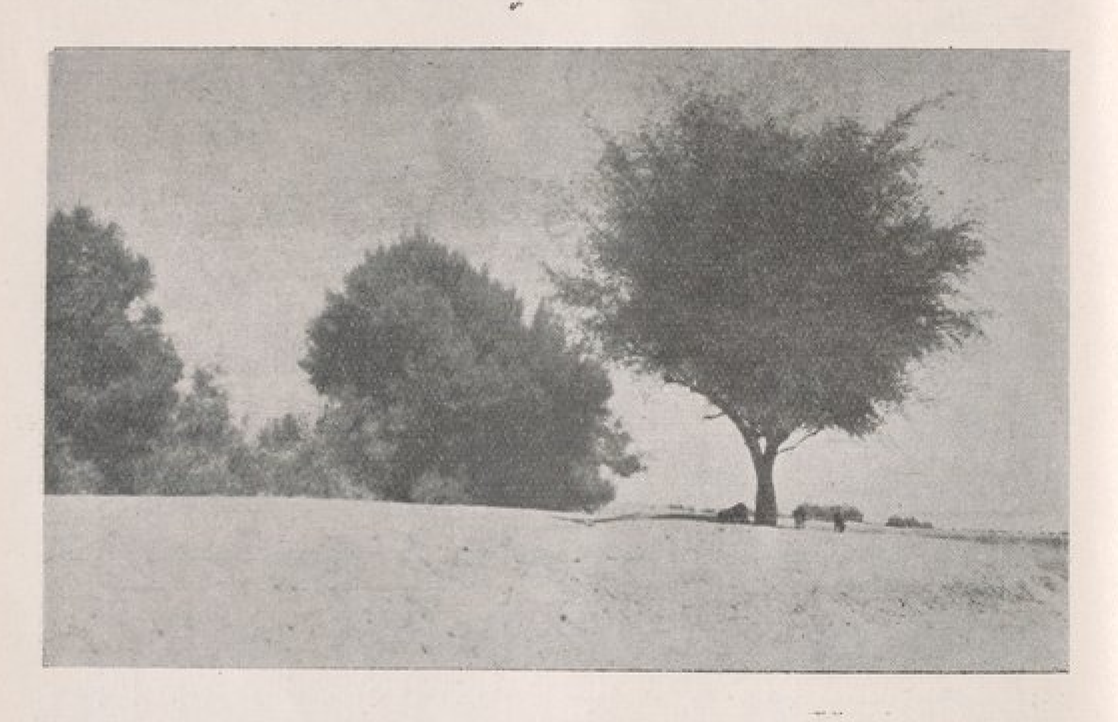
بنور هذه الآيات كنت أستهدى وعلى ضوئها كنت أسير لان المعلومات التى ذكرت فيها هى جميع ما يمكن للباحث المحقق أن يعول عليه فى بحوثه وتحقيقاته عن هذه البلاد، وأما ما ذكر فى الكتب القديمة عن هذه البلاد فلا يعتد به ولا يعول عليه لما فيه من الخلط والخرافات،وقد ثبت لى قوله تعالى «وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتى

أكل خمط واثل وشيء من سدر قليل» وقد رأيت بعيني رأسي خرائب هاتين الجنتين



شجر الخمط بالقرب من محرم بلقيس بمارب

أى البستانين وبقايا الدور التى كانت فيهما ورأيت أنه لا يوجد فيهما شيء من الأشجار المثمرة وخلافها وكل مارأيته فيهما هوالخمط والأثل والسدر وأما الأثل فانه



شجر السدر والاثل

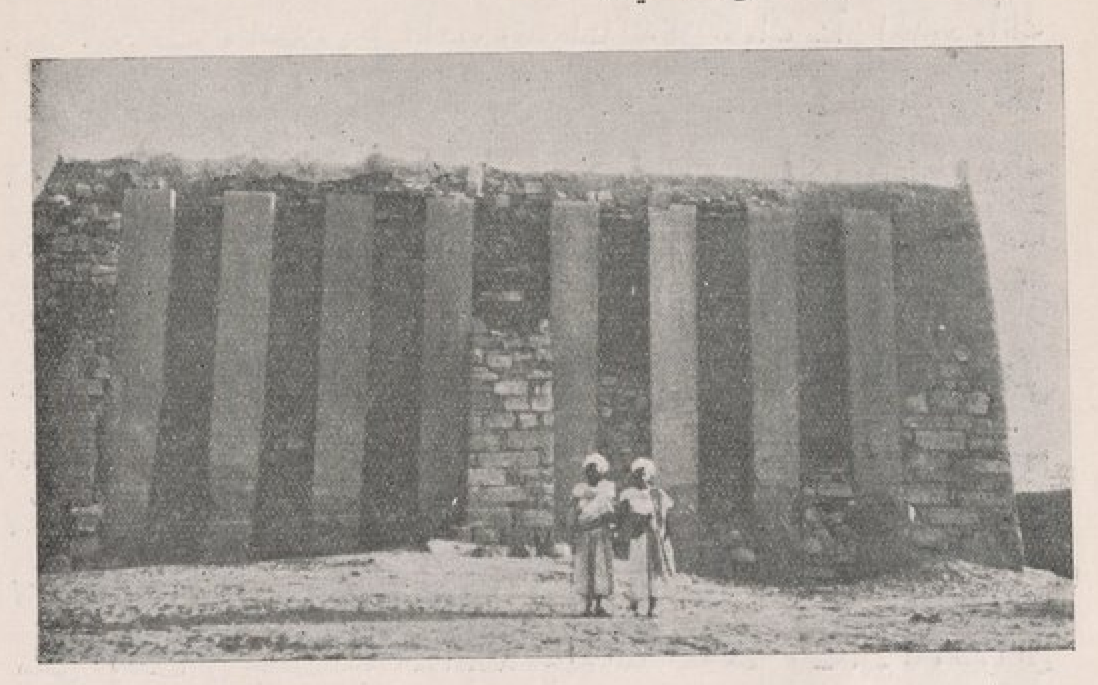
موجود بسائلة ذنة بكثرة عظيمة ، وإذا دخل المرء بينـه يخال نفسه فى احراج كبـيرة ويوجد بين الأثل سدر قليل أى يوجد بين كل الف شجرة أثل شجرة سدر واحدة، ويوجد أيضاً فى هذه السائلة وإلى جوانبها لمسافات يسيرة الخمط وهو مايسمونه بالأراك وله ثمر يؤكل ولونه أحمر يشبه حب العدس ويجففـه الأهـلون ويأكلونه كالزبيب وهو حلو الطعم وطيب الرائحة . وشهدت أيضاً صدق هذه الآيات من حيث البناء اذ انهاتين الجنتين اللتين تبلغ مساحتهما نحو ٨٠ كيلومتراً مربعاً كانتا كأنهما مدينة واحدة البستان بلصق البستان، ومن البديهى ان هـذه البساتين كانت مأهولة بالسكان وكان البناء فيها آخذاً بعضه برقاب بعض ولـكن عند ما بدلهم الله بجنتيهم جنتين دمر جميع هذه البساتين والمساكن والمدن وصار بين مدينة مارب وأقرب مدينة اليها كصرواح مثلا مسافة عشر ساعات إلى الغرب وبينها وبين مدينة براقش وهى إلى الشمال نحو ١١ ساعة، فصدق الله العظيم فى جميع هذه الآيات ، وصدق رسوله الـكريم صلى الله عليه وآله وسلم

ويوجد إلى جنب هذه السائلة أى فوق ضفتـها الشرقية حقول خصبة تزرع على مياه السيول وتزرع فيها الذرة والشعير والحنـطة والجاجلان أى السمسم . سرنا من السائلة إلى الجنوب فمررنا على مسافة كيـلو مترين منها بمخفر جديد بناه جلالة الامام بعد دخول جنوده الى مارب ويحيط به بعض بيوت الأشراف المبنيـة من الطين ولا وجود للنوافـذ فيها وهؤلاء الأشراف كانوا دوماً يحارب بعضـهم بعضاً . وعلى مسافة يسيرة من المخفر إلى الجهة الجنوبيـة أخذت أشاهد بقايا بعض الأبنية وبعض مجارى المياه إلى أن وصلنا إلى محرم بلقيس أو بالأصح هيكل الشمس . وسيأتى ذكره بالتفصيل فى فصل خاص بعد قليل لأنه من البديهى انه كان من الصعب جداً علىّ أن أقف على جميع المعلومات الـتى أريدها فى يوم واحد لذلك زرت المحرم عدة زيارات وفى كل مرة كنت أدرس منه قسما ، وتمكنت أخيراً من ضم جميع هـذه المعلومات بعضها إلى بعض والفت منها فصلا واحدا سيأتى ذكره . وبينما كنت فى هذا النهار أنقل بعض النقوش المـكتوبة على المحرم جاءنى الشريف عبدالله الذى كلم العامل بشأنى

صباحا وقال نحن عاتبـون عليك كثيرا لأنك اصطحبت معك صالح سـعيد يوم أمس عند ما خرجت لتشاهد خرائب مارب فصالح سعيد هذا رجل غريب عنا وخصم لنا وبيننا وبين عشيرته اختلاف على الحدود وقد علمنا أنه كان يكلمك بشأن الحدود وأنك ستعرض ذلك على جلالة مولانا الامام حين عودتك الى صنعاء فقلت له انك على خطأ يا هذا فأنا ما أتيت لأحدد حدوداً ولا علم لى بالاختلافات التى بينكم وبين عشيرة صالح ولو كنت أعلم ذلك لما جلبته معى وما دمتم أنتم موجودين فانى اكون مسروراً جداً اذا كان يرافقنى منكم كل يوم واحد فقال نحن رهن الاشارة فاخبرونا كلما أردتم أن تذهبوا الى مكان لـكى نذهب معكم فقلت بارك الله فيـكم . وما كاد يذهب من قبلى الشريف حتى سمعت نشيد بدو آتين من الجهة الشرقية وقد مـلأوا الفضاء باصواتهم وأصوات بنادقهم وكان بعضهم يركبون الهجن أزواجاً وبعضهم يركبون الخيل فقلت لا شك أن الساعة الرهيبة قددنت وان هؤلاء القوم ماجاءوا الا لقتلى فأخذت مسدسى بيدى ووقفت الى جانب أحد العواميـد بالجهة المعاكسة لهم ولـكنهم لما وصلوا الى عندنا ورأوا القوة الكبيرة التى كانت ترافقنا من الجند وأبصروا العامل عن بعد هرعوا اليه وتظاهروا أنهم انما جاءوا للسلام عليه والله أعلم

عدنا للدار من نفس الطريق وكان الظهر قريباً فتناولنا طعام الغداء حين وصولنا وأسرعنا بالوضوء وكان اليوم يوم جمعة فخرجنـا للصلاة بالمسجد ، والعادة فى جميع أطراف اليمن أن يخرج العمال يوم الجمعة للصلاة بموكب رسمى وكان موكبنا هذا اليوم مؤلفاً من فرقة حرس العامل وجميع موظفى الحـكومة فسرنا على نفـير البوق وقرع الطبول من دار الحـكومة الى المسجد نمشى رويداً رويداً، ومع أن المسافة لا تستغرق ثلاث دقائق فقد قطعناها فى ربع ساعة، وعند ما وصلنا الى قرب المسجد وجدنا ثلة من الجيش مصطفة هنالك ويقابلها جمهور من الرجال والأولاد من الأهلين فدخلنا بين هاذين الصفـين فأدوا التحيـة للعامل ثم دخلوا بعدنا الى المسجد . ويدعون هذا المسجد بمسجد سليمان زاعمين انه من بنائه ولـكن الحقيقة غـير ذلك فهو من بناء أحد الشرفاء ويرجع تاريخ بنائه الى نحو مائة سنة بحسب تقـديرى . وقد بناه هـذا

الشريف بين بعض العمدان القديمة فظهرت هذه العمدان فى البناء من جهة القبلة اى الشمال فظنه الناس أنه من بناء سليمان



مسجد سليمان بمارب

وبعد تأدية فرض الصلاة عدنا الى دار الحكومة فى نفس الموكب وما كاد يستقر بنا المقام حتى جاء رسول للعامل يخبره بان شيوخ قبيلة عبيدة سيصلون قريباً للسلام عليه فأجابه حسنا وخرجنا الى فوق سطح المكتب لنشاهد الشيوخ حين وصولهم وبعد هنيهة أقبلوا علينا بعضهم فوق ظهور الصافنات وبعضهم فوق الركاب وعندما اقتربوا من دار الحكومة ورأونا فوق السطح أخذوا ينشدون أناشيدهم ويطلقون العيارات النارية فى الهواء ويتسابقون على ظهور الجياد ويلعبون العاباً تسر الأبصار ودامت حفلة لعب الخيل والطراد نحو نصف ساعة ثم نزل القوم من فوق خيولهم وهجنهم واقبلوا علينا للسلام فنزلنا الى باحة دار الحكومة فتواردوا علينا الواحد بعد الواحد وكانوا يقبلون يدى العامل وركبتيه ثم يجلسون أمامنا ولما اكتمل عددهم أخذ العامل يقدمهم لى مبتدئا بعميدهم وشيخ مشايخهم على بن حسن بن معيلى والشيخ على بن حسن

ابن جلال والشيخ مبخوت بن عوض العرادة والشيخ صالح بن على بن جراذان والشيخ احمد بن سعيد بن غريب والشيخ على بن سيف بن عقار، ودخل بعدهم الاشراف يتقدمهم عميدهم الشريف الأمير حسين بن عبد الرحمن والشريف محمد بن عبد الرحمن عمه والشريف قايد بن حسين والشريف احمد بن حسين والشريف عبد الله بن صالح ابن حيدر والشريف عبد الله بن حسين .

وبعد ما جلسوا جميعا القيت فيهم خطاباً شرحت لهم فيه أحوال المسلمين وما أصابهم بعد الحرب العظمى وقصصت عليهم كيفية استيلاء الاجانب على بلادهم والمعاملة السيئة التى يعاملونهم بها وقارنت بين هذا الحكم وحكم الامام المبنى على قواعد الدين الاسلامى والشريعة المحمدية فكانوا يصغون الى بانتباه زائد، واذا اشكل عليهم شيء من كلامى كانوا يطلبون الى العامل أن يوضحه لهم، وعند ما اتممت حديثى انبرى لى شريف مسن هو عم الامير واسمه الشريف محمد بن عبد الرحمن وقال : يا اخا العرب لا تنظر الى ثيابنا الرثة وأطمارنا البالية وتظن أننا جهلاء بلهاء لا نعرف من



الامير الشريف حسين بن عبد الرحمن وهو عميد أشراف آل سعود بمارب

أمر الدنيا شيئا بل اعلم حفظك الله ان هذا الفقير اليه تعالى الذى يكلمك لقد ذهبت الى صنعاء ايام الدولة العثمانية وقابلت الولاة والمستشارين واطلعت على نواياهم نحو بلادنا فما سمحنا لهم بالدخول اليهـا ابداً وهم مسلمون مثلنا ونحن دائمـاً وابداً مستعدون أن نهرق آخر نقطة من دمنا فى سبيل بلادنا ووطننا، واني ازيدك علماً بان هذه البلاد منذ عهد سبأ وحمير الى العهد الاخير لم يدخلها ملك أو فاتح ولا دخلت فى طاعة أحد، ولـكن عند ما فسدت حالنا فى المدة الاخيرة وقمنا نقتتل وصار الاخ يذبح أخاه والعم يذبح ابن اخيه رأينا من المستحسن أن نلتجئ الى جلالة الامام لينقذنا من هذه الورطة فذهبنا اليه خاضعين وللنجدة طالبين ولولا علمنا أن جلالته ـ الله يحفظه ـ لم يطع دولة أجنبية ولا أدخل أجنبياً الى بلاده وهو محافظ على الدين والعرض والشرف والشريعة لما استنجدنا به. ثم قال واعلم انى قد ذهبت الى حضرموت وعدن والمحميـات ورأيت بعينى كيف يعـامل الاجنبي المسلمين وعجبت كثيراً من خضوع أهل هذه البـلاد له والله إحنـا ما نخضع ولن نخضع ابداً .

فأجبته على هذا الخطاب البديع قائلا اعلم ياصاحبي ان الأثواب الرثة والباليـة لاتعيب صاحبها، وقد جاء فى الأمثال عندنا ان الفرس الأصيل لايعيبه سرجه ، وأنا أحترمكم كل الاحترام وأعلم حق العلم بأن هذه الأثواب البالية تستر تحتها قلوبا حية نابضة ووصيتى اليكم مادمتم قد دخلتم فى طاعة الامام أن تبقوا محافظـين على أوامره ونواهيه عملا بالآية الـكريمة « أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم » وشاء العامل أن يكون هذا الـكلام مسك الختام فتحرك فى مكانه فأدركت قصده للحال فقلت والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته فأجابوا وعليكم أفضل السلام وبادروا فى الحال الى وداع العامل فقبلوا يديه وركبتيه حسب العادة ثم أقبلوا نحوى وأخذوا يسلمون على بيديهم حسب التحية المتعارفة بينهم وهى بأن يصافح الرجل الآخر باليد ثم يسحبها بلطف ويحرك شفتيه عن بعد اشارة التقبيل ، وهذا هو سلام العرب الصحيح منـذ ألوف السنين

خرج القوم من عندنا وأنا أفـكر فيهم مطرقا الى الأرض ، فقال العامل مابالك



الشيخ على بن معيلى شيخ مشايخ قبيلة عبيدة

سا كتا لاتتكلم ؟ هل أعجبك حديث هؤلاء الرجال ؟ وكيف وجدتهم ؟ فقلت انى أفكر فيهم تفكيرا عميقا انى أحببت كل شىء فيهم انى أحببت هيئاتهم التى تدل على الدم الصافى الذى لم يدخله دم غريب ، انى أحببت طلاقة ألسنتهم وفصاحتهم، انى أعجبت بقلوبهم البيضاء النظيفة التى تدل على الطهارة وحسن النية، وانى أحببت صراحتهم وجرأتهم وقد أعجبت كثيرا بسلامهم، فقال نعم لاشك أن هؤلاء الناس لا يزالون محافظين على الفطرة والبساطة فقلت ثق وتأكد أن الخير كل الخير فى الفطرة والبساطة فالذى يتمسك بهما لا يعرف الكذب ولا الاحتيال ولا النميمة فهنيئاً لهؤلاء القوم بعاداتهم السليمة المجردة عن مظاهر المدنية الفارغة

قمنا من مكاننا ودخلنا الى المكتب فشرعت المداعات وأحضرت القهوة والقات وأخذ الرفاق وهم العامل وأخوه ونسيبه السيد احمد وبعض الموظفين يحدثوننى عن العرب وعاداتهم فى هذه الجهات ومما قالوه انهم كرماء وفرسان ويكرمون الضيف

واذا وعدوا وفوا واذا استجيروا أجاروا وان انتدبوا لعمل قاموا به خير القيام ولا يغدرون ولا يمكرون ولا يسرقون ولا ينهبون ولكنهم كانوا يقتتلون ويتغازون ومنذ دخلوا فى طاعة الامام تركوا جميع العادات الرديئة وأخذوا يعودون الى التمسك بالشريعة الاسلامية والى القيام بجميع الفروض الدينية . فقلت وهل يدفعون الضرائب والزكاة بطيبة خاطر ؟ فاجاب العامل نعم انهم يؤدون ما عليهم من تلقاء أنفسهم دون مطالبة. وقال السيد أحمد ان لهؤلاء القوم عادات اجتماعية غريبة ، فقلت وكيف ذلك ؟ فقال انهم يصطحبون النساء معهم فى الحروب فيحملن الزاد والماء ويتقدمن الى المهادنة اذا وقعت الغلبة فقلت وكيف يفعلن ذلك ؟ ولمن يتركن بيوتهن وأطفالهن ؟ فقال اذا رأت النساء بأن قومهن قد أصيبوا بالفشل وأن خصومهم سيتغلبون عليهم فى الحال يطرحن بانفسهن بين المتقاتلين فاذا رآهم الأعداء على هذا الحال يكفون عن القتال ويعودون من حيث أتوا . وأما بخصوص بيوتهم فالبركة فى الكلاب انهم يتركون الكلاب لحراستها واذا كان لهن أطفال صغار يرضعون فانهن يحملنهم معهن ، وأما اذا كانوا لا يرضعون فانهن يتركنهم فى البيوت بعد ربطهم بالحبال ويضعون أمامهم طعاما وماء وفى أحيان كثيرة يغبن ثلاثة أو أربعة أيام مع رجالهن وأولادهن على هذه الحال . وأما رجالهن اذا ذهبوا الى الغزو وطال غيابهم وجاعوا فانهم يأكلون لحم الجمال نيئا اذا كانت لديهم جمال يمكن الاستغناء عنها واذا كان ليس معهم أن يستغنوا عنها فانهم يعمدون الى عرق فى أنف البعير فيقطعونه فينزف منه الدم فيأخذونه فى وعاء ويغلونه ويشربونه واذا عطشوا فانهم يشربون الماء المتجمع فى كروش الجمال بعد ذبحها واذا أدركهم الليل وناموا بين الرمال فانهم يحفرون حفراً فى هذه الرمال الدافئة من حرارة الشمس ويدخلون اليها فيطمرون أنفسهم الى رقابهم كسباً للحرارة المتجمعة فى هذه الرمال من حرارة الشمس بالنهار واذا وجدوا الحنظل وهم جياع فانهم يأخذون بزره ويدقونه ويأكلونه

وبينما نحن فى هذا الحديث جاء بعض الأشراف وشيخ مشايخ قبيلة عبيدة على بن معيلى فوجدت الفرصة مناسبة للاستفهام عن القبائل بين صنعاء ومارب فسألت شيخ



عامل مارب داخل سراى الحكومة يحيط به بعض شيوخ القبائل وبعض اشراف مارب

عبيدة كم عدد نفوسكم ؟ فلم يدرك قصدى وقال العامل انهم لا يحصون النفوس ولكن يمكن معرفة عدد الرجال المقاتلين فقلت حسناً كم عدد رجال قبيلة عبيدة المقاتلين ؟ فأجاب الشيخ ١٥٠٠ من الرجاجيل أى الرجال الذين يعول عليهم، فقلت وكم هو عدد الأشراف ؟ فقال أميرهم مائة سيد محارب فى مارب ولهم أقارب وأرحام كثيرة فى الجوف . فقلت وما هى أسماء القبائل التى مررنا ببلادها من صنعاء الى مارب أو كم هو عدد رجالها المقاتلين وبعد بحث طويل بين المجتمعين توصلت الى الحصول على الجدول التالى الذى أبين فيه اسم القبيلة وحدودها وعدد رجالها المقاتلين بالترتيب مبتدئا بصنعاء

بنو الحارث : مساكنها فى شعوب مما يلى صنعاء وتمتد أراضيها الى طرف بلاد بنى حشيش فى قرية الفرس وعدد رجالها المقاتلين ثلاثة آلاف

بنو حشيش: من الفرس الى بلاد الشرفة وعدد رجالها المقاتلين أربعة آلاف

نِهْم : من رأس نقيل شجاع فى الشمال الى الجوف بالشرق والى بنى جبر بالجنوب وعدد رجالها المقاتلين ستة آلاف

بنو جبر : من أسفل نقيل شجاع الى بلاد خولان فى جهة الجنوب والى أشراف مارب بالشرق وعدد رجالها المقاتلين ثلاثة آلاف

الأشراف وعبيدة : ان أراضيهم متصلة ومشتركة فيما بينهم وتمتد من حدود بنى جبر فى الغرب الى حدود قبيلة الكُرب بالشرق وعدد رجالها المقاتلين الفان

الكُرَب : من حدود عبيدة الى أطراف حدود قبيلة الصيعر الى الشرق الجنوبى من مارب وعدد رجالها المقاتلين ثلاثة آلاف

الصَّيْعر : تمتد أراضيها الى أراضى المشقاص شرقا بجنوب وعدد رجالها المقاتلين ثلاثة آلاف

المشقاص : من الصيعر الى البحر شرقا بجنوب . وأراضى هذه القبائل الثلاث الأخيرة أى الكرب والصيعر والمشقاص يحدها من الجنوب بلاد حضرموت ومن الشمال الربع الخالى . ولم تدخل هذه القبائل الثلاث فى طاعة الامام الا منذ سنة ونصف سنة تقريبا ولكنهم لم يعطوا رهائن بل اعطوا وجههم وهذا أعظم من الرهينة فى عرف العرب وعاداتهم . ومنذ أعطوا وجههم امتنعوا عن الغزو وكانوا فى أكثر الأحيان يغزون البلاد النجدية . وعددهم ٦٠٠٠

قبيلة مراد : الى الغرب الجنوبى من مارب وعدد رجالها المقاتلين أربعة آلاف

حريب بيحان : الى جنوب مارب وعدد رجالها المقاتلين الفان

نَهْد : جنوب الكُرَب وتحدهم بلاد حضرموت وعدد رجالهم المقاتلين الف وخمسمائة

هِمام : جنوب الكرب وتحدهم حضرموت .

دَهَم : شمال مارب بشرق وعدد رجالها المقاتلين عشرة آلاف .

اشراف الجوف : شرق بشمال من مارب وعددهم خمسمائة .

خولان : غرب مارب ومنهم بنو ظبيان وعددهم ستمائة والف وأما جميع خولان فعددهم يربو على عشرة آلاف وهم مؤلفون من عشائر عديدة وأفخاذ كثيرة .



بعض رجال القبائل واشراف مارب يستقبلوننا حين وصولنا لمارب

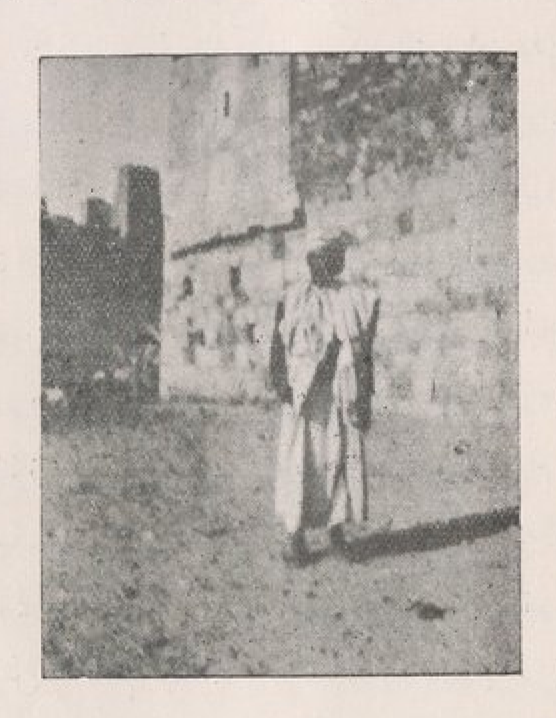
ولم انتـه من كتابة أسماء هذه القبـائل الا وشعرت أن روحى قد بلغت التراقى من دخان المدائع (الشيشة) وكثرة الذباب وكان الوقت قبيل الغروب فاستأذنت القوم وخرجت من المكتب الى خارج دار الحكومة طلباً للهواء النقى فتبعنى بعض الجنود والخادم حسين البيحانى فمشيت وإياهم الى طرف السائلة وقال لى أحد الجنـود ـ وكان مصاباً برمد فى عينه ـ ألا يوجد عندك دواء للعيون؟ فقلت نعم يوجد عندى ومتى عدنا للدار سأقطر لك منه ان شـاء الله فقال ان شاء الله . فقلت يظهر أن الرمـد والمرض هنا كثير بسبب الذباب فقال الجندى نعم ياسيدى ان الرمد هنا كثير بسبب الرياح الشديدة التى تحمل الرمال والاقذار الى العيون لا بسبب الذباب ، وأما المرض فلا وجود له ابداً وقد أقمت نحو سنتين فى هذه البلاد فما مرضت ولا رأيت واحداً من اخوانى الجنود الذين يبلغ عددهم نحو خمسمائة مريضاً ولا رأيت أحداً مات من الاهالى سوى امرأة عجوز ، ولو قسنا مارب مع صنعاء لوجدنا المرض بصنعاء أكثر فهنالك كل يوم نرى جنازة أو جنـازتين فقلت له ولـكن لا تنس ان عـدد سكان صنعـاء سبعون الفاً وعدد سكان مارب سبعمائة فقال نعم هذا صحيح ولكن المرض هنـا غير

موجود. وفى الحقيقة ان الجندى كان على حق الى حد بعيد فيما يقول فالامراض فى مارب غير منتشرة وفى ظنى أن ذلك يعود الى سببين : الأول أشعة الشمس المحرقة والهواء الناشف والثانى ان الوفيات فى الأطفال كثيرة جداً فلا يعيش الا القوى الذى عنده مناعة ذاتية لمقاومة جميع أنواع المكروبات وبديهى أن الذى هذا حاله يقاوم الأمراض كثيراً. وما أردت أن أطيل الحديث فى حفظ الصحة مع الجندى لأنه لا يتراجع عن آرائه فرأيت من الأوفق أن احول البحث الى العاديات فقلت له هل وجدتم شيئاً من العاديات والاصنام فى هذه الخرائب؟ فأجاب: نحن الجنود لم نجد أصناماً بل بعضنا كانوا يجدون أفصاصاً كلما جاء سيل قوى وجرف بعض التراب من الخرائب وأما الأهلون بالقديم فقد كانوا يحفرون فى هذه الخرائب وفى الترب ويستخرجون أصناماً ونحاسا وحديداً وأحجاراً مكتبة ولكن جلالة الامام منذ دخل هذه البلاد أمر بمنع الحفر فلا يجسر أحد الآن أن يحفر ولا أن يظهر شيئا من العاديات لان الحكومة تصادرها حالاً فقلت حسناً وعدت أدراجى الى دار الحكومة ولما دخلتها دخل خلفى الخادم حسين البيحانى وقال لدى أمر مهم اريد أن أطلعك عليه فى خلوة فقلت حسناً وأخذته وصعدت الى غرفة النوم وسألته أن يقص علىّ أمره فقال كنت هذا الصباح ماشياً فى مدينة مارب واذا بأمرأة تدعونى فقلت لها ماذا تريدين فقالت انها تريد ان تكلمنى فى مسألة سرية فقلت مرحباً فسارت أمامى وسرت خلفها الى دارها فقالت لى أخبرنى بعض خبرتك (أى أصحابك) بانك خادم المهندس فقلت لها نعم وماذا تريدين منه؟ فقالت انها تريد أن تقابلك وتسر لك مسألة مهمة فقلت لها قولى لى وأنا أبلغه ماتريدين فرفضت وقالت هذا غير ممكن انى اريد أن أكلمه بنفسى وفى هذا البيت أيضاً فقلت هذا شىء لا يصير والمهندس لا يجىء الى هنا فقالت بلغه ذلك وأرجوه أن يحضر والمسألة فيها فائدة كبيرة للجميع . وها أنذا قد بلغتك الرسالة وما أنا الا رسول اليك فان شئت أن تذهب اليها فانا رهن اشارتك وان شئت أن لا تذهب فالأمر أمرك فقلت نامى أبقى الأمر مكتوماً الى الغد فسوف ننظر فيه .

ذهب البيحانى وكان المغرب قد أذن فتوضأت ونزلت الى المكتب فوجدت

الرفاق قد انتهوا من القات والتخزين فصلينا المغرب ثم صلينا العشاء جماعة وتعشينا وجلسنا نطالع بعض الصحف التى كنت قد جلبتها معى ونتحدث فى السياسة الدولية ثم انضم الينا بعض الموظفين كأمير المفرزة واسمه على اسماعيل من اب والقاضى عبد الرحمن اليوسفى من الهجرة وعلى بن حزام معلم الاولاد وغيرهم ودخل أيضاً علينا الجندى الذى رافقنى بعد العصر وطلب إلى أن أقطر له فى عينه فقطرت فيها وقطرت أيضا لأمير المفرزة وللقاضى عبد الرحمن وكان كلاهما مصابا بالرمد أيضاً ومن الغريب انهم جميعهم شفوا من قطرة واحدة ويظهر أن السر فى ذلك هو مناعتهم الطبيعية من جهة وعدم استعمالهم للأدوية من جهة ثانية

وعند ماقدم لى العامل القاضى عبد الرحمن اليوسفى قال هذا الرجل من الهجرة وكان الرجل الوحيد فى هذه البلاد الذى يعرف القراءة والكتابة قبل دخول جلالة الامام وقد درس على أبيه فقلت وماذا تعنون بأنه من الهجرة ؟ فقال يعنى هاجر من بلاده الأصلية وتوطن فى هذه البلاد ودخل على أهلها فلا يقاتل ولايقاتل ويحترم البدو الهجرة كثيراً ويمتثلون لارشاداتهم وفى أحيان كثيرة يتدخلون بين البدو وهم يقتتلون



القاضى عبد الرحمن اليوسفى وهو من الهجرة

فيمنعون القتال ويصلحون بينهم . فقلت لاشك أن وجودهم رحمة وياحبذا لو كانوا كثيرين، فقال القاضى هم ولله الحمد كثيرون وموزعون بين العرب فقلت وماذا يفعل القاضى فى هذه الأيام فقال العامل لقد وظفناه كاتباً على الملح . فقلت وأين يقيم الآن فقال له بيت من القديم فى البلد وهو قاطن فيه فقلت وكم عدد سكان المدينة ؟ لقد بلغنى انه نحو سبعمائة ؟ فقال نعم لازيدون على ذلك . فقلت وهل هم أصليون هنا . فقال كلا انهم خليط من قبائل متعددة وأكثرهم تجار ملح فقلت وهل هم زيود أم شوافع فقال الأكثرية المطلقة من الشوافع ولكن يوجد بينهم قليل من الزيود .

وأدركت انى قد أكون أكثرت فى الأسئلة وان القوم يريدون أن يتكلموا فى بعض شئون الحكومة الخاصة وكانت الساعة بلغت نحو الثالثة فاستأذنتهم فى الانصراف للنوم وانصرفت، وفى الحقيقة كنت ناعساً ومتعباً فصعدت لغرفة النوم وكان أحد الخدام يحمل لى المصباح فما كدنا ندخل الغرفة حتى استيقظ الذباب من رقاده على نور المصباح وأزعجنى كثيراً لأنه يهاجم الانسان بكميات كبيرة وكان فى نيتى أن أكتب شيئاً من المذكرات قبل النوم ولكن الذباب حال دون ذلك ففضلت أن أطفئ النور وأنام لأتخلص منه فنفذت هذه الفكرة ولكن النوم ابتعد عن عيونى وصرت أفكر فى مشاهدات هذا النهار وخاصة بالمرأة التى تريد أن تقابل المهندس مقابلة سرية خاصة فى بيتها . ففكرت طويلا بأمرها لعلى أهتدى الى حل لغزها فلم أتمكن وخرجت عن دائرة العقل الى دائرة الخيال ومرت بذهنى ألوف من الأوهام وفى جملتها ان الأشراف قد نصبوا لى هذه المكيدة ليبطشوا بى ويستريحوا منى لأنهم كما ذكرت سابقاً ما كانوا مسرورين من هذه الزيارة، وتوهمت أيضاً ان هذه حفيدة بلقيس وستهدينى الى كنوز بلقيس وعرشها وجاءت هذه الأوهام مطابقة لأحلامى بالطريق وأخيرا استسلمت للنوم ولم أستيقظ من رقادى الا عند مأخذ الجنود يتلون تسابيح الصبح ، ونمت نوما هادئاً مستريحاً لأن الله سبحانه وتعالى يبتلى ويعين ففى الطريق كانت جيوش الكتان تهاجمنا وتحرمنا الرقاد وأما فى مارب فلا وجود للكتان أبدا ولكن الذباب حل محل الكتان فالحمد لله الذى لا يحمد على مكروه سواه

السد والكنز المخبوء

وبعد الصلاة نزلت الى المكتب فلم أجد به أحدا و كنت أول الواصلين وبعد مدة أخذ الرفاق يتوافدون الواحد بعد الواحد وأخيراً جاء العامل وبعد السلامات والتحيات فى مثل هذه الأحوال سألنى حضرته الى أين أريد أن أذهب فى هذا النهار فقلت له انى أريد أن أبدأ فى ابحاثى بصورة منتظمة وأمسك الشموط كما يقولون من رأسه ليهون حل العقد . والشموط هنا السد ومجارى المياه ، لذلك أريد أن أبدأ العمل منه فقال لك ماتريد وأما أنا فالرجاء أن تقيلنى من الخروج معك هذا النهار لأنى أريد أن أنظر فى شؤون الحكومة فقلت حسناً وأمرت بجلب البغلة وحرسى الخاص الذى أوفده معى جلالة الامام من صنعاء وعندما أتوا خرجت من دار الحكومة وامتطيت البغلة وتوكلت على الله وسرت فى طريق السد وكنت أفكر فى الطريقة التى يجب أن أتبعها فى هذا البحث كل مدة الطريق وفى الحقيقة انى تحيرت بادئ الأمر كثيراً لأنى كيفما سرت فى هذه الارض وهى الارض الواقعة على شمال السد والمتصلة بمدينة مارب كنت أرى آثار بناء وخرائب ومجارى مياه ، ومن البديهى ان هذه الاراضى هى المشار اليها فى القرآن الكريم بالجنة الشمالية فليس من المستغرب أن تكثر فيها الخرائب . بحثت ساعات متعددة بين هذه المجارى والخرائب لارى كيف توزعت وكيف تجرى فلم ينفعنى بحثى هنا شيئاً وأخيراً يممت وجهى شطر السد وقبل أن أصل اليه بمسافة كيلوا متر ونصف كيلو متر تقريباً عثرت على المكان الذى كانت تجرى المياه اليه من السد وتنقسم فيه . وكان هذا أول اكتشاف من اكتشافاتى المهمة فبقيت طيلة نهارى ههنا أقيس مخارج المياه مخرجا مخرجا وأعين اتجاهاتها وأنقل النقوش الحميرية المكتوبة عليها . ولشدة فرحى أتى الظهر ولم أشعر به وعرض على الشريف عبد الله وبعض الجند الطعام فقلت لست بحاجة اليه الآن وواصلت العمل دون طعام أو شراب الى العصر فاحتج الجنود وقالوا انهم عطشوا كثيرا فعدنا الى المدينة مارين بطريقنا فى منتصف الجنة الشمالية التى كانت تجرى فيها الانهار فتحييها

وقد ظهرلى انه بعدما دهم سد العرم هذه البلاد وتهدمت من أركانها وحمل شيئاً كثيرا من بناياتها وأحجارها الى حيث لايعلم مقرها غير الله عاد فترك خلفه عندما كان يهبط بالتدريج طبقة سميكة من الطمى والتراب الدلفانى الناعم لا يقل سمكها عن المترين ولكن لايستفاد منها فى الوقت الحاضر ولا يوجد فيها لاشجر ولانبات لأن الله سبحانه وتعالى غضب على أهلها فحول جنتهم من جنة كانت تجرى فيها الأنهار وفيها من كل فاكهة زوجان إلى أرض بلقع لاماء فيها ولا حياة تنعق على أطلالها البوم والغربان سرنا من مقاسم المياه الى المدينة مسافة ساعة و٤٥ دقيقة بين هذه الخرائب وتمتد الجنة الشمالية إلى مايلى مارب مسافة نحو ١٥ دقيقة فيكون طولها مسافة مسير ساعتين أى نحو عشرة كيلو مترات وعرضها مسير ساعة وربع ساعة أى نحو خمسة كيلو مترات فتكون مساحتها نحو خمسين كيلو مترا مربعاً ويليها إلى جهة الجنوب الجنة الثانية الواقعة على يمين السد ومساحتها نحو ثلاثين كيلو متراً مربعاً فتكون مساحة الجنتين نحو ثمانين كيلو مترا مربعاً

وصلت الى دار الحكومة وانامنهوك من التعب والعطش والجوع وثيابى ووجهى ورأسى امتلأت بالرمال فغسلت وتوضأت وصليت ثم تناولت الطعام ونزلت الى المكتب فوجدت العامل وسائر الرفاق يدخنون المداعة ويخزنون القات فسلمت عليهم وجلست بينهم وقتا يسيراً ثم خرجت قبيل الغروب الى المدينة واصطحبت معى واحداً من الجنود والخادم حسين فقط وقلت لحسين هيابنا فلنذهب الى دار المرأة علنا نكتشف سراً مهما وقد قيل فى الامثال الغربية «فتش عن المرأة فهى أصل كل بلاء» وقد تكون ايضاً أصل بعض الخير وعسى أن تكون صديقتنا هذه من الفئة الثانية لا الاولى . قادنى حسين الى الدار وعندماوصلنا اليها وجدت صاحبتها بالباب فسلمت عليها فردت السلام باحسن منه فمدت يدها مصافحة ، وهذه أول مرة أصادف امرأة باليمن تمد يدها الى بالسلام فصافحتها فقالت اهلا ومرحباً حى الله من قد جاء ، هيا تفضل ، وأما أنت يا حسين ويا العسكرى فلاتدخلان وانتظرا عندكما لبينما يخرج المهندس . احترت من هذه الجرأة وصرت افكر ماذا يكون وراءها ، ودخلت فى أثر المرأة غير مبال بشىء ودخل خلفى غلام صغير

لا يتجاوز سنه العاشرة ولما رأته المرأة نهرت فيه وقالت هيا اخرج ياولدى الى عند العسكر فامتثل الغلام الامر وصعدت هى أمامى فى سلم لولبى مظلم الى الدور الثانى فصعدت خلفها بصعوبة وكدت أقع مراراً فادركت منى ذلك ومسكتنى بيدى وقادتنى الى الدور الثانى وعندما وصلنا اليه قالت هوذا ههنا ههنا وأشارت الى غرف كثيرة صغيرة و كبيرة نعم ههنا ههنا الكنز ، فدهشت من كلامها وقلت واى كنز تعنين يا حرمة ؟ وما شأنى وشأن الكنوز فى بيوت الناس . فقالت لا هذا البيت بيتى والكنز كنزى ولا أريد أن يعلم به أحد . فخطر لى أن هذه المرأة مصابة بمس بعقلها وأردت النزول من حيث أتيت فحالت بينى وبين قصدي بلهجة المستغيث اتوسل اليك أن لا تكسر بخاطرى وان تنبش لى مكان هذا الكنز فقلت يا حرمة أنا لا أعرف شيئاً عن الكنوز وكفى افسحى لى الطريق دعينى اعود من حيث أتيت فقالت لا ، لا يمكن هذا أنت تعرف اين الذهب موجود بالشم هكذا يقول جميع الناس عندنا. واسمع ما أقول لك. كان زوجى رجلا غنيا كبيراً يكنز المال والذهب وقبل ان تدركه المنية أمرنى وأمر جميع أهل البيت أن نخرج الى الخارج وأغلق جميع الابواب وبقى بالبيت وحده وقال لا تأتوا الاحينما أدعوكم فامتثلنا لأمره لاننا كنا نخشى بأسه وشدته ومع أنه كان على فراش المرض فبندقيته كانت الى جانبه لذلك اضطررنا ان نمتثل للأمر ونخرج وكان الوقت قبل الظهر فأذن الظهر ومضى وهو لم يدعنا وصار العصر وانقضى ولم يدعنا واقبلت الشمس على المغيب ولم يدعنا لذلك قرعنا الباب الخارجى فلم يجاوبنا شددنا القرع كثيراً فلم يأبه لنا واخيرا قررنا أن نفتح الباب بالقوة فعالجناه الى أن كسرناه ودخلنا وصعدنا الى هذا الدور فوجدنا زوجى ممدداً على فراشه وقد مات فقامت قيامتنا عليه وفى اليوم التالى واريناه التراب وفتشنا على الذهب الذى كان عنده فلم نعثر عليه فأدركنا انه انما أخرجنا من البيت حتى لا نراه وهو يخفى الذهب والآن أرجوك أن تشم هذه الجدران وهذه الغرف وتخرج الكنز فاكدت لها أنى لا اعرف اين يوجد الذهب ولا أحد فى الدنيا يمكنه أن يشم رائحة الذهب فلم تصدقنى وقالت دين الله انى أعطيك نصفه واعطى بيت المال حقه فأقسمت لها دين الله انى لا اعرف اين هذا الذهب مخبوء ولو كنت أعرف اين مكانه

لهديتها اليه حالاً فاقتنعت في آخر الأمر بصدق كلامي ونزلت أمامي في السلم وقادتني كما يقود الناس الأعمى . وما كدت أخرج من الدار حتى حمدت الله وشكرته الذي أنجاني من هذه الورطة وقصصت القصة على حسين والجندي اللذين كانا ينتظراني بفروغ صبر ولكن هما أيضاً لاماني على عملي وقالا ما بش خوف ولو أنك أخرجت هذا الكنز لكنت استفدت وأفدت بيت المال ولا شك ان جلالة الامام كان يسر لذلك كثيراً وعبثاً حاولت أن أفهمهما أنه ليس بوسعي أن أعرف أين الذهب موجود ولكنهما لم يصدقاني



مدينة مارب

عدت إلى دار الحكومة ماراً وسط مدينة مارب وأنا أتعثر في ثياب الفشل وخيبة الأمل وهزأت من نفسي عندما كنت بالطريق أفكر بيلقيس وعرشها وكنوزها وأحلم بالليل أحلاماً غريبة عنها وها هي بدت لي في اليقظة حفيدة من أحفاد بلقيس ناهزت العقد الرابع من العمر تهديني إلى الكنز وتطلب الى ان ا كشفه وأتقاسمه معها وكأني بها تريد أن تجربني وتمتحن مقدرتي وعلمي ولكن خاب ظنها وظني ولله در من

قال* ما كل ما يتمنى المرء يدركه * وأخبرني الخادم حسين في الطريق ان هذه المرأة غنية وغنية جداً بالنسبة إلى أهل مارب ولها تجارة كبيرة وتتعاطاها بنفسها ولا تعتمد على أحد وقد دفعت هذه السنة عشوراً أى عشراً على أموالها وتجارتها الف ريال إلى بيت المال وهذا مبلغ جسيم بالنسبة الى حالة هذه البلاد وثروتها ولكن بالرغم من هذا الغنى فهي بخيلة ومقترة على نفسها وأولادها وأراد الكثيرون أن يتزوجوا منها بعد وفاة زوجها فرفضت . وقد أدركت من بخل هذه المرأة شدة حرصها لاكتشاف كنز زوجها فالغنى لا يشبع من طلب المال وقد قيل في الأمثال منهومان لا يشبعان طالب علم وطالب مال وهذا القول يصح تماما على هذه المرأة البخيلة

عندما وصلت الى الدار ودخلت على العامل والأصدقاء بالمكتب سألني العامل كيف كانت (دورتك) فقصصت عليه حكايتي مع هذه المرأة من أولها الى آخرها فضحك وضحك القوم معه ضحكا شديداً وهنأوني بهذا الفتح العظيم ولما كان وقت صلاة المغرب قد حان توضأنا وصلينا وتعشينا وسهرنا الى ساعة متأخرة من الليل نبحث أبحاثا مختلفة وفي الحقيقة انى لم أشعر بالغربة أو الملل بين هؤلاء السادة الأكارم وكانوا جميعهم يسعون جهدهم لتسليتي وارضائي وا كرامي وأني أسجل لهم ههنا مزيد الشكر والمنة . وكنت حسب العادة أول من انسحب من المكتب وصعدت للنوم فقضيت ليلتي على أحسن حال وفي الصباح نهضت قبل التسابيح فتوضأت ثم صليت ونزلت الى المكتب وكنت أول الواصلين اليه فشربت الشاهي واذا بالرفاق يتوافدون الواحد بعد الواحد وجاء العامل اليوم في أول الجميع وسألني أين أريد أن أذهب؟ فقلت الى السد لاني ما اتممت البحث يوم أمس ولا أظن أنه بوسعي أن اتمه في عدة ايام فقال البيت بيتك والاهل أهلك والارض أرضك والديار ديارك فافعل ما بدالك فشكرته كثيراً وطلبت اعداد البغلة والحرس ولما أتوا خرجت خارج دار الحكومة واذا بالشريف عبد الله بن حسين رفيقي ودليلي بالامس قد حضر لأني اخبرته مقدماً بأني سأخرج هذا النهار الى السدثانية سرنا على بركة الله وكان الملل يعرو الحرس الذي جاء معي من صنعاء فأخذوا يتساءلون عن يوم عودتنا فبعضهم كان يقول بعد العيد والبعض يقول لا قبل العيد لكي نلحق

العيد فى صنعاء ونبتاع كباشا للتضحية ولباساً للعيال وكان هذا الكلام موجهاً لى الا انى تجاهلت ولم أجب لأنى ما كنت أعلم فى الحقيقة متى سنعود ثم سأل الواحد منهم الآخر كم اليوم بالشهر العربى وكنا فى اليوم الرابع من شهر شباط سنة ١٩٣٦ فاجابه لا أعلم لكننا خرجنا من صنعاء فى تشرين وقال الآخر لا بل فى كانون أول وأجاب ثالث لا فى كانون الثانى ووقع بينهم خلاف كبير على الشهر فقال رابع لماذا هذا الاختلاف لافرق كبير بينكم شهر طالع أو شهر نازل (سع) أى مثل بعض. لم إتمالك من الضحك عند ما سمعت هذه النتيجة اللطيفة ولكن فى الحق ان الجندي الاخير نطق بالصواب فشهر طالع أو شهر نازل لا قيمة له فى اليمن ابداً لأن الوقت ليس نقداً عندهم كما هو عند جميع الامم . وفى أثناء الطريق كان بعض الجنود ينادونى ياعمى والبعض الآخر يا أبى . ضحكت جدا من هذا الأمر وادركت بان علامات الكبر قد بدت علىَّ ومن البديهى أن الانسان لا يرغب أن تظهر عليه علامات الشيخوخة ولكن الحمد لله وحده وسبحانه فى ملكه فلا يبقى على ما هو الا هو .

وبينما نحن سائرون على هذا المنوال واذا بالشريف عبد الله بن حسين وهو الذى اختار نفسه كدليلى ورفيقى يدنو منى ويقول كيف وجدت بلادنا؟ فقلت لاشك انها كانت بلاداً جميلة فقال نعم هى جميلة ومتسعة ولا يعرف عنها أحد شيئاً ولم يدخلها أجنبى غير رجل واحد نصرانى جلبه سيدى (أى جده) من صنعاء أيام الترك بعهدته وكفالته ليزور هذه البلاد ولكن العرب ما كانوا راضين عن هذه الزيارة وكاد يقع بينهم وبين الاشراف مالا تحمد عقباه لأنهم أرادوا أن يقتلوه وهو ضيفنا وهذا عيب كبير عند العرب فلوقتلنا عن آخرنا لا نسمح لأى كان أن يمس ضيفنا مادام فينا رمق من الحياة . فقلت وما اسم هذا الرجل فقال كلازر . فقلت وهل بقى عندكم مدة طويلة؟ فقال نعم بقى نحو شهر من الزمن ولكنه ماتمكن أن يخرج الا قليلا وكانوا يلبسونه ثيابا عربية . فقلت وكيف تمكنوا من اعادته إلى صنعاء فقال أخرجوه فى الليل خفية وسارت معه فرسان كثيرون ورجاجيل متعددون منايا الاشراف . فقلت بارك الله فيكم وغيرت هذا الحديث وسألته بعض الأسئلة عن السد ومقاسم المياه فلم يجبنى

عليها بل أخذ يخبرنى بأن جميع هذه البلاد والأراضى التى تليها كلها ملك الاشراف وقد اذن جدودهم الى البدو أن يدخلوها ويرعوا فيها وما كانت هذه الامور تهمنى وكنت أحتال عليه فأحوله عنها وأسأله بعض الاسئلة التى تهمنى فكان لايقدر أن يجيب عليها جوابا صحيحاً وفى الحق انه رجل ثرثار لايهمه شىء الا الكلام عن نفسه وعن حروبه مع اخوته وأبناء عمه وانضمام قبيلة عبيدة الى أبناء عمه ومحاربتها له ولمن بقى مواليا له من الاشراف وقد تضايقت كثيراً من هذه الاحاديث ولكننى كنت مضطرا أن أصغى اليه والاطفه وأجامله وأتظاهر بأنى مسرور من حديثه وأخيرا وصلنا الى مقاسم المياه وأتممت المقاييس ونسخت بقية النقوش ثم سرنا فى مجرى الماء الى أن وصلنا الى مخرجه فى السد وقد خصصت فصلا بذلك سيجىء ذكره فيما بعد وقضيت كل هذا النهار هنا كالأمس وأنا أنسخ النقوش وأهتم بأخذ المقاييس وفى المساء عدنا إلى الدار بعد أن أنهكنا التعب وحسب العادة قضينا السهرة فى المكتب وجاء لزيارة العامل الشيخ على بن حسين البحرى شيخ مشايخ بلاد الجوبة الواقعة لغرب



الشيخ على بن حسين البحرى شيخ مشايخ بلاد الجوبه

مارب وعندما رآني استل خنجره واراد قتلي قائلا من هذا الغريب وماذا يفعل ههنا اننا لانسمح للغرباء بالقدوم الى بلادنا فافهمه شقيق العامل من أنا ولاطفه كثيراً وأخذ يتحدث اليه احاديث كثيرة الى أن هدأ روعه فكلمته بدوري وآنسته كثيراً وقدمت له بعض الحلوى فاكل منها ولكنها لم ترضه وقال هـذا عوف عوف أي ردئ ونحن لانأكل غير اللحم اللحم فقلت حسناً جدا وتمكنت بعد ذلك الصداقة بيننا وصورته وفي الصباح نزلت مبكرا الى المكتب وجاءني السيد احمد وقال أين تريد أن تذهب هذا النهارفقلت الى السدأيضاً واريد أن أصعدالى رأس جبل بلق لأقيس علوه فقال وانا خبيرك اليوم (أي رفيقك) فقلت حسناً جداً وبعد هنيهة خرجنا بطريقنا الى السد وكان السيد أحمد يركب حمار كثير النهيق فأخذ يزعجنا بالطريق بصوته المنكر ولما كان السيد من أصحاب النكات اللطيفة ابتدأ يصرف لنا نكتا كثيرة وفي جملتها قال الا يوجد دواء للنهيق ؟ فقلت لا أعلم . ثم سألته اذا كان متزوجا فقال الحمد لله لست متزوجا لأني لاأملك المهر ولوملكت المهر لما تزوجت ايضاً لأن النساء طلباتهن كثيرة ولاحد لها وانا ليس بوسعي أن أقوم بها ولكن لو وجدت لي زوجة صغيرة مثل الساعة أضعها في جيبي فاخرجها عند الحاجة واعيدها الى مكانها بعد قضاء الحاجة لما تأخرت عن هـذا الزواج . فقلت لابد أن الكثيرين يشاركونك في هـذا الرأي خارج اليمن واما في اليمن لا أظن احـداً يشاركك فيه لان الرجل يتزوج بامرأتين أو ثلاث أو أربع فلا يمكنه أن يرضى بواحدة . فقال صحيح صحيح . وسمع السيد احمد واحداً من الجنود يسأل صاحبه ماذا وجدتم أمس بتنقيبكم في مارب عساكم وجدتم ذهباً أو أفصاصا فاجاب كلا لم نعثر على شيء فاجاب ثالث لاعثروا على أشياء كثيرة وانشاء الله سوف لانعود من مارب الى وجيوبنا ملأى بالذهب،فاجابه السيد احمد لا بالله بالكثان (أي البق) فضحكنا كثيراً كل الطريق على هذا المنوال وعندما وصلت الى السد اخرجت درجة الارتفاع (العلو) من جيبي لاسجل منها الارتفاع ثم نصعد إلى الجبل لأخذ ارتفاعه ولكن مع الأسف وجدتها تكسرت فأسفت لذلك أسفاً كثيراً ولكني في الوقت نفسه سررت لأنها لم تنكسر قبل وصولنا لمارب

اضطررنا بعد هذه الكارثة أن نغض الطرف عن الصعود الى الجبل وذهبنا هذه المرة الى مخرج الماء فى الجهة الجنوبية فأخذت القابيس ونسخت الكتابات الحميرية التى وجدتها وهى ههنا قليلة بالنسبة الى مخرج الماء فى الجهة الشمالية ثم بذلت جهدى فى تتبع مجرى الماء من السد إلى الجنة اليمنى وبعد مشقة طويلة تمكنت من ايجاد بعض الآثار الطفيفة التى استدللنا منها على مجرى المياه ولكن مع الأسف لم نجد فى هذه الجهة المقاسم كما وجدناها فى الجهة الشمالية، ولكننا وجدنا المجارى بعدما تقسمت ورأينا مكاناً متسعاً بين السد وهذه المجارى وقد خربه السيل تخريباً عظيما فقلب سافله أعلاه، وفى نظرى أن هذا المكان كان محل تقسيم المياه وقد تتبعنا هذه المجارى الى مسافة بعيدة فوجدناها تصل إلى قرية يقال لها مرْوِث ويجتازها إلى الجنوب لمسافة طويلة وشاهدنا ههنا أيضاً آثار البساتين والحدائق القديمة وفى ظنى ان مروث هى الجنة التى عن يمين السد والتى جاء ذكرها فى القرآن الكريم ومارب هى الجنة اليسرى وقد جاء فى سورة سبأ «لقد كان لسبأ فى مسكنهم آية جنتان عن يمين وشمال».
واطلال هذه المدينة البادية للعيان لهذا التاريخ يسيرة ولكن لاشك أنها كانت مدينة كبيرة ويستدل على ذلك من كمية الماء التى تأتيها ومن الرمال التى ذرتها الرياح عليها فغطتها وقد خصصت لها بحثاً مطولا سيأتى ذكره فيما بعد

قضيت عدة أيام فى مدينة مارب فى ضيافة العامل وكنت كل يوم أخرج إلى السد أو إلى اطلال مروث باحثاً مدققاً وفى هذه الأثناء أصبت بمرض الدوسنطاريا ولازمت الفراش نحو خمسة أيام ذقت خلالها الموت أشكالا وألواناً فى بلدة لا طبيب فيها ولا دواء ولكنى كنت من باب الحيطة أحمل معى بضعة امبولات (ابر) من الأمتين فاضطررت أن أطبب نفسى بنفسى وأعمل الابر بيدى وقد بدأ التحسين يظهر علىّ منذ حقنت بالابرة الثانية وفى اليوم الخامس تنفست الصعداء وتخلصت من هذا الداء الفتاك فحمدت الله كثيراً. وبعد ماتحسنت صحتى غادرت مارب عائداً إلى صنعاء عن طريق خولان

بسم الله الرحمن الرحيم

محبنا المكرم نزيه بك المؤيد العظم المحترم حرسه الله تعالى
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته قد تناولنا كتابكم الكريم المعبر
عن وصولكم الى مارب بالسلامة وسررنا بذلكم ونتمنى لكم دوام
ارتياح البال وصلاح الحال والله المسئول ان يعينكم على
ما فيه رضاه ويصلح الشان والسلام بتاريخه ١٢ ذي القعدة ١٣٥٤
وأحسنتم بإحقاقكم ولا بد برنامج البدو
بطلائكم واعلاماتكم وان شاء الله يكون اعترافنا
بالآثار والبلاد التبعية

صورة زنكوغرافية لكتاب جلالة الامام

وبعد وصولي إلى مارب أرسلت لحضرة صاحب الجلالة الامام كتاباً مقتضباً ذكرت لجلالته فيه شيئاً عن رحلتي وعن اجتماعاتي بشيوخ البدو وكلامي معهم وخطبي فيهم فأتاني جواب من جلالته نصفه الأول من خط العلامة الكبير القاضي عبد الكريم المطهر الكاتب الأول في الديوان الملكي ونصفه الثاني من خط يد جلالة الامام بالذات واني أثبته ههنا بالزنكوغراف كما أثبت صورة بعض الغلافات التي أرسلتها من مارب



والى القارئ الكريم حكايتها: لما كان لا يوجد مصلحة بريد فى مارب كتبت بعض الرسائل (وفى جملتها رسالة لصاحب الجلالة المرحوم الملك فؤادالاول وارسلتها لجلالته بواسطة كبير الامناء)ووضعت عليها طوابع بريد يمنية وارسلتها الى صنعاء مع نجاب خاص وضعها فى دائرة البريد وقد كتب عامل مارب على الطوابع مايلى : لعدم وجود شعبة بريد بمارب صارارساله (أى الكتاب) مع نجاب ليضعه ببريد صنعاء

٢٠ ذى القعدة سنة ١٣٥٤

وأخذت من صاحب السعادة سعيد ذو الفقار باشا جواباً على هذه الرسالة وأنا بصنعاء واليك نصه : السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد فقد رفعت الى المسامع العلية الملكية ما تضمنته رسالتكم التى بعثتم بها من مارب فى ١٨ ذى القعدة مع طوابع البريد الملصقة على غلاف تلك الرسالة فكان لذلك جميل الأثر وحسن القبول لدى حضرة صاحب الجلالة مولاى الملك المعظم وانى أتشرف بابلاغ ذلك الى حضرتكم مع الشكر السامى   تحريراً فى ١٥ ذى الحجة سنة ١٣٥٤

وعندما اتيت الى صنعاء أخذت الرسائل التى أرسلتها لنفسى من دائرة البريد ورجوت جلالة الامام ان يصادق لى على أن هذه الرسائل ارسلت من مارب وعلى توقيع عامل مارب فأمر جلالته بالمصادقة فكتب كاتبه الأول القاضى عبدالكريم المشروحات التالية . الامضاء الموضوع على هذا الظرف هو امضاء عامل مارب وقد اذنا لنزيه العظم بزيارة البلاد السبائية حرر فى ١٦ محرم سنة ١٣٥٥ وختمه بخاتم جلالة الامام

سد العرم أو سد مارب

على مسافة ١٤٥ كيلو متراً تقريباً إلى الشرق الشمالى من صنعاء ، تجتمع سيول اليمن الغربية التى تأتى من بلاد ذمار ويريم وجهران والحدى وخولان وبلاد مراد وقيفه وغيرها ويقال لها سيل ذنه مع السيل الذى يأتى من الشمال ويقال له سيل القطوطة والسيل الذى يأتى من الجنوب ويقال له سيل الجوبة وتؤلف جميع هذه السيول شبه بحيرة كبيرة مستديرة مرتفعة من جهة الغرب والشمال والجنوب ومنخفضة فى جهة الشرق حيث تسيل جميعها شرقاً فى مجرى سيل واحد يطلق عليه اسم أكبرها أى اسم ذِنّه وتدخل جميعها فى فرجة كبيرة أى واد كبير فى جبل يقال له بلق فتقسمه إلى جبلين الشمالى ويقال له جبل بلق قطوطة أو بلق الايسر (ويقال له قطوطه لأنه يلتقى بعد مسافة يسيرة من وادى ذنه بجبل بركانى اسود يدعى قطوطه ويقال له الأيسر أيضاً لأنه واقع على يسار الآتى إلى مارب من الجهة الغربية) والجنوبى ويطلق عليه اسم بلق الواسط أو بلق الأيمن لأنه واقع على يمين آلاتى إلى مارب وتدعى الفرجة بين الجبلين بباب الضيقة وتبلغ سعة هذه الفرجة أى هذا الوادى أو الباب فى أوله نحو ٢٠٠ متر وهذا هو مدخل الماء الى خزان (أى ماجن) سد العرم الحقيقى . ويزداد اتساع هذا الوادى بين البلقين كلما سار الإنسان إلى جهة الشرق إلى أن يبلغ عرضه فى منتصفه نحو ٥٠٠ متر ثم يأخذ فى الضيق إلى أن يبلغ نحو ١٧٥ متراً فى مخرجه بآخر الجبلين بمكان يقال له مربط الدم وهو المكان الذى بنى فيه سد العرم وقد أطلقوا على هذا المكان اسم مربط الدم لأنه يقال - والله أعلم - ان أهل سبأ عندما شعروا بغضب الله

عليهم راجت بينهم اشاعة بأن الجرذان ستخرب سدهم ولذلك جلبوا دمما كثيرة أى قططا كثيرة وربطوها الى جانب السد حتى تفترس الجرذان عند ظهورها وتمنعها من تخريب السد . وأما طول هذا الخزان من مدخل الماء بين الجبلين أى من باب الضيقة حتى مخرجه عند مربط الدم فيبلغ مسافة ساعة كاملة أى نحو أربعة كيلو مترات تقريباً وآثار المياه بأطراف الجبل بادية للعيان كيفما سار الانسان وعندما كان يملأ هذا الخزان بالمياه كان يغمر الطريق بالوادى ولذلك عبد أهل سبا طريقاً حجرياً فى الجهة الشمالية من جبل بلق قطوطه الأيسر ليتمكنوا من اجتياز هذا الوادى . ويكثر فيه فى الوقت الحاضر شجر الأثل وهو الشجر المعروف بالطرفة ولا وجود للسدر فيه مطلقا ههنا

وجبل بلق هو جبل بركانى كبير يبلغ علوه نحو ٤٠٠ متر ويمتد من الجنوب إلى الشمال ويتصل بجبل هيلان العظيم فى الشمال وهذه الجبال هى سلسلة واحدة طويلة ممتدة الى جانب الربع الخالى من جهته الغربية وتركيبها واحد وتبدو عن بعد بيضاء بالنسبة الى الجبال البركانية السوداء التى تحيط بها فيخالها الانسان لأول وهلة كلسيه ولكنه متى وصل اليها تظهر بأنها بركانية ويسير إلى جانب الربع الخالى مسافات طويلة. وقال لى بعض البدو انها تمتد حتى أراضى الحجاز وتتصل بجبال السرات

والسد قائم كما ذكرت سابقا فى آخر الجبلين من الجهة الشرقية فى مكان يقال له مربط الدم ولكن سيل العرم لم يبق له أثرا ههنا غير مخرج الماء وهو كناية عن جدار مبنى بالتوازى الى جانب جبل بلق الأيمن وفيه مخرج واحد للماء أى (عبارة) واحدة قائمة الى جانب الجبل تماماً وعرضها ٤٥٥ سنتمتراً (أى أربعة أمتار ونصف متر وخمسة سنتمترات) وجدارها الواحد هو كناية عن صخرة عظيمة فى جانب الجبل وعليها بعض النقوش أى الكتابة الحميرية والى القارىء صورة أحد هذه النقوش مع ترجمته فى الصفحة التالية وجدارها الثانى هو جدار عظيم مبنى من الحجر المنحوت ويبلغ عرضه فى جانب العبارة ١٣ متراً وربع ويقوم خلفه جدار ثان هو بغلة العبارة وطولها نحو ٨٠ مترا وأما ارتفاعه فلم أتمكن من أخذه

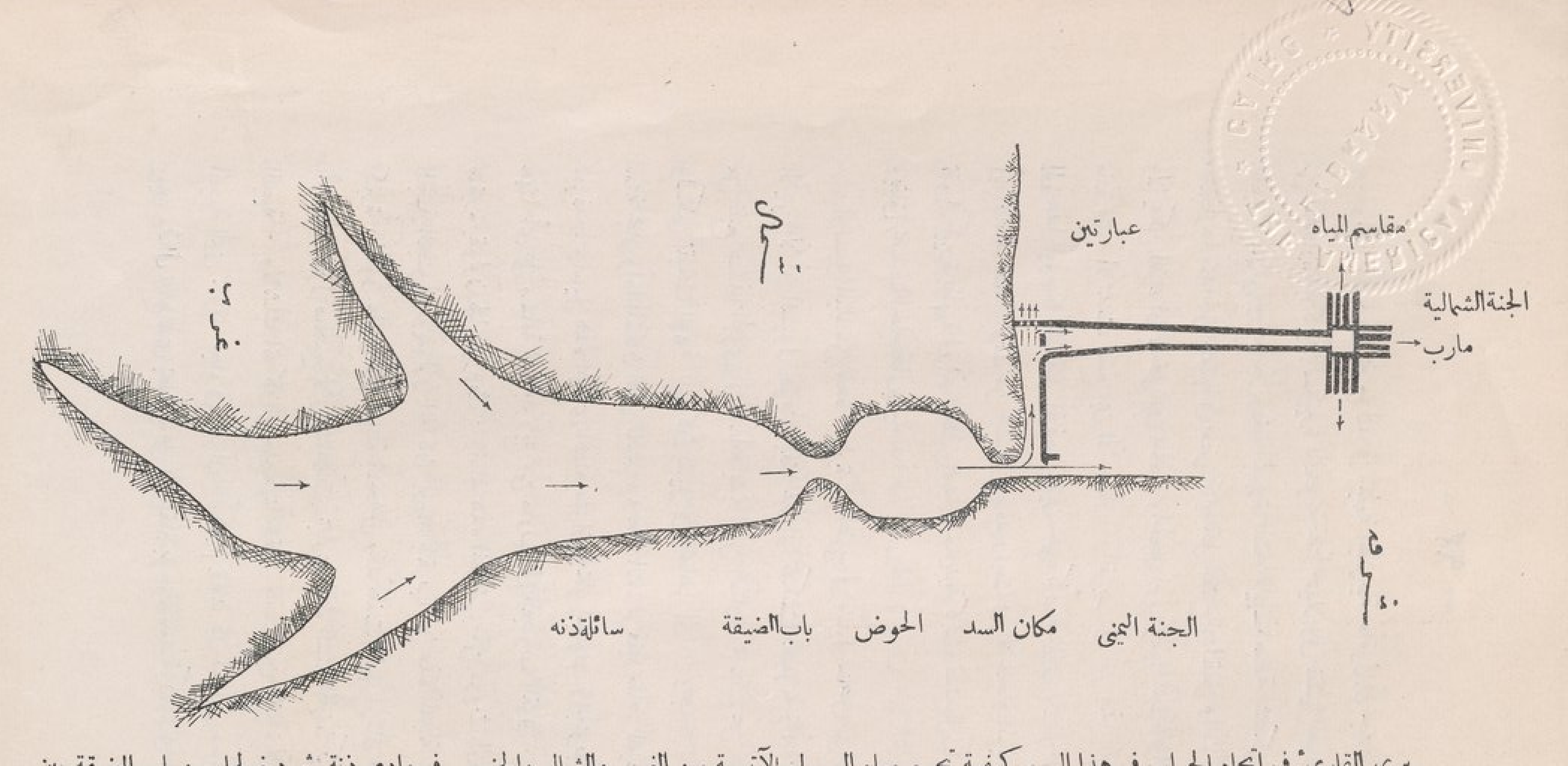
بالضبط لأن السيل قد جرف الأرض أمام هذا المخرج فأصبح من المتعذر قياسه تماما ولكنه يبلغ على وجه التقريب نحو ١٣ متراً . وهذا الجدار أو البغلة كان ولا يزال قائما فى أول السد من الجهة الجنوبية على زاوية قائمة للارض وللسد . وأما السد نفسه فكان مبنياً على زاوية منفرجة ويمتد من الجنوب الى الشمال مسافة ٦٥٠ متراً حيث ينتهى بعبارتين تخرج منهما المياه الى الجنة الشمالية اما ارتفاع السد فى نفس وادى ذنة وعرضه فلم أتمكن من معرفتهما لأن السيل لم يبق من معالمهما الا شيئا يسيرا بالقرب من العبارتين الشماليتين وسوف يأتى ذكرهما فيما بعد

نقش منقول من سجدين فى العباره على جدارها القائم فى نفس الجبل

يَشَع أمرْ باينْ بن اسموعة ينوف حاكم سبأ ثقب الحجر الرخامى فى حوض حَبابِض فى الجهة الشمالية . ترجم لى هذه العبارة الدكتور غلوز فى برلين وهو من المستشرقين الواقفين على اللغة الحميرية



مخرج المياه (اى عبارة العباره) التى تسيل من السد الى الجنة الجنوبية والجدار الواحد هو كناية عن الجبل



يرى القارىء فى اتجاه الحراب فى هذا الرسم كيفية تجمع مياه السيول الآتيـة من الغرب والشمال والجنوب فى وادى ذنة ثم دخولها من باب الضيقة بين الجبلين الى حوض الماء الحقيقى (اى الخزان وهو طبيعى لا صناعى و يشبه الدائرة) ثم تخرج المياه فى هذا الحوض بمكان يقال له مربط الدم وهو المكان القائم فيه السد وتسيل الى جهتين فى سائلتين مختلفتين السائلة الاولى تجرى الى الجنة اليمنى ومروث فى الجهة الجنوبية والسائلة الثانية تجرى الى الجنة الشمالية ومارب وتخرج المياه من السد فى هـذه الجهة من عبارتين لا عبارة واحدة و بعد خروجها من السد بمسافة يسيرة تتقسم فى حوض خاص الى ٢١ نهرا يجرى كل نهر الى جهة معينة فيسقى اراضيها واهلها

والآن أعود الى مخرج الماء فى الجهة الجنوبية فأقول ان جدار هذا المخرج مبنى من الحجارة البركانية الكبيرة المنحوتة نحتاً جميلا وفى نفس العبارة بلغ طول بعض الحجارة مترين وربع متر وبغلة العبارة المشار اليها مبنية بشكل مستغرب فبعض أحجارها متداخل بعضها فى بعض كما يدخل المفتاح فى القفل والبناء متقن الى حد بعيد ولا يمكن للمرء أن يدخل بين الحجر والحجر ابرة ويظهر انهم كانوا يستعملون فى البناء مادة تشبه الأسمنت تضع بين الأحجار . والغريب فى أمر هذا البناء انه لايزال قائما إلى هذا اليوم كما كان قبل ألوف السنين حتى كأن البنائين لم يخرجوا منه الا منذ بضعة أيام لامنذ بضعة ألوف من السنين . وقد رأيت فى الأحجار المبنية منها أرض العبارة ثقوبا كبيرة يظهر لى أنها مكان عمدان حديدية كانت تستعمل كباب متحرك يفتح ويغلق بحسب الحاجة الى المياه

وتسيل المياه من هذه العبارة أو المخرج فى مسيل خاص بنى فى جانب جبل بلق الأيمن الا أن السيول جرفته أيضاً غير انى تمكنت بصعوبة زائدة وببذل وقت طويل من تتبع هذا المجرى الى مسافة يسيرة من العبارة ثم غاب عن نظرى مرة واحدة ولكنى تتبعت الجهة التى كان يسيل فى اتجاهها إلى أن وجدته ثانية بعد أن تقسم الى ستة مجار وأما المكان الذى تقسم فيه هذا التقسيم فغير ظاهر للعيان لأن السيل قد جرفه . وتسيل هذه المجارى الستة متوازية نحو الجنوب والجنوب الشرقى ويوجد ههنا أى على مسافة ساعة وربع من مارب الى الجنوب الغربى . آثار خرائب مدينة صغيرة يقولون لها مِرْوث . وتمتد هذه الخرائب من مروث إلى مسافة بعيدة فى الجهة الجنوبية ويقولون انه كان يوجد بالقرب من هذه المدينة والى جنوبها مدينة كبيرة يطلقون عليها اسم مدينة النحاس وقد طغت عليها الرمال فغطتها وانى أعتقد بأن هذا القول صحيح لأنى شاهدت مجارى المياه الستة المار ذكرها تسيل الى تلك الجهة . ولاشك انه كان يوجد ههنا حقول وبساتين كثيرة لأن هذه الجهة هى الجهة اليمنى . وقد جاء فى القرآن الكريم «لقد كان لسبأ فى مسكنهم آية جنتان عن يمين وشمال» والذى يحملنى على الاعتقاد بوجود مدينة كبيرة فى هذه الجهات أمران

أولها هذه الآية وثانيهما المياه التى تأتى الى هـذه الجهة فجميع المياه التى تخرج من العبارة الجنوبية (واتساع هذه العبارة ٤٥٥ سنتمترا) تأتى الى هذه الجهة ومجاريها كما ذكرت لا تزال بادية للعيان الى يومنا هذا ، ومن البديهى أن لا تسيل هذه الـكمية العظيمة من الماء الا الى مدن ومزروعات وعليه فانى أعتقـد اعتقاداً جازماً بوجود مدينة كبيرة فى هذه الجهة قد تكون مروث وقد تكون مدينة النحاس أو كلتاهما والله أعلم

ويظهر تأثير سيل العرم فى هذه الجهة بشكل يدهش الانظار فبعـد أن جرف الأراضى الزراعية الأصلية والمبانى وكثيرا من مجارى المياه عاد فترك خلفـه طبقات عظيمة من الرواسب الرملية والترابية تبدو فى بعض الاماكن بالقرب من جبل بلق الايمن كالشعاب والتلال . ومما زاد الطين بلة انه بعد تدمير هـذه البلاد بالسيول طفت الرمال عليهـا وغطت قسما كبيرامنها . ويكثر فى هذه البلاد الاعاصير والزوابع فتحمل الرمل من مسافات قريبة وتذريه فى كل مكان ولـكن بالرغم من ذلك كله فلا تزال بعض الخرائب الحميرية بادية للعيان هنا وهناك بشكل يسترعى النظر ويثبت الاعتقاد الجازم بوجود مدينة أو أكثر فى هذه الجهة . أما اتساع هـذه الجنة أى طولها من الغرب الى الشرق باستقامة مدينة مارب فيبلغ نحو ساعة وربع ساعة أى ستة كيلو مترات تقريبا وعرضها من الجنوب الى الشمال نحو ساعة أى خمسـة كيلو مترات فتـكون مساحتها نحو ٣٠ كيلو مترا مربعا ، وهذه الجنة تبدو اليوم للباحث أصغر من الجنة الشمالية لأن الرمال كما ذكرت سابقا قد طغت عليها من الجهة الجنوبية ولم يبق فى وسع المرء أن يحدد المـكان الحقيقى الذى كانت تمتد اليه فى هـذه الجهة ولذلك فتقديرى للمساحة هو نسبى ولـكن يجب أن لا يغرب عن بالنا فى الوقت نفسه ان كمية الماء التى تسيل إلى هذه الجنة هى أقل بكثير من كمية الماء التى تسـيل الى الجهة الشمالية وهذا مما يعزز النظرية السابقة بأن هـذه الجنة هى أصغر من الجنة الشمالية

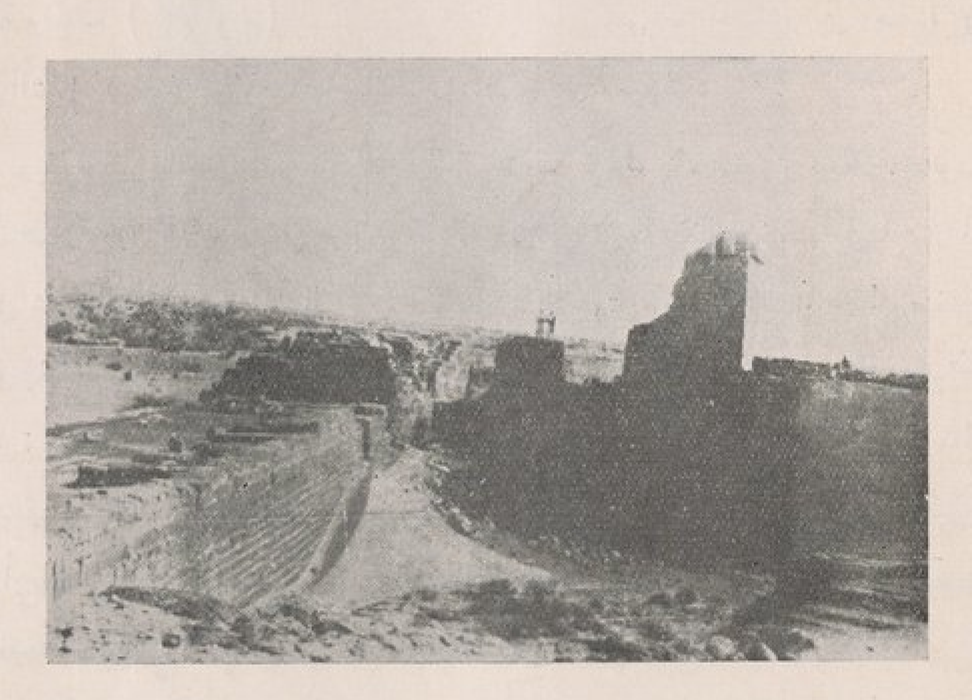
وفى الوقت الحاضر يوجد بسائلة ذنة مما يلى السد الى حـدود مارب أى ضمن

الجنتين أشجار كثيرة من الأثل ولا يوجد بينها الا شيء يسير جدا من السدر يعني لا يوجد الا سدرة واحدة بين الألف أثلة وهذا مصداق لما جاء في الآية الكريمة بسورة سبأ « لقد كان لسبأ في مسكنهم آية جنتان عن يمين وشمال كلوا من رزق ربكم واشكروا له بلدة طيبة ورب غفور . فأعرضوا فأرسلنا عليهم سيل العرم وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتي أكل خمط وأثل وشيء من سدر قليل » وقد شاهدت أيضاً الخمط وهو ينمو نموا جيدا حول مارب وفي الأراضي الواقعة بينها وبين عرش بلقيس ويطلق عليه أيضا اسم الاراك ويصنعون منه السواك وله ثمر أحمر يأكله الناس ويشبه حب العدس الصغير الاحمر وطعمه حلو . والخمط تأكله الماعز والغنم والجمال

وقد شاهدت في سائلة ذنة بالجهة الشرقية على بعد ثلاث مائة متر تقريباً من عبارة الماء الجنوبية أساس بناء قديم مربع ويخيل لي انه كان مسكنا لحراس سد الماء ويدعونهم ههنا الى هذا اليوم (حوامي) الماء أي حماته ويروون عنهم قصصاً غريبة وفي جملتها انهم كانوا ينتشرون من السد الى حضرموت بصورة دوريات وحراس وكانوا ينقلون الاخبار بسرعة زائدة وذلك بأن ينادي الحارس الواحد على الآخر ويقول له بلغ فلانا ماهو كذاوكذا وقيل والله أعلم ان زوج أحد الملوك ولدت له مولودا في المساء بمارب بينما كان هو بحضرموت فلم يصبح الصباح الا علم بولادة زوجه وذلك عن طريق حوامي الماء الذين نقلوا الخبر في ليلة واحدة رغم أن المسافة بين مارب وحضرموت تبلغ نحو خمسة أيام

ويوجد بالقرب من خرائب مِروِت بعض الحصون الجديدة بناها العرب والشرفاء من أهل مارب لسكناهم وهم يغرسون حولها الى جانب السائلة الذرة والشعير والحنطة والجلجلان ومن العجب العجاب أن هذه المزروعات تنمو نموا عظيما اذا شربت ولو مرة واحدة وذلك من ماء السيل لا من ماء المطر لأن الامطار في هذه البلاد لاتهطل الا نادراً وان هطلت فكميتها يسيرة جداً ولذلك يعول الأهلون في زراعتهم على السيل فاذا جاءهم السيل غرسوا ما أمكنهم غرسه من الأراضي التي حولهم ولا توجد لديهم ادوات زراعية وقد رأيت سكة الحراثة التي يحرثون بها الارض وهي لاتزيد على بضعة

سنتمترات وبالرغم من هذا كله يحصدون زرعا جيداً وقد رأيت شعيرهم أبيض ناصعاً وهو يشبه حبة الصنوبر بحجمه وكثيراً مايحصدون من غرس واحد موسمين أو اكثر وذلك بنسبة السيول . وبديهى والحالة هذه أن الحميريين كانوا يجنون فائدة عظيمة من سدهم وهو فى الحق ليس خزاناً فقط بل هو ايضاً وسيلة لرفع مستوى المياه فى وادى ذنه أى مستوى الاراضى التى كانت يسقيها وهى أعلى من مجرى السائلة الاصلى فى مربط الدم بنحو تسعة أمتار وسيظهر ذلك للقارىء الكريم بوضوح عند منتهى السد فى الجهة الشمالية . وهذه الاراضى تصلح لغرس كل شىء من نبات وشجر مثمر وغير مثمر وقد رأيت الجند فى مارب غرسوا بالقرب من بئرها فى حديقة صغيرة بسباسا (فليفله) وقشمى (فجل) وريحاناً فما البسباس كالشجر لا كالنبات وبلغ طول الواحدة نحو مترتقريباو كذلك الامر بالريحان والقشمى فقد كان نموها عجيباً ولا شك عندى بان هذه الاراضى تصلح لغرس جميع الاشجار المثمرة وغير المثمرة متى توفر الماء لهـا وذلك لأن اقليمها معتدل يميل الى الحرارة والجفاف اكثر مما يميل الى البرد والرطوبة وتعلو هـذه الاراضى عن سطح البحر ١٣٠٠ متر وهى أوطى من صنعاء بمقـدار ١١٥٥ متراً



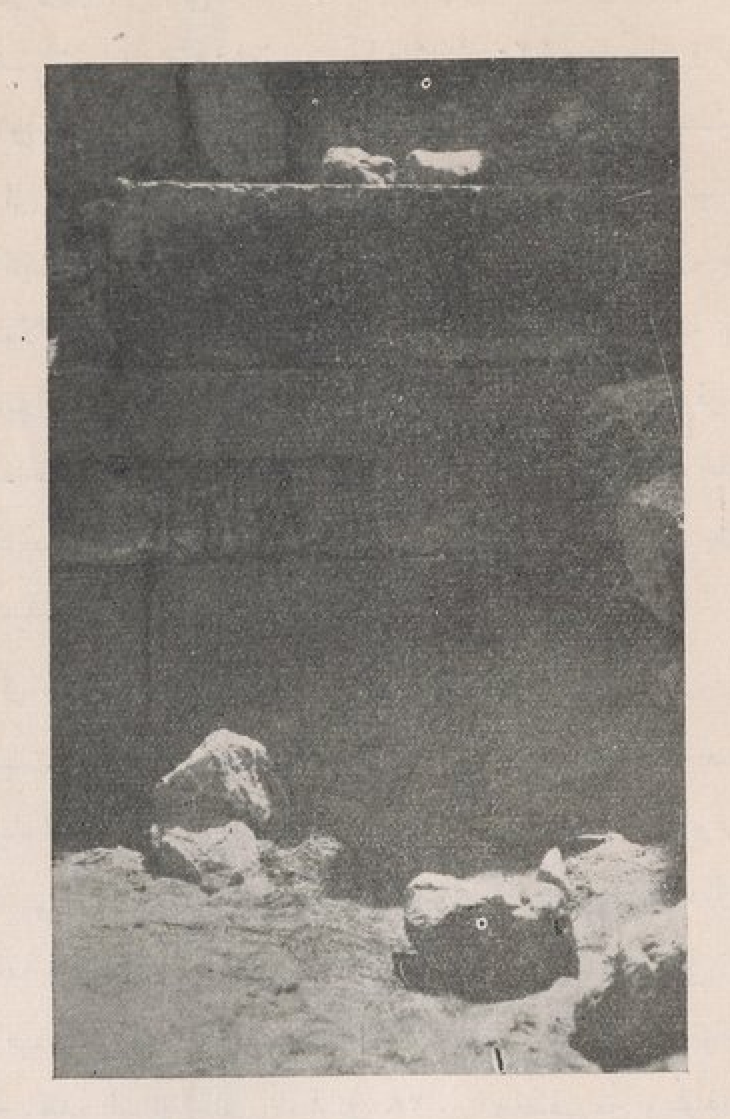
مخرجى (أى عبارتى) المياه التى تسيل من سدمارب الى الجنه الشماليه

أما السد بالجهة الشمالية (أى القبلية) فظاهر للعيان اكثر منه فى الجهة الجنوبية وبعض بقاياه لا تزال واقفة الى هذا اليوم كأنها مبنية من عهد قريب وهى كناية عن قطعتين من السد الأصلى وجدارين عظيمين متقاطعين فى منتهاه بالجهة الشمالية . وطول القطعة الاولى منهما ٣٥ متراً وطول الثانية ٢٠ متراً وهما مبنيتان من الحجارة البركانية السوداء والبيضاء الصغيرة (دبش) لا على زاوية قائمة من الأرض بل على زاوية منفرجة وبناؤهما مائلا لا قائماً ولذلك يبدو السد كأنه تل صغير لا كأنه جدار كبير وفى الظاهر أنهم بنوه على هذا الشكل لكى يتحمل ضغط الماء أكثر فأكثر والاغرب من ذلك كله انهذه الحجارة البركانية الصغيرة (أى الدبش) المبنى منها هذا السد العظيم مرصوفة رصفاً كرصف أرض الحدائق عندنا لا مبنية بناء وهى تشبه فى تركيبها ما يسمونه اليوم (بالكونكريت) الذى يضعونه فى أسس البنايات الحديثة الضخمة ولكن الاولين عوضاً من أن يستعملوا الحصى فى كونكريتهم استعملوا الحجارة الصغيرة التى يبلغ حجم الواحدة منها حجم جمجمة الأنسان. وقدبذلت جهدى لأرفع حجراً واحداً من هذه الأحجار فلم أتمكن لأنها أصبحت جميعها قطعة واحدة (كالبيتون) المصبوب صباً فنياً ويظهر أنهم قد استعملوا فى رصفها على هذا الشكل نوعاً غريباً من أنواع السمنت الذى كان معروفاً عندهم .

ويقوم الى جانب هاتين القطعتين الباقيتين من السد بناء حجرى ضخم منحوت نحتاً جميلا وهو كناية عن جدارين متقاطعين الأول منهما عضادة ضخمة فيها عبارتان (أى مخرجان للماء) قائمتان الواحدة الى جانب الاخري ويفصل بينهما جدار صغير (اى بغلة) عرضها أربعة أمتار وربع متر وعرض العبارة الاولى ثلاثة أمتار وعرض العبارة الثانية ثلاثة أمتار ونصف متر وتعلو هاتان العبارتان عن مجرى الماء فى سائلة السد تسعة أمتار وقد استرعى نظرى فى العبارة الثانية نقش حميرى غريب هو كناية عن أربعة حروف كبيرة نافرة نقشت فى جدار العبارة الأيمن والى القارىء صورته فى الصفحة التالية

أما الجداران المتقاطعان فكلاهما مبنى من الحجر البركانى الكبير المنحوت نحتاً

متقناً والجدار الأول الذى فيه العبارتان بيضاوى الشـكل تقريباًوقطره من آخر السد حتى العبارة الأولى يبلغ ٣٢ متراً وهو ممتـد من الجنوب الى الشمال وسمكه يختلف فى بعض الأماكن عن بعضها وقد بلغت فى بعض الجهات عشرون متراً . والجدار الثانى

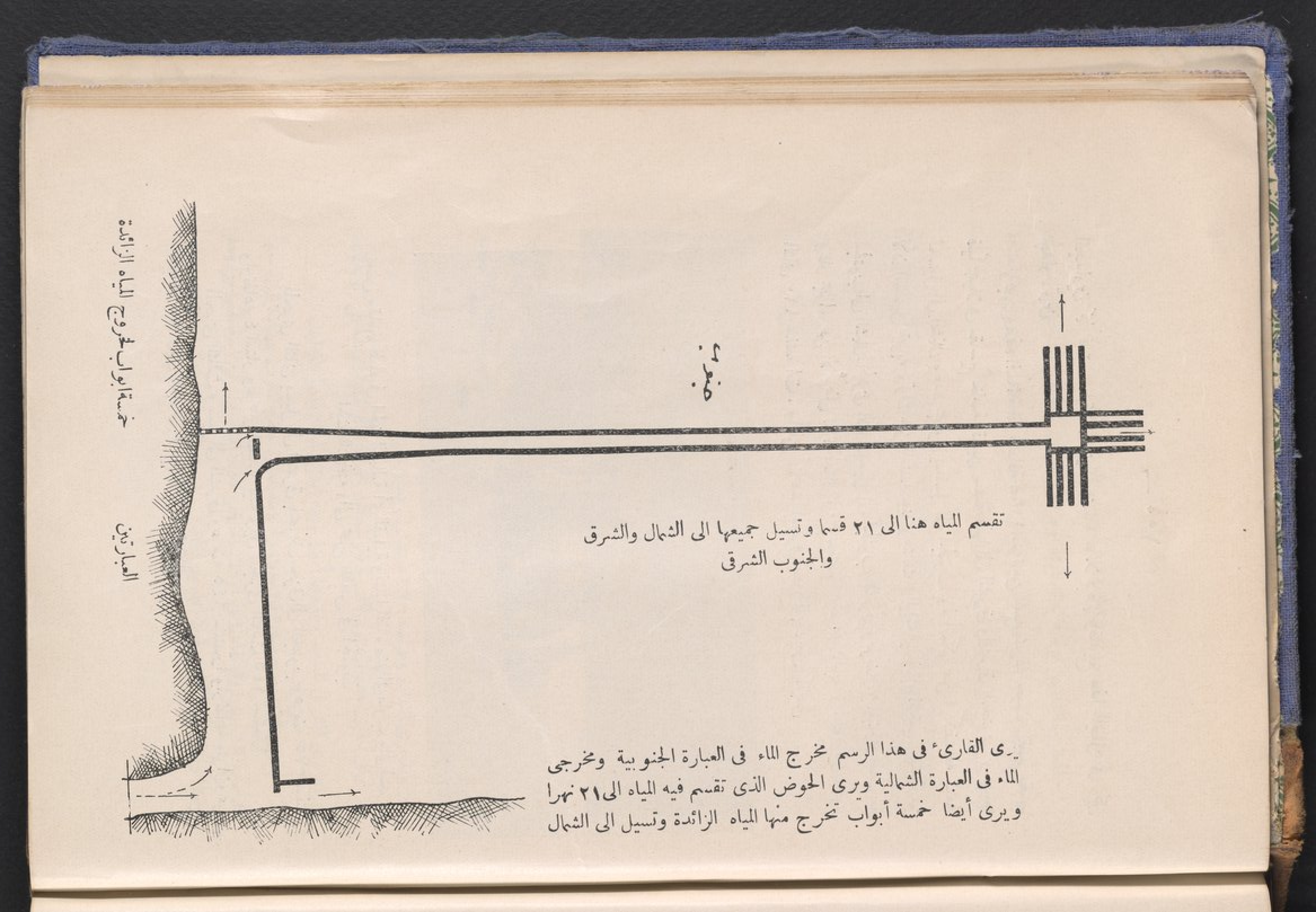


كتابه حميريه فى سد مارب بمخرج المياه فى العبارة الشماليه (قبيليه)

الذى يعارض هذا الجدار يمتد من الغرب الى الشرق وطوله ١٤٥ مترا وبنـاؤه كبناء الجدار الأول من الحجر البركانى الـكبير المنحوت وينتهى هذا الجدار بجبل بلق غرب العبارات وطوله من عبارة السد الى الجبل ٦٠ متراً وطوله من عبارة السد الى أوله فى الجهة الشرقية ٨٥ متراوقد شاهدت فى قسمه الغربى بعض مجارى الماء وبعض

الثقوب المستديرة ويظهر انها كانت الأماكن التى تضع فيها الأبواب المتحركة لكى تنظم كمية الماء التى يجب أن تدخل فى العبارتين وعدد هذه الأبواب ستة ويقوم الباب الأول على زاوية قائمة من عبارة السد الثانية وعلى مسافة قريبة منها وعرضه ١١٥ سنتيمترا والباب الثانى وعرضه ٦٤٠ سنتمترا والثالث ١٢٠ سنتمترا والرابع عرضه ٢٩٥ سنتمترا والخامس ٣٤٢ سنتمترا والسادس ٥٣٠ سنتمترا . وتسيل المياه من هذه الابواب الى الجهة الشمالية (أى القبنية) ولا يوجد بقايا لسائلاتها ولا آثار فى الأراضى التى كانت تسقيها لأن سيل العرم قد جرف هذه الأراضى الى حيث لا يعلم مقرها الا الله ولا يظهر فى هذه الجهة أيضا شيء من الخرائب الحميرية بل بالعكس تظهر آثار السيول وقد تركت خلفها أكاما من الرواسب هنا وهنالك. وقد طغى السيل الى مسافة بعيدة عن السد فى أرض جبلية بركانية وبعد انخفاضه ترك خلفه فى هذه الأراضى البركانية السوداء تلالا كبيرة من الرمل والتراب الأصفر الذى يظهر للباحث من مسافات بعيدة .

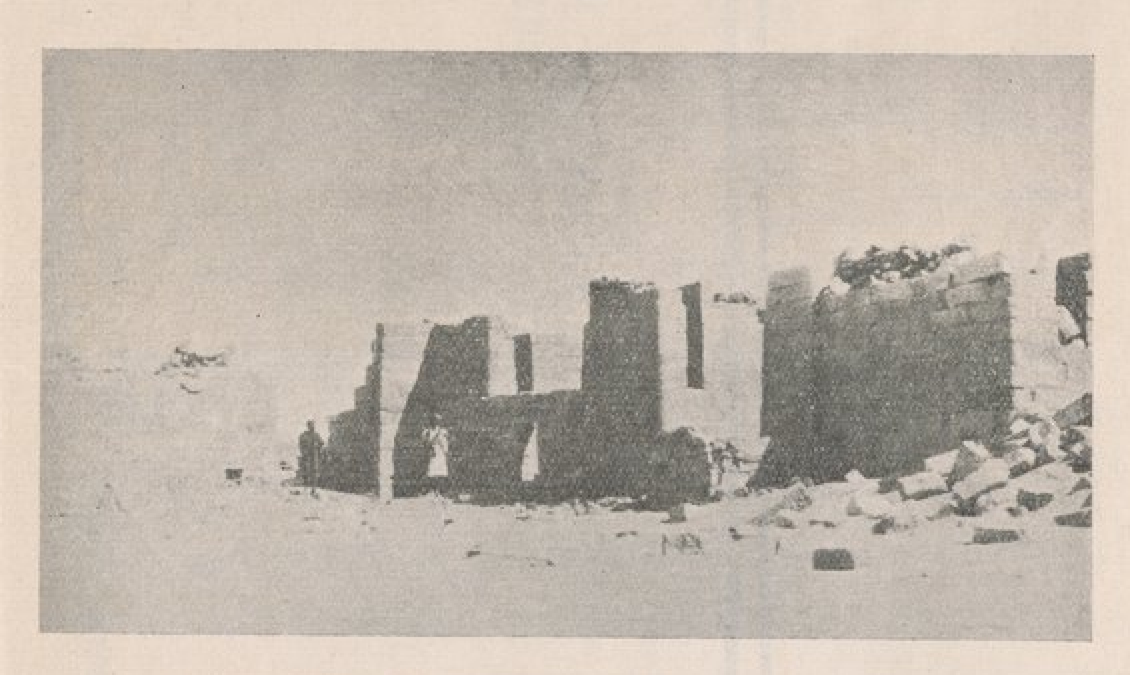
ويتبادر الى ذهنى أن أهل سبأ كانوا عندما تشتد السيول أيام المطر وتطغى المياه على السد بكميات كبيرة كانوا يفتحون جميع الابواب أو بعضها وذلك بنسبة كمية المياه فتسيل المياه المتراكمة الى الجهة الشمالية ويخف الضغط عن السد وعن العبارتين الأصليتين وبديهى أن هذه الابواب المتحركة لم تصنع الا لتصريف المياه الزائدة لا للرى لان المياه اللازمة لرى الجنة الشمالية تخرج من العبارتين المبنيتين على زاوية قائمة من هذه الابواب وتسيل فى سائلة خاصة الى الجهة الشرقية حيث توجد الجنة الشمالية وعرض هذه السائلة خلف العبارتين ٢٨ مترا ونصف متر وعلوها بالميل تسعة أمتار وعلوها القائم ٧٨٠ سنتمترا . وبعد أن تجتاز هذه السائلة مسافة ١٠٠ متر تقريبا تضيق فيصبح عرضها ١٤ مترا فى سطحها وهى مبنية أيضاً على نفس طريقة السد من الأحجار البركانية الصغيرة المرصوفة رصفاً متيناً وجداراها مائلان وقد بلغت عرض المسافة من أعلى نقطة فى الجدار الواحد الى أعلى نقطة فى الجدار الثانى ١٨ متراً أى ان عرض السائلة ليس متساويا فى مجراها وفى أعلاها وذلك بديهى لان



يرى القارىء فى هذا الرسم مخرج الماء فى العبارة الجنوبية ومخرجى الماء فى العبارة الشمالية ويرى الحوض الذى تقسم فيه المياه الى ٢١ نهرا ويرى أيضا خمسة أبواب تخرج منها المياه الزائدة وتسيل الى الشمال

الجدارين كما قلت سابقاً مبنيان بنـاء مائلا لاقائما وقد بلغ هذا الميـل فى كل جدار مترين

وتجرى هذه السائلة الى مسافة ١١٦٥ مترا من السد شرقا حيث تقسم تقسيما فنياً جميلا فى مقاسيم خاصة تسيل سبعة منها الى الشرق والشرق الجنوبى وسبعه تسيل الى الشمال وعدد مجهول يسـيل الى الجنوب ولم أتمكن من ا كتشافه كاملا لأن السـيل خربه وترك جزءا منـه هنا وهنالك واليك بيانهـا بالترتيب مبتدئا من الجنوب الى الشمال. المجرى الأول يسيل إلى الجنوب الشرقى وعرضه ٧ أمتار ونصف متر وعلو مجراه عن الأرض ثلاثة أمتار و٣٠ سنتمترا وعرض الجدار بينه وبين المجرى الثانى ١١٠ سنتمترات . وأظن أن هذا المجرى يصل الى عرش بلقيس



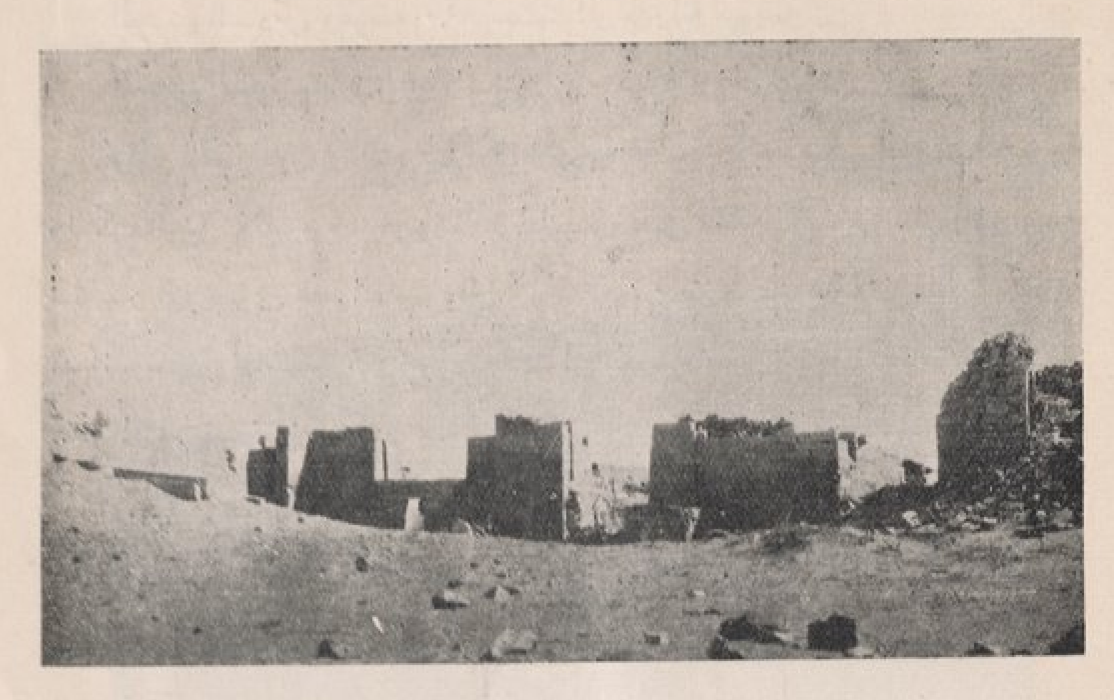
بعض مقاسم المياه فى الجهة الشمالية أى القبلية وتسيل المياه منها الى مارب والى قسم من الجنة الشمالية والى محرم بلقيس فى الجنوب

المجرى الثانى يسيل الى الشرق بانحراف جزئى الى الجنوب وعرضه ٣٧٥ سنتمترا وارتفاعه ٤ أمتار وعرض الجدار بينه وبين المجرى الثالث ١٤٥ سنتمترا

المجرى الثالث ويسيل الى الشرق وعرضه ١٤٥ سنتمترا وارتفاعه متران وعرض الجدار بينه وبين المجرى الرابع ١٠٥ سنتمترات

المجرى الرابع عرضه ٣١٥ سنتمترا وجدرانه متهدمة

المجرى الخامس عرضه ثلاثة أمتار وعرض الجدار بينه وبين المجرى السادس ٢٤٥ سنتمترا وهو مبنى من الحجر البركانى الضخم . وبعد هذا المجرى توجدعضادة قوية مبنية من الحجارة الكبيرة وعرضها ٦١٢ سنتمترا



بعض مقاسم المياه فى الجهة الشماليه أى القبلية وتسيل المياه منها الى مارب والى الجنة الشماليه

المجرى السادس وعرضه ٢٩٥ سنتمترا ويسيل شرقا وعرض الجدار القائم بينه وبين المجرى السابع ٣٥٠ سنتمترا

والمجرى السابع وعرضه ٣٢٠ سنتمترا ويسيل شرقا

والى جانب هذه المجاري الشرقية يوجد مجار شمالية (أى قبلية) مبنية على زاوية قائمة من المجرى الشرقى السابع وعددها أيضا سبعة مجار واليك بيانها بالترتيب : ـ

المجرى الأول وعرضه ٢٤٥ سنتمترا وبنيت الى جانبه للغرب عضادة قوية جداً وعرضها ١٩ متراً وارتفاعها فى الوقت الحاضر ثلاثة أمتار ولكن أساساتها مردومة بالرمال وأظن أنها كانت قبلا أعلى من ذلك

المجرى الثانى وعرضه ١١ متراً

المجرى الثالث وعرضه ٥ أمتار ولـكن جدرانه متهدمة انما مجراه ظاهر

المجرى الرابع وعرضه ٧٩٠ سنتمتراً وجدرانه متهدمة

المجرى الخامس وعرضه ١٤٥ سنتمتراً وجدرانه متهدمة

المجرى السادس وعرضه ٨٩٠ سنتمترا وجدرانه متهدمة

المجرى السابع وعرضه ١٥٥ سنتمترا وجدرانه متهدمة

والى جانب المجارى الشرقية وعلى زاوية قائمة منها يوجد بعض المجارى الجنوبية ولـكن السيل والبدو قد خربوها فلا تظهر فى نفس المقاسم غير انها تظهر على بعد مائة متر الى جنوبى هذه المقاسم وانى لم أتمـكن من ضبط عددها لأن معالم أ كثرها قد اندرست ولم أشاهد غير مجربين باقيين الى اليوم ولـكن بحسب الظاهر من بناء هذه المقاسم يجب أن تـكون سبعة كالمجارى الشرقية والجنوبية والله أعلم

أما بناء هـذه المقاسم والمجارى فعلى شـكلين : المجارى الـكبيرة مبنيـة من الحجارة البركانية المنحوتة والصغيرة مبنية من الاحجار البركانية السوداء ومحشو بينها شئ من اللبن الاسود الـكبير المصنوع بقوالب خاصة من الرمل والحصى البركانية الناعمة ونوع من أنواع السمنت وهذا اللبن قوى جداً فبالرغم من ألوف السنين التى مضت على صنعه لايزال قويا وقد أردت أن أ كسر قطعة منه فلم أفلح

ويوجد فى جميع مقاسم المياه نقوش حميرية عديدة ويوجـد أيضا فى الجدارين الـكبيرين من السد المار ذكرهما نقوش حميرية كثيرة ويوجد امام عبارتى السـد فى الجهة الشماليـة الى جانب بلق الايسر عمودان كبيران مبسطان عليهما نقوش كثيرة هى بدون شك تاريخ هذا السد العظيم وكيفية تقسيم مياهه ولـكن واحـدا منهما قد كسره العرب الى قطعتين وأما الثانى فلا يزال سليما

وزبدة القول أن السبب فى بناء هذا السد هو أولا الاحتفاظ بمياه السيول التى تجري الى هذه الجهات فى فصـلى الامطار أى بالخريف والصيف وخزنهـا الى أيام الجفاف فى الشتاء والربيع وثانيا رفع الماء فى سائلة ذنه الى مستوى الاراضى القائمة

حولها وحول مدينة مارب فى الجهتين الجنوبية والشمالية لان هذه الاراضى أعلى من مجرى السائلة عند مربط الدم أى عند السد بنحو تسعة أمتار ولولا هذا السد لايمكن للمياه أن تصلها

ويبلغ طول الجنة القبلية من مربط الدم أى من السد فى الغرب الى مايلى مدينة مارب بالشرق مسافة ساعتين أى نحو عشرة كيلو مترات تقريبا وعرضها من الجنوب الى الشمال نحو ساعة أى خمسة كيلو مترات فتكون مساحتها نحو ٥٠ كيلو مترا مربعا . ومارب قائمة فى آخر هذه الجنة الشمالية ويجرى الماء اليها من العبارتين الشماليتين .



بواقى سد الجفينة وقد وقف فيه شقيق عامل مارب السيد احمد الهجوة الكبسى والى جانبه بن عمه السيد احمد وبعض الجنود

سد الجفينة

روى لى بعض البدو وأنا فى مارب بأنه يوجد الى الشمال الغربى من مدينة مارب جدار كبير لا يعلمون ماهو ويوجد فيه بعض النقوش الحميرية فذهبت ذات يوم لزيارة

هذا الجدار لأرى ماهو فكانت دهشتى عظيمة عندما رأيت نفسى أمام سد صغير لم يتخرب منه الا جزء يسير وهو بسيط جداً فى هندسته . ويبعد عن مقاسم المياه للجنة الشمالية نحو ٣٥ دقيقة وهو واقع الى جهة الشرق الشمالى

وهذا السد كناية عن جدار طوله نحو ٢٠٠ متر ممتد من الغرب الى الشرق أى بعكس سد مارب الممتد من الجنوب الى الشمال وتسيل المياه نحوه من جهتين الجهة الأولى من الشمال الغربى فى سائلة طبيعية تأتى مياهها من الجبال الغربية الشمالية والجهة الثانية من الجبال الشمالية لمدينة مارب وتسيل هذه المياه فى سائلة اصطناعية مبنية فى أسفل الجبل بشكل معوج وجدران هذه السائلة وبنيانها ليس منتظما بل هو مبنى من الحجارة البركانية الصغيرة واللبن الاصطناعى المعمول من السمنت وتقسم المياه عند هذا السد الى أربعة أقسام قسمان يسيلان الى الجهة الشمالية وقسمان يسيلان الى الجهة الجنوبية وعرض العبارات الشرقية كما يلى :

العبارة الأولى عرضها ٢٨٠ سنتمترا والثانية ٢٥٠ سنتمترا

والعبارات الجنوبية كما يلى الأولى ١٥ مترا و ١٥ سنتمترا وقد تهدم شئ قليل منها ولكن أسسها لاتزال ظاهرة والثانية وعرضها ٢٥٠ سنتمترا . وتسيل مياه هذا السد الى مدينة مارب وجنتها

مارب

لقد اختلفت العلماء والمؤرخون والمفسرون فى معنى اسم مدينة مارب (بالهمزة الساكنة) فمنهم من قال انها مشتقة من الارب ومنهم من قال انها اسم أحد الملوك الحميريين الذى بنى هذه المدينة ومنهم من قال انها مركبة من كلمتين حميريتين ماء ورب ومعناهما الماء الكثير وانا ارجح أن هذا التفسير هو أقرب الى الصواب من غيره . وأما أهل البلاد فيلفظونها بدون همزة وأهل اليمن يكتبونها بدون همزة أيضاً ولذلك اتبعتهم فى كتابتها فى هذه الرحلة لأنهم أدرى بدارهم منا ومن غيرنا .

وتقع مدينة مارب على مسافة ١٦٥ كيلو متراً إلى الشرق الشمالى من مدينة صنعاء

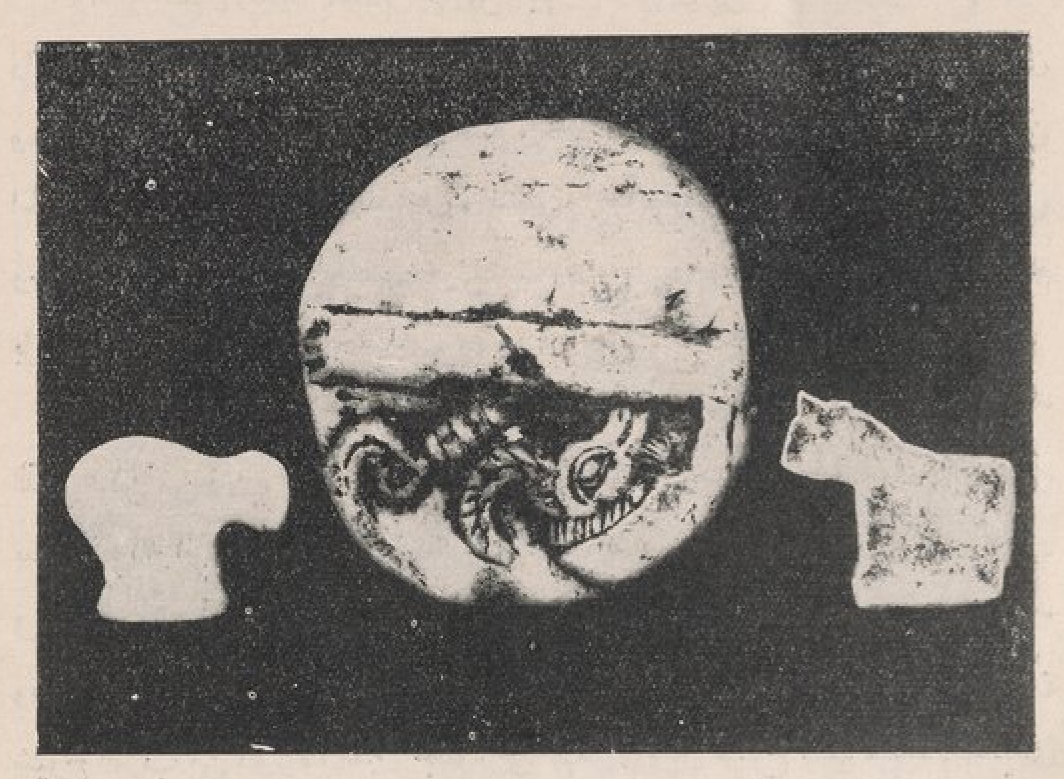
وتقطع القوافل هـذه المسافة فى طرق غير معبدة فى نحـو خمسة أيام . ويحيط بمدينة مارب من جهـاتها الاربع أراض زراعية كان يطلق عليها قديماً اسم الجنتين الشمالية والجنوبية ويحدهما من جهة الغرب جبل بلق وسد العرم ومن الشمال سلسلة جبال منخفضة متصلة بسلسلة جبـال هيلان الشامخة ومن الشرق رمال الربع الخـالى ومن الجنوب رمال الربع الخالى أيضاً وتعلو عن سطح البحر ١٣٠٠ متر واقليمها حار وجاف ولا تهطل فيهـا الأمطار الا نادراً وانما ينزل الرذاذ أحيـاناً وتكثر فيها أيام الربيـع والصيف الرياح والعواصف الشديدة ويكثر فيها أيام الشتاء الذباب والـكتان(اى البق)

وتبدو اطلال المدينة للقادم اليها من جهة السد أى من الجهة الغربية كأنها شبه دائرة وهذا مما يحمل المرء الغير محقق لأول وهلة على الاعتقاد أنها شبه دائرة ولكنه متى وصل اليها وشاهد بقاياها يتبدد هذا الوهم ويظهر له سورها الحجرى الضخم المبنى من الحجارة البركانيـة المائلة الى البياض والمنحوتة نحتاً دقيقـاً ويرتفع هـذا السور على وجه الأرض فى الوقت الحاضر نحو نصف متر فقط وهو ليس دائرياً كما قال بعضهم بل مربعاً ولكن يوجد فيه احديداب ونتوء فى أماكن عديدة .

وقد وقع المستشرق الالمانى كلازر فى هذا الخطأ وهو الرجل الاجنبى الوحيـد الذى تمكن من زيارة هـذه البلاد وذكر فى كتابه أن مدينـة مارب مدورة ونقـل بعض أقواله المرحوم جورجى زيدان فى كتابه العرب قبل الاسلام . ولا ألوم كلازر فى خطئه لأنه لم يتمكن كما ذكر لى بعض المتقدمـين فى السـن ممن رأوه عنـد وصوله اليها أن يطوف ويجول فى المدينة وأطرافها كثيراً لأنه وقع اختلاف شديد بين شيوخ العرب من الشرفاء الذين جلبوه على عهدتهم وبين شيوخ قبيلة عبيدة الشديدى البأس والذين ما كانوا راضين عن هذه الزيارة فاضطر الرجل أن يبقى شبه سجين معظم المدة التى قضاها فى ضيافة الشرفاء . ولما عاد من رحلته أخرجه الشرفاء من مارب ليلاً وألبسوه ألبسة بدوية خشية أن يبطش به رجال عبيدة الاشداء .

وقد ذكر لى أحـدهم أن عدة أشخاص من الفرنجة قتلوا أثناء محاولتهم الوصول الى مارب وذكر لى بعض الخـبراء من يمانيين وغير يمانيـين أن عـدة أشخاص من

المستشرقين قتلوا فى اليمن وهم يحاولون الطواف فيه والوصول الى مارب وفى طليعتهم المستشرق الالمانى بركار فقد قتل بوادى الدور بالقرب من مركز العدين أيام الدولة العثمانية وقتل معه ايضاً المارکيز ديبوزى قنصل ايطاليا فى المخا . وقتل أيضاً مستشرق فرنسوى فى طريق مارب وكان يلبس البسة عربية وذلك فى زمن الوالى توفيق باشا سنة ١٣١٨ رومية وقتل أيضاً مستشرق المانى آخر أيام أحمد فيضى سنة ١٣٢٠ بينما كان يحاول الوصول الى مارب وقتل أيضاً رجل انكليزى خرج من جهة ميدى ولم يعرف المكان الذى قتل فيه وعندما سئلت الدولة العثمانية عنه لم تجب جواباً مفيداً لان هذا الرجل دخل الى اليمن بدون اذن وجاء من البحر بسنبك خفيف



صورة بعض التماثيل وقد عثرت عليها فى مارب مع بعض الناس

ويرتفع سور المدينة فى الوقت الحاضر على ماذكرت نحو نصف متر ولما وصلت اليه طفت حوله فى جهاته الأربع وقد عثرت على اسسه بتمامها فى الجهة الشمالية والغربية وأما فى الجهة الجنوبية فقد طغى عليه سيل العرم بعد أن هدم السد ولم يحمل السور فقط حمل أيضاً جزء بل كبيراً من المدينة يبلغ عرضه نحو ١٥٠ متراً وطوله نحو

١٥٠٠ متر وكذلك الأمر فى الجهة الشرقية فقد أخذت السيول قسما من السور وأما القسم الباقى فيظهر هنا وهنالك بصورة غير منظمة ومما زاد فى الطين بلة أن الأهلين نقلوا شيئاً كثيراً من أحجار السور وبنوا بها بيوتهم ومدينتهم الحديثة . وهو مبنى من الحجارة الضخمة ويبلغ طول الحجر فى بعض الاماكن أكثر من متر ونصف متر وعرضه نحو نصف متر وبناؤه فى غاية الضبط ولا يمكن للانسان أن يدخل إبرة بين الحجر والحجر ويظهر أنهم كانوا يستعملون فى بناءهم مادة تشبه السمنت ان لم تكن السمنت بعينه ويصنعون من هذه المادة أيضاً لبناً قوياً أكبر من اللبن الذى نصنعه نحن من السمنت فى عصرنا هذا وقد شاهدت شيئا كثيراً منه فى مختلف الابنية وفى بقايا السد نفسه وهو اسود اللون خشن الملمس لان الرمل المركب منه هو رمل بركانى خشن لا رمل مائى ناعم . وقد تمكنت بعد بذل جهود جهيدة من أخذ طوله وعرضه فى الجهات الأربع وهذا بيانهما

يبلغ طول السور الغربى الممتد من الجنوب الى الشمال نحو ٧١٥ متراً تقريباً وأقول تقريباً لأنى لم أتمكن من معرفة النقطة المضبوطة التى كان ينتهى اليها قبل خرابه ولكنى قدرتها تقديراً من بعض آثار البناء الظاهرة فى السائلة الى هذا اليوم ومن البديهى أن هذه السائلة لم تكن موجودة أيام حمير ولكن بعد ماخرب السد وتهدمت المدينة صارت مياه سيل ذنه التى كانت تصل الى السد فقط تسيل الى جنوب المدينة وافتتحت سائلة جديدة يبلغ عرضها فى الوقت الحاضر ٣٠٠ متر أمام المدينة ويزيد هذا العرض الى ٣٥٠ متراً فى بعض الاماكن . وقد شاهدت فى السور الغربى فرجة كبيرة على جانبيها نقوش حميرية ويغلب على ظنى انها كانت بوابة . ويتصل جدار هذا السور الغربى بجدار السور الشمالى بزاوية قائمة ظاهرة للعيان ظهوراً جلياً وهذا مما ينفى نظرية كلازر بان المدينة كانت مدورة اذ من البديهى انه يتنافى وجود زاوية قائمة مع وجود الدائرة

ويبلغ طول السور الشمالى الممتد من الغرب الى الشرق ١٧٤٠ متراً وهو ظاهر بتمامه وقد شاهدت فيه كثيراً من النقوش الحميرية واظن أن الباب كان قائما

فى منتصف هذه النقوش ورأيت فى أوله من الجهة الغربية والجهة الشرقية تتوأين ظاهرين وهما بحسب ظنى بقايا بناءين مدورين كانا يستعملان كمخفرين للحرس المناط به المحافظة على المدينة كما هى العادة فى جميع المدن المسورة فى اليمن وهذا أيضاً مما حمل كلازر على الاعتقاد بان المدينة مدورة .

ويبلغ طول السور الشرقى الممتد من الشمال الى الجنوب ٧٧٠ متراً تقريباً ولم اشاهد فيه كتابة حميرية ولا بوابة ولكن يغلب على ظنى انه كان يوجد ههنا بوابة أيضاً دون مقبرة المدينة فى الشرق خارج السور وليس من المعقول انهم اذا ارادوا الخروج لدفن موتاهم انهم يدورون حول المدينة بالميت لكى يخرجوه الى المقبرة

ويبلغ طول السور الجنوبى وهو لا وجود له فى الوقت الحاضر (ولكنى خمنته تخمينا من بقايا السور الغربى والسور الشرقى وبعض الاساسات الظاهرة فى سائلة ذنه) نحو ١٥٠٠ متر تقريباً . ولا اعلم اذا كان يوجد فيه بوابة أم لا انما يغلب على ظنى انه كان يوجد فيه بوابة أيضاً لان الجهة الجنوبية هى المخرج الى ما يسمونه محرم بلقيس وهو فى الحقيقة معبد للشمش . أما كلازر فيقول انه كان للمدينة بابان فقط ولكنى لاأعتقد بصحة هذا القول بل ارى أنه يوجد للمدينة أربعة أبواب وقد شاهدت اثنين بعينى واستدللت على الاثنين الآخرين من وجود المقبرة ووجود حرم بلقيس خارج مدينة مارب .

ومتى اجتاز الانسان أسوار المدينة ودخل الى خرائبها وأطلالها لا يمكنه أن يتبين شيئاً من قصورها ومعابدها ومبانيها العظيمة التى ترنم بها الشعراء قبل الاسلام وخاصة عرش بلقيس وقصر سلحين ومسجد سليمان الخ لان جميع هذه الابنية أصبح عاليها سافلها فلا يرى الانسان كيفما سار غير خرائب متصلة بعضها ببعض وانما يتبين بصورة واضحة فى منتصفها تقريباً ميدانا واسعاً بيضاوى الشكل وهو بدون شك كان سوقها الكبير الذى كانت تأتيه القبائل للبيع والشراء والمقايضة كما هى العادة فى جميع بلاد اليمن وجزيرة العرب الى يومنا هذا .

ويوجد فى الجهة الجنوبية من هذا الميدان أو السوق سلسلة من الاعمدة الفخيمة

ممتدة الى مسافة بعيدة فيظهر منها انه كان يوجد ههنا بناء عظيم قد يكون معبدا أو قصرا لأحد الملوك والأمراء ويوجد الى الجهة الشمالية الشرقية من هذا الميدان شىء كثير من الاعمدة المتوسطة الحجم والكثيرة العدد الى حد يستلفت النظر وبعضها لا يزال قائما وبعضها مكسر وملق على الارض وعلى كل حال فان هذه الأعمدة تدل أيضا انه كان يوجد ههنا بناء كبير قد يكون دائرة حكومية أو قصرا أو ما أشبه ذلك ويقوم الى سائر أطراف هذا الميدان كثير من الاعمدة موزعة هنا وهناك ويظهر أن أطراف هذا الميدان كانت الحى الأنيق فى المدينة ودليلى على ذلك كثرة العمدان الموجودة هنا وقلتها فى سائر أطراف المدينة . ويظهر فى بعض الاماكن أساسات بنايات ضخمة جرف السيل عنها بعض الردم تعلوها آكام من التراب تحت مراسمها ومعالمها فلا يمكن المرء أن يعرف ماهى ولا كيفية هندسة بنائها ولكن لو أجريت بعض الحفريات ورفعت هذه الأتربة المتراكمة فلا شك ان كثيرا من هذه القصور والبنايات الفخمة تظهر للعيان بحالة حسنة كما هو الحال فى السد

وجميع هذه الأبنية مبنية من الحجر البركانى المائل الى البياض والمنحوت نحتاً جميلا ودقيقا والبناء على غاية من الضبط ويظهر فيه السمنت أو مايشبهه فى كل مكان ويظهر أن معظم البناء كان يقوم على أعمدة مربعة ذات أربعة أوجه ولم أر الا شيئاً يسيرا من العمدان المدورة . وهذه العمدان والاحجار الكبيرة مقطوعة جميعها من جبل بلق القريب من المدينة . وقد شاهدت فى بعض الأماكن أحجارا من المرمر وعليها نقوش وكتابات ولا شك أن هذه الحجارة الكبيرة قد نقلت من أماكن بعيدة عن مارب لان جبل بلق وما يحيط به من الجبال القريبة لا يوجد فيها مرمر بل تبعد الجبال التى يوجد فيها المرمر مسافة ثلاثة أو أربعة أيام عن مارب. وقد احترت فى كيفية نقلهم لهذه الحجارة الكبيرة من مسافات بعيدة ولا يعقل انهم نقلوها على الحيوانات لأنها ثقيلة جدا فقد بلغ طول بعضها ثلاثة أمتار وعرضها مترا فلابد والحالة هذه انه كان يوجد لديهم بعض الوسائط لنقل الأثقال

ويوجد فى أقصى المدينة من الجهة الشرقية تل كبير بنى فوقه الاهلون فى الوقت

الحاضر مدينتهم على أساسات بناء ضخم ربما كان حصنا أو معبدا للشمس فى الزمن القديم والله أعلم . ويوجد فى أسفل هذا التل من الجهة الغربية مسجد يقولون له فى الوقت الحاضر مسجد سليمان ولكنه فى الحقيقة لايمت لسليمان بنسب وانما هو مسجد حديث العهد بناه واحد من الشرفاء منذ وقت قريب لايتجاوز مائة عام . وقد بنى جداره الشمالى بين بعض الأعمدة الحميرية القديمة فظنه الناس قديما وصاروا يطلقون عليه اسم سليمان ظنا منهم أنه بنى أيام الاعمدة ولكنه على وجه التحقيق لم يبن أيام بناء الأعمدة لأن بناءه حقير وجديد . وتوجد بالقرب من هذا المسجد بئر حميرية قديمة هى بئر القرية الآن وبئر الصادى والغادى وعمقها ٥٠ مترا وماؤها جيد وجدرانها مبنية من الحجر وقد قطعت الحبال جوانبها من كثرة الاستعمال

هذه هى الاشياء والخرائب الحميرية التى يشاهدها الانسان فى نفس مدينة مارب ولكنى قرأت فى بعض الجرائد والمجلات العربية والافرنجية أوصافا غريبة لهذه الخرائب لاتتفق مع الحقيقة فى شىء . وفى جملتها طالعت فى جريدة الفاريتى الفرنسوية (Varietés) التى تصدر فى القاهرة فى عددها المؤرخ ٢٧ مايو سنة ١٩٣٤ وغيره من الاعداد صورا خيالية وخارطة وهمية وضعها الطياران مالرو وكورنيليون مولنيير لمدينة مارب وذكرا فيها أسماء أماكن وقصور ومساحات وحجرات وأبواب الخ لاتظهر للعيان للمتأمل عن كثب وان هى الا من بنات أفكارهم واختراعهم وهى بعيدة عن الصحة بعد الارض عن السماء، ولا يؤبه لها أو يعتد بها . وكلما قيل أو يقال عن هذه المدينة انما هو رجم بالغيب ليس الا . فاذا لم ترفع الاتربة المترا كمة فوق بقايا البناء فتظهر القصور والمساند فلا يمكن أن يعرف شيء من حقيقتها وقد فتشت كثيرا فى هذه الاطلال لعلى أجد أثرا لقصر بلقيس أو عرشها فلم أعثر على شىء من ذلك ولكنى وجدت حجرا كبيرا من المرمر أثناء تفتيشى وعليه بعض الكتابات الحميرية الطويلة ربما تؤدى قراءتها الى معرفة شىء عن البناء القائم فوق هذا الحجر

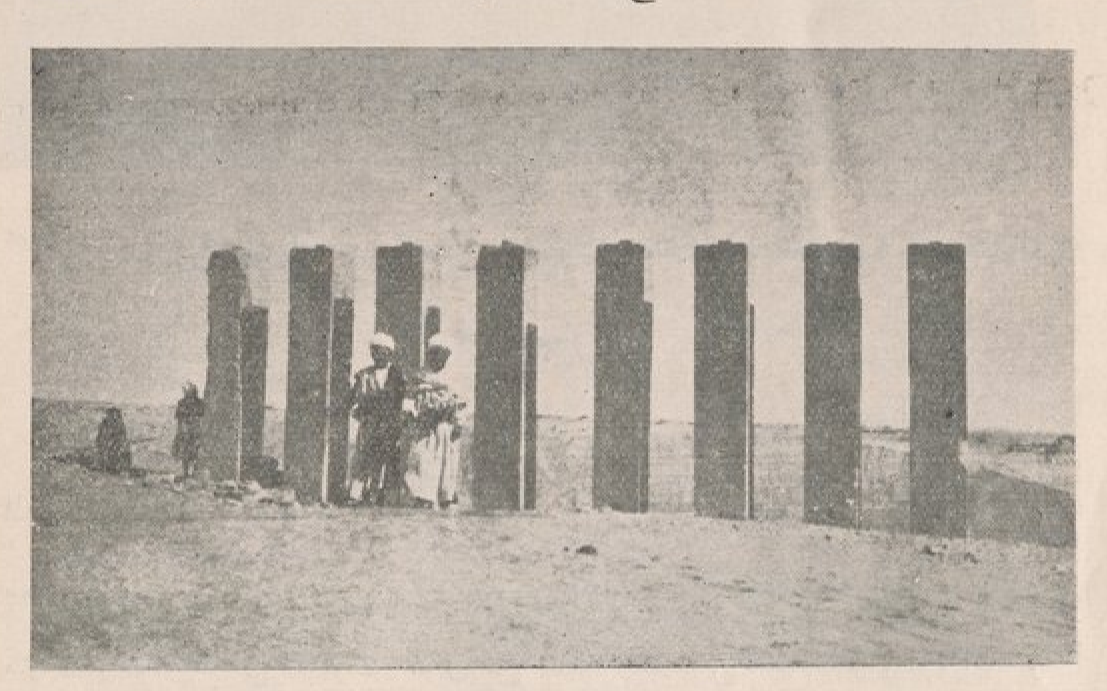


محرم بلقيس أو هيكل الشمس وقد وقف فوقه عامل مارب وبعض الجنود ورجال القبائل

محرم بلقيس

وقد قيل لى أثناء تفتيشى وسؤالى عن قصر بلقيس انه يوجد مكان قريب من المدينة يقولون له محرم بلقيس وقد يكون قصرها فزرته ذات يوم صباحا واذا بى أمام معبد للشمس مبنى على شكل دائرة ويبعد عن مارب مسافة ٤٥ دقيقة أى أربعة كيلو مترات وهو واقع الى الجنوب الغربى من المدينة وعلوه عن سطح البحر ١٣٠٠ متر وأول شئ تبيناه منه هو ثمانية أعمدة مربعة من الحجر البركانى ذات أربعة أوجه عرض اثنين من وجوهها ٧٤ سنتمترا وعرض الاثنين الآخرين ٧٠ سنتمترا وأما ارتفاعها فغير معلوم لان قسما كبيرا منها غائص فى الرمال . وأما الظاهر منها فوق الرمال فيبلغ علوه نحو ثلاثة أمتار ويظهر أن هذه الاعمدة كانت قائمة فى باب المحرم من الجهة الشرقية مقابلة للشمس ويلى هذه الاعمدة الثمانية الى الجنوب أربعة أعمدة قائمة على بضعة أمتار من جدار المحرم وهى أصغر من الأولى ومربعة أيضاً وعرضها ٥٠ سنتمترا و ٤٤ سنتمترا لكل وجهين ولا ريب عندى انه كان يوجد غير هذه الاعمدة

أعمدة اخرى . وهذه الاعمدة هى من الاحجار البركانية البيضاء . والمسافة بين هذين الصفين من الاعمدة وهى نحو عشرة أمتار كانت بدون شك رواقا يؤدى الى المدخل وخلف هذه الأعمدة الاربعة يوجد فرجة متسعة هى الباب ولكنى لم أتمكن من قياسه بالضبط لأن جداريه قد تهدما وانما يمكننى أن أقول ان اتساعه كان ١٢ مترا على وجه التقريب . ونفس المحرم أو الهيكل مبنى بشكل دائرة قطرها من الداخل بدون الجدران ٧٢ مترا و١٥ سنتمترا وعرض الجدار ٣ أمتار و٦٠ سنتمترا وهى مبنية من الحجارة الكبيرة وقد بلغ طول بعضها ١٧٥ سنتمترا وعرضها ٣٥ سنتمترا



عمدان أمام باب محرم بلقيس بمدينة مارب وقد وقف أمامها العامل واخوه

ومعظمها من الحجارة الكبيرة المنحوتة نحتا دقيقا . وأما علو المحرم القائم الى هذا اليوم فيختلف بنسبة الرمال الطافية عليه وقد بلغ أعلى مكان أربعة أمتار . ويظهر انه كانت توجد نقوش حميرية حول جميع الجدار ولكن البدو اقتلعوا كثيرا من هذه الحجارة الكبيرة المكتبة وكسروها قطعا صغيرة ونقلوها الى أماكن مختلفة فبنوا بها حصونهم ودورهم ، وقد شاهدت بعض الشظايا المكسرة هنا وهنالك وعليها بعض

هذه ترجمة النقوش الحميرية الموجودة فى الجدار الشمالى لهيكل الشمس وقد ترجمها لى المستشرق الالمانى الدكتور شلوبز

(النقش الاول) تبع كرب ... وتر ويثع أمر باين بن ذامريدع بن مارم كرس للاله المقاه جميع الجدار المبنى فوق هذه النقوش والسور والبروج

(النقش الثانى) ومماقاله بشأن ابنه عندمانصبه يكرب مالك وتر قائداً عاماً ، وعندماحكم سبأوالقبائل وحارب كاتبان مدة خمسة سنوات وقد أنقذ المقاه (أى الاله) جميع بلاد سبأ وقبائلها ورجالها الذين قادهم فى حرب مدينة نهارجب كل سنة للدفاع عن سبأ وقبائلها واخيراً حقق السلم مابين مارب وكاتبان ويثع أمر باين وسبأ وضعواثقتهم به.

الـكتابات الحميرية ورأيت أيضا شيئا كثيرا من الـكتابة الحميرية ظاهرة حول الجدار فى الجهات الاربع ، ففى الجدار من جهـة الجنوب رأيت حجراً واحداً منقوشاً عليه كتابة حميرية . وأما فى الجدار الشمالى فقد رأيت صفين من النقوش الحميرية الصف الواحد فوق الصف الآخر وفى أولهما رسم سيف وقد وقعت بعض الاحجار من هذه النقوش الممتدة حول الجدار الى الارض فـكسرها البدو . ويلى هاذين الصفين صف مفرد ثان يمتد مسافة يسيرة وقد اقتلع البدو معظمه



عمدان قريبة من محرم بلقيس وهى بدون شك بقايا قصر عظيم قد يكون قصر بلقيس أوغيره وقد وقف أمامها عامل مارب وبعض رجال حكومته

وتصل الرمال فى الوقت الحاضر الى جنوب الهيكل وشرقيه وتمتد منه الى أن تصل إلى سائلة ذنة فيحملها السيل معه كلما اشتد ويوجد بين هذه السائلة الواقعة فى الوقت الحاضر إلى شمال المحرم وبين المحرم نفسه خرائب عديدة ويكثر فيها الفخار المكسر وهو غليظ الحجم وقوى جدا ولونه يميل إلى الحمرة وأهم هذه الخرائب المحيطة بالمحرم هى خربة كبيرة طغى عليها الرمل بكثرة ولكن لا يزال يبدو منها ستة عمدان مصفوفة صفا واحدا وممتدة من الشرق الى الغرب على خط مستقيم وهى مربعة ذات أربعة أوجه اثنان منها عرض كل منهما ٨٢ سنتمترا ، واثنان منها ٦٤ سنتمترا وعلوها فى الوقت الحاضر نحو خمسة أمتار ولا أعلم كم يغوص منها فى الرمال والعمود الأول من جهة الشرق مكسور نصفين أحدهما واقع الى الارض والثانى قائم الى جانب رفاقه وعليه بعض النقوش الحميرية وقد شاهدت بين هذه الخرائب بقايا مجارى المياه آتية من مقاسم المياه فى الجهة الشمالية من السد وتصل هذه المجارى الى محرم بلقيس . وهذا مما يدل على أن المحرم أو الهيكل وما حوله من البنايات كانت تابعة الى الجنة الشمالية . ويغلب على ظنى ان قصر بلقيس وعرشها كانا فى هذه الجهة واعتقد ان هذه العواميد الستة الضخمة هى من بقايا قصر بلقيس المعروف بقصر سلحين وأنا على شبه اليقين بأن هذه الملكة العظيمة ما كانت تقطن مع شعبها فى نفس مدينة مارب بل كانت تقطن فى هذا القصر بالقرب من الهيكل التى كانت تعبد فيه الشمس ولكن هذا لا يمنع انه كانت لها قصور عديدة فى نفس المدينة تتردد اليها فى بعض الأحيان كما هى عادة الملوك والملكات فانهم لا يكتفون بقصر واحد بل يبنون قصورا كثيرة يقطنون فى كل منها مدة من الزمان وذلك بحسب الاقاليم والفصول وقد قرأت فى غير واحد من الكتب القديمة ان ملوك حمير كانوا يتنقلون من جهه الى أخرى فى الشتاء والصيف والخريف والربيع

هذا ما كان من شأن اطلال هذه المدينة العظيمة . وأما تاريخها وتاريخ أهلها فلم يتوفق أحد لدرسهما درسا صحيحاً وكل ما وصل الينا عنهما هو نتف يسيرة جاءت فى كتاب « الاكليل » لأحمد حسن الهمدانى وهى لا تشفى الغليل ولا يثق بها كل الوثوق

وقد تمكن بعض المستشرقين من الحصول على شيء يسير من الكتابات الحميرية بعضها قديم وبعضها جديد زورها يهود صنعاء جرآً للربح ولكنها لاتكشف الغطاء عن تلك المدنية الحميرية العظيمة

ولم تستطع منذ آلاف السنين دولة من الدول ان تدخل البلاد السبئية وتفتحها عنوة وبالرغم من عظمة تركيا وبأسها واقامتها فى اليمن نحو ٣٠٠ سنة فلم تتمكن فى يوم من الايام من دخول مدينة مارب مع انها كانت تدفع رواتب وعطاءات الى أشرافها وشيوخها وكانت ترجوهم أن يرفعوا العلم العثمانى فوقها فكانوا يأخذون المعاشات ويهزأون منها فتارة يرفعون العلم وأحياناً ينزلونه وذلك حسبما شاءوا وشاءت أهواؤهم.

ومضى على جلالة الامام يحى بن محمد حميد الدين ملك اليمن منذ تبوأ العرش مدة طويلة لم يتمكن خلالها من دخول مارب بالرغم من حنكته ودهائه وبأسه وقدرته على اخضاع جميع القبائل فقد بقى أهل جميع البلاد السبئية محتفظين باستقلالهم وعاداتهم الى زمن قريب ولكن عند ما دبت عوامل التفرقة والبغضاء بينهم وصاروا يقتل بعضهم بعضاً بصورة فظيعة أى صار ابن العم يقتل عمه والأخ يقتل أخاه ولم يعد بوسع واحد منهم أن يخرج من حصنه الا ليلا عندئذ تمكن جلالة الامام من التدخل بينهم وذلك ان فريقاً منهم التجأ الى جلالته وطلب معونته انقاذاً للبلاد والعباد مما هم فيه من التخاذل والشرور فما كان من جلالته الا انه لبى استغاثتهم وسير السيد عبد الله الوزير على رأس قوة عظيمة من الجند النظامى وغير النظامى فدخل البلاد عنوة بعد ان قاومه الاهلون مقاومة عنيفة قرب السد وقتل فى هذه المصادمة خلق كثير من كلا الطرفين ولكن تمكن الوزير فى نهاية الأمر من الاستيلاء على مارب وجميع البلاد التى حولها وما كاد يستقر فى المدينة حتى قدمت عليه رجالات العشائر ومشايخها وقدموا خضوعهم له وسلموا اليه عدداً كثيراً من الرهائن علامة الطاعة والاذعان . وبنى سيادته فى الحال داراً للحكومة وقشلاقاً عسكرياً للجند وعدة مخافر فى المدينة نفسها وفى اطرافها ومنذ ذلك اليوم الى عهدنا هذا والامن مستتب تمام الاستتباب .

ومعظم أهل هذه البلاد من سكان بيوت الشعر ولكنهم يبنون احيانا حصونا لسكناهم وهذه الحصون لا نوافذ لها غير فتحات صغيرة فتحت فى بعض الجدران لأطلاق الرصاص منها لا لدخول الهواء وأبوابها صغيرة للغاية فلا يمكن المرء أن يدخلها الا حبواً على قوائمه الأربع . وبينما كنت فى طريقى من صنعاء الى مارب لاحظت اننى كلما اقتربت من مارب كنت ارى أن نوافذ البيوت وأبوابها تصغر تدريجا الى أن تغيب النوافذ قبل الوصول الى مارب بمسافة يسيرة دفعة واحدة ولا يبقى غير الابواب الصغيرة ولذلك كنت اقدر درجة الامن فى البلاد التى أمر بها من حجم نوافذها وعددها

ومن غريب عادات أهل هذه البلاد انهم لا يترحمون على الرجل اذا مات حتف انفه انما يترحمون عليه اذا قتل قتلاً ولكنهم لا يدفنون القتيل بلحد بل يطرحون فوقه كوماً عظيماً من الحجارة فى المكان الذى يُقتل فيه دون غسل أو صلاة . وقلما يموت منهم رجل موتاً طبيعياً ويندر أن تنظر رجلا لا يوجد فى جسده عدة جروح .

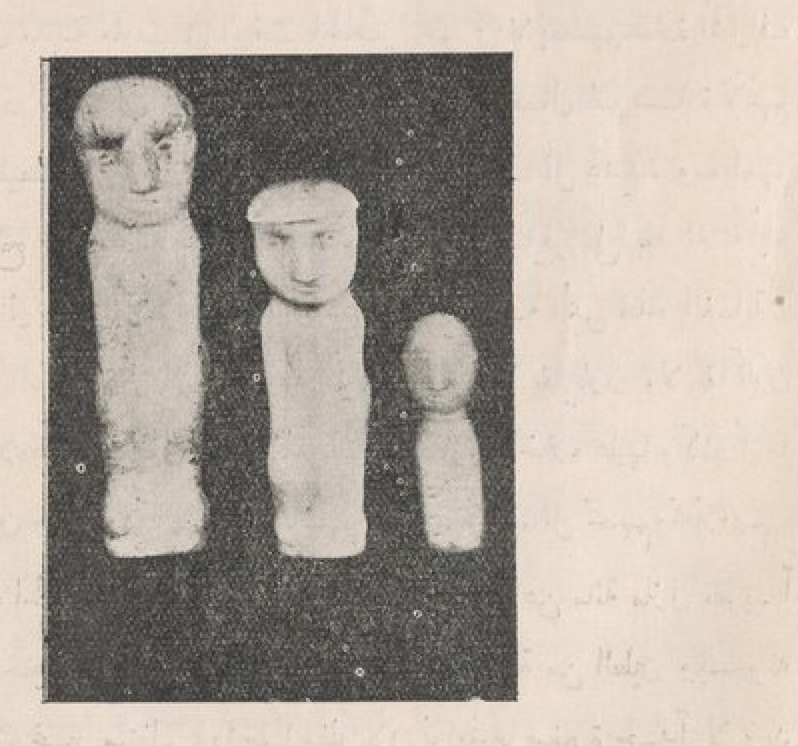
ويبلغ عدد سكان مدينة مارب فى الوقت الحاضر نحو ٧٠٠ بعضهم سادة أشراف ينتسبون الى آل سعود (غير آل جلالة الملك عبد العزيز) ويقال لهم سادة لأنهم حسنيون وبعضهم خليط من سكان حضرموت ومن رجال قبائل عديدة ومعظمهم تجار ملح يشترون الملح الذى تجلبه عشيرة عبيدة من جبلها بالصافر على بعد ثلاثة أيام من مارب ويبيعونه الى رجال القوافل الذين يأتون من داخلية اليمن لهذه الغاية .

ويوجد ايضاً نفر من الناس يقال لهم هِجْرَه وهؤلاء الناس لا يقاتِلون ولا يقاتَلون لانهم هاجروا من بلادهم والتجأوا الى هذه الديار فصاروا دخلاء عليها وكثيراً ما يصلحون بين المتقاتلين ويوقفون القتال بوساطتهم لان جميع القبائل تحبهم وتحترمهم .

أما مدينة مارب الحالية ، لا بل قرية مارب ، فهى كناية عن مائة منزل تقريباً أساساتها مبنية من الحجر ودورها الأول والثانى والثالث مبنية من الطين ويسمونه خلب بشكل مضحك غير منتظم وداخلها مظلم لأن نوافذها صغيرة جداً لا يزيد طول أكبرها عن ثمانية سنتيمترات وعرضها ستة سنتيمترات وغرفها مبنية بدون نظام أو ترتيب وسقوفها من الخشب والخلب وتقوم هذه الدور على رابية يبلغ علوها

نحو ٥٠ متراً ولا تزال أساسات البناء الحميرى ظاهرة فيها وقد بنى الأهلون بيوتهم فوق هذه الأساسات القديمة

وتحيط قبيلة عبيده بمدينة مارب وهيكل بلقيس وهى قبيلة عربية قديمة تدعى أن نسبها يتصل بصافر الحميرى ولا تزال محافظة على عادات وحشية للغاية ويبلغ عدد رجالها المحاربين نحو ١٥٠٠ رجل جميعهم على الفطرة الطبيعية ولا يوجد بينهم رجل واحد يعرف القراءة والكتابة وأكثرهم عراة لا يلبسون سوى أطمار يسترون بها عورتهم ويرخون شعورهم وذقونهم ويطلونها بزيت السمسم فتفوح منهم رائحة هذا الزيت الممزوج بعرق أجسادهم إلى مسافات بعيدة . وهم كرماء للغاية يحسبون حساب ضيفهم قبل أنفسهم واذا جاءهم أقل الناس يذبحون له الذبائح ويدهنونه بالزيت والسمن زيادة فى اكرامه وما كنت أتخلص من بين أيديهم الا بشق النفس.



صورة بعض التماثيل والآلهة وقد يكون المقاه فى جملتهم
عثرت عليها فى مارب مع بعض الناس

وكان رجال هذه القبيلة يعيشون على الغزو والسلب والنهب ، قبل دخول جيوش جلالة الامام الى مارب ، وأما الآن فقد أخذوا يشتغلون بنقل الملح من جبل الصافر الى مأرب وبغرس بعض الأراضى الصالحة للزراعة . ومن غرائبهم أيضاً أنهم يقولون للشرق حدرا لأن أرضهم بالجهة الشرقية منحدرة ، ويقولون للغرب علوا لأن أرضهم فى هذه الجهة عالية ، ويقولون للجنوب المشرق ، وللشمال القبلة ، لأن الكعبة واقعة الى شمالهم . وقبل دخول جلالة الامام ما كانوا يعرفون الصلاة ولا الصيام ولا شيئاً من الفروض الاسلامية ، ولكن جلالة الامام اهتم بشأنهم وأرسل مرشدين ومعلمين خلقنوهم أصول الدين وتعاليمه ، وبنوا لهم مدرسة للاولاد وفيها الآن نحو ثلاثين طالباً .

وقد اجتمعت بشيخ مشايخ هذه القبيلة ، ويقال له على بن حسن بن معيلى ، وعندما رآنى لأول وهلة نفر منى ووضع يده على جنبته (سكينه) هاما بقتلى ، ولكن العامل أفهمه انى رجل عربى صديق للامام مسلم مؤمن موحد بالله فاطمأن قليلا ، ولكنه كان ينظر الى شزرا ، فآنسته ولاطفته وقطرت له فى عينه التى كانت ملتهبة بقطرة كانت معى ، ومن الغريب أنها شفيت فى يوم واحد فجاءنى ثانى يوم شاكراً معتذرا على ما بدا منه من الجفاء نحوى فشكرته على هذا العطف ، وتمكنت بينى وبينه الصداقة فصار يزورنى دائما . وقد جرى بينى وبينه مرة حديث طويل أثبته هنا لأنه يدل على عقلية الرجل . وهو طويل القامة ضخم الجثة حنطى اللون أبيض الاسنان أسود العينين مفتول الساعدين جميل الصورة تدل هيأته على البطولة والشجاعة ، ولا تفارق الابتسامة اللطيفة ثغره عندما يتكلم . ولما كانت قبيلة عبيدة تملك ملح جبل الصافر وهو جبل عظيم من الملح الحلو الجيد يبعد عن مارب نحو ثلاثة أيام الى الشرق الجنوبى ، بادرنى حضرته بالسؤال . هل يوجد ملح فى بلادكم ؟ فقلت نعم يوجد عندنا بالقرب من مدينة دمشق مملحة . فقال : وهل هو حالى ، أى حلو الطعم . فقلت كلا : فيه مرارة يسيرة . فضحك ضحكة الظافر المفتخر الى أن بدت نواجذه البيضاء الجميلة وأردف قائلا : وهل هو أبيض كملحنا ؟ فقلت : كلا . فيه شىء من السمرة . فقهقه وقال لا يوجد ملح فى الدنيا مثل ملح جدنا صافر بن قحطان . فقلت له مداعبا : لا بل

صافر بن حمير ، وليس ابن قحطان ، فأجاب هو ، هو . اى وهو كذلك ، وأطرق مفكرا . ثم سألنى وأين تقع بلادك الشام هذه ؟ فقلت ألم تسمع بالشام . فقال كلا : فقلت هى الى شمال الكعبة . فقال : هل يوجد بيننا وبينكم بحر ؟ فقلت : لا يوجد بيننا وبينكم بحر ، ويمكننا أن نذهب من هنا الى الشام براً . فقال : اذا أنتم شمالى بلاد النجدى يعنى جلالة الملك ابن سعود فقلت نعم . فقال : وهل أنتم أصحاب واياه أم قوم ؟ فقلت نحن لا نملك من أمر بلادنا شيئا ، وأصحاب البلاد الحقيقيون هم الفرنسويون ، وهم أصحاب كثير مع النجدى . فقال : ومن هم هؤلاء الذين تعنى ؟ فأفهمته بصعوبة زائدة من هم الفرنسويون وما هى صداقتهم مع جلالة ابن سعود فعجب من هذه الصداقة . وقال : كان يجب عليه أن لا يصادقهم وأن يغزوهم كما يغزو القبائل العربية غير المدينة معه . فقلت هذا غير ممكن ، لأن الفرنسويين أقوى منه وعندهم عسكر كثير ، وليس بوسع ابن سعود محاربتهم فسكت ، ولكنه لم يقتنع بهذا الجواب غير المنطقى فى عرفه . وبعد قليل قال اذاً أنتم تحت حكم الفرنسويين فقلت نعم . فقال : وكيف حكمهم ؟ فقصصت عليه سير تنا معهم وحروبنا واياهم فغضب وقال : ألا يوجد عندكم بدو ؟ فقلت نعم : فقال الى أى القبائل ينتسبون . فقلت : الى الرولة وعنزه وبنى صخر وشمر والحديديين و و . فقال : وهل هم كثيرون فقلت نعم ؟ فقال نحن نسمع بعنزة ونعلم أنها قبيلة كبيرة وذات بأس فلماذا لم تحارب معكم الفرنسويين ؟ فقلت لأن شيخها صديق للفرنسويين ولا يحاربهم ، بل يتناول منهم الزلط أى الدراهم ، فقال بخ بخ ، وقطب حاجبيه وتمتم بعض الشتائم التى لم أفهمها . ورأى الى جانبى نورا كهربائيا (بيل) فقال : وما هذا ؟ فقلت فانوس كهربائى وأضأته أمامه فخاف منه وتراجع الى الوراء فأطفأته حالا فعاد الى مكانه وأخذه منى بيده وصار يتأمله وأضاءه مرارا متعجباً ومتسائلا كيف يشعل ؟ وما هو سره ؟ فلم أتمكن من تفهيمه سر البطاريات والكهرباء وقلت ذلك أمر عسير لا أعلمه أنا انما يعرفه الذين صنعوه .

ثم سألنى كم سنة صارلى باليمن فى خدمة جلالة الامام فقلت نحو ١٢ سنة ولكنى أذهب الى بلاد مدخل ، أى البلاد الخارجية ثم أعود ، فقال : وكيف وجدتم حكم جلالة

الامام فقلت لاشك أنه الملك المسلم الوحيد المستقل بذاته وبيلاده استقلالا تاماً لا تصل اليه يد أجنبية من وراء ستار ، وهو يحافظ على الاسلام والمسلمين ويرعى رعيته بعين عنايته ، ويحكم فيما بينهم وفقاً للشريعة الاسلامية الغراء ، ولابد أنكم شعرتم بتحسن أموركم الدينية والدنيوية منذ دخولكم فى طاعته . فأجاب اى والله اننا قبل دخول جلالة الامام هذه البلاد كنا دائما نقتل بعضنا بعضاً ، ولا نجسر على الخروج بالنهار خارج قلاعنا أو بيوتنا ، ولا نسافر إلا قوافل كبيرة لا تقل القافلة عن مائة رجل ، وأما اليوم فالولد أو الحرمة تسافر من أقصى بلادنا الى أقصاها فلا يعترضهما معترض وهما أمينان على حياتهما ومالهما والله يحفظ الامام . فقلت يجب أن تبقوا محافظين على هدوئكم وسكينتكم وتطيعوا الله والرسول وأولى الأمر منكم عملا بما أنزل فى الآية الكريمة ، فقال صحيح صحيح ، صواب صواب . وكنت أحيانا لا أفهم بعض كلماته كما انه كان يشكل عليه فهم بعض كلماتى فأدرك ذلك بذ كائه الفطرى وقال نحن عرب ولكننا لا نتفاهم جيدا أليست اللغة العربية واحدة فى كل الدنيا؟ فقلت كلا ان لكل بلاد بعض الاصطلاحات والألفاظ الدخيلة على اللغة العربية الأصلية ، وهذا مما يجعل التفاهم بين أبنائها البعيدين بعضهم عن بعض عسراً . فقال : ماذا تقولون للحصان . فقلت : حصان وفرس . فقال : نعم . وماذا تقولون للجمل . فقلت : جمل الركوب نقول له ركاب أو هجين وجمعه هجن . فقال : تمام . فقلت : وجمل الحمل نقول له رحول فلم يدرك هذا اللفظ . وقال لا بالله جمل . ثم قال : وماذا تسمون ما يوضع فوق الجمل لركوبه فقلت حداجه فلم يفهم ذلك أيضاً وقال : لا بالله ذهاب . فقلت له : لاشك أنه يوجد اختلاف فى اللغة العربية فى جميع أقطار الجزيرة ، وذلك لأن العرب لم يحافظوا على لغة القرآن أى العربية الفصحى ؛ فلو حافظوا عليها لما وجدت هذه الاختلافات فقال صحيح . ولكن البدو عندنا لا يقرأون ولا يكتبون ولا يعرفون القرآن ولم يدخلوا فى طاعة أحد منذ ألوف من السنين الى أن أدخلهم الامام أخيراً فى طاعته ، والله يحفظ الامام . ثم سألته عن الربع الخالى وهل قطعه بزمانه ؛ لأن الصافر جزء منه ورماله ممتدة الى مارب (والشيخ على هو صاحب الصافر ويعلم عن الربع الخالى أكثر

من جميع الناس) فقال : أنا لم أقطعه . فقلت : سمعت أن بعض عربكم قطعوه . فقال: نعم مرة من قديم الزمان ذهب غزو كبير وغاب نحو تسعين يوماً وقطعه ، ولكنهم كانوا يحملون ماء كثيرا وأخفوه بين الرمال فى ذهابهم ليستعينوا به فى ايابهم . فقلت له : اجلب لى واحداً من هؤلاء الغزاة . فقال : جميعهم ماتوا وأضاف انه لا يمكن قطعه من جهة مارب ، بل يمكن ذلك من جهة البحر أو من جهة الجبال . ثم سألنى اذا كنت حقيقة مهندساً أم لا ؟ فقلت : كلا . فقال : ألا تعرف أين الذهب . فقلت كلا : فقال : ولماذا أتيت الى هذه البلاد ؟ فقلت : إن جلالة الامام يحب أن يرى هذه البلاد ، وقد أمرنى أن آخذ له بعض الرسوم ليراها ، وطلبت اليه أن يسمح لى بأخذ رسمه فقال مرحباً . ثم ودعنى وانصرف الى أهله . وقد نشرت رسمه فى الصفحة ٩٦

تاريخ مارب

جاء فى الجزء الثامن من الاكليل عن مارب مايلى:

ذكر مارب وهى مسكن سبأ الذى قال الله فيه « لقد كان لسبأ فى مساكنهم آية جنتان عن يمين وشمال كلوا من رزق ربكم واشكروا له بلدة طيبة ورب غفور » وهى كثيرة العجائب والجنتان عن يمين السد ويساره وهما اليوم غامرتان والغامر العافى وكذلك السَّام فى كتب أصحاب الشروط فى شراء الارضين بغامرها وانما عفتا لما انكسر السدفارتفعاعن مستوى السيول. وقال الحسن الهمدانى وجدت فى احداهما عريق[1] اراك وفى أصله جذع نخلة أسود قد كست باقيه السوافى فقال بعض من كان معى لا أظنه الا من بقايا نخل الجنتين، وما أحسب أنه بقى من العصر القديم. واما مقاسم الماء من مداخل السد فيما بين الضياع فقائمة كأن صانعها فرغ من عملها بالامس ورأيت بناء احد الصدفين باقيا وهو الذى يخرج منه الماء قائما تخاله على أوثق ما كان ولا يتغير الى أن يشاء الله عز وجل وانما وقع الكسر فى العرم، وقد بقى من العرم شىء مما يحاذى الجنة اليسرى ويكون عرض أسفا خمسة عشر ذراعا قال تبارك وتعالى «فأعرضوا

(١) تصغير عرق ، والعرق الشرش

فارسلنا عليهم سيل العرم وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتى أكل خمط وأثل وشىء من سدر قليل» قيل الخمط الاراك والاثل الطرفا والسدر المعروف العرح وهو العلب وجمعه علوب والواحد علبة، ومن أمثال العرب فى الرجل المنيع الجانب وهو رجل لاينا ش عليه ولا يتخلف أثله ودومه وهو الدوم وحملة البلق والكنان وبها من الاراك ماليس يبلد ومن الحمام المطوق فى الاراك مايجل عن الوصف، وكان السيل يجمع من اماكن كثيرة ومواضع جمة باليمن وقد ذكرناها مع انكسار السد فى بعض كتبناوفيها يقول الاعشى:

فى ذاك للمؤتسى أسوة ومارب قفا عليها العرم
رخام بناه له حمير اذجاء ماؤهم لم يرم
فاروى الحروث واعنابهم على ساعة ماؤهم ينقسم
فعاشوا بذلك فى غبطة فخارمهم حارف منهزم

ويقول بعض العلماء ان بانيه لقمان بن عاد بن الكبير وبعضهم يقولون بانيه حمير والازد بن الغوث من عصب كهلان

وقال أبو الطحان يذكرمارب :

أماتوا ماربا ما كان أحصنه وما حواليه من سور وبنيان

(يدل هذا البيت على أن سور مارب كان حصينا وكان حواليه بنيان وقد شاهدت هذا بعينى ويخيل لى أن ظن غلاستر بان مارب كان يحيط بهاسور دائرى قول هراء وليست الدائرة التى ظنها انها السور غير الحصون التى كانت مقامة فى هذا السور) هذه مطالعتى انا (نزيه)

وقال علقمه

من يامن الحدثان بعد ملوك صرواح ومارب

وكان لمارب قصر سلحين والهجر والقشيب

وقال علقمة والذى بنا القشيب ذى يزن

وقال الهمدانى :

بل أين من قبلهمُ بمن ذكر أهل القشيب ذى الهى والهجر

وأهل صرواح وضهر وهكر (١) بدهم ريب الزمان عن قدر

وقال خلف :

لن تدفع الأحراس عن رب مارب منيته وما حواليه من قصر

يرقا اليها تارة بعد هجعة يامن أمر كان أمرت على سير

وقال لسموّل

ان امرأ أمن الحوادث جاهل يرجو الخلود بضارب بقداح

من بعد عادى الدهر ومارب ومقاول بيض الوجوه صباح

مرت عليهم آفة فكأنما عفت على آثارهم لمتاح

وفيها يقول الهمدانى :

وجنتا مارب من بعد ذا مثل والعرش فيها وسد وسط واديها

ما بين طودين لا دار ولا كثب وجرية السد طول الدهر يسقيها

كأنها حين يهوى من مثاعبها كواهل الصهب اذ دفت هواديها

وتارة ان تعالى الماء عارية جدر مجصصة نالت سواريها

تسق بها جنتاها ثم بعدهما مسافة الخمس موصولاً لياليها

تغدو النواصف بالاطباق تملؤها من كل فاكهة بالكف تحفيها

وليس يمنع نفساً أن توافيها منهما عجائبها الا ثمانيها

وعرشها شاهق من فوق أعمدة من الرخام سواقيها تحاذيها

حروفها لنواحى البئر مرهفة اذ العيون بطول السحب يهميها

فلو يقابل منها حرفها دقلاً أو لينه كاد ذاك الحرف يبريها

فى طول عشرين بعد العرض كاملة حصن بليغ طويل الباع يحويها

وفوقها مثلها والعرش منتصب من فوقها وخرير الريح يدويها

فليس منظرها الا لمضطجع من علوها قد يكاد الغيم يخفيها

---

(١) أسماء بلاد

متى تظل بها أملاك ذى يمن | تظل تخترق الارواح يلهيها
فاخلقت بلباس الدهر جدتها | تظل صادحة فيها تعفيها
ولا يحيط باحداهن ماقدرت | من بعد خمس حسيسا فى كراسيها
ورأسها قبة كالنجم بيضتها | ومقنع الرأس كرها من تنائيها
وحولها الطير وسط الجو عاكفة | ولابس الحلة الشوهاء يلهيها

وقال علقمة ذو جدن :

ومنا الذى دانت له الأرض كلها | بمارب يبنى بالرخام ديارا

وأعمدة العرش السفلى قيام الى اليوم لو اجتمع جيل على أن يصرعوا واحدة منها لم يقدروا لان كل عمود منها نقر له فى الصفا ثم القم سفله ثم صب بينهما القطر ويسمى قصر بلقيس سلحين

قال علقمة ذو جدن :

لو رأيت القشيب بعد بهاء | خاوياً هُدَّ بعضه فوق بعض
وأقاويل مارب قد تولوا | بعد عقد الامور منهم ونقض

وقال علقمة ايضا :

ابعد غمدان حين أمسى | يسفى به المور والرياح
يا عين سلحين فاندبيه | اذهاض من اهله الجناح

وقال ايضا :

وقصر سلحين قد عفاه | ريب الزمان الذى يريب
تعوى الثعالب فى قراها | ما فى مساكنها عريب

وقال تبع :

ومارب قد نطفت بالرخام | وفى سقفها الذهب الاحمر

ويقال ان مارب ومريب قبيلتان من العرب العاربة

وقال علقمه :

او لا ترين وكل شئ للبلا | سلحين خاوية كأن لم تعمر

واماقول الناس ان الشياطين كتبت فى نقش مساند اليمن بين سلحين :سلحين تسعة وتسعين خريفاً وابال(١) وبين صرواح مراح وبنون بوحاضه ابدين وهند وهنيدة وسنعه امجاله بقاعه وتلقما بريده ولولا صارح بتهامه لاثرنا بالبون علامه

فانماهذا الكلام لبعض حمير وانما هوبين بينون بحروبينون وبنوبنين سوفتين وشوافيق برحامه، ويقول معنى قوله بنينا بينون نحن وأولادنا وأولاد أولادنا حتى فنى منا كثير وبنينا آفيق بعلا البنا على النصب التعب

وقال تبع يصف مارب :

اولدتـنى من الملوك ملوك	كل قيـل متـوج صنـديد
ونساء متوجات كبلقيـس	وشمس اكرم بهامن جدود
ملـكتهم بلقيس عشرين عاما	باولى قوة وباس شديد
ولها جنتـان تسقيهما عيـ	ـنان فارا بسدها المسدود
لاتبالى ان لاترى غيث فيها	جاءها السيل من مكان بعيد
عرشها طوله ثمانون باعاً	كللتـه بجوهر وفريد
وبدر قـد قيـدته وياقو	ت وبالتبر ايّـما تقييـد
فلو ان الخلود كان لحى	باحتيال وقوة وعديد
او بملك لما هلـكنا وكنا	من جميع الانام اهل الخلود

وقال محمدبن خالد كانت الملوك تسكنها (أى تسكن مارب) وحيناً تسكن صنعاء فاذا أرادوا الخلوة خرجوا إلى المقلاب بغيمان وحيناتـكون بمارب فى قصر سلحين فاذا حانت خلوتهم خرجوا منه الى المذوب فى غمدان مارب ، وحينا يكونون بظفار فى ريدان فاذا حانت خلوتهم كانوا باضرعه

فايدة :

جاء فى حاشية على بعض النسخ ما لفظه: سئل رسول الله ﷺ عن سبا أبلد هو أم رجل أو امرأة فقال هو رجل ابو العشرة سكن اليمن منهم ستة والشام أربعة

---

(١) هذا نقش حميرى وتفسيره بعده

فاليمانيون كنده ومذحج والازد وانمار وحمير والاشعريون ، والشاميون لخم وجذام وغسان وعامله وفى مسند عن بينون نقش بالحميرية

بين بينون بحر وبنون وبنو بنـين سوفتين
وبينون قصر حميرى قديم وثنين افيو رحامه ابدين

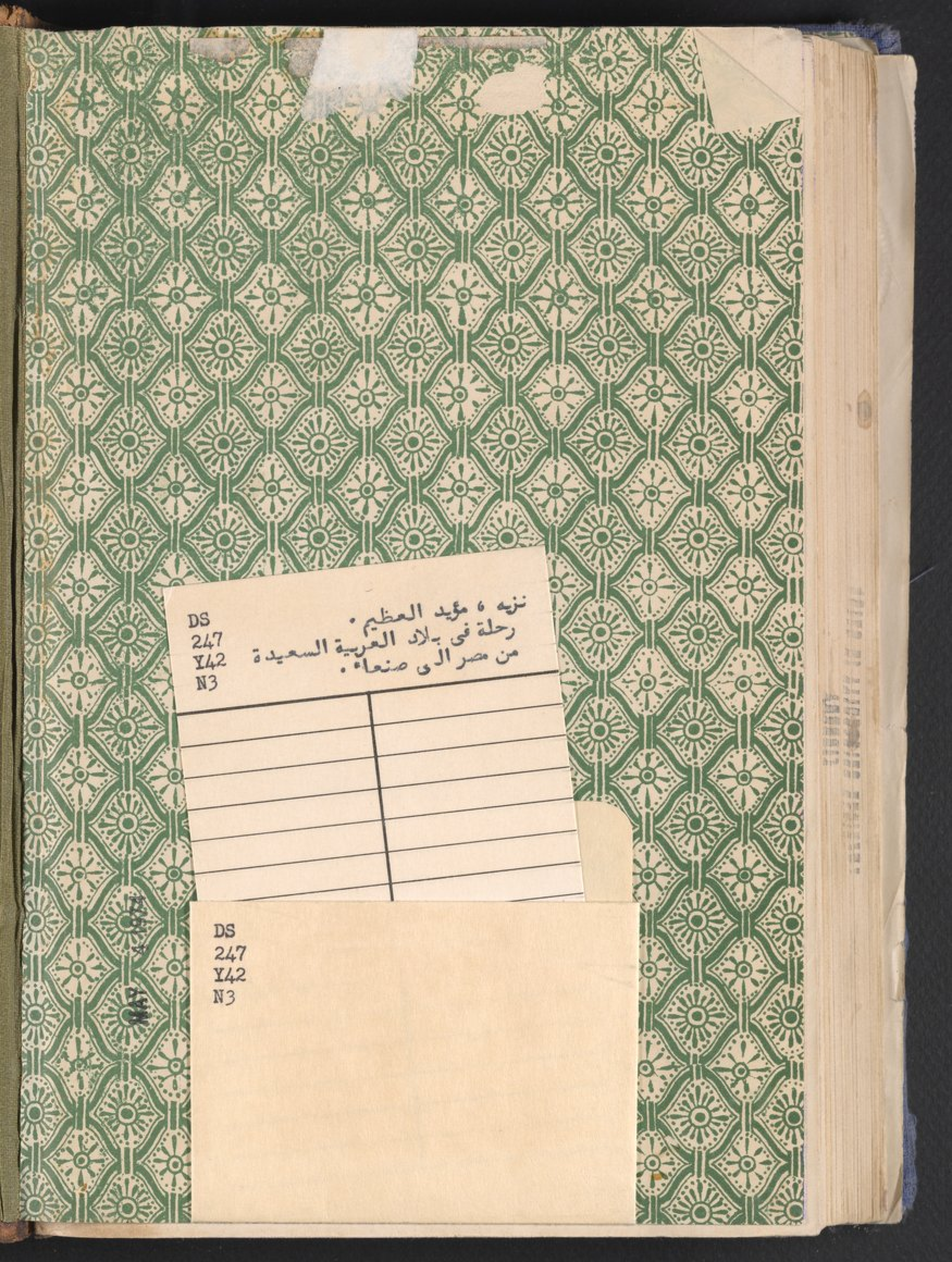
ويقول الاعشى فى سد مارب

كفى ذاك للمؤتسى اسوة ومارب قفا عليها العرم
رخام بناها لهم حمـير اذا جاء ماؤهم لم يرم
فأرووا الحروث وأعنابهم على ساعة ماؤهم ينقسم

ويقال انه يوجد بمارب كنز قد كنزته الفتاة بلقيس وسوف تظهره الجن. وبهذه المناسبة أقول ذكروا لى انه يوجد جرف فى احدى شعاب جبل بلق الأيمن وهـذا الجرف مسحور وفيه كنز عظيم قد يكون كنز بلقيس أو غيرها ولكن لم يتمكن أحد أن يدخله ويصل الى بابه الأخير أى السابع لأن الجن تطفئ السراج، وتظهر تارة بمظهر حنش عظيم وطورا بشكل حيوان غريب له أذنان كبيرتان يضع أذنه الواحـد تحت رأسه حين ينام ويضع أذنه الثانية فوق جسده كغطاء ، وأحيانا تظهر بمظهر حيوان عظيم له عنق طويل وشكله مرعب ومخيف فزرت هذا الجرف بنفسى فوجدت جميع ما كتب عنه لغوا وحقيقته انه مغارة تأوى اليها الخفافيش وعلى ممر السنين ملأتها بزبلها فصارت تفوح منها الروائح الكريهة ولايجسر بدو هذه البلاد من الدخـول اليها. وهذا هو الجرف المسحور الذى طالما عللت نفسى باكتشافه اثناء الطريق







DS
247
Y42
N3
نزيه ، مؤيد العظيم .
رحلة فى بلاد العربية السعيدة
من مصر الى صنعاء .
DS
247
Y42
N3
MAY 4 1974



